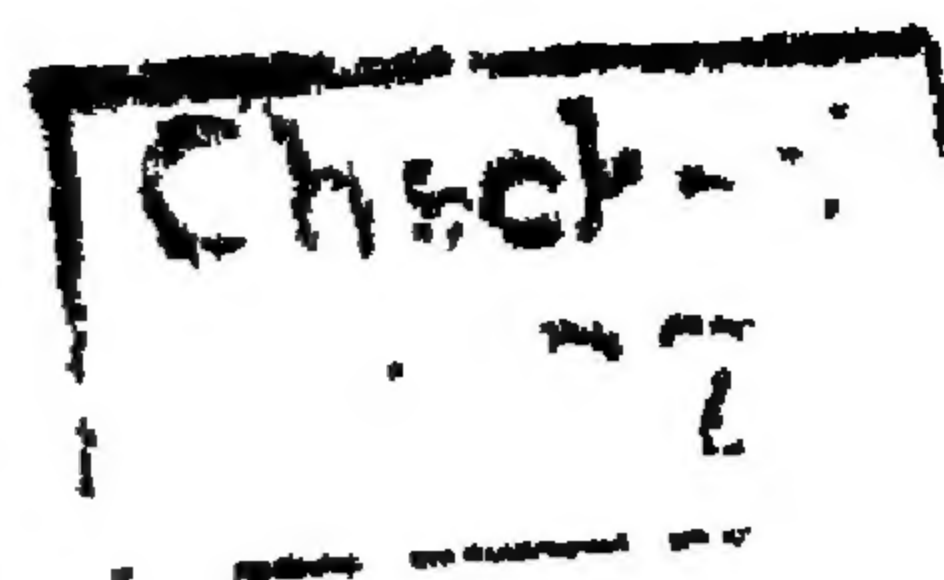








السلسلة الجديدة من مطبوعات دائرة المعارف العثمانية ٦/١٣/٩



## كتاب الامام

بالإعلام فيما جرت به الأحكام و الأمور المقضية في وقعة الإسكندرية

لمحمد بن قاسم بن محمد النويري الإسكندري

( المتوفى بعد سنة ٥٧٧٥ / ١٣٧٢ م )

الجزء السادس

تحقيق

دكتور عزيز سوريال عطية

من مخطوطة القاهرة

طبع

باعانة وزارة لمعارف للحكومة العالية الهندية

تحت إدارة

بروفسور السيد عبد الوهاب البحارى مدير دائرة المعارف العثمانية

الطبعة الأولى

مطبوعات دار النشر الإسلامية، ١٩٧٣ م

١٣٩٣ هـ ١٩٧٣ م





السلسلة الجديدة من مطبوعات دائرة المعارف العثمانية ٦/١٣/٩



CHECKED 1939

## كتاب الامام

بالإعلام فيما جرت به الأحكام والأمر المقضية في وقعة الإسكندرية

لمحمد بن قاسم بن محمد النويري الإسكندري

(المتوفى بعد سنة ١١٧٥ / ١٣٧٢ م)

الجزء السادس

تحقيق

الدكتور عزيز سوريال عطية

من مخطوطة القاهرة



طبع

بإعانة وزارة المعارف للحكومة العالية الهدية

تحت إدارة

مدرس السيد عبد الوهاب البحاري مدير دائرة المعارف العثمانية

الطبعة الأولى

مطبوعات دار النشر والكتاب في القاهرة

١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[ عود إلى ذكر دخول السلطان الأشرف

شعبان ثغر الإسكندرية - ]

نعود إلى ذكر صفة دخول السلطان الملك الأشرف شعبان ثغر الإسكندرية ، و ذلك أنه دخل من باب رشيد ، فسار بالمحجة العظمى ، و قد اجتمعت الرجال و النساء و العبيد و الإماء لرؤيته ، فصاروا يدعون له ، ه و النساء صرن يزرن <sup>٢</sup> فرحاً به لشبابه و حسنه و جماله ، و هو راكب فرساً أشهب <sup>٣</sup> ، تدوس سنابكه شقق الحرير المفروشة على الأرض ، و أمراؤه يمشون بين يديه ، و الشاويشية تزقق ، و المخنون <sup>٤</sup> بدفوفهم <sup>٥</sup>

---

(١) العنوان مشتق من النص ، وليس بإطامش . انظر ما قبل وما بعد في هذا ، و راجع المهارس .

(٢) كذا في الأصل ، ولعله : يزرن ، زغرن بالرجل : هوى به و سخر منه .

(٣) في الأصل : أشهباً .

(٤) في الأصل : و المغنين .

(٥) في الأصل : بدفوفها .



يضربون<sup>١</sup>، والشعراء على ضرب الرياب يشعرون<sup>٢</sup>، والشباب تشيب<sup>٣</sup> لها صوت مطرب، فطربت الأسماع على حسن الإيقاع، وتمايلت الأبدان كتمايل الأغصان والأفنان، لحسن سماع تلك الألحان، وقرت العيون بمشاهدة جمال السلطان، وصارت الشباب تشيب بغير جارحة لسان، بل كلما نفخ فيها الإنسان،

هـ أزيلت الأحزان . كما قال بعضهم / في شبابة كالغناية حيث قال :

ومقطوعة موصولة شقها النوى<sup>٤</sup>      تخبر أخارا بغير تكلم  
تراها إذا هاج الهوى في قوادها      تذيع من الأسرار كل مكم  
وكان الجفناوان يحجان<sup>٥</sup> السلطان، وهما مملوكان يرض الألوان،  
راكبان<sup>٦</sup> فرسين أشقرين<sup>٧</sup>، عليهما أقية الحرير الأصفر بطراز الذهب،  
١٠ وعلى رؤسهما كوافي<sup>٨</sup> الذهب المزركشة، متساويان في سيرهما، لا يتعدى الواحد الآخر بعض خطوة، والغاشية المتوجة بالطائر الذهب المشبه بالحمامة يدي رجل ماش يديرها بأعلى رأسه يمينا ويسارا، يقدمه غاشية ثانية مرصعة بالذهب يد رجل آخر . وعلى عنق فرس السلطان رقبة

(١) في الأصل : تضرب .

(٢) في الأصل : تشعر .

(٣) في الأصل : تشب .

(٤) نقلت الكلمة من الشطر الثاني للأول .

(٥-٥) في الأصل : وكانت الجفناوات تحجب .

(٦-٦) في الأصل : فرسان أشقران .

(٧) جمع كوفية توضع فوق الكتفين .

من ذهب مرصعة بأنواع<sup>١</sup> الجواهر ، و السلطان عليه قباء أخضر بفرو  
 قاقون أبيض ، و الجنائب ذوات الرقاب و الكنايش الذهب المزركشة  
 المكحلة بأحجار الجواهر تساق خلف مركوبه نحو خمسين جنيا .  
 و كان السلطان إذ ذاك ستة دون الستة عشر ، و وجهه من حسنه  
 كالقمر ، فلم يزل سائرا بالمحجة إلى مسجد أبي الأشهب ، فعطف عطفته ه  
 و مر على دار ابن الجباب إلى جوار القصارين إلى الصادر إلى أن خرج  
 من باب البحر الذي يلي البلد ، فنثر عليه مقابل دار العدل و دار الطراز  
 دنائير كثيرة التقطتها الناس . ثم سار و خرج من باب البحر الثاني  
 ثم الثالث ، فشاهد البحر الملح و المينة ، بها مراكب الفرنج . و في ذلك اليوم  
 لم يبق بالإسكندرية<sup>٢</sup> إفريجي تاجر<sup>٣</sup> و لا<sup>٤</sup> عليج غلام<sup>٥</sup> إلا و تحصن ١٠  
 بالمراكب خوفا من السلطان .

ثم إن السلطان شاهد قلاع السور و أبراجه التي تلي البحر مزينة  
 بالعدد من الأسلحة و الأتراس و الشطعات الحرير الملونة ، و الأعلام التي  
 تخفق بالرياح ، تبهج لرؤيتها الأصار و ترتاح الأرواح . ثم إن السلطان  
 شاهد المكان الذي صعدت منه / العلوج السور و الخندق الجديد الذي أنشأه ١٥ / ١٤٢ الف  
 الأمير صلاح الدين بن عرام مكان صعودهم ، و لم يكن قبل في ذلك  
 المكان خندق<sup>٤</sup> ، بل كان الإنسان يأتي ماشيا إلى أن يلتصق بالسور .

(١) زيد هنا : الذهب . و لا محل للكلمة في السياق و هي مشطوبة في النص .

(٢ - ٢) في الأصل : افريجيا تاجرا .

(٣ - ٣) في الأصل : عليجا غلاما .

(٤) في الأصل : خندقا .



ثم شاهد السلطان أيضا الخندق الغربي المتجدد خلف الباب الأخضر المعروف بالطرق . ثم إنه دخل الإسكندرية من الباب الأخضر ، و سار إلى أن اجتاز بضريح الشيخ الصالح الفقيه العالم العلامة أبي بكر الطرطوشي . ثم منه إلى رحبة الجامع الغربي إلى دار السلطان المجاورة له ، و قد امتلأت الطرقات بالناس ، يدعون له كبيرهم و صغيرهم ، ذكراً و أنثاهم .

فلما كان بعد صلاة الجمعة ركب و فتح له الباب الأول و الثاني مما يلي البلد ، و سار به وزيره سيف الدين الأكز المتقدم ذكر ولايته بالإسكندرية بين السورين إلى أن أتى به دار الطراز ، فترجل و دخلها صاعدا سلمها إلى أن أتى مواضع أنوالها و استعمالاتها ، قرأى كل صانع ١٠ ينسج على منواله من أصناف الأقمشة المنمقة ، و البدلات المطبقة ، المتخذة لحريم السلطان ، المختلفة الألوان .

قال بعضهم : حدثني أحد ممالك السلطان الخاصكية ، و كان يبي و يبه معرفه من القلعة بالقاهرة ، أن السلطان لما طلع دار الطراز ، قلع قلوبته و أقيته ، و تخفف حتى صار في ملوطة و قبسع بوفرة ، و حمل ١٥ يطوف على الأنوال يصرها ، و يدخل رأسه تحتها ، لينظر أسفلها ، و يتخرج على الصناعات كيف ينسجون ، و إلى مكائهم كيف يرمونها و لها يرحعون ، و يرفع رأسه يشاهد في أعلى الأنوال الشياطين من الصبيان كيف يشيلون حيطان المسادى و لها يحطون ، و كيف تصنع الطيور المسوجة و الدالات و الشاذرونات و غيرها بتلك الحيطان الطالعة و الهامة (١١)

و الهابطة إلى أن يكمل كل طائر و غيره ، فلم يزل طائها<sup>١</sup> يتفرج على نوع حتى اجتاز بشيخ كبير السن / ينسج بمنواله ، يمج تارة عن يمينه ، و تارة عن شماله ، برمي لمكوكه في باطن مسديته ، فيظهر بذلك نسج بديع ، كزهر الربيع . فقال السلطان له : العافية يا أبي ! فلم يرفع الشيخ رأسه إليه ، و لا نظر له بعينه ، و لا دعا له بالرد عليه . بل صار مقبلا على نسجه ٥ ناظرا إلى سير مكوكه و رجعه . فتعجب السلطان من مكابذته على شيخوخته ، و بديع تفرسه في صنعة مع سنسته . و كان ينبغي للشيخ حين كلبه السلطان أن يدعو له ، و يسأله معروفا ليرتقى به . فما كان يخيب سؤاله ، لأنه لولا رق له لكبرسه و جهده في العمل ما كلبه ، و لا كلبه إلا لخير يصله منه إليه ، لشفقته عليه . فان كان سكوت الشيخ خوفا منه و هية ، ١٠ لم يحصل له إلا الخيبة ، كما قيل في مشور الحكم « من هاب خاب ، و من جسر أيسر » . و كان ينبغي للشيخ أن يقول : بقيت بقاء الدهر ! أمرك نافذ ! و سعيك مشكور ! و حكمك منصف ! و مكنت في حفظ البسيطة مثل ما تحكم في أمصار فرعون يوسف ! فإله المسؤول في حراستك بعينه ، و إمدادك بتوفيقه و عونته ! و ذاتك و أدواتك اللطيفة . و أدواتك الشريفة ، ١٥ مستودعة لمن لا تضيع عنده الودائع ، و لا تخيب عنده الصنائع ! فحضرتك السامية مخصوصة بآتم سلام . و تحية و إكرام ! أنصف الله بك المظلوم ! و أغاث بك الملهوف ! و أيدك بالثبوت و وفقك للصواب ! سددك الله بالتوفيق و أطلقك بالصواب ! و جعلك عصمة للدين . و حصنا للمسلمين !

(١) في الأصل : طايغ .



أعانك الله على ما قلدك ! وحفظ لك ما امتعملك ، بما يرضى من فعله  
 سددك الله وأرشدك ! وأدام لك أفضل ما عودك ! زادك الله شرقاً  
 في المنزلة ، وقدرنا في قلوب الأمة ، وزلقى عند سلطانك ! نصر الله  
 بعدلك المظلوم ! وكشف بك كربة الملهوف ! وأعانك على اتباع الحق !  
 ٥ . متع الله أبصارنا برؤيتك ، وقلوبنا بدوام نعمتك ! من الله علينا بطول  
 مدتك ! وهأنذا / بالنعمة سلامتك !

فكان السلطان حينئذ يتجهج بهذا الكلام ، ويمدده بالإكرام  
 والإنعام ، وذلك لمقالته ، وكبره وشيخوخته . قالت العرب : لا فرق  
 بين الإنسان وبين الهيمة إلا تخالف الصورة ، ولذلك قيل : الصمت  
 ١٠ . منام العقل ، والنطق يقظته ، والمرء مخبوء تحت لسانه ، وإذا ترك الإنسان  
 القول ماتت خواطره ، انتهى .

نعود وإن كان سكوت الشيخ عن جواب السلطان زهداً فيما في  
 يدي السلطان ، ورغبة فيما عند الله تعالى ، فهو كما قال بعضهم  
 هذه الآيات :

١٥ لا تخضع لمخلوق على طمع فان ذلك وهى منك فى الدين  
 واسترزق الله بما فى خزائنه فانما الرزق بين الكاف والنون  
 واعلم بأنك لا تزداد خردلة إلا باذن الذى سواك من طين  
 وإن كان سكوت الشيخ راحة له من كلام ، فهو كما قال بعضهم  
 حيث قال :

٢٠ لقد فاز بالذات من هو أخرس وخصص بالراحات من لا يسمع

وإن

وإن كان سكوت الشيخ أفتة عن ذل السؤال ، فهو كما قال بعضهم  
حيث قال :

يا لطف نفسى على شيتين لو جمعا      عدى لكنت إذا من أسعد البشر  
كصاف عيش كفى ذل مسألة      وطاعة الله حتى ينقضى عمرى  
وإن كان سكوت الشيخ خوفا من المنسة و عار السؤال ، فهو كما قال هـ  
بعضهم حيث قال :

لنقل الصخر من قلال الجبال      أحب إلى من مسن الرجال  
يقول الناس كسك فيه عار      وكل العار فى ذل السؤال  
قال الأصمعى : رأيت أعرابيا فى طريق مكة يسأل الناس  
ولا يعطونه شيئا و معه صبي صغير ، فلما أعياه الأمر قال : يا بى ! ما أراى  
إلا محروما . فقال الصبي : يا أبت ! المحروم من أمته فبخل ، ليس من  
سأله فلم يعط . فعجب الناس من فصاحته على صغر سنة ، و تدافع الناس  
عليه بالهبات و الكساء ، فاستغنى فى ساعة واحدة بكلمة واحدة - انتهى .  
/ وإن كان سكوت الشيخ طلبا للقناعة و عدم الالتفات إلى مخلوق ،  
فهو كما قال بعضهم حيث قال :

١٥

عزيز النفس من طلب القناعة      ولم يكشف لمخلوق قناعه  
أفادتني القناعة كل عز      وهل شيء أعز من القناعة  
فصيرها لنفسك رأس مال      وصير بعدها التقوى بضاعة  
كان بعض العلماء يشتى بقميص واحد مع شدة البرد فى بلاده  
ف قيل له : لو تدفأت<sup>١</sup> شيء يقيك من البرد ! فيقول : بى علة تمنعنى من

(١) فى الأصل : تدفأت .

لبس المحشو، يعنى بها علة الفقر، ولا يكشف حاله لأحد، فأقبلت عليه الدنيا عند كبره إلى أن صار له 'مال كثير' فى وقت خمود شهوته، وضعف معدته، فكان يقول: قبح الله النعمة أتت حيث لا نأب ولا نصاب - انتهى .

٥ نعود - وإن كان سكوت الشيخ رضى منه بالفقر و غنى النفس، فهو كما قال بعضهم:

إن الغنى هو الغنى بنفسه وليس الغنى بملكه و بماله  
وكذا الفقير هو الفقير بنفسه ليس الفقير بدلقه و مقاله  
ولعندهم أيضا:

١٠ اطلب الدنيا إذا سهلت و اترك الدنيا إذا امتعت  
تطلب النفس الغنى عبثا و العنى للنفس إن قنعت  
و إن كان سكوت الشيخ أنفة و غير مبالاة بمخلوق فى الدنيا، فهو كما قال بعضهم:

١١ إن القناعة عز مذ ظهرت بها جعلت موطوءة رجلي جهة الأسد  
و إن كان سكوت الشيخ و صمته عن الجواب خوفا من زلة تقع منه بين  
يدى السلطان تجرى على لسانه من غير قصد منه لها، فهو كما قال بعضهم  
فى الصمت سعة آلاف خير، و قد اجتمع ذلك فى سبع كلمات، كل  
كلمة منها بألف، أولها: الصمت عادة، و الثانية: الصمت زينة من غير

(١) فى الأصل: مالا كثير .

حلى ، و الثالثة : الصمت هية من غير سلطان ، و الرابعة : الصمت حصن  
من غير حافظ ، و الخامسة : الاستغناء عن الاعتذارات ألا يعتذر إلى  
أحد ، / و السادسة : الصمت راحة الكرام الكاتين ، و السابعة : الصمت  
ستر<sup>١</sup> لعيوبه .

و لما طلب السلطان الملك الناصر حسن<sup>٢</sup> بن السلطان الملك الناصر ه  
محمد بن السلطان الملك المنصور قلاوون<sup>٣</sup> تاج الدين موسى بن الحازن ناظر  
الإسكندرية ، فلما حضر بين يديه داخل قصره ، قبل الأرض و وقف  
صامتا ، فسأله السلطان عن الإسكندرية و ما اجتمع له بها من الأموال  
في تلك السنة ، فكان جوابه أن قال : المملوك رجل من العوام ، لا يحس  
مخاطبة الملوك ، و يحتسب المملوك أن يتكلم بكلام يقع منه من غير معرفة  
لما لا يوافق مخاطبة مولانا الملك ، فيكون هلاك المملوك فيه . فقال  
السلطان : حيثئذ تكلم بما تعرفه ، فحزن لا تؤاخذك بخطأ يقع منك حسب  
اعتذارك بما اعتذرت به . فتكلم الناظر المذكور حيثئذ بما اقتضته مصلحة  
السلطان ، فخلع عليه ، و أبقاه على وظيفته كما كان - انتهى .

فلرجع إلى ما كما فيه آنفا من أمر السلطان الملك الأشرف شعبان - ١٥  
ثم إن السلطان المذكور شاهد ما في دار الطراز بالإسكندرية من عمل

(١) في الأصل : ستر .

(٢) الناصر حسن من الماليك البحرية سلطته الأولى ٧٤٨ - ٧٥٢ هـ / ١٣٤٧ -

١٣٥١ م و الثانية ٧٥٥ - ٧٦٢ هـ / ١٣٥٤ - ١٣٦١ م .

(٣) في الأصل : قلاوون .



زراکش و رقوم و ثياب حرير مذهبة مفروغ منها، فاختر منها ثيابا يستصحبها معه، وترك الباقي إلى حين تكملة نسجه. ثم إن السلطان رأى زير ماء عليه قادوس نخار أحمر يشرب به صناع دار الطراز من الزير المذكور، ملأ يده وشرب منه.

٥ حدثني الشيخ أبو عبد الله محمد بن يوسف البغدادي معلم دار الطراز

لما سأله وقلت: بلغني أن السلطان ملأ بنفسه بقادوس نخار على زير بدار

الطراز [ تشرب به منه صناع القزازة - ١ ] وشرب منه. فقال: نعم.

عائنته يشرب من الزير المذكور، وأن الصناع احتفلوا بذلك القادوس

ب وسموه / قادوس السلطان، وصاروا يقولون<sup>٢</sup>: اسقونا بقادوس السلطان،

١٠ وصار له بينهم مزية ورفعة قدر وعظم شأن. فقلت في ذلك القادوس

يبتين مقصورين وهما هذان<sup>٣</sup>:

صار للقادوس ذكر عندما شرب السلطان منه وارتوى

فحوى نخرا [ جميلا - ٤ ] دائما بحميل<sup>٥</sup> الذكر ما بين الوري

ثم إن السلطان خرج من دار الطراز، وآتى دار الصناعة، فرأى

(١) العبارة المحجورة ساقطة من الأصل ووردت في هامشه بقلم المراجع.

(٢) في الأصل: يقولوا.

(٣) في الأصل: هدين.

(٤) زيدت الكلمة من السياق لاستقامة الورد.

(٥) نقلنا الكلمة من انشطر الأول للثاني.

ما فيها من الشوائب الفروانية، والمجانيق الشيطانية، فرموا بها قدامه،  
 فاستحسن وميها، ورجع من بين السورين إلى أن دخل الإسكندرية  
 من الباب الأخضر، و سار إلى قصر السلاح، فدخله وشاهد ما فيه من  
 الأسلحة الكثيرة المدخرة من عهد الملوك السالفة قاعات القصر المذكور،  
 فرمم بأن يعمل له أيضا قاعة سلاح تسمى به كما سميت قاعات  
 الملوك بهم، فبنيت وجعلت له فيها من السلاح الحديد شيء كثير،  
 فكان عمله لذلك حسنة كاملة، ونعمة شاملة. وقد قيل في هذا:  
 لست أرى للزمان سيئه وهذه من فعالة الحسنه  
 بل وجهه أبيض بضئ سنا وهذه فوق خده حسنه

وهذا القصر المذكور الحاوي للسلاح المذكور حرسه الله تعالى من  
 الفرج حين ظهرهم بالإسكندرية، بعد أن أتوا إلى بابه مشاة وخيالة،  
 ألهمهم الله تعالى عنه وكرمه أنه جامع<sup>١</sup> للمسلمين يصلون به، ويتعبدون  
 فيه، فكفوا عن كسر بابه ودخولهم إياه، ولو فهموه أحرقوه بعد أن  
 كانوا يحملون<sup>٢</sup> منه العدد الكثيرة والأسلحة المتينة. ولكن الله تعالى  
 بفضله وإحسانه أعمى أبصارهم وبصائرهم عنه زعمهم أنه<sup>٣</sup> مسجد جامع<sup>٤</sup>

لصلاة المسلمين. / ومنعهم الله أيضا لأنهم لم يتعرضوا لخراب شيء من  
 حوامع إسكندرية ومساجدها وصوامعها خشية إخراج المسلمين لكائناتهم

(١) في الأصل : جامعاً .

(٢) في الأصل : يحملوا .

(٣-٤) في الأصل : مسجداً جامعاً .

التي هي بالديار المصرية و الشامية ، لأن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون كان رسم في أيام دولته يهدم كنائس النصارى ، فهدم منها بمصر و الإسكندرية و الصعيد و البحيرة و الشام كثيرا ، و لذلك لما ظفروا بالإسكندرية ، امتنعوا من خراب مساجدها ، خوفا مما تقدم من خراب حل كنائس النصارى ، فامتنعوا من ذلك خوفا من خراب بقيتها - انتهى .

### [ خبر المئذنة واليهودى - ١ ]

فلنذكر الآن خبر مئذنة قصد هدمها اليهود بالمكر و الحيل ، فغرموا المال الجزيل ، و بقيت المئذنة على حالها لم تهدم ، فحصل لهم الخزي و النكال بعدم هدمها ، و غرامة المال . و ذلك أن مسجدا بـ «رنديب» من أرض الهند بناه رجل يسمى خالد بن أحمد أصله من الأبله<sup>١</sup> . و كان في وقته وجه للمسلمين مالا يبى به للمسجد مئذنة عالية ، و الى جانب المسجد كنيسة لليهود كبيرة مليحة ، فاذا صعد المؤذن الى المئذنة يؤذن ، أشرف على الكنيسة و من فيها ، و كذلك كل من صعد عليها غير المؤذن يشرف عليها ، أو يشاهد ما يعمل فيها ، فأعجب اليهود أمر المئذنة ، و كان أحد اليهود موسرا ، فأراد إعمال الحيلة في هدمها . فقال للملك : إن تحت هذه المئذنة كنزا بجده في كتبنا ، فظن<sup>٢</sup> الملك و عز على بانيتها أن تخرب . فوقع بينه و بين اليهودى خطاب طويل إلى أن قال

(١) عنوان القصة غير وارد بالهامش .

(٢) «رنديب» أوردتها ياقوت في معجم البلدان ج ٣ ص ٨٣ - ٨٤ بقوله :

« هي جزيرة عظيمة في بحر هركند بأقصى بلاد الهند » و المقصود جزيرة سيلان .

(٣) الألة مدينة على الضفة اليمنى من نهر الدحلة قريبة من البصرة .

بأنها خالد بن أحمد : أنا أهدمها ، فإن كان تحتها كنز ، فللملك من  
 مالى مائة ألف قلنز<sup>١</sup> ، وإن لم يكن تحتها شيء ، بناها اليهودى و عليه  
 للملك مائتا ألف قلنز . فلما سمع اليهودى / ذلك توقف و جرى بينهما  
 ١٤٥/ب خطب طويل إلى أن وزن اليهودى مائة ألف قلنز ، ولم تهدم المئذنة ،  
 فكانت حيلة اليهودى سبب ذلك المال . و صار<sup>٢</sup> المسلمون يصعدون<sup>٣</sup> هـ  
 على المئذنة فى كل وقت ، و يلعنون<sup>٤</sup> اليهود و ينادون عليهم : يا نسل  
 الخنازير و القردة ! و يكشفون أحوالهم فى كنيستهم ، و يشتمونهم حين  
 زمزمتهم ، فصار اليهود من خوفهم منهم<sup>٥</sup> مقهورين خرسا<sup>٥</sup> لا ينطقون .  
 قال الأصمى : كان أعرابى على البحرين و لاه ابن هيرة ، فأكسر  
 عليه بعض خراجه ، فأمر بجمع اليهود ، و كانوا كثيرا بها ، فجمعوا ١٠  
 له . فقال لهم : ما علمكم و ما قولكم فى عيسى ابن مريم ؟ قالوا : قتلناه  
 و صلبناه . قال : والله لا تفارقونى حتى تؤدوا إلى ديتي . فأخذ منهم  
 الدية و زادها فى خراجه .

(١) قلنز - كذا فى الأصل ، ولم يتر على الكلمة فى المراجع المعروفة فى العربية ،  
 و واضح أنه يعنى بها ورة أو عملة .

(٢) فى الأصل : صارت .

(٣) فى الأصل : تصعد .

(٤) فى الأصل : تلعن .

(٥-هـ) فى الأصل : مقهورون خرس .



و كان أبو الطاح على حوالى البصرة ، فأتى رجل من النصارى ،  
فقال : ما اسمك ؟ قال : عمور . قال : اسم ثلاثة و جالية واحدة !  
لا والله العظيم ! فأخذ منه ثلاث جوالى و قال : عمور - اشتق منه ثلاثة  
أسماء : عمر و عمرو و عامر .

### [ صفة أبنية الهند و غير ذلك - ' ]

و إذ قد ذكرنا المئذنة بأرض الهند ، فسأذكر ما قيل فى صفة  
أبنية الهند إن شاء الله تعالى - ذكروا أن الأمطار كثيرة بأرض الهند ،  
فلذلك أبنية الهند بالساج و القا و غيرها من الخشب ، و فيهم من يبى  
بالآحر و اللين ، فيبنى الواحد حائطا مثل السور<sup>٢</sup> ، و يبى داخله الأبنية  
١٠ بالخشب و يسقفه ، و يجعل على السقف<sup>٣</sup> لنا كبارا<sup>٢</sup> بالطين ، ثم يملسه  
بالنورة و المغرة ، و يدلك دلكا ناعما ، و تلك النورة ترب و تخمر  
خمسة أشهر و ستة بالماء ، و ربما تقع الهليلج و البليج و الأملج ، و جعل  
فيه المشاق ، و منهم من يطبخ جلود الجواميس حتى تنهرا ، ثم يصب  
ذلك فى النورة أيضا ، فيكون مثل الغراء ، و تصقل صقلا ناعما حتى  
١٥ تطرد المطر .

و العرب تعمل حول بيوتها حازا<sup>٤</sup> من الرمل يحاط بها ليمع

(١) العنوان مشتق من النص و غير وارد بالهامش .

(٢) فى الأصل : النسور - كذا .

(٣-٣) فى الأصل : لبن كبار .

(٤) فى الأصل : حاجر .

ماء المطر . و إذا كانت بيوت العرب من وبر أو صوف فهو خباء ،  
و إن كانت من شجر فهو خيمة ، و إن كانت<sup>١</sup> من شعر فهي مظلة ، و إن  
كانت من آدم فهو طراف رقة . و العرصة : / كل موضع متسع لا بناء فيه .  
و عقر الدار : أصلها . و العقار : الأرض والضياع . و قاعة الدار :  
ساحتها . و بحوحتها : وسطها ، و الجنب : فناء الدار : و الوصيد : الباب ، ه  
يقال : أوصدت الباب - إذا أغلقته . و البهو : الفضاء المتسع بين يدي  
البيت . و الصرح : البناء المرتفع . و القدن : القصر . و المحاريب : الغرف ،  
واحدها محراب . و البناء المشيد : هو المطلق بالشيء ، و الشيد : الجص ،  
فأما المشيد - بالشد - فهو البناء المرتفع المطول ، يقال : شيدت  
[ البناء ] - إذا علّيته .

١٠

و القرية : كل مكان اتصلت فيه الأبنية و اتخذ قرارا ، و جمعها  
قرى ، و يقع ذلك على المدن و غيرها . و الأمصار : المدن الكبار ،  
واحدها مصر . و المدرة : القرية و المدينة ، يقال : فلان سيد مدرته .  
و الكفور : الخارج عن المصر . واحدها كهر - بفتح الفاء ، يقال  
« رجل قروي ، إذا كان من أهل القرى ، و « بدوي » إذا كان من أهل  
البادية - انتهى .

و بأرض الهند الحيوان المعروف بالكركدن ، له في مقدم جبهته  
قرن واحد ، و هو دون الفيل في الخلقة . و أكبر من الحاموس ، يميل

(١) في الأصل : كان .

إلى السواد، وهو 'يحتتر' كما 'تحتتر' البقر، و الفيلة تهرب منه، وليس في أنواع الحيوان أشد منه، و ذلك لأن أكثر عظامه صم، لا مفصل في قوائمه، لا يرك ولا يتام، وإنما يكون الشجر و الآجام يستند إليها عند نومه. و الهنود تأكل من لحمه لأنه نوع من البقر و الجواميس، و قرنه أبيض، في وسطه صورة سوداء في ذلك البياض، إما صورة إنسان أو صورة طائوس بتخطيطه و شكله، أو صورة سمكة، أو صورته في نفسه، أو صورة نوع من الحيوان مما يوجد في تلك الديار، فينشر هذا القرن، و يتخذ منه المناطق بالسيوف على صورة الحلية من الذهب و الفضة. فتلبسها<sup>٢</sup> ملوك الصين، و خراصمها تنافس في لبسها<sup>٣</sup>، و تتدلى في إيمائها، فتبلغ المنطقة ١٠ ألف دينار إلى أربعة آلاف دينار، فيها / معاليق الذهب. و ذلك في نهاية الحس و الإتقان. و ربما يجمع بأنواع من الجوهر بقضبان الذهب، و وحوه<sup>٤</sup> تلك الصورة مكتة بسواد. و قد زعم الجاحظ أن الكركدن يحمل به في بطن أمه سبع سنين، فيرعى ثم يدخل رأسه إلى بطنها<sup>٥</sup>، و هذا عجيب. و الله أعلم.

١٥ و بالهند نهر يجرى من عيون بجنال الهند و السند، وهو نهر حاد

(١-١) في الأصل : يشتر كما يشتر.

(٢) في الأصل : تلبسه.

(٣) في الأصل : لسه.

(٤) في الأصل : وحوه.

(٥) كذا في الأصل، و في حياة الحيوان الكبرى : و قد أنكر الجاحظ هذا.

الانصباب و الجريان ، عليه يعذب أكثر أهل الهند أنفسهم<sup>١</sup> بالحديد و تغرقها زهدا في الدنيا و رغبة في التقل عنها . و ذلك أنهم يقصدون<sup>٢</sup> موضعا في أعالي هذا النهر المعروف بالككنك<sup>٣</sup> ، و هناك جبال عالية ، و أشجارها عارية<sup>٤</sup> ، و رجال جلوس ، و حدائد و سيوف منصوبة على تلك الشجر و قطع من الخشب ، فتأتيهم الهنود من الممالك النائية ، و البلدان القاصية ، فيسمعون كلام رجال قد رتبوا على هذا النهر ، و ما يقولون من ترهيبهم في هذا العالم ، و الترغيب فيما سواه ، و يطرحون أنفسهم من أعلى تلك الجبال العالية ، على تلك الأشجار العارية<sup>٥</sup> ، و السيوف المنصوبة ، فيتقطعون قطعاً ، و يصيرون إلى هذا النهر أحراء متفرقة - انتهى .

### ١٠ [ عود إلى خبر الملك الأشرف بالإسكندرية - ٦ ]

نعود إلى قصة خبر السلطان الملك الأشرف شعبان ، دخوله الإسكندرية - و ذلك أنه صلى العصر من يوم الجمعة بمسجد القصر المتقدم ذكره ، و ركب و خرج من باب السدرة ، و قصد و طاقه المضروب

(١) في الأصل : انفسها .

(٢) في الأصل : يقصدوا .

(٣) نهر الككنك أى الجنج ( Ganges ) .

(٤) في الأصل : عدية .

(٥-٥) الجملة مكررة في النص .

(٦) العنوان مشتق من النص .



بالموضع المعروف بالسرية<sup>١</sup> شرقى ظاهر الإسكندرية ، بات به و أصبح  
يوم السبت مقبلاً نهاره ، فكانت الرجال والنساء والعبيد والإماء  
يتخرجون بوطاقه و بآيوانه الخيام المنصوب . و الإيوان المذكور من  
أحسن ما يكون من الخيام الناصع البياض . وهو شاهق فى الهواء ،  
هـ مزخرف بأنواع التقاصيص<sup>٢</sup> الملونة ، وأرضه مفروشة<sup>٣</sup> بالبسط ،  
١/ الف و السلطان حينئذ فى خيمة منتدعة عنه ، كبيرة تسمى بالمدورة . / وكانت  
العوام بالقاهرة انتصروا<sup>٤</sup> للسلطان الملك الأشرف شعلان فى حركة  
المماليك الأجلاب المتقدم ذكرهم فى هذا الكتاب ، لما قصدوا أذى  
السلطان مع الأمير أسدمر الخاصكى المتقدم ذكره ، فاستجاشت العوام  
١٠ و قتلوا الأجلاب ، و حملوهم<sup>٥</sup> مطرحين على التراب ، و هم غلب بغير  
ختان ، و علم بذلك أنهم بصارى بعيدون<sup>٦</sup> عن الإيمان . فصارت العوام  
عند السلطان فى أعز مكانة ، يحكمهم لصرتهم له ، و قيامهم معه ، و صاروا  
له جيشاً ملازمين الطاعات من غير حوامك و لا إقطاعات . بل أخلصوا  
له القلوب - زيد منهم و عمرو ، ليألوا رضى الله تعالى بطاعة ولى الأمر .

(١) كذا فى الأصل . و حائر أن تكون « السرية » .

(٢) فى الأصل : التقاصيص - كذا .

(٣) فى الأصل : مفروش .

(٤) فى الأصل : انتصرت .

(٥) فى الأصل : حملوهم .

(٦) فى الأصل : بعيدين .

فلما نصحت العوام للسلطان، ألقى الله في قلبه محبة لهم في جميع البلدان،  
حتى أهل الإسكندرية نالوا من إحسانه أن نثر عليهم الذهب فالتقطوه  
وكل منهم بما حصل له منه أخذه وذهب، نال به السبب، وتركهم  
يتفرحون بأيوان ملكه، ويشاهدون جمال حسبه، من غير طرد ولا منع،  
فما منهم إلا من اقتن برؤية وجهه الحسن، ولسان حال كل منهم يقول ه  
حيث يقول:

أورد لثامه على وحيته لم يفتن ' العالم في خلقته  
لكن قصد النفوس تقادله طوعا ونجيه إلى طاعته

تم لما رحل السلطان عنهم، صار لسان حالهم يقول:

بأى فأعرفناه<sup>٢</sup> القلوب صابة وعارية العشاق ليس لها رد ١٠

وكان رحيله من السرية ظاهر الإسكندرية ليلة الأحد المسفر صباحها  
عن السادس من جمادى الأولى<sup>٣</sup> سنة سبعين وسعمائة<sup>٤</sup>. وأقامت  
الإسكندرية بعد رحيله يومين مريّة، والله تعالى ينصره على الدوام!  
وأن يجعل حربة قبرس في أياده في قضية الإسلام! وقد قلت أبياتا في  
دخول السلطان الإسكندرية، وهي هذه الأبيات: ١٥

(١) في الأصل: لم تفتن، وكانت بالشرط الأول مقلباها للثاني.

(٢) في الأصل: فأعرفاه.

(٣) في الأصل: الأول.

(٤) يقابل هذا التاريخ ١٦ يناير سنة ١٣٦٩ م.

دخل الأشرف للثغر ضحى جمعة فابتهج الثغر به  
ملك سلطانه فاق على جمع ملوك شرقه وغربه  
دخل الأشرف للثغر فقد ضاء بالنور الذي صار به  
وجميع الجيش يمشى تحته و الرجال و النساء بقربه  
وهو كالبدور المنير ينجلي في القفا الأخضر مخفوف به  
راكب أشهب في سرح له ذهب كنبوشه من ضربه  
والجواهر التي قد رصعت في خلال سرجه وركبه  
ورقاب خيله من ذهب ما لها في دهرها من شبه  
والغواشي للسروج تنجلي بطيور ذهب تسموبه  
فتن العالم لما أن رأوا طلة السلطان [قد-<sup>٢</sup>] هاموا به  
قد غدت أعينهم باهتة لجمال ما له من مشه  
ملئت قلوبهم حباله وعدوا سكرى بخمر حبه  
تم صاروا [هم-<sup>٢</sup>] كشه نسوة بالجمال اليوسفي هم من به  
فالملك الأشرف الزاكي الذي عدله شرقه وغربه  
دخل الثغر حقيقا وبه قام صلى جمعة لربه  
ورأى السعد بثر ناسم ريقه من شب كعذبه  
فجنود<sup>٢</sup> الثغر كالأسد التي كشرت أنيابها كفضبه

(١) وردت الكلمة بالشطر الأول و تقلدها للشطر الثاني .

(٢) ريدت لاستقامة الورد .

(٣) في الأصل : نخلود .

يبتغي حربا لكلب قد غدا كافر الطلعة مكور به  
 فهو إن جا كرة ثانية داخلته خيفة بقلبه  
 من جيوش الثغر بما قد يرى لأسود زحفوا لحربه  
 رسم السلطان أن يبنى له قاعة في القصر من عزم به  
 ليصير ذكره كذكر من ملكوا من قبل واهتموا به  
 بنيت قاعته وامتلات من سلاح كامل سُتت به  
 ثم بعد العصر من ثغر غدا لوطاق فائق بات به  
 وأقام الست في سرية في أمان مع لطيف ربه  
 رحل الأشرف منها قاصدا نحو مصر في جنود حزبه  
 اسمه شعبان قد بورك في اسمه كالشهر مسعود به  
 ربنا احفظه بعز دائم ما حدا الحادي ليعس ركه  
 أخرب اللهم في دولته قبرسا بتركه وعربه

فلذكر ما قيل في هذا الاسم المبارك إن شاء الله تعالى - وهو أن  
 السلطان الملك الأشرف اسمه شعبان لبركة شهر شعبان ، فإن شعبان  
 خمسة أحرف : ش ع ب ا ن . أما اثنين فشر في الدنيا وشرف ١٥  
 في الآخرة ، والعين علو في الدنيا وعلو في الآخرة ، والباء بركة في الدنيا  
 وبر في الآخرة . والالف أمانة في الدنيا و ألفة في الآخرة ، / والنون  
 نماء في الدنيا ونور في الآخرة . عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله

(١) قلنا الكلمة من الشطر الأول في النص .



صلى الله عليه وسلم : أتدرون لآى شىء سعى شعبان؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ! قال : إنه يتشعب فيه خير كثيرا<sup>١</sup> لرمضان .

وفى شهر رمضان سنة إحدى وسبعين وسبع مائة<sup>٢</sup> ولد للسلطان الملك الأشرف شعبان ولد سماه رمضان لبركة شهر رمضان وتلوه لشعبان ، فصار اسما على مسمى ، فحصل رمضان بن شعبان الملك المذكور الخير والسرور ، وزيت له سائر بلاد مصر والشام . ليلة نصف شعبان ليلة مباركة ، وكذلك ليلة القدر وليلة عرفة .

فلنذكر ما قيل فى تلك الليالى الثلاث إن شاء الله تعالى - قال بعض العلماء : اعتبرت هذه الليالى الفاضلات ، ليلة نصف شعبان ، وليلة سبع عشر من رمضان - وهى ليلة القدر ، وليلة عرفة ، فجعلتها<sup>٣</sup> لا تزال متواخية ، إن كانت واحدة منها الجمعة كان الكل الجمعة ، وكذلك غير الجمعة من الأيام . وهى ثلاث لىال متواخية ، فإن ليلة شعبان فيها قسمة الأرزاق ، وليلة القدر فيها نزول الملائكة والروح بكل أمر ، وليلة عرفة وهى الليلة التى ما رأى الشيطان نفسه أصغر ولا أحقر<sup>٤</sup> ولا أغبط منه فيها من تنزل الملائكة .

عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : رجب شهر الله تعالى ، وشعبان شهرى ، ورمضان شهر أمتى . قيل : يا رسول الله !

(١ - ١) فى الأصل : حيرا كثيرا .

(٢) يقابل هذا التاريخ مارس - أبريل سنة ١٣٧٠ م .

(٣) مصححة بالهامش ، وفى النص . فجعلتها .

(٤) فى الأصل : ثلاثة .

ما معنى قولك : شهر الله ؟ قال : لأنه مخصوص بالمغفرة ، وفيه تحقن  
الدماء ، وفيه تاب الله على أنبيائه ، وفيه 'أنقذ أوليائه' من يد أعدائه  
[و-٢] لمحبه له ومواظبه<sup>٢</sup> على صومه ، ولما ورد أن آية الصلاة نزلت عليه  
فيه . وأما قوله عليه السلام : رمضان شهر أمتي ، فلعوم البركة ، وشمول  
الرحمة والمغفرة لأمة فيه ، وشهر شعبان شهري ، لأن الأرزاق تنشب  
فيه ، وإما سمي رجب ، لأن الملائكة / ترنج فيه بالتسبيح والتحميد ١٤٨ / ب  
والتمجيد ، وإما سمي رمضان ، لأن الذنوب ترمض فيه . وقال ابن عباس  
في رجب : سمي أصم ، لأن الملائكة تصم آذانها لشدة استماع أصواتها  
بالتسبيح والتقدس ، وسمي الأصب أيضا ، لانصباب الرحمة فيه -  
والله أعلم .

١٠

وقيل : مثل رجب كمثل الريح ، ومثل شعبان كمثل الغيم ، ومثل  
رمضان كمثل المطر ، والحسنة في سائر الشهور الواحدة بعشر ، وفي رجب  
بتسع وتسعين ، وفي شعبان بمائة ، وفي رمضان بألف . ويقال : خص  
رجب بالمغفرة . وشعبان بالبركة ، ورمضان بالتضعيف ، و ليلة القدر  
بإزال الرحمة ، ويوم العيد بالقبول من الله تعالى ، ويوم عرفة بالرضى ١٥  
والكمال ، ويوم عاشوراء بالهجرة والفضيلة ، ويوم الجمعة بالدعاء والإجابة .  
وقيل : رجب شهر الاستغفار ، فإن آدم عليه السلام ألهم فيه الاستغفار

(١-١) في النص : انقدوا أوليائه .

(٢) ريدت الواو على الأصل لاستقامة العبارة .

(٣) في النص : ومواظبه - بالضاد بدل النظاء .

حتى تيب عليه فيه ، و شعبان شهر الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ،  
لأن آية الصلاة نزلت فيه .

و روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : إن الله عز وجل يطلع  
إلى عباده ليلة النصف من شعبان ، فيعتق رقابا ، ويحط عقابا ، ويعطي  
ه رغابا ، ويغفر الذنوب إلا الشرك والإصرار والحسد والبغى . وفي  
حديث آخر : يكتب الموت من شعبان إلى شعبان حتى أن الرجل  
يتزوج وتجل له امرأته ويولد له وأنه من الموتى .

وعن عكرمة في قوله تعالى ' فيها يهزق كل امرحيم ' قال :  
في ليلة النصف من شعبان يدبر الله أمر السنة ، وينسخ الأحياء من  
الأموات . و يكتب حاج بيت الله ، فلا يزيد فيهم أحد ولا ينقص  
منهم أحد .

و روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا كان ليلة النصف من  
شعبان ، فقوموا ليلتها ، / و صوموا نهارها ، فإن الله عز وجل يزل فيها  
لغروب الشمس إلى السماء فيقول : ألامستغفر أغفر له ! ألامسترزق أرزقه !  
١٥ حتى يطلع الفجر . ويقال : إن زمزم تحلوا تلك الليلة ، وتتصل بها  
عين سلوان التي بالقدس الشريف . وكان الناس في قديم الزمان يذلون  
المال على تحصيل شيء من مائها في تلك الليلة لما يكون فيها من الرحمة  
و غلة الأقوياء للضعفاء وأصحاب الجاه على غيرهم .

(١) قرآن كريم سورة ٤٤ آية ٤ .

(٢) في الأصل : تحلو - كذا بالنسخاء المعجمة .

و روى عن النبي الله صلى عليه وسلم أنه قال « من اغتسل ليلة  
النصف من شعبان لم يزل طاهراً سنته كلها » . وقال عليه السلام  
« ان الله تعالى في هذه الليلة عتقاء من النار بعدد شعر غم كلب » . وعن  
أنس بن مالك قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان يفطر  
قبل أن يصلي على رطبات ، فان لم يكن رطبات فتمرات ، فان لم يكن  
تمرات حسا حسوات ماء » . وعن سالم بن عامر عن النبي صلى الله عليه  
وسلم قال « من لم يجد التمر فليفطر على الماء » - حديث صحيح .  
وعن معاذ قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أفطر قال :  
اللهم ! إني [ لك -<sup>٢</sup> ] صمت و على رزقك أفطرت<sup>٣</sup> » . وأفضل المياه  
ماء زمزم ، فإذا أفطر عليه الصائم ، قال : اللهم اجعله علماً نافعاً ، ورزقاً  
واسعاً ، وشفاء من كل داء وسقم ، واغسل به قلبي واملأه من  
خشيتك ، وارزقني الإخلاص واليقين والمعاونة في الدنيا والآخرة .  
ثم ليقل بعد شرب ماء زمزم أو غيره من المياه : ذهب الظمأ وانتلت  
العروق وثبت الأحر إن شاء الله تعالى - رواه ابن عمر عن النبي صلى الله  
عليه وسلم . عن سهل<sup>٤</sup> بن سعد الساعدي أن رسول الله صلى الله عليه  
وسلم قال « تسحروا / فان في السحور بركة » - متفق على صحته . وفي

١٤٩ / ب

(١) في الأصل : فطر .

(٢) زيد من مراجع الحديث .

(٣) في الأصل : فطرت .

(٤-٤) تكرر ما بين الرقعين في الأصل .



طريق : فاته مبارك . وعن عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « فصل<sup>١</sup> ما بين صيامنا<sup>٢</sup> وصيام أهل الكتاب أكلة السحر » - أخرجه مسلم . و روى « أن الله وملائكته يصلون على المتسحرين<sup>٣</sup> » . و دخل بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم و هو يتسحر فقال : هلم الغداء المبارك !

و يستحب أن يتسحر بالتمر لما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « نعم سحور المؤمن التمر<sup>٤</sup> » . و لقوله عليه السلام « تسحروا ولو بتمره و لو بحبات زبيب » . و روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « تسحروا ولو بالماء » . و يستحب تأخير السحور لما روى أنس عن زيد بن ثابت قال « تسحرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قمنا إلى الصلاة ، و عوض الله المؤمنين في الصيام السحور بدلا من الغداء فيقولون<sup>٥</sup> : على عاداتهم » . و قال النبي صلى الله عليه وسلم « قولوا كل ليلة من رمضان : اللهم ! سلم لنا رمضان و سلم رمضان ما حتى ينقضي عما و قد غفرت لنا و رحمتنا و رضيت عنا » . و قال النبي صلى الله عليه وسلم « ثلاث ليال من فاته فقد فاته خير كثير : ليلة الصف من

(١) من مرجع الحديث ، و في الأصل : فصل .

(٢) من مرجع الحديث ، و في الأصل : الصيام .

(٣) في الأصل : المتسحرين .

(٤) في الأصل : بن ، و الصواب ما أثبتناه من طريق الحديث .

(٥) في الأصل : يقولوا .

شعبان، و ليلة سبع وعشرين من رمضان، و تسع<sup>١</sup> و عشرين منه، . فانها  
الليالي المعظمة عند الله تعالى، فاعتم العشر الاخير من رمضان، فان فيه  
تمام الفضائل و كمال المفاخر، و انتبه لامرك قبل أن ترتهن بعملك  
في قرك، و تزود من العمل الصالح لطول سمرتك، فكأنك في  
حفرتك، و اغتم هذا العشر، ففيه ليلة القدر، فقد ذهب في أكثر  
العمر . و قيل في ذلك :

أعيناي لم لا تكسيان على عمري تنأر عمري في يدي ولا أدرى  
إذا كنت لم تزرع وأبصرت جاهدا ندمت على التفريط في زمن البذر  
لقد فاز العاملون، و خسر الغافلون، فوا أسفا / يخرج رمضان عنا ١٥٠ / الف  
وما غمنا ! وكأننا بالموت و قد هجم علينا و ندمنا . ١٠

قد تولى الشهر عنا ليت شعري هل قبلنا  
هل ترى يقلنا لا له على ما كان منا  
معشر الصوام فاسكوا أى شيء راح منا  
شهر - نور و ضياء فيه صليا و صمنا  
كل شهر فيه يعطى كل ما شئنا و رمنا ١٥

عن ابن عباس رضى الله عنه قال : يوم عيد الفطر يوم الجوائز،  
إذا خرجوا [ إلى -<sup>٢</sup> ] المصلى أعطوا حوائزهم . قال ابن الأباري :  
معنى يوم العيد اليوم الذى يعود فيه الفرح، و أصله العود، لأنه من

(١) في الأصل : تسعة .

(٢) ريد و لا يدمه .

عاد يعود ، و يوم الزينة يوم العيد ، لتزين الناس فيه بلبوسهم وكسوتهم .  
و قال عياض : سمي العيد عيداً لأنه يعود و يتكرر في أوقاته ، و قيل :  
يعود بالفرح و السرور على الناس . و قيل : تفاؤلاً . و يستحب أن  
يرجع الناس من العيد في طريق غير الطريق الذي أتوا منها اقتداء  
، بالنبي عليه السلام . و اختلف لآي شيء مر عليه السلام على غير  
الطريق ، قيل : ليسأل عن أمر الدين ، و قيل : لينال بركته هؤلاء كما  
نالها الأولون ، و قيل : ليكثر خطاه ، و قيل : ليكثر في أعين الكفار  
لأنه حينما مال مال معه الناس ، و يتفقد المساكين ، و قيل : لتسال  
الأرض التي رجع عليها ما نالت الأولى ، و قيل : إن اليهود لعنهم الله  
١ كنوا لهم كينا . و كتب بعض الشعراء للصاحب بن عباد في يوم  
عيد يقول حيث يقول<sup>٢</sup> :

أيا من عطاياہ تعطى<sup>٣</sup> الغنى إلى راحتي من مأي أودنا  
كسوت المقيمين في عيدهم كسئ لم يجد مثلها ممكنا  
وحاشية الدار يمشون في ثياب من الخز إلا أنا  
١ فقال صاحب : قرأت في أخبار معن بن زائدة الشيباني أن رجلاً قال له :  
احملني أيها الأمير ! فأمر له بباقة و فرس و بغل و حمار و جارية ، ثم قال له :

(١) في الأصل : كست .

(٢) في الأصل : قالوا .

(٣) في الأصل : يعطى .

(٤) نقلت الكلمة من الشطر الأول للثاني .

لو علمت أن الله تعالى خلق مركوبا غير ذلك لملتك عليه، وقد أمرنا لك من الخزيجية و دراعة<sup>١</sup> و قبض و سراويل و عمامة و مندبل و مطرف / و كساء و رداء و كيس، ولو علمنا لباسا غير هذا لأعطيناك .  
ثم أمر بادخاله إلى الخزانة ، فقبض جميع ما ذكره الصاحب رحمه الله تعالى - انتهى .  
٥

نعود ؛ فلنذكر الآن خبر دخول ملكين الإسكندرية و ما عملا فيها إن شاء الله تعالى - فانظر يا هذا إلى السلطان الملك الأشرف شعبان ملك الديار المصرية و الشامية ، كيف دخل الإسكندرية و شاهدها ظاهرا و باطنا من غير أن يدخلها الملوك السالفة غير الظاهر . قيل : إنه من عهد الملك الظاهر بارس<sup>٢</sup> لم يدخلها ملك من ملوك الإسلام .  
غيره ، فآله تعالى يمدّه بنصره و يؤيده في نهيه و أمره ، و يحفه بتأييده و إسعاده ، فقد أنعم عليه بكرمه و ورثه ملك آبائه و أجداده ، و أنطق لسان حاله بما قيل في أمثاله ، حيث قيل :

بنت آباؤنا شرفا قديما فتحن لما بنوه مشرفونا  
أخذنا مجدا عنهم وكانوا عن الآباء قدما يأخذونا  
وآدبهم أوائلهم وكانوا لنا عد الأمور مؤدبتنا  
١٥

(١) في الأصل : ذراعة .

(٢) الظاهر ركن الدين بارس البندقداري من المماليك البحرية ، وحكاه ٦٥٨ -



فهما كان من خير فانا ورثنا<sup>١</sup> عن أوائل أولينا  
 وإنا مورثون كما ورثنا عن الآباء إن متنا بيننا  
 ثم انظروا هذا إلى ملكين دخلا الإسكندرية بجيوشهما مسلم وكافر،  
 فالكافر أخرب ودمر، والمسلم بنى وعمر. ولم يعلم أن ملكا كافرا  
 دخلها من حين فتحها عمرو بن العاص<sup>٢</sup> إلى آخر سنة سبع وستين وسبعائة<sup>٣</sup>  
 إلا دير بطرس<sup>٤</sup> صاحب قبرس لعنه الله. ولم يعلم أن ملكا مسلما  
 دخلها بعد دخول الظاهر بيبرس إلا الملك الأشرف شعبان بن حسين بن  
 الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون. فكان دخول الكافر  
 فيها يوم الجمعة ثاني عشرى المحرم الحرام سنة سبع وستين وسبعائة<sup>٥</sup>.  
 ١٠ ودخول المسلم فيها يوم الجمعة رابع جمادى الأولى سنة سبعين وسبعائة<sup>٦</sup>.  
 فالكافر قتل بعض أهلها، وأسر منهم، وشتت شمل ناصيهم. والمسلم  
 آواهم وحفظهم ونثر الدنانير عليهم. فالكافر كسرهم كسرة شنيعة، والمسلم  
 جبرهم وجعل قلوبهم / على الآلة<sup>٧</sup> مجموعة. فالكافر فروا من بين يديه،

(١) في الأصل: ورثناه. ولا يستقيم ميزان الشعر إلا بمحذوف الماء فحذفناها.  
 والضمير يصح مستترا.

(٢) إمارته ١٣ - ٣٣ / ٦٣٤ - ٦٤٤ م.

(٣) يقابلها ١٣٦٦ م.

(٤) بطرس الأول لوسنيان، وحكمه ١٣٥٩ - ١٣٦٩ م - انظر الفهارس.

(٥) يقابل هـ التاريخ ٢٩ نوفمبر سنة ١٣٦٥ م.

(٦) يقابله ١٥ ديسمبر سنة ١٣٦٨ م.

(٧) في الأصل: الألف.

والمسلم قربوا منه، يدعون له وينظرون إليه، ويشاهدون ملبوسه الأخضر  
الذي عليه. قال بعضهم في شاب حسن عليه ثياب خضراء حيث قال:  
وغصن باین مزهر خده بالورد<sup>١</sup> والأجفان من نرجس<sup>٢</sup>  
يرشقنا من لحظة أسهما يرسلها من حاجب كالقسي<sup>٣</sup>  
أشبه غصن البان قد اكما أشبه في خضرة الملبس<sup>٤</sup>  
[ذكر أخبار الملوك وما يصلح لهم - ٢]

ذكر أخبار الملوك وما يصلح لهم من العدل والعلم وما يتجنبونه<sup>٥</sup>  
من الجور والظلم، نسال الله التوفيق! قال الله تعالى: "ولو دفع الله  
الناس بعضهم لبعض لفسدت الأرض" يعني لو لا أن الله تعالى أقام  
السلطان في الأرض، يدفع القوى عن الضعيف، وينصف المظلوم من<sup>١٠</sup>  
الظالم، لا هلك القوى الضعيف، وتوائب الخلق بعضهم على بعض،  
فلا ينتظم حال، ولا يستقر لهم قرار، ففسد الأرض ومن عليها،  
ثم امتن الله على الخلق بإقامة السلطان، فقال الله تعالى: "ولكن الله  
ذو فضل على العالمين" - يعني في إقامة السلطان، ويأمن الناس به، فيكون  
فضله على الظالم كفضله، وعلى المظلوم أمانه وكفه يظالم عنه<sup>١٥</sup>  
وروى كثير بن مرة قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "السلطان

(١) نقلنا الكلمة من الشطر الأول للثاني.

(٢) العوان وارد بأول النص.

(٣) في الأصل: يتجنبونه.

(٤) قرآن كريم سورة ٢ آية ٢٥١.

ظل الله في أرضه ، يأوى إليه كل مظلوم من عباده ، فإذا عدل كان له الأجر وعلى الرعية الشكر ، وإذا جار كان عليه الإصر وعلى الرعية الصبر . قال الشيخ أبو العباس المرسى في قول النبي صلى الله عليه وسلم « السلطان ظل الله في الأرض » : يعنى إذا كان عادلا ، فأما إذا كان جائرا ، فهو ظل النفس والهوى - انتهى .

نعود - وينبغى للسلطان أن يكون عالما شجاعا عادلا ، فانه إذا كان عالما ، ثبتت الحكمة في أيامه ، وإذا كان شجاعا ، كثر جهاده ، وطالت مدته ، وإذا كان عادلا ، حسنت الأعمال على يديه .

وينبغى للسلطان أن لا يرغب في جمع المال من وجه ظلم ، فان استعمل الظلم والاستكثار والشره ، زال ملكه سرعة . وإذا أقام السلطان بالعدل والحق ، ملك سائر رعيته ، وظفر بأعدائه ، وإن ظفر الملك بعدوه على حسب عدله في رعيته ، وبكونه في حروبه على حسب جوده على عساكره . قال بعض الملوك لرجل من الصالحين : عظمي ! فقال : انصح الله في عباده ، ولا تخته في أماته ، واعبد الله باليقين ، تكن إماما من أئمة الدين ، فان من تعدى حدا من حدود الله فهو ظالم ، والظالم لا يكون إماما . قال الله تعالى : " انى جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتى قال لا ينال عهدى الظالمين " . قال أبو الحسن الشاذلى : شيان قل ما ينفع معها كثرة الحسات : السخط لقضاء الله ، والصفح عن عباد الله . واعلم أن صلاح الرعية أنفع من كثرة الجنود ، وتاج الملك عفافه ، وحسنه إنصافه ، وصلاحه كفافه ، وماله رعيته .

(١) قرآن كريم - سورة ٢ آية ١٢٤ .

وفي حكم الهند: صحة السلطان على ما فيها من العز والثروة لعظيمة الخطر،  
 وإنها شديدة<sup>١</sup> بالجليل الوعر، فيه الثمار الطيبة، والشعابين المهلكة،  
 فالارتقاء إليه شديد، والمقام فيه أشد. واعلم أنه إنما يستطيع صحة  
 السلطان أحد رجلين: إما فاجر مصانع ينال حاجته بفجوره، ويسلم  
 بمصانعه، وإما مغفل مهين لا يحسده أحد. وقالت حكما الهند: ه  
 لا ظفر مع بغى، ولا صحة مع نهم، [ولا ثناء مع كبر ولا شرف  
 مع سوء أدب، ولا بر مع شح، ولا احتساب محرم مع حرص،  
 ولا ولاية حكم مع عدم فقه، ولا سودد مع انتقام، ولا ثبات ملك  
 مع تهاون و جهالة و اردراء. قوله: لا صحة مع نهم - <sup>٢</sup>]، فالإقلال  
 من<sup>٣</sup> الطعام، يشطط الهبوب من الممام، وتدوم معه سلامة الأجسام. ١٠  
 ومن أحسن تدبير الملك أن تأمن أهل السلامة عقوبته، ويجازى  
 أهل الدعارة بنزول نغمته. والأمور التي تشرف بها الملوك ثلاثة:  
 إقامة سنة الله بالعدل، والشفقة على الرعية، وعمارة البلدان المعطلة.  
 لما ولي بهرام بن بهرام مملكة فارس، أقبل على القصف واللهر  
 واللدات والنزه والصيد، لا يهكر في همه ولا في رعيته، حتى ١٥  
 خربت البلاد في أيامه، وقلّت العمارة، وحلت بيوت الأموال. فلما  
 أن كارب في بعض الأيام، ركب إلى بعض متزهاته وصيد، فجثه  
 الليل وهو يسير نحو المدائن. وكانت ليلة قهراء فدعا بالموبدان وهو  
 كالقسيس عند النصارى لأمر خطر يباله، فجعل / يحادثه، فتوسطوا في مسيرهم  
 بين خرابات كانت من أمهات انضياع، قد خربت في ملكه، لا أيس ٢٠

١٥٢/الف

(١) في الأصل: شديدة.

(٢) الجملة المحجوزة ساقطة من النص ووردت في الهامش بخط المراجع.

(٣) في الأصل: مع.



فيها إلا اليوم، وإذا يوم يصبح و آخر يجاوبه من بعض تلك الخرابات .  
 فقال الملك : أترى أحدا من الناس أعطى فهم هذا الطائر المصوت في هذا  
 الليل ؟ فقال الموبدان : أنا أيها الملك ممن خصه الله بذلك ! قال له :  
 فما الذي يقول هذا الطائر ؟ وما الذي يقول الآخر ؟ فقال الموبدان :  
 هـ هذا يوم ذكر يخاطب بومة أنثى و يقول لها : أمتعني بنفسك حتى يخرج  
 بنا أولاد يسبحون الله تعالى ، و يبقى لنا في هذا العالم عقب يكثرون  
 الترحم علينا . فأجابته البومة : إن الذي دعوتني إليه هو الحظ الأوفر ،  
 و النصيب الأكبر في العاجل و الآجل ، إلا أني أشرت عليك خصالا إن  
 أعطيتها ، أجبتك إلى ذلك . فقال لها الذكر : وما الذي تطلينه مني ؟  
 ١٠ قالت : أن تعطيني من خرابات أمهات الضياع عشرين قرية مما خربت في  
 أيام هذا الملك السعيد . [ فقال له الملك : فما الذي قال لها الذكر ؟ قال  
 الموبدان : كان من قوله لها : إن دامت أيام هذا الملك السعيد - ١ ] أقطعتك  
 منها ألف قرية ، فما تصنعين بها ؟ قالت : إن في اجتماعنا ظهور النسل  
 وكثرة الأولاد ، فنقطع كل واحد من أولادنا قرية من هذه الخرابات .  
 ١٥ فقال لها الذكر : هذا أسهل أمر مما سألتني ، وأنا مليء بذلك ما حيي  
 الملك . فلما سمع بهرام الكلام من الموبدان ، عمل في نفسه ، و استيقظ  
 من نومه ، و أفكر فيما خوطب به ، فنزل من ساعته ، و نزل الناس  
 بزوله ، و خلا بالموبدان فقال : أيها القيم بأمر الدين ، و الناصح للملك ،  
 و المنبه على ما أغفله من أمور ملكه ، و أضاعه من شؤون بلاده

(١) الجملة المحجوزة ساقطة من الأصل و وردت في الهامش بقلم المراجع .



ورعته ! ما هذا الكلام الذى خاطبتنى به ؟ فقد حركت منى ما كان ساكنا . [ فقال الموبدان - ١ ] صادفت من الملك السعيد وقت سعد العباد والبلاد ، فجعلت الكلام على لسان الطائر عند سؤال الملك إياى عما سأل . فقال له الملك : اكشف لى عن هذا الغرض ، ما المراد منه ؟ فقال : أيها الملك ! إن الملك لا يتم إلا بالشرعية ، / والقيام لله ٥ ١٥٢ / ب بطاعته ، ولا قوام للشرعية إلا بالملك ، ولا عز للملك إلا بالرجال ، ولا قوام للرجال إلا بالمال ، ولا سيل للمال إلا بالعمارة ، ولا سيل للعمارة إلا بالعدل ، والعدل هو الميزان المنصوب بين الخليفة ، نصبه الرب وجعل له قيا وهو الملك . قال بهرام : أما ما وصفت لى فحق ، فأبى لى عما إليه تقصد ، وأوضح لى فى البيان . قال : نعم أيها الملك ! ١٠ عمدت إلى الضياع فأقطعها الخدم وأهل البطالة ، فعمدوا إلى ما تعجل من غلاتها ، واستعجلوا المنفعة ، وتركوا العمارة والظر إلى العواقب وما يصلح الضياع ، وسومحوا فى الخراج لقربهم من الملك ، ووقع الحيف على الرعية وعمار الضياع ، فأنجلوا عن ضياعهم وتغربوا عنها ، فقلت الأموال ، وهلكت الجنود والرعية ، وطمع فى ملك فارس ١٥ من أطاف بها من الملوك والأمم ، لعلمهم بانقطاع المواد التى بها تستقيم دعائم الملك . فلما سمع ذلك من الموبدان ، أقام فى موضعه ثلاثة أيام ، وأحضر الوزراء والكتاب وأرباب الدواوين ، فانتزعت الضياع من

(١) العبارة مأخوذة من النص ، و لزومها واضح لاستقامة السياق و تسلسل العبارة .

أيدي الخاصة والحاشية ، وردت إلى أربابها ، و حملوا على رسومهم السالفة ،  
و أخذوا بالعمارة ، و قوى من ضعف منهم ، فعمرت البلاد و أخصبت ،  
و كثرت الأموال عند الجساء ، و قوى الجنود ، و انقطعت مواد  
الاعداء ، و أقل الملك يباشر الأمور بنفسه ، فحسن حاله ، و انتظم  
ه ملكه ، حتى كانت تدعى بالأعياد بما عم الإنسان من الخصب . فانظر إلى  
العدل كيف يعمر البلاد ، و يطمئن العباد ! و انظر إلى عدمه كيف  
أحرب القرى ، و حل العرى ، حتى صارت منبوذة بالعرا !

قال أبو أمامة الباهلي : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو يعلم  
الناس ما للزارعين عند الله لكان الناس كلهم زراعين . قالوا : يا رسول الله !  
١٠ و لم ذلك ؟ قال : إن الله يغفر لهم الذنوب جميعا إلا الشرك بالله . قالوا :  
الف / و لم ذلك يا رسول الله ؟ قال : لأنهم / يعملون في معاش بني آدم ،  
إن الله إذا أراد أن يخرج الزرع ، جعل فيه البركة و الرحمة .

و ينبغي للسلطان أن يحرص كل الحرص على عمارة الأرض من  
جباية الأموال بالرفق و بحماية الجور ، فان العلة تنال من الدم بغير  
١٥ أذى و لا سماع صوت ما لا تناله العوضة بلسعها و هول صوتها .

و لما عزل عثمان عمرو بن العاص عن مصر ، استعمل عليها ابن  
أبي سرح ، فحمل من المال أكثر مما كان يحمل عمرو . فقال عثمان :  
يا عمرو ! أشعرت أن اللقاح درت بعدك ؟ فقال عمرو ' فاكم أجعتم '  
أولادها ، و من حاور في الحلب حلب الدم ، و إذا استقصى العجل مص  
٢٠ أمه ، رفته .

(١-١) في الأصل : بأنكى أعتن .

و قال جعفر البرمكي : الخراج عمود الملوك ، وما استغزر بمثل العدل ، ولا استنزر بمثل الظلم ، وأسرع الأمور في خراب البلاد تعطيل الأرضين ، وهلاك الرعية ، وإعسار الخراج ، والتعامل بالجور ، ومثل السلطان إذا حمل على أهل الخراج عن عمارة الأرضين مثل من يقطع لحمه ويأكله ، فهو إن شمع من ناحية ، ضعف من ناحية ، وما أدخل على نفسه من الجوع والضعف أعظم مما وقع في نفسه من ألم الجوع ، واعلم أن بيت رجال خير من بيت مال .

قال بعض الملوك لولده : يا بني ! لا تجمع الأموال لتقوى بها على الأعداء ، فإن في جمعها تقوية الأعداء - يعني إذا جمعت المال ، أضعفت الرجال ، فيطمع فيك الصديق ، ويثب عليك العدو . وإنما ١٠ مثل الملك في مملكته مثل رجل له بستان فيه عين ماء معينة ، فإن هو قام على البستان ، فأحسن تديرها وهندس أرضها ، وغرس أشجارها ، أينعت ثمارها ، وزكت بركاتها ، فكانوا جميعا في أمان ، لا يخافون فقرا ولا شتاتا ، وإن هو رغب في غلتها ، وجبا ثمرتها ، ولم ينفق فيها ما يكفيها ، ولا ساق لها [ من ١ ] الماء ما يرويها ، رغبة في الغلة ، ومضنة ١٥ بالمال ، ضعفت عمارتها ، ورقَّت ٢ أشجارها ، وقلت ثمارها ، وذهبت غلتها ، ومحق الدهر ما جنى من غلتها ، وافتقر القوم وتشتتوا وهلكوا . ومثل الملك في جمع المال ليقوى به على عدوه مثل طائر يتنف ريشه

(١) زيد لاستقامة العبارة .

(٢) في الأصل : رق .

و يمص أصولها ، و يأكل ما نعم منها و لذ له طيبها . أعجبه خصب جسمه  
على ذلك وقوته على عدوه ، فلم يزل على ذلك حتى خف ريشه و سقط  
إلى الأرض فأكلته الهوام و الحشرات .

و فى أخبار بعض الملوك أن وزيره أشار عليه بجمع الأموال ،  
ه و اقتناء الكنوز ، و قال : إن الرجال و إن تفرقوا عنك اليوم ، فمستى  
احتحتهم عرضت عليهم الأموال فتهاقوا عليك . فقال له الملك : هل  
لهذا من شاهد ؟ قال : نعم ، هل بحضرتنا الساعة ذباب ؟ قال : لا ، قال :  
فأمر بإحضار جفنة فيها عسل ، فحضرت فتساقط عليها الذباب لوقتها .  
و استشار السلطان بعض أصحابه ، فهاء عن ذلك و قال : لا تغتر بالرجال ،  
١٠ فليس فى كل وقت أردتهم حضروا . قال : هل لذلك من دليل ؟ قال :  
نعم ، إذا أمسينا أخبرتك . فلما أظلم الليل قال للملك : هات الجفنة . فلما  
حضرت الجفنة لم تحضر و لا ذبابة واحدة .

وكان بعض السلاطين بمصر يقال له بلدكور ، كان يجمع الأموال ،  
و لا يحفل بالرجال . فقال له بعض أصحابه : إن ملك الشام يتواعدك ،  
١٥ و كأنك به و قد قدم عليك ، فاستعد بالرجال ، و أنفق فيهم الأموال ،  
فأولمأ إلى صناديق موضوعة عنده و قال : الرجال فى الصناديق - يعنى  
الأموال ، فغزاه ذلك الملك فى مصر و قتله و تسلم الصناديق و الملك .  
فكان رأى الملك بلدكور المقتول رأيا فاسدا ، لأن الرجال لا يقدر  
يقيمهم فى الوقت إذا دهمه العدو و لا يجمعهم عند حاجته ، إنما يكونون

(١) فى الأصل : يكون .



أحيانا / مجتمعين ، و شرذمة ملفقين ، ليس فيهم دفاع ولا ممارسة ١٥٤ / الف للحروب ..

و من السير المروية في هذا الباب أنه لما فتحت العراق ، جرى  
بأموال إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فقال خازن بيت المال :  
أدخله بيت المال . قال عمر : لا ورب الكعبة الا تروني تحت [سقف - ١] ٥  
بيت حتى أقسمه ، فعطى في المسجد بالإنطاع ، و حرسه رجال من المهاجرين  
و الأنصار . فلما أصبح نظر إلى الذهب و الفضة و الياقوت و المرجد  
و الدر يتلألا فبكى ، فقال له العباس أو عبد الرحمن بن عوف :  
يا أمير المؤمنين ! و الله ما هذا يوم بكاء ، و لكنه يوم شكر و سرور !  
إذ قد حصل للمسلمين أموال الاكاسرة ملوك الفرس . فقال : إني و الله ١٠  
ما ذهبت حين ذهبت ، و لكنه و الله ما كثر هذا في قوم إلا وقع  
مأسهم بينهم ! ثم أقبل على القلة و رفع يديه و قال : اللهم ! إني أعوذ بك  
أن أكون مستدرجا ، فاني أسمعك تقول " سنستدرجهم من حيث  
لا يعلمون " ٢ . ثم قال : أين سراقه من جعشم - أعراي ٣ من بني مدلج ؟  
فأتى به أشعر الذراعين دقيقهما ، فأعطاه سوارى كسرى ، فقال : ألبسهما . ١٥  
ففعل . فقال : قل : الله أكبر ! فقال : الله أكبر . فقال : قل : الحمد لله الذي  
سلبهما كسرى و ألبسهما سراقه بن جعشم أعرايا من بني مدلج . و إنما

(١) الكلمة ساقطة من النص و أضيفت بالهامش .

(٢) قرآن كريم سورة ٧ آية ١٨٢ .

(٣) في الأصل : أعرايا .



ألبسها مراقبة، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال لسراقة - ونظر إلى ذراعيه:

كأنى قد لبست بهما سوارى كسرى . ولم يجعل له السوارين •

قال الحسن بن علي الأسدي: أخبرني أبي قال: وجدت في كتاب اللغة

القبطية مما نقل بالعربية مبلغ ما كان يستخرج لفرعون يوسف من أموال

١٥/ب ه مصر بمحق الخراج مما يؤخذ بوجوه الجبايات لسنة واحدة على العدل/والإنصاف

والرسوم الجارية من غير اضطهاد ولا مناقشة بعد وضع ما يجب

وضعه لحوادث الزمان نظرا للعاملين وتقوية لحاظم من الذهب العين،

أربعة<sup>١</sup> وعشرين ألف ألف ومائة ألف دينار، من ذلك ما ينصرف

في عمارة البلاد، وحفر الخليج، والإنفاق على الجسور، وسد الترع،

١٠ وإصلاح المنشآت<sup>٢</sup>، وتقوية ما يحتاج إلى تقويته من غير رجوع عليه،

لإقامة العوامل والتوسعة في البلدان وغير ذلك من الآلات وأجر ما

يستعان به لحمل الدار، وسائر نفقات تطبيق الأرض ثمانية آلاف ألف

دينار . ولما ينصرف في أرزاق الأولياء والمرسومين ولمن في جملتهم

من الشاكرية والغلمان وأشاههم وعدة جمعهم مع ألف كاتب موسومين

١٥ للدواوين . سوى أتناعهم من الخزان ومن يحرق مجراهم مائة ألف ألف

وأحد عشر ألف ألف وثمانية آلاف ألف دينار . ولما ينصرف للأرامل

والأيتام من بيت المال، وإن كانوا محتاحين حتى لا يخلو أمثالهم من

(١) لفظة « أربعة » مكررة في النص .

(٢) في الأصل . المسكت ، والمساة : ما يبني في وجه السيل ، ج مسنات ومنسيات .

بر فرعون أربعمئة ألف دينار . ولما ينصرف في كهنة<sup>(١)</sup> برايتهم<sup>(٢)</sup> وبيار مواضع صلواتهم مائة ألف دينار . ولما ينصرف في الصدقات مما يصب صبا ، وينادي : برئت الذمة من رجل كشف وجهه لفاقة إلا حضر ، فيحضر لذلك من حضر ، ولا يرد أحد ، والامناء جلوس ، وإذا أراد إنسان لم يجر رسمه بأن يأخذ أفرد بعد قرضه ما يقضه حتى إذا فرق المال ه ودعوا له بطول البقاء ، ودوام العر والنعماء ، وأنهوا إليه بحال تلك الطائفة ، فيأمر بتغيير شعنها بالاستحمام واللباس . ثم يمد السباط فيأكلون بين يديه ويشربون ، ويستعلم<sup>(٣)</sup> من كل واحد سبب فاقتة ، فان كان ذلك من آفة الزمان . / رد عليه مثل ما كان ، وإن كان عن سوء رأى و تدير<sup>(٤)</sup> غير مستقيم ضم إليه من يشرف عليه ، ويأخذ بالآداب والمعركة إلى أن يصلح له ، وذلك مائتا ألف دينار . فتكون جملة العفقات على ما تبين من تفصيلها تسعة آلاف وثمانمئة ألف دينار ، ويحصل بعد ذلك ما يتسلمه يوسف عليه السلام ، ويجعله لفرعون في بيت المال لنوائب الزمان أربعة عشر ألف ألف وستمائة ألف دينار .

وقال أبو زهير : كانت أرض مصر أرصا<sup>(٥)</sup> مدبرة حتى أن الماء ١٥ ليجرى تحت منازلها وأفنيها فيستجرونه كيف شاءوا ، وذلك قول

(١) في الأصل : كهنة . (٢) جمع بره وهي المعبد .

(٣) في الأصل : تدير . (٤) في ظ : يستعمل .

(٥) في الأصل : ندير .

(٦) في الأصل : أرض .

فرعون<sup>١</sup> "ليس لي ملك مصر وهذه الأنهر تجري من تحتي أفلا تبصرون؟". وكان ملك مصر ملكا عظيما، ولم يكن ملك<sup>٢</sup> أعظم من ملك مصر. وكان الجنان يخافني نيلها متصلة لا ينقطع منها شيء عن شيء، والزرع من أسوان إلى رشيد. وكانت أرض مصر كلها تروى هـ من ستة عشر ذراعا لما دروه من جسورها وحافاتها، والزرع ما بين الجليلين من أولها إلى آخرها. وذلك قوله تعالى<sup>٣</sup>: "كم تركوا من حنث وعيوب وزرع ومقام كريم\* ونعمة كانوا فيها فكهين\*". والمقام الكريم: المنابر كان بها ألف منبر.

### [ قصة الوزير نظام الملك - ٤ ]

١٠ فلنذكر الآن ما منقحة في مثلها يتنافس العقلاء، ويرغب فيها الملوك والوزراء. وهي أن الوزير نظام الملك المعروف بنخوacha بريك قد ورر بالعراق لأن الفتاح ملك الترك، ابن ألب أرسلان<sup>٤</sup>، وكان وزير لآبيه من قبله، فقام بدولتها أحسن قيام، فشد أركانها، وشيد بنيانها، واستمال الأعداء، وإلى الأولياء، واستعمل الكفاة، وعم إحسانه

(١) قرآن كريم سورة ٤٣ آية ٥١.

(٢) في الأصل: ملكا.

(٣) قرآن كريم سورة ٤٤ آية ٢٥ - ٢٧.

(٤) العنوان مشتق مما يلي في النص وليس بها مشه.

(٥) في الأصل: البارسلان.

(٦) في الأصل: شد.

العدو والصديق، والمبغض والحبيب، والبعيد والقريب، حتى ألف الملك  
بجيرانه<sup>١</sup>، وذل الخلق لشأه<sup>٢</sup>. وكان الذي مهد له ذلك باذن الله تعالى  
وتوفيقه أنه أقبل بكلية على مراعاة حملة الدين، فبنى دور العلم  
للمفهاء، وابتنى المدارس للعلماء، وأسس الرباطات للعباد والزهاد وأهل  
الصلاح والعقراء. ثم أجرى لهم الجرايات والكساوى والفقات،<sup>٥</sup>  
وأجرى الدراهم والخبز لمن كان من أهل طلبة العلم، مضافا إلى  
أرزاقهم، وعم بذاك سائر أقطار مملكته. فلم يكن من أوائل  
الشام، وهى بيت المقدس إلى سائر الشام الأعلى - وهى ديار بكر - والعراقين  
وخراسان وأقطارها إلى سمرقند من وراء نهر جيحون مسيرة زهاء مائة  
يوم طالب علم أو متعمد فى زاوية إلا وكرامته شاملة سائغة عليه. وكان<sup>١٠</sup>  
الذى يخرج من بيوت الأموال فى هذه الأبواب ستمائة ألف دينار فى كل  
سنة. قال: فوشى به الوشاة إلى أبى الفتح الملك، وأوغروا صدره عليه  
وقالوا: إن هذا المال المخرج من بيوت الأموال تقيم به حيثما يركر فى  
سور القسطنطينية، فحمر ذلك قلب الملك أبى الفتح. فلما دخل عليه قال  
له: يا أبت أبلغى أنك تخرج من بيوت الأموال فى كل سنة ستمائة ألف<sup>١٥</sup>  
دينار إلى من لا يصفنا ولا يعى عما. فكى الوزير نظام الملك وقال: يا بى!  
أما شيخ كبير أعجمى، لو بودى على فىم يزيد فما أبلغ حمسة دناير، وأنت

(١-١) فى الأصل: أسمى الملك بجيرانه. (٢) فى الأصل: الساه.

(٣) فى الأصل: وأعروا. (٤) قلده من «بعد مائة يوم» إلى هنا  
لاستقامة العبارة.



شاب حسن، لو نودي عليك فيمن يزيد، فما تبلغ خمسين ديناراً، وأنت  
 مشغل في لذاتك، منهمك في شهواتك، وأكثر ما يصعد إلى الله تعالى  
 معاصيك دون طاعاتك، و جيوشك الدين<sup>١</sup> تعدم للنوائب إذا حشدوا  
 كاخفوا عنك بسيف واحد طوله ذراعان، وقوس لا ينتهى مرماه  
 ه ثلاثمائة ذراع، وهم مع ذلك مستغرقون في المعاصي والخمر والمزمار  
 ١٥٦/الف والطبور، وأنا أقمت لك جيشاً يسمى جيش الليل / على أقدامهم، صفوفاً  
 بين يديهم، فأرسلوا دموعهم، وأطلقوا بالدعاء ألسنتهم، ومدوا إلى  
 الله أكفهم بالدعاء لك و لجيوشك، فأنت و جيوشك في خمارتهم تعيشون،  
 وبدعاتهم تثبتون، وبركاتهم تمطرون وتزرعون وترقون، تحرق  
 ١٠ سهامهم إلى السماء الساعة بالتضرع كما قال الشاعر الملسان في هذا  
 حيث قال:

سهام الليل صائبة الوقوع إذا رميت بأقواس الخضوع  
 تصيب بها المقاتل حيث كانت و تنفذ في الجواشن والدروع  
 فلما سمع الملك كلامه بكى وقال: شاباش يا أنت شاباش! أكثر لي من  
 ١٥ هذا الجيش . فقال: بارك الله فيك يا ولدي! إذ قلت النصيحة، فإن الملك  
 يزول، و يبقى الواحد الذي لا يزول ملكه . و عما قيل في [ هذا-<sup>٢</sup> ] المعنى:  
 أما و رب السكون والحرك إن المايا كثيرة الشرك  
 ما اختلف الليل و النهار ولا دارت بحوم السماء في الفلك

(١) في الأصل: الذي .

(٢) ساقطة من الأصل .

إلا لنقل السلطان من ملك إذا انقضى عمره إلى ملك  
 و ملك في العرش دائم أبداً ليس بقاض ولا مشترك  
 و سأذكر بعض مناقب هذا الوزير المذكور - كان الوزير  
 نظام الملك من خيار الوزراء ، اشتغل بعلم القرآن و التفقه على مذهب  
 الشافعي ، و سمع الحديث و اللغة و النحو ، و كان على الهمة ، فصل هـ  
 من ذاك طرفاً . ثم ترقى في المراتب حتى وُزر للسلطان ألب أرسلان ،  
 ثم بعده لولده . و ببى المدارس النظاميات ببغداد و نيسابور<sup>١</sup> و غيرها ،  
 و كان مجلسه عامراً بالفقهاء و العلماء بحيث يقضى معهم عامة أوقاته .  
 قيل له : إن هؤلاء يشغلونك عن كثير من المصالح . فقال : هؤلاء جمال  
 الدنيا و الآخرة ، و لو أجلستهم على رأسي ما استكثرت ذلك . و كان ١٠  
 إذا دخل عليه أبو القاسم القشيري و أبو المعالي الجويني ، قام لهما  
 و أجلسهما في المسند . / و إذا دخل عليه أبو علي الفاريدى ، قام  
 و أجلسه مكانه ، و جلس بين يديه ، فعوتب في ذلك فقال : إن القشيري  
 و الجويني إذا دخلا على قالا : أنت و أنت ! فأردادتهما ، و أما الفاريدى  
 فانه يذكرني عيون فأكسر و أرحع عن كثير من الذي أنا فيه . و كان ١٥  
 نظام الملك محافظاً على الصلوات في أوقاتها ، لا يشغله بعد الأذان شغل  
 عنها ، و يواطى على صيام الاثنين و الخميس ، و له الأوقات البارة ،  
 و الصدقات الذارة . و كان يعظم الصوفية تعظيماً زائداً ، فعوتب في

١٥٦ / ب

(١) نقلنا الكلمة من الشطر الثاني في الأصل إلى الشطر الأول بحكم الورد .  
 (٢) من مدن فارس القديمة الشهيرة ، ذكرها ياقوت في معجم البلدان ( ج ٤  
 ص ٨٥٧ - ٨٦٠ ) و هي من ولاية همدان من دولة الفرس .

ذلك . فقال : إني كنت أخدم بعض الأمراء ، فجاءني فقير يوما فقال :  
 « اخدم من تنفعك خدمته ، ولا تخدم من تأكله الكلاب غدا » .  
 فلم أفهم ما يقول ، فاتفق أن ذاك الأمير سكر تلك الليلة ، و خرج في  
 أثناء الليل و هو ثمل ، و كانت له كلاب تفترس الغرباء بالليل ، فلم تعرفه  
 ٥ و مزقته ، فأصبح و قد أكلته الكلاب . قال : فأنا أطلب مثل ذلك الفقير .  
 و قال أيضا : رأيت ليلة في المنام إبليس ، فقلت : ويحك ! حلقك الله  
 و أمرك بالسجود له مشاهة فلم تسجد ، و أنا أسجد في كل يوم مرات ،  
 فأتسأ يقول :

من لم يكن للوصال أهلا فكل إحسانه ذنوب

١٠ ثم إن الوزير نظام الملك مات قتيلا . و ذلك أنه خرج مع السلطان  
 من أصفهان قاصدا بغداد ، فاجتار في بعض الطريق بقرية بقرب من  
 نهاوند<sup>١</sup> فقال : قد قتل ههنا خلق من أصحابه ، فطوبى لمن دفن عندهم !  
 ثم إنه لما أفر ، جاءه صبي في هيئة متظم ، و هو يستغيث و معه قصة .  
 فلما انتهى إليه ضربه بسكين في قواده و هرب ، فعثر بطب الخيمة ،  
 ١٥ فأخذ فقتل<sup>٢</sup> . و مكث الوزير ساعة و جاءه السلطان يعود ، فمات

(١) من مدن فارس الشهيرة بحدوث وقعة العرب و العرس سنة ١٩٠ هـ / ٦٤٤ م  
 التي فيها انهارت الدولة الساسانية .

(٢) المعروف أن نظام الملك اعتيل في ١٠ رمضان سنة ٤٨٥ هـ / ١٤ أكتوبر سنة  
 ١٠٩٢ م ما بين أصفهان و بغداد بمكان يقال له صحبة خارج همدان بلاد فارس .

و هو عنده ، و دفن عند قبور الصحابة رضى الله تعالى عنهم . و لما بلغ موته أهل بغداد ، جلست الرؤساء للجزاء ثلاثة أيام ، و رثاه الشعراء ، منهم مقاتل بن عطية ، فقال / هذه الآيات :

١٥٧ / الف

كان الوزير نظام الملك لؤلؤة يتيمة صاغها الرحمن من شرف عزت فلم تعرف الأيام قيمتها فردها غيرة منه إلى الصدف ه ثم قتل أيضا ولده نجر الدولة ، و كان صائما . و ذلك أنه كان يوم قتل رأى تلك الليلة في منامه الحسين بن علي بن أبي طالب و هو يقول : عجل إلينا و أفطر عدا الليلة . فأصبح متعجبا . و كان نوى الصوم بعد الرؤيا ، فأصبح صائما ، و أشار إليه بعض أصحابه لما ذكر لهم الرؤيا ألا يخرج ذلك اليوم من منزله . فخرج إلا في آخر النهار ، فرأى شاما ١٠ يتظلم و في يده قصة ، فقال له : ما شأنك ؟ فأوله القصة ، فيها هو يقرأها إذ ضربه بختبر قتله ، و أخذ إلى السلطان سنجر فقرره فأقر على جماعة ، فقتل و قتلوا أيضا .

و لما قتل الوزير عبد الله بن عباس بن مرداس بتعصب حاشية الملك عليه ، قال بعض الشعراء يصف قاتليه بهذه الآيات :

١٥

و الله و الله لا أفلحتم أبدا بعد الوزير ابن عباس بن مرداس  
إن جاء منكم حليل فاقطعوا رجلي<sup>١</sup> أوجاء منكم رئيس فاقطعوا رأسي<sup>٢</sup>

(١) في الأصل : حليلا .

(٢) في الأصل : أحلى .

(٣) في الأصل : رئيسا .



## [عود لما قيل في العدل و الحور - ١]

نعود إلى ما قيل في العدل و الجور إن شاء الله تعالى - كان الخليفة  
الظاهر<sup>٢</sup> بالله عاقلا وقورا أديبا عالما محسنا عادلا ، رد مظالم كثيرة ،  
و أسقط مكوسا كان أحدثها أبوه من قبله ، و سار في الناس سيرا  
ه حسنا ، حتى أنه قيل : لم يكن بعد عمر بن عبد العزيز أعدل منه ، و وضع  
عن أهل بلد سبعين ألف دينار ، كان أبوه الناصر لدين الله<sup>٣</sup> من قبله  
زادها عليهم في الخراج ، وكانت صنجة<sup>٤</sup> بيت المال تزيد على صنجة البلد  
نصف دينار في كل مائة دينار ، إذا قبضوا ، و إذا صرفوا<sup>٥</sup> لم يصرفوا  
إلا بصنجة البلد . فكتب الخليفة الظاهر إلى الديوان " ويل للطففين " <sup>٦</sup>  
١٠ الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون ه / و إذا كالوهم أو وزنوهم  
يخسرون ه الا يظن أولئك انهم مبعوثون ه ليوم عظيم ه يوم يقوم<sup>٧</sup> الناس

(١) العنوان مشتق من النص و ليس بالهامش .

(٢) هو الخليفة العباسي ، حلفته ٦٢٢ - ٦٢٣ هـ / ١٢٢٥ - ١٢٢٦ م ، و أبوه  
الناصر - انظر الحاشية التالية .

(٣) وحلفته ٤٧٥ - ٦٢٢ هـ / ١١٨٠ - ١٢٢٥ م .

(٤) الصنجة : الميزان الذي توزن به الأشياء بما في ذلك دباير الخراج توقفا  
من قصها .

(٥) في الأصل : اصرفوا .

(٦) ورد بعده كلمة « فيه » ولم تكن في القرآن محذفتها .

لرب العالمين<sup>١</sup> " . فكتب إليه بعض الكتاب : يا أمير المؤمنين ! إن تفاوت هذا كان في العام الماضي خمسة و ثلاثين ألف دينار . [ فأرسل ينكر عليه وقال : هذا يترك وإن كان تفاوته ثلاثمائة ألف دينار و خمسين ألف دينار -<sup>٢</sup> ] فقطعت تلك الزيادة كلها ، و رجع القبض و الصرف بصنجة البلد ، و كسرت الصنج الزائدة . فانظر إلى ظلم الوالد ، و انظر إلى عدل الولد ، كل منهما يجازى بما فعل في الآخرة ، من عمل صالحا فلنفسه سعى ، و من أساء فعلى نفسه حنى .

قال أرسطاطاليس : إن الملك الذى يعمر بيوت أمواله بخراب بلدانه مثل « المطين »<sup>٣</sup> ، سطع بيته من أساس حيطانه ، فاذا نزل المطر على الأساس ، وقع الأصل و الرأس . فالذى يظلم و يحكم بهواه ولا يدركه الشفقة على من سواه ، فهو الظالم لنفسه ، المتردد فى لبسه ، قد خاب من الكرامة ، و حظى بالندامة ، و ماله عذر عند الله تعالى يوم القيامة ، قال الشاعر :

يا من يحور على العباد و يظلم      الله ينظر ما فعلت و يعلم  
تبدو بأثواب حسان للورى      يض و قلبك بالجهالة مظلم  
كم جاءك الملهوف يشكو كربة      و أنى لباك صاغرا يتذمم  
فتركته يذرى دموع جفونه      حزنا و أنت بماله تنعم

(١) قرآن كريم سورة ٨٣ آية ١ - ٦ .

(٢) الجملة المحجوزة ساقطة من الأصل ، ووردت فى هامشه بخط المراجع .

(٣) من الطين .

و كان في بني اسرائيل رجل من العباد المجتهدين في العبادة ،  
الموصوفين بالزهادة ، و كان إذا دعا ربه أعطاه و أثابه ، و كان سياحا  
في الجبال ، قواما لليال . و كان الله تبارك و تعالى قد سخر له سحابة تسير  
معه حيث يسير ، تسكب له عليه ماء نмира فيتوضأ و يشرب إلى أن اعتراه  
ه قور في بعض الأوقات ، فأزال سحابه ، و حجب إجابته ، و كثر لذلك  
حزنه و نحيبه ، و طال كمده و وحيه . و ما زال يشتاق إلى ما كان من  
الكرامة الممنون بها عليه ، فيسكى و يتأسف ، و يتحسر و يتلهف ، فنام ليلة  
من الليالي ، فقبل له : إن شئت أن ترد عليك سحابتك ، فصل إلى الملك  
الغلامي / في مدينة كذا و كذا ، و اسأله أن يدعو لك ، فان الله عز و جل  
١٠ / الف / يرد سحابتك عليك ، و يسوقها إليك . قال : فسار الرجل يقطع الأرض  
حتى وصل لتلك المدينة التي ذكرت له في المنام . فدخلها و سأل عن  
الملك ، فأقبل إلى قصره ، فاذا عند باب القصر غلام قاعد على كرسي  
عظيم و عليه كسوة هائلة ، فوقف الرجل إليه و سلم عليه ، فقال الغلام :  
ما حاجتك ؟ قال : أنا رجل مظلوم ، جئت لأرفع لملك نازلي . قال :  
١٥ إنه لا سبيل إليه لأنه قد جعل لأهل المسألة يوما يدخلون عليه فيه ،  
و هو يوم كذا و كذا ، فسر راحعا حتى يأتي ذلك اليوم . قال :  
فأسكر الرجل على الملك حجته عن الناس و قال : كيف يكون هذا  
وليا من أولياء الله تعالى و هو على مثل هذه الحالة ! فلما كان اليوم  
الذي ذكره الغلام الواب ، أتى إليه فوجد عند الباب أناسا ينتظرون  
٢٠ الإذن لهم بالدخول . قال : فوقف إلى أن خرج وزير عليه ثياب عظيمة

(١) في الأصل : ناسا .

و بين يديه رجال ! فقال : يدخل أرباب المسائل ! قال : فدخلوا ، و دخل العابد في جملتهم ، فوجد الملك جالسا على سريره و بين يديه أرباب مملكته على مقاديرهم . فوقف الوزير و جعل يقدم واحدا بعد واحد حتى وصلت النوبة إلى العابد . فلما قدمه الوزير و نظر إليه الملك ، قال له الملك : مرحبا بصاحب السحابة ! اقعد حتى أفرغ لك . قال : فتحير الرجل من قوله ، و اعترف بمزيته و فضله . فقضى الملك بين الناس و فرغ منهم ، ثم قام فقام الوزراء و أرباب المملكة ، و أحد الملك بيد العابد و أدخله إلى قصره . فوجد على باب قصره أسود عليه ثياب و فوق رأسه أسلحة و عن يمينه و شماله دروع<sup>١</sup> و أتراس معلقة ، فقام إلى الملك و فتح باب القصر ، فدخل الملك و العابد معه و سارا<sup>٢</sup> . فاذا بين يديه باب قصير خلق نال ، ١٠ ففتح الملك و دخل إلى دار خربة ، و ساء مائل ، / ثم دخل إلى بيت ١٥ ليس فيه إلا سجادة و قدح للوضوء و حوص فيه ماء ، فجرد الملك ثيابه ، و لس جبة خشنة من الصوف الأبيض ، و جعل على رأسه قلنسوة لبد . ثم قعد و أقعد العابد ، و نادى : يا فلانة ! فقالت : ليك ! قال : أتدري من ضيفا في هذا اليوم ؟ قالت : نعم ، هو صاحب السحابة . ١٥ فقال : اخرجي ، لا عليك<sup>٣</sup> ! فخرجت ، فاذا امرأة كأنها الخيال ، و كأن وجهها الهلال ، عليها جبة صوف و قناع صوف . فقال : يا أخى ! إنه كان لى في هذا [ البيت ] آباء كرام . يتداولون المملكة و يتوارثونها

(١) في الأصل : زروع .

(٢) في الأصل : و سار .

(٣) أى لا عليك حرج .



كأبراً عن كابر إلى أن ماتوا ووصل الأمر إلى ، و بنض الله لي الدنيا ،  
فأردت أن أسيع في الأرض ، وأترك الناس ينظرون لأتقاسمهم ، تخفت  
عليهم من دخول الفتنة ، و تضييع الشرائع ، و تشتيت شمل الدين ،  
فبايعوني مكرها ، و تركت أمورهم على ما كانت عليه ، و جعلت لكل  
رأس منهم و عائل جراته بالمعروف ، و لست ثياب الملك ، و أقعدت  
العبيد على الأبواب إرهاباً لأهل الشرور ، و رداً عن أهل الخير ، و إقامة  
الحدود ، فإذا فرغت من ذلك كله ، دخلت منزلي ، فأزلت ثياب الملك  
و لبست ما أسأل عنه ، و هذه ابنة عمي وافقتني في الزهادة ، و ساعدتني  
على العبادة ، و نحن نعمل من هذا الخوص بالنهار ما نفطر عليه بالليل  
١٠ منذ أربعين سنة . فاقم معنا يرحمك الله حتى نبيع خوصنا ، و نفطر معنا ،  
و تبين عندنا ، ثم تنصرف بحاجتك إن شاء الله تعالى . فلما كان عشية  
النهار إذا بغيلام خماسي قد دخل فأخذ ما عملاه من الخوص ، و صار  
به إلى السوق فباعه و اشترى منه خبزاً و إداماً و أتى به . قال : فأفطرت  
معها ، و بت عندهما . فقاما من نصف الليل يصليان و يبكيان . فلما كان  
١٥ ل عند السحر قال : اللهم ! إن هذا الرجل أتانا / يطلب ردّ صحابه عليه ، و أنت  
على ذلك قدير ، اللهم ! أره إجابته و اردد عليه صحابه . قال : و أمنت زوجته  
على دعائه ، فادا السحابة قد نشأت في السماء ، فقالا لي : البشارة ! قال :  
فودعتها و انصرفت ، فانصرفت السحابة تتبعني كما كانت . فأنا بعد ذلك  
لا أسأل الله شيئاً محرمتها إلا أجابني و أعطاني . و قد قيل في ذلك :  
٢٠ و إن لربي صفوة من عباده قلوبهم في روض حكيمته تجري

و أبدانهم قد أسكنت حركاتها لما في صدور القوم من خالص اليسر  
 تراهم صفوفًا خاشعين لربهم و أنفسهم بمجموعة الهم و الفكر  
 صفوا فدنوا ثم استقرت قلوبهم بحيث يرون الغيب بالغيب كالجهر  
 فهم حجب المولى على الخلق كلهم لدعوتهم سكك السحاب بالقطر  
 يضيء ظلام الليل حسن وجوههم فربو على الأقمار والأنجم الزهر ٥

نعود - ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : ما من  
 أمير عشرة إلا يؤتى به يوم القيامة مغلوله يده إلى عنقه ، أو ثقه الجور  
 أو أطلقه العدل . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من ولي ولاية  
 أحسن فيها أو أساء ، أتى يوم القيامة وقد غلت يمينه إلى عنقه ، فإن كان  
 عدل في حكمه ، أطلق من أعلاله ، وجعل في ظل عرش الرحمن ، وإن ١٠  
 كان لم يعدل في حكمه ، غلت شماله إلى يمينه ، ويسبح في عرقه حتى يغرق  
 في جهنم .

عن أنى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : إذا سألت الله  
 فاسأله الفردوس ، فانه أوسط الجنة و أعلى الجنة . و فوقه عرش الرحمن ،  
 و منه تفجر أنهار الجنة . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن المقسطين ١٥  
 عند الله يوم القيامة على منار من نور الرحمن . قيل : من هم يا رسول الله ؟  
 قال : الذين يعدلون في حكمهم و أهلهم و ما أولوا . وقال طاووس : **١٥٩ / ب**  
 خير الناس منزلة عند الله إمام مقسط ، و شر الناس منزلة عند الله يوم  
 القيامة رجل أشركه الله في حكمه ، فأدخل الجور في عدله .

قال بعض الصالحين : إذا دخل الرجل المؤمن الجنة يفتح الله تعالى ٢٠

(١) في الأصل : كالقطر .

عليه من العلم ما يراه أعظم من نعيم الجنة ، والإيمان هو الإذعان للحق على سبيل التصديق له باليقين . والإحسان يحجزى الحسنى فى الإيمان والإسلام . والتقوى جعل النفس فى وقاية من سخط الله تعالى ، وذلك بقمع الهوى والسعة فى علم الحق وفعل الخير . [ والبر - ١ ] مشتق<sup>١</sup> من البرأى السعة من الأرض ، وهو المعبر عنه بانسراح الصدر واطمئنان القلب . والإخلاص أن يقصد الإنسان بما يفعله وجه الله متعرياً من الالتفات إلى غيره . ولما كان الإيمان والإسلام والتقوى متلازمة ، قال فى الجنة : " أعدت للتقين " ، وفى موضع آخر : " أعدت للذين آمنوا " ، وفى موضع آخر<sup>٢</sup> : " ومن يسلم وجهه لله وهو محسن " - الآية .

١٠ و ينبغى للسلطان أن لا يشارك رعيته فى متاجرهم ، بل يدعهم يتجرون ويعيشون فى أيامه بالريح ، فان عمل تاجراً أوقف حالهم ، فانهم لا يقدرّون يزايدون وكلاءه فى السلع خوفاً وجزعاً ، فيصير الرّيح له دويهم ، فيحصل لهم الضرر لعدم شرائهم لما يتبلغون به ، ويحصل للبائعين<sup>٣</sup> لتلك السلع الضرر لنخس الثمن ، التى لو تركت لتزايد الناس فيها لرغبتهم فى شرائها ، ١٥ وأيضاً فى ذلك سقوط قدر الملك وإزراء بحسن اسمه ، فيقال : صار الملك كأحد الباعة .

قال بعض الحكماء : إذا شارك السلطان الرعية فى متاجرهم هلكوا ،

(١) ريد ما بين الحازرين للسياق .

(٢) فى الأصل مشتقا .

(٣) قرآن كريم سورة ٣١ آية ٢٢ .

(٤) فى الأصل : للتابعين .

وإن شاركوه في حمل السلاح، هلك. دخل محمد بن السهاك الواعظ السوق فقال: يا أهل السوق! سوقكم كاسد، وبيعكم فاسد، وجاركم حاسد، / وماواكم النار. وقال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه: إذا لم يكن التاجر فقيها، ارتطم في الربا - يعنى غرق في الربا - ثم ارتطم، ثم ارتطم. وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: من لم يتفقه في الدين، فلا يتجر في سوقا. ه

قيل: كان للملك كسرى هرمز بن سابور<sup>١</sup> وزير، فكتب إليه كتابا يذكر فيه أنه وصل من جانب البحر تجار معهم اللؤلؤ والجواهر النفيس القيمة، وأنى اتعت منهم رسم الخريبة السلطانية بمبلغ مائة ألف دينار، والآن فقد حضر فلان التاجر ودو يطلب الجواهر ربح كثير، فان رغب الملك فليرسم بما يراه، فكتب كسرى هرمز جوابه فقال: مائة ألف دينار ١٠ ومائة ألف دينار وأمثالها ليس لها في أعيننا خطر لثرب فيها بوجه من الوجوه، وإذا عملنا عن التجارة، فمن يعمل الإمارة والسلطنة! فانظر أيها الوزير الجاهل نفسك ولا تعد لمثل هذا الكلام. ولا تخطط في أموالنا درهما واحدا ولا دافعا فردا من أرباح التجارات، فان ذلك يسقط قيمة الملك، ويزرى بحس اسمه، ويصير سبة في حال حياته. ١٥

وحكى أن سلطان مدينة فيصور بأرض الهند إذا عزم المرك على السفر من مدينته، يسأل تجاره ونوابته<sup>٢</sup>: هل لكم عبد دين؟

(١) حائر أن يكون المقصود سابور الأول، وحكمه من ٢٤٠ إلى ٢٧٢ م، والذي

وليه بعد موته كسرى هرمز. ( Hormisdas )

(٢) في الأصل: نوابته.



هل بقي لأحدكم في بلادى درهم واحد ؟ فمن بقي له شيء عند أحد قضاة  
السلطان من ماله أخذوا أضعافه من ذلك . هذا كله حتى لا تدم بلاده ،  
فيصير من عليه دين للتجار الغرباء يادر في وقائه حتى لا يوفيه السلطان  
ويأخذ من الذى هو عليه بعد سفر التجار أضعافه . ومدينة قيصور  
هذه من جريرة راملى بها القم الجيد . وذكر أن الأشجار بقيصور  
ونواحيه مشتبكة جدا وأكثر ثمارها سموم .

عن أبى العباس الموصلى قال : كما ليلة عند الشيخ عبد القادر  
الكيلانى ببغداد . فجاءه الخليفة المستنجد بالله<sup>٢</sup> أبو المظفر يوسف ، فسلم  
عليه واستوصاه ووضع / بين يديه مالا فى عشرة أكياس يحملها عشرة  
١٠ من الخدم . فقال له الشيخ : لا حاجة لى فيها . فأنى الخليفة إلا قولها ،  
فأخذ الشيخ كيسا منها فى يمينه ، وآخر فى يساره ، ثم عصرهما فسالوا  
دما . فقال : يا أبا المظفر ! أما تستحي من الله تأخذ دماء المسلمين  
وتقابلى بها . فغشى على الخليفة ، فقال الشيخ : وعرة المعبود الو لا حرمة  
اتصاله - يعنى الخليفة - برسول الله صلى الله عليه وسلم لتركت الدم يجرى  
١٥ إلى منزل قصره . وقال له الخليفة المذكور يوما : أريد أن أرى شيئا  
من الكرامات ليطمئن قلبى . قال : ما تريد ؟ قال : أريد تفاحة من الغيب .  
و لم يكن أوام التفاح بالعرق . فمد الشيخ يده فى الهواء فادا فيها تفاحتان .  
فأعطاه واحدة ، وكسر الشيش الأخرى ، فاذا هى بيضاء بهوح منها  
رائحة المسك . ثم كسر الخليفة التى فى يده ، فاذا فيها دودة . فقال الخليفة :

(١) فى الأصل : واحد . - وواضح أن أوام رائدة من السياق .

(٢) الخليفة العباسى وحالاته ٥٥٥ - ٥٦٦ هـ / ١١٦٠ - ١١٧٠ م .

ما هذه الدودة؟ قال الشيخ: يا أبا المظفر! لمستها يد الظالم فدودت .  
واعلم أن مثل السلطان العادل مثل ياقوتة نفيسة رفيعة في وسط العقد،  
ومثل الرعية مثل سائر الشذر، فلا تلحظ العيون إلا الواسطة، وإنما  
يبصر المقلوبون و ينتقد الناقدون الواسطة، وإنما يثنى المثنون على الواسطة،  
فكلما حسنت الواسطة غمرت سائر الشذر .

٥

كتب أردشير<sup>١</sup> أحد ملوك فارس كتابا يقول فيه: «من أردشير  
ملك الملوك إلى الكتاب الذين بهم تدبير المملكة، والفقهاء الذين هم  
عماد الدين، والأساورة الذين هم حماة الحرب، والحراثين<sup>٢</sup> الذين هم  
عمار الأرض، سلام عليكم، ونحى كاتون إليكم بوصية فاحفظوها .  
لا تستشعروا الحق فدهمنكم عدوكم، ولا تحبوا الاحتقار<sup>٣</sup> فيشملكم  
القحط، وكونوا لأبناء السبيل مأوى تؤووا غدا في المعاد، وتزوجوا  
في الأقارب فإنه أمس في الرحم وأقرب للنسب، ولا تركنوا إلى  
الدنيا، فإنها لا تدوم لأحد،/ ولا تهتموا لها فلن يكون إلا ما شاء الله،  
ولا ترفضوها فإن الآخرة لا تال إلا بها، . و كان لغته ولغة قومه

١٦١/الف

(١) انظر حاشية سابقة وراجع الفهارس . ووردت الكلمة في الأصل  
«أزدشير» بالزاي .

(٢) في الأصل: الحراثون .

(٣) كذا في الأصل، ولعله: الاحتكار .

الفهلوية ، و هي من اللغات التي لم يبق لها مترجم . و كانت وصيته لابنه سابور « يا بني ! إن الدين و الملك أخوان ، لا تغنى بواحد منهما لصاحبه ، فالدين أس ، و الملك حارسه ، و ما لم يكن له أس فهو دهم ، و من لم يكن له حارس فضائع . »

٥ قال عبدة السلماني لعلي بن أبي طالب رضى الله عنه : ما بال أبي بكر و عمر رضى الله عنهما اطاع الناس إليهما ، و الدنيا أضيق عليهما من شبر ، فاتسعت عليهما <sup>١</sup> ، و وليت أنت و عثمان الخلافة و لم ينطاعوا لكما <sup>٢</sup> ، و لا امتعت و صارت عليكما أضيق من شبر . فقال : لأن رعية أبي بكر و عمر مثلى و مثل عثمان ، و رعيتى أنا اليوم مثلك و شبهك .

١٠ حكى أن بعض الملوك وجد الملك لذيذا ، فشاور وزراءه ، فقال لهم : بم دوام الملك ؟ قالوا : بطاعة الله و لزوم العدل ، فقال : لازموني بما فيه طاعة الله و العدل ، فمكث أربعائة سنة ملكا ، فأتاه إبليس فقال له : من أنت ؟ قال : ملك من ملوك الأرض ، فقال إبليس : بل أنت إله ! لو كنت ملكا لكنت مت كما تموت ملوك بني آدم . فتخيل ذلك ١٥ في نفس الملك ، فجمع أرباب دولته و رعيته ، و خطب خطبة ذكر فيها أنه إله لا ملك ، و قال : لو كنت ملكا لمت كما ماتت ملوك الأرض ، و إنما أحفيت عليكم أمرى ، فما فرغ من كلامه حتى ارتعش و اضطرب

(١) في الأصل : عليهم .

(٢) في الأصل : لكم .

من مكانه ، و سلب الله عليه بنحت نصر<sup>١</sup> البابلي ، قتله و أخذ من خزائنه  
و قر سبعين سفينة مملوءة ذهباً . شعر :

لما رآه عدوه لم يستطع ثباتاً<sup>٢</sup> وحل القلب منه [في - ٢] ذهول  
لم يغن عنه ويحه سلطانة و سريره و التاج و الإكليل

/ و اعلم أن الملك لا يتم عزه إلا بالشرعية و القيام لله بطاعته ، ٥ / ١٦١ ب  
و لا قوام للشرعية إلا بالملك ، و لا عز للملك إلا بالرجال ، و لا قوام  
للرجال إلا بالمال ، و لا سبيل للمال إلا بالعمارة ، و لا سبيل للعمارة إلا  
بالعدل ، و العدل هو الميزان المنصوب بين الخليقة نصبه الله تعالى ،  
و جعل لهم قياً و هو الملك . و قال عمرو بن عبيد المنصور : إنك  
لا ترضى من الله إلا بالعدل عليك فاعدل على من دونك . و قال : إن الله ١٠  
عز و حل قد أعطاك الدنيا بأسرها ، فاستر نفسك ببعضها . و ينبغي  
للسلطان أن يصف المظلوم من نفسه ، و يتقى الله في أمره ، و إذا رأى  
الحق ، انقاد له و عمل به ، كما قال الربيع بن زياد : ما رأيت رجلاً قط  
أرط جأشاً و لا أقوى جناناً من رجل رفع إلى أمير المؤمنين أبي جعفر  
المنصور<sup>٣</sup> أن عنده ودائع و أموالاً<sup>٤</sup> لى أمة ، فأحضره و قال : ١٥

(١) المقصود بنوخذ نصر الذي حكم بابل سنة ٦٠٥ - ٥٦١ ق . م . و استولى

على القدس مرتين سنة ٥٩٧ ق . م و سنة ٥٨٦ ق . م .

(٢) نقلنا الكلمة من الشطر الأول إلى الثاني .

(٣) أضفنا الكلمة ليستقيم ميزان الشعر بدون اختلاف المعنى .

(٤) انظر حاشية سابقة و راجع العهارس .

(٥) في الأصل : أموال .



أخرج لنا عما تحت يدك من ودائع بني أمية و أموالهم . فقال :  
يا أمير المؤمنين ! أوارث أنت لبني أمية ؟ قال : لا . قال : فوصي لهم  
في أموالهم و رباعهم ؟ قال : لا . قال : فما سألتك عما في يدي من ذلك ؟  
قال : فأطرق المنصور ساعة ثم رفع رأسه إليه فقال : إن بني أمية  
ه ظلموا المسلمين ، و أريد أن آخذ ما ظلموا المسلمين ، فأجعله في بيت  
مال المسلمين . فقال : يا أمير المؤمنين ! يحتاج إلى إقامة البيّنة العادلة على  
أن ما في يدي لبني أمية مما خانوه و ظلموه دون غيره ، فقد كان لبني  
أمية أموال غير أموال المسلمين . فأطرق المنصور ساعة ثم رفع رأسه  
فقال : صدق يا ربيع ! ما يجب على الشيخ شيء فاصرفه .

١٠ فانظر إلى المنصور كيف ظهر له الحق فبعبه ، و لم يظلم الرجل

١/الف في أخذ شيء منه قهرا . و ينبغي للملك أن يتواضع لعظمة الله / و لا يتجبر

و لا يتكبر ، فيخاف عليه إن تجبر أو تكبر وقوعه في الكفر ، كما  
وقع فيه الوليد<sup>١</sup> بن يزيد بن عبد الملك بن مروان بتكبره و تجبره ،  
و ذلك أنه فتح المصحف ليأخذ فيه فألا ، فطلع له في أول ورقة

١٥ اختارها<sup>٢</sup> ” و استفتحوا و خاب كل حمار عنيد من ورائه جهنم و يسقى

من ماء صديد ” - الآية . فغضب الوليد من ذلك ، و تكبر و تجبر

و نصب المصحف عرصا و رماه بالسهام إلى أن مرقه ، و هو يقول

(١) انظر حاشية سابقة و راجع الفهارس .

(٢) قرآن كريم سورة ١٤ آية ١٥ و ١٦ .

هذه الآيات :

أتوعد كل جبار عنيد      فيها أنا ذاك جبار عنيد  
إذا ما جئت ربك يوم حشر      فقل يا رب مزقني الوليد  
و كان الملك الرستمى من المتكبرين المتجبرين ، فحضر عنده قوم  
من التجار ، فحضرت الصلاة ، فنهض ليصلي ، و نهضت التجار للصلاة ، ه  
فقال لهم : ما لكم و لهذا ؟ و ما أتم منه الصلاة ركوع و سجود و خضوع  
و إنما فرض الله الصلاة يريد المتكبرين و المتجبرين و الملوك الأعظم  
مثلي و مثل فرعون ذى<sup>١</sup> الأوتاد و ممرود و كسرى أنوشروان .  
قال أبو الليث السمرقندى : من جلس مع ثمانية أصناف من الناس  
زاده الله ثمانية أشياء : من جلس مع السلطان زاده الله الكبر و قساوة ١٠  
القلب ، و من جلس مع الأغنياء زاده الله حب الدنيا و رأى الرغبة  
فيها ، و من جلس مع الفقراء زاده الله الشكر و الرضى بقسمة الله  
تعالى ، و من جلس مع النساء زاده الله الجهل و الشهوة ، و من جلس  
مع الصبيان زاده الله اللعب و المزاح ، و من جلس مع الفساق زاده الله  
الجرأة على الذنوب و تسويف التوبة ، و من جلس مع الصالحين زاده الله ١٥  
الرغبة فى الطاعات ، و من جلس مع العلماء زاده الله العلم و الورع - انتهى .

[ ما قيل فى الكبر و مقتته - <sup>٢</sup> ]

و سأذكر ما جاء فى الكبر و مقتته فى الناس إن شاء الله تعالى -

(١) فى الأصل : ذو .

(٢) العنوان من النص و غير وارد بالهامش .

عن أبي هريرة عن هناد قال : / قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
قال الله عز وجل : الكبرياء ردائي والعظمة إزاري ، فمن نازعتني واحدا  
منها قذفته في النار - أخرجه الترمذي . و عن علقمة عن عبد الله بن  
مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لا يدخل الجنة من في قلبه  
مثقال ذرة من كبر - أخرجه مسلم . و عن إياس بن [ سلمة بن - <sup>١</sup> ]  
الأكوع عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يزال العبد  
يذهب بنفسه حتى يكتب في الجبارين ، فيصيه ما أصابهم - أخرجه الترمذي .  
و عن عمرو بن شعيب عن أبيه [ عن جده - <sup>٢</sup> ] عن النبي صلى الله عليه  
وسلم قال : يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الرجال ،  
يغشاهم الذل من كل مكان ، يساقون إلى سبعين [ في - <sup>٣</sup> ] جهنم يسمى  
بولس ، تلوهم نار الأنيار <sup>٤</sup> ، يسقون من عصارة أهل النار ، طينة الحبال -  
أخرجه الترمذي . عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :  
لينتهين أقوام يفخرون بأبائهم الذين ماتوا ، إنما هم فحم جهنم ، أو <sup>٥</sup> ليكون  
أهون على الله من الجعل الذي يدهده الخمر بأنفه ، إن الله قد أذهب  
عنكم عية الجاهلية ، إنما هو مؤمن تقى أو فاجر شقى ، كلهم بو آدم

(١) زيد ما بين الحازرين من تهذيب التهذيب .

(٢) زيد من الترمذي - القيامة .

(٣) جمع نار .

(٤) من الترمذي ، وفي الأصل : في .

(٥) من الترمذي ، وفي الأصل « و » .

و آدم خلق من تراب - خرجته الترمذي . و عن أبي هريرة قال :  
 إن الله قد أذهب عنكم عية الجاهلية و فخرها بالآباء . عن أبي مالك  
 الأشعري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : أربع في أمتي من أمر  
 الجاهلية لا يتركونهن : الفخر في الأحساب ، و الطعن في الأنساب ،  
 و الاستسقاء بالجوم ، و البياحة . و قال : النائحة إذا لم تقب قبل موتها ٥  
 تقام يوم القيامة و عليها سربال من قطران و درع من جرف - خرجته  
 مسلم . / عن أبي بن كعب قال : انتسب رجلان على عهد النبي صلى الله  
 عليه وسلم / ١٦٣ / الف  
 عليه و سلم فقال أحدهما : أنا فلان بن فلان - حتى عد تسعة - فمن أنت ؟  
 لا أم لك ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : انتسب رجلان  
 على عهد موسى فقال أحدهما : أنا فلان بن فلان - حتى عد تسعة - فمن أنت ؟ ١٠  
 لا أم لك ! قال : أنا فلان بن فلان ابن الإسلام ، فأوحى الله تعالى إلى  
 موسى : أنت هذين المنتسبين [ فقل لهما - ١ ] أما أنت أيها المنتسب -  
 أو المنتسب - إلى تسعة في النار ، أنت عاشرهم في النار ، و أما أنت أيها  
 المنتسب إلى اثنين في الجنة ، فأنت ثالثهم في الجنة .

كان الملك يزدجرد<sup>٢</sup> أحد ملوك فارس فظا خفس الجانب ، شديد ١٥  
 الكبر ، فاجتمعوا و دعوا الله عليه ، و سألوه تعجيل العرش منه ، فذكر  
 أنهم رأوا فرسا أقبل حتى وقف بابه . فأضاف الناس متعجبين من  
 حسنه ، فأحبروه بذلك ، فقام فطر إليه فأعجبه فأمر بأسراجه و إجلامه ،

(١) زيادة يقتضيها السياق .

(٢) انظر حاشية سابقة و راجع الفهارس .



فلما أسرج مسح وجهه و ناصيته و استدار حوله فركضه ركضة<sup>١</sup> أصاب بها كبده فقتله، ثم ملأ الفرس فروجه فلم يدركه. و أما بهرام جور فخاص هو و فرسه في حاة في بعض أيام صيده فلم يظهر كما أخبر. و اعلم أن الكبير هو نظر العبد إلى نفسه بعين العز و الاستعظام، ه و نظره إلى غيره بعين الاحتقار. و كل من رأى نفسه خيرا من خلق الله تعالى فهو متكبر. قال الشاعر يرد على المتكبر كرهه بالتعنيف حيث قال:

من أين لك الكبر من<sup>٢</sup> أين ألت من مخرج السيلين

أوك بالأمس كان من علق و جيفة أنت بعد يومين

١٦٣/ب ١٠ / رأى بعضهم رجلا يمشى و يتبخر في مشيته، فقال له: ما هذه المشية التي لم يمشها غيرك؟ قال: أو ما تعرفني؟ قال: نعم، أعرف، أولك نطفة مذرة، و آخرك جيفة قدرة، و أنت فيما بينهما تحمل العذرة. فحجل الرجل من كلامه و مضى.

دخل بعضهم إلى بعض القضاة فقال: أيها القاضي إني فلان بن

١٥ فلان قال لي: يا خراء! فقال له القاضي: لست بخراء، و إنما أنت

ظرف للخراء، فحجل من كلامه و انصرف - انتهى.

فينبغي للولوك و أرباب المناصب التواضع لعظمة الله تعالى، و أن

يكثروا من الحمد و تشكر الله تعالى الذي خولهم في أرضه، و أسبغ

(١) المقصود رسمه رسمه.

(٢) في الأصل: و من. و الواو رائدة و يتكسر باتانها وزن البيت.

عليهم نعمه ظاهرة و باطنة ، أن يحتنبوا الظلم و المعاصي لئلا يقعوا بعد  
العز في الذل ، كما وقع فيه بعض خلفاء بني أمية . و ذلك أن عبد الله  
ابن مروان الجعدي خرج هاربا من بني العباس عند انصرام دولة بني أمية ،  
فهرب هو و من معه من أصحابه بعد زوال ملك أبيه مروان<sup>(١)</sup> ، و قد  
صار بعد العز الضخم في الذل و الهوان ، فطلبوا أرض النوبة ، فلما  
قدموها اقترشوا أثاثهم و أقاموا ثلاثة أيام ، قال عبد الله بن مروان :  
فيما نحن كذلك إذ أتانا ملك النوبة ، و قد بلغه أمرنا ، فدخل على  
رحل أقي طوال حسن الوجه ، فقعده على الأرض ، و لم يقعد على  
فرشنا ، فقلت : ما معك أن تقعد على ثيابنا ؟ قال : لأنى ملك ، و حق  
على كل ملك أن يتواضع لعظمة الله إذ رعه . ثم قال لى : لم تشربون  
الخمر و هى محرمة عليكم ؟ قلت : اجترأ على ذلك عبيدنا و أتباعنا ،  
لأن الملك زال عنا . قال : لم تطأون الزرع بدوابكم ؟ و الفساد محرم  
عليكم فى كتابكم . قلت : ذهب الملك عنا و قل / أنصارنا ، فانتصرنا بقوم  
من العجم دخلوا فى ديننا ، فسلوا<sup>(٢)</sup> ذلك على شكره منا . قال : فأطرق  
مليا و جعل يقلب يديه و ينكت فى الأرض و يقول : عبيدنا  
و أتباعنا دخلوا فى ديننا ، و زال الملك عنا ! يردد ذلك مرارا .  
ثم قال : ليس ذلك كما ذكرت ، بل أنتم قوم استحلتم ما حرم الله عليكم ،  
و ركبتهم ما عنه نهاكم ، فسلكم العز و ألبسكم الذل بذنوبكم . و لله فيكم نعمة  
لم يلع غايتها ! و أخاف أن يحل بكم العذاب و أنتم بلبى فيصيبى معكم !  
(١) و هو مروان الثانى آخر خلفاء بني أمية و خلافته ١٢٧ - ١٣٢ هـ  
/ ٧٤٤ - ٧٥٠ م . (٢) فى الأصل : فلبسوا - كذا .

و إنما الضيافة ثلاثة أيام ، فتزودوا ما احتجتم إليه وارتحلوا عن بلدي .  
قال : فارتحلنا عن بلده . فانظر إلى تواضع هذا الملك و جلوسه على  
التراب تواضعا لعظمة الله تعالى إذ رفعه .

خرج الترمذي عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم  
ه قال : ما نقصت صدقة من مال ، و ما زاد الله رجلا بعفو إلا عزاء ،  
و ما تواضع أحد لله إلا رفعه الله . و خرج النسائي - عن عبد الله بن عباس -  
قال : كان عبد الله بن عباس يحدث أن الله أرسل إلى نبيه ملكا من  
الملائكة و معه جبريل ، فقال الملك : إن الله يخبرك بين أن تكون  
عبدا نيا و بين أن تكون ملكا ! فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم  
١٠ إلى جبريل كالمستشير ، فأشار جبريل يده أن تواضع ! فقال رسول الله  
صلى الله عليه وسلم : بل أكون عبدا نيا . فما أكل بعد تلك الكلمة  
طعاما متكئا . و قال النبي صلى الله عليه وسلم : من تواضع لله رفعه  
الله ، و من تجبر قصمه الله . فينبغي للؤمن التواضع ، و لا ينظر لأحد  
من المسلمين إلا و يرى أنه خير منه ، و أن الفضل له عليه ، / فان رأى

١٦٤/ب

١٥ صغيرا قال : هذا لم يعص الله و أنا عصيته ، فلا شك أنه خير مني ، و إن  
رأى كبيرا قال : هذا عد الله قلى ، و إن رأى عالما قال : هذا قد  
أعطى ما لم أعط ، و بلغ ما لم أبلغ ، و علم ما جهلت ، فكيف أكون مثله !  
و إن رأى جاهلا ، قال : هذا عصى الله بجهل ، و أنا عصيته ! بعلم ، فحجة الله  
على أوكد ، و ما أدرى سم يختم لي . و إن رأى كافرا قال : لا أدرى

(١) في الأصل : عطيته .

عسى أن يسلم و يتحتم له بخير العمل ، و ينسل بإسلامه من ذنوبه كما تنسل الشعرة من العجين . و أما أنا فحسبى أن يضلى الله بالكفر و يتحتم لى بشر العمل ، فيكون غدا من المقربين و أنا من المبعدين .

قال صاحب كتاب « نتائج الأفكار » : إن خادما لعبد الله بن عمر أذنب ، فأراد عبد الله أن يعاقبه على ذنبه ، فقال : يا سيدى ! أما لك ذنب تخاف من الله فيه ؟ قال : بلى ، قال : بالذى أمهلك إلا ما أمهلتى ! فتركه ، ثم أذنب العبد ثانيا ، فأراد عقوبته ، فقال له مثل ما تقدم ، فعفا عنه ، ثم أذنب الثالثة فعاقبه و هو لا يتكلم . فقال له عبد الله بن عمر : ما لك لم تقل كما قلت فى الأولين ؟ فقال : يا سيدى ! حياء من حملك مع تكرار ذنبى ، فبكى ابن عمر و قال : أنا أحق بالحياء من ربى ، أنت حر لوجه الله ! ثم قال : كيف السبيل إلى ترك ذنب كان على العبد فى اللوح المحفوظ مخطوطا ، و إلى ضرب قضاء كان به العبد مربوطا - انتهى .

نعود إلى أخبار الملوك - قال أفلاطون الحكيم : الملك كالهر تستمد منه الأنهار الصغار ، فان كان عبدا عذمت ، و إن كان ملحا ملحت . فضل الملوك فى الإعطاء ، و شرفهم فى العفو ، / و عزهم فى العدل . ١٦٥ إذا قال السلطان لأصحابه : هاتوا ، فقد قال : خذوا و اطلبوا . قيل لبعضهم : أتحب أن تكون سلطانا ؟ فقال : و الله ما أرضى ذلك لنفسى ! قيل : و لم ؟ قال : يكثر بغى ، و يتشعب ظلمى ، و يضرب على يدى ، و لا أترك أمشى وحدى . ٢٠

و ينبغى للجالس بمجلس السلطان أن لا يخاصم من ظله إذا طالبه



الخصم بحقه ، بل يكرم خصمه بذلك المجلس الذي تشرف بجلوسه فيه .  
 كما قيل : إن عماره بن حمزة لما دخل على أبي جعفر المنصور و جلس  
 في مجلسه ، فقام رجل إلى المنصور فقال : مظلوم يا أمير المؤمنين ! قال :  
 من ظلمك ؟ قال : عماره بن حمزة هذا الجالس بمجلسك غصني ضيعتي .  
 ه فقال المنصور : قم يا عماره وقف مع خصمك ! فقال : يا أمير المؤمنين !  
 ما هو لي بخصم ، قال : وكيف ذلك ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ! إن  
 كانت الضيعة له لم أنازعه فيها ، وإن كانت لي فهي هبة مني إليه ،  
 ولا أقوم من مجلس شرقي أمير المؤمنين بالجلوس فيه وأقف في أدنى  
 منه بسبب ضيعة ! فقال المنصور : أحسنت فيما قلت ! وقال للخصم :  
 ١٠ اذهب و تصرف في ضيعتك كيف شئت .

و كان بعض سلاطين المغرب يسير يوما و بين يديه الشرط يمشون  
 إذ نظر إلى جماعة من التجار ، فقال لوزيرهم : أما تحب أن أريك ثلاث  
 طوائف ! طائفة لهم الدنيا والآخرة ، و طائفة لا دنيا ولا آخرة ، و طائفة  
 دنيا ولا آخرة . قال : وكيف ذلك أيها الملك ؟ قال : فأما الذين لهم  
 ١٥ الدنيا و الآخرة فهؤلاء التجار يكسبون أقواتهم ، و يصلون صلاتهم ،  
 ولا يؤدون أحدا . و أما الذين لا دنيا ولا آخرة فهؤلاء الشرط الذين  
 بين أيدينا يمشون . و أما الذين لهم الدنيا ولا آخرة فأنا و أنت و سائر  
 السلاطين . قال بعضهم في المعنى :

أربعة منها القلوب تفره أحوالهم بين الوري ظاهره

فواحد دياه مسوطة ليست له من بعدها آخرة ٢٠

/ و آخر دياه مقبوضة إن له آخرة وافر

١٦٥/ب

وآخر قد نال كليهما قد جمع الدنيا مع الآخرة  
 و آخر أكرم ما فيها ليست له دنيا ولا آخرة  
 وفي مشور الحكم : بش الزاد إلى المعاد ظلم العباد ! حكى أن  
 أمير المؤمنين أبا جعفر المنصور قال : ما أحوجنى أن يكون علي بابي  
 بأربعة لا يكون علي بابي بأعف منهم ! قيل : ما هم يا أمير المؤمنين ؟ قال : ٥  
 هم أركان الملك و لا يصلح الملك إلا بهم ، كما أن السرير لا يصلح إلا بأربع  
 قوائم ، فان نقص منه قائمة واحدة عابته ، أحدهم قاض لا تأخذه في  
 الله لومة لائم ، والآخر صاحب شرطة ينصف الضعيف من القوى ،  
 والثالث صاحب خراج يستقضى فلا يظلم الرعية . فاني غني عن ظلمهم ،  
 ثم عض على إصبعه ثلاث مرات يقول في كل مرة : آه آه ! قيل : ١٠  
 ما هو يا أمير المؤمنين ؟ قال : صاحب بريد يكتب خبر هؤلاء على الصحة ،  
 فقد روى أن من بات غاشا لرعيته ، حرم الله عليه الجنة .

و عن أبي حنيفة أنه دخل على أبي جعفر المنصور ، فقال :  
 يا أبا حنيفة ! أعنا على أمرنا ، أي تصير قاضيا . قال أبو حنيفة : لا أصلح  
 لهذا . قال : سبحان الله ! أعنا على أمرنا . فقال : يا أمير المؤمنين ! إن ١٥  
 كنت صادقا عندك فقد أخبرتك أني [ لا ] أصلح لهذا الأمر ، وإن  
 كنت كاذبا فلا يحل لك أن تولى كاذبا .

روى ابن عباس قال : لما حج النبي صلى الله عليه وسلم حجة  
 الوداع ، أمسك<sup>١</sup> حلقة باب الكعبة ثم هزما وبكى ، فنهض إليه  
 أبو بكر و قال : يا حيي ! لا أبكي الله لك عينا ! فقال له : يا أبا بكر ! ٢٠

(١) في الأصل : مسك .

و كيف لا أبكي و هذه آخر حجة لنبيكم و ليس لي حجة غيرها ،  
 و إنما بكائي على فراق الكعبة و توديع المسلمين ، فليبلغ الحاضر الغائب  
 عني ما أقوله ، أمثالكم كورق بلا شوك إلى أربعمائة سنة ، ثم يأتي  
 ١٦/ الف زمان منكم و أناس شوك بلا ورق ، حتى لا يرى فيهم / إلا سلطان  
 ه جائر ، و غي نخيل . و عالم راغب في المال ، و عابد مرء ، و فقير كذاب ،  
 و تاجر فاجر ، و صانع خائن ، و شيخ غافل ، و شاب تائه ، و صبي  
 وقع ، و امرأة بلا حياء . فهض سلمان الفارسي و قال له : يا حبيبي !  
 يا رسول الله ! متى يكون هذا الزمان على أمتك ؟ قال : يكونون في  
 ذلك الزمان يصومون و يصلون و يقرأون القرآن ، و يترددون على  
 ١٠ الرحمن . و لا قلب لهم إلا قلبان ، إما خلى من الإيمان ، و إما كسبه  
 الشيطان ، تكون ألسنتهم أحلى من العسل ، و فعالهم مثل ربح البصل ،  
 قلوبهم تسكى على سوء فعالهم . فعند ذلك نهض عكاشة و قال :  
 يا حبيبي ! يا رسول الله ! متى يكون هذا الزمان على أمتك ؟ قال له :  
 يا عكاشة ! إذا وهتم علماءكم ، و شاورتم ساءكم ، و افتخرتم بأنسابكم ،  
 ١٥ و طفتم مكيالكم ، و دخل الربا في أسواقكم ، و جعلتم الدنيا فوق رؤسكم ،  
 و العلم و القرآن خلف ظهوركم ، و الغيبة فاكهتكم ، و النعمة نصيحتكم ،  
 و عيوب الناس مجالسكم . و لم يوقر صغيركم كبيركم ، و لا يرحم غيبكم  
 هيبكم ، و ترك القروج السروج ، و تأكل القضاة الرشى ، و تشهد الشهود

(١) في الأصل : تكونوا .

بالرور، ويخفى الحق ويظهر الباطل، ويشيد البناء، وتظلم العبيد  
والإماء، ويحكم بالجور، ويزهّد في العلم، وتأكل الأم من كسب فرج  
ابنتها، ويرى المؤمن منهم ذليل، والمنافق بينهم عزيز، ويكون في ذلك  
الرمان الأمير كالأسد، والقاضي كالذئب، والتاجر كالثعلب، والفاسق  
كالكلب، والمؤمن كالشاة، فيا لها من شاة بين أسد وذئب وكل ه  
وثعلب! وما قيل في معنى ذلك 'هذان البتان'.

زمان مصيبة و زمان جور وظلمة ظلم<sup>٢</sup> أشرار الخوارج  
وضعف الشرع والدين المعلى وحرحة داخل ودخول خارج  
واعلم أن المشى إلى السلاطين الظلمة، والأمراء الحائرة، من غير ضرورة  
تواضع وإكرام لهم، فهو تكثير لسوادهم، / وإعانة لهم على ظلمهم ١٠ ١٦٦  
وجورهم، وما ذلك إلا سبب لطلب ما لهم، فهو<sup>٣</sup> سعى إلى حرام. قال  
النبي صلى الله عليه وسلم: من تواضع لغنى ذهب ثلثا دينه. هذا في عى  
صالح، فما ظلك بالعى الظالم!

فينبغى للملك أن يكون متقيا للظلم. كافا يده عن الأذى والجور،  
لا يأخذ أحدا بغير جرم، ولا يتعدى إلى هتك حرمة. فان في هتك الولايا ١٥  
البلايا. كما حكى أن ملكا هتك وليه، فحصل له بهتكها بلية. وذلك

(١-١) في الأصل: هدين اليتيم.

(٢) في الأصل: أظلم.

(٣) في الأصل: مهي.



أن بعض الملوك كان عادلا في رعيته ، محسنا [ في - ١ ] قضيته ، فكانت رعيته في دولته في سعادة و نعمة بسبب عدله فيهم ، فمات ولم يترك غير ابنة واحدة ، وكانت جميلة كبيرة المروءة ، كثيرة الصدقات ، من سألها أبرته ومن طلب منها شيئا أعطته . وترك لها أبوها من المال كثيرا ، ه فكان كل [ من - ١ ] قصدها وصلته من نعمها . فولى الملك بعد أبيها ملك ظالم جائر غاشم ، فقصده الملك بناء مسجد ، فسخر الناس في بنائه ، ومنع البنائين أجرتهم ، فسألوه الصدقة عليهم بها أو يعضها ، فأعطاهم بعضها من المظالم ، فشاع الخبر بأن المسجد لم يبن إلا بالمال الحرام . فشق ذلك على ابنة الملك المتوفى ، فركبت إلى بعض أمورها ، فاجتازت بالمسجد المذكور ، فوجدته كامل البناء ، وتأسفت كيف بنى بالظلم وإعطاء الأجر من المظالم ، فكتبت على حائطه هذا البيت :

بى مسجد الله من غير حله فكان محمد الله غير موفق

ومضت إلى حال سبيلها . فلغ الملك كتابتها على حائط مسجده ذلك البيت : الشعر ، فبلغ منه كل مبلغ ، واغتاظ منها غيظا شديدا . وكان ١٣ / الف ١٥ بلعه كرمها وكثرة صدقاتها ، فجعل يدر حيلة يكسبها بها ، / فأرسل إليها بعض رجاله يسألها رمانة لزوجته الحامل اشتيتها ، كادت تموت إن لم تأكلها ، وأن يقول لها : ما وجدتها ندرهم ولا بأكثر منه . ولم يكن الثرمان إلا ببستان الملك ، وقد مضيت إلى خولى البستان وسألته أن

(١) الكلمة ساقطة من الأصل

يتصدق برمادة أو بثمنها، فلم يرض، وأنت فصدقاتك كثيرة، ولعل أن تنفذي إليه وتأخذي لي<sup>١</sup> منه رمادة، وما أظنه يرضى، وأريد من فضلك وإحسانك أن تصدقي وتركي إليه تأخذينها<sup>٢</sup> لي منه، فاني أعلم أنه لا يعطيها لرسولك أبدا. فاذا رآك آتيته بنفسك، فيستحي منك وتمنى بها علي<sup>٣</sup>، وإن لم يرض أن يعطيها لك إلا بالثمن الكثير، فما لك فيه هـ سعة، وأنا أرجو أن لا يخيب الله سعيك، ويعظم لك أجرك، ويعوضك خيرا عما تنفقينه<sup>٤</sup> لوجه الله تعالى. وكان الملك قدم القول مع الخولي: اذا أتتك بنت الملك، ودفعت لك في كل رمادة ألف دينار لا تبعها لها أبدا، وقل لها: ما أعطيك<sup>٥</sup> رمادة إلا أن تمكنني من نفسك، فان رضيت دفعت لك ما تختاريه من الرمان. ثم إن الرجل لما سأها الرمادة ١٠ لزوجته، رقت لحاله وتضرعه وحال زوجته التي اشتتها، فأخذت معها مالا ومضت إلى البستان وهو يتبعها ماشيا<sup>٦</sup> خلف دابتها، وهو يتهل بالأدعية الصالحة لها، فكلما سمعته يدعو لها تؤمن على دعائه، وتشفق عليه، وربما بكت بسبب انكساره وخضوعه فقالت: والله لا أرجع من مقصدي هذا حتى أجبر كسر هذا المسكين الدليل الحقير ولو بلغت ١٥

(١) في الأصل: له.

(٢) في الأصل: تأخذها.

(٣) في الأصل: تنفقيه.

(٤) في الأصل: أعطيك.

(٥) في الأصل: ماش.

١٦٧/ب

الرمانيه ألفه دينار! فلما وصلت إلى البستان قالت له: اطلب لي الخولى .  
 / فأحضره، فقالت له: أعطى رمانيه من بستانك، فامتنع فعاودته فامتنع،  
 فقالت له: أما تعطى لابنة ملك رمانيه سألتكها؟ قال: لا والله! فقالت:  
 خذ ديناراً وأعطنيها. قال: لا. قالت: خذ دينارين. قال: لا. فما  
 زالت تدرحه إلى عشرة دنائير وهو يقول: لا. قالت: فما تطلب فيها؟  
 قال: أطلب نفسك لا مالك. فلما سمعت ذلك منه، لعته وشتته وسبته  
 وولت راجعة، فتعلق الرجل بذيلها وقال: سألتك بالله إلا ما حييت  
 ثلاثة أنفس من الموت. إن لم تحصل الرمانيه هلكت زوجتي وولدي الذي  
 في بطنها، وهلك أنا بعدهما من و جدى بها. و صار يدعو لها ويتضرع  
 ١٠. و يلقى نفسه إلى الأرض و يتمرغ على التراب، ويبكى ويستغيث ويقول:  
 ادخلي فيّ و في زوجتي [ و ولدي -<sup>١</sup> ] الجنة، و خذى لي منه رمانيه. فرق  
 قلها، و دمعت عينها شفقة عليه. ثم قالت: ويلك يا هذا! أعصى الله  
 تعالى و أمارزه بالمعصية و أفترض مع فلاح! فقال: أنا والله ما أنم عليك  
 و لا أفوه بكلمة، و لا أظهر حالك لأحد، والله تعالى يقبل التوبة عن  
 ١٥ عباده و يعفو عن السيئات، ثم قابلي سيئتك بحسناتك، قال الله تعالى<sup>٢</sup>  
 "إن الحسنات يذهبن السيئات" و قال النبي صلى الله عليه وسلم: أتبع  
 السيئة الحسنة تمحها. و إني والله كاتم لسرك، و أقول كما قال الشاعر  
 حيث قال:

(١) الكلمة ساقطة من النص و واردة بالهامش.

(٢) قرآن كريم - سورة ١١ آية ١١٤.

ولها سرار في الضمير طويتها نسي الضمير بأنها في طيه  
 وإن تكلم الخولى بشيء ما سمع منه ، لانه يستحيل أن يكون فلاح<sup>١</sup>  
 يتصل بنت ملك . ولم يزل يسليها بعذوبة كلامه ، والخولى يراودها  
 عن نفسها حتى رضيت ، فواقعها الخولى وأعطاهما رمانا / كثيرا ،  
 ١/١٦٨ قد فعه للرجل الذي قصدها . ثم ان الخولى أطلق بطاقة كانت عنده ه  
 بمواقعها ، فلما وصلت البطاقة إلى السلطان على جناح الطائر ، رسم الملك  
 أن يكتب سريعا تحت البيت الذي<sup>٢</sup> كتبه هي على حائط المسجد هذا  
 البيت لتجوز تقرأه في رجوعها من البستان وهو هذا :

كطعمة الرمان من كسب فرحها فليتك لا تزنى ولا تتصدقى  
 فلما رحت المرأة نظرت بيتا من الشعر كتب تحت بيتها الذي كانت كتبه ، ١٠  
 فتقدمت إليه ، فلما قرأته علمت أنها احتيل عليها ، فوقع مغشية عليها  
 لما حصل لها من القهر ، فحركت وإذا بها قد ماتت ! فعوقب ذلك الملك  
 بالسلب من نعمته وزوال مملكته بعد ، وقوى [ خصمه<sup>٣</sup> ] عليه ،  
 وأوصل شره إليه ، وذلك لهتكه تلك الولية ، فقابله الله في نفسه  
 بالبلية . وحل بعد الملك في الأسر ، وبعد العز بالذل والخسر . ١٥  
 حكى أن رجلا من بني إسرائيل كان ينادى : من رآني فلا يظلمني  
 أحدا ! وإذا هو قد وقعت الأكلة في ذراعه إلى عصده ، فسئل عن

(١) في الأصل : ملاحا .

(٢) في الأصل : التي .

(٣) الكلمة ساقطة من الأصل ، ولزومها واضح من السياق .



حاله فقال: بينما أنا أسير على شاطئ البحر في بعض سواحل الشام  
 إذ مررت برجل صياد قد اصطاد سبع حيتان ، فأخذت منه حوتا  
 وهو كاره بعد أن ضربت رأسه ، فعض الحوت إبهامي عضنة يسيرة ،  
 فوقعت الأكلة في كفي ثم ساعدى ثم عضدى ، فخرجت أسير في البلاد  
 ه أريد قطع عضدى إذ وقعت إلى شجرة فأويت إلى ظلها فنمت ، فقبل لي  
 في المنام: لاى شئ تقطع أعضائك! رد الحق إلى أهله . فجئت الصياد فقلت :  
 يا عبد الله ! أنا عبدك و مملوكك فأعتقنى ، فقال : ما أعرفك ، فأخبرته الخبر ،  
 فبكى و تضرع / و قال : أنت في حل من ضربك و من الحوت الذى أخذه  
 ب / ١٦٨ مى ظلما . فلما قال ذلك ، تناثر الدود و سكن الوجع ، فقلت له : بما دعوت  
 ١٠ على ؟ قال : لما ضربت رأسى و أخذت الحوت مى ، نظرت إلى السماء  
 و بكيت فقلت : يا رب ! أنت عدل تحب العدل ، و هذا منك عدل و أنت  
 حق تحب الحق ، و خلقتى و خلقتة ، و جعلته قويا ، و جعلتى ضعيفا ،  
 فأسألك يا من خلقتى و خلقتة أن تجعله عبرة لخلقك .

و روى أن كسرى أنوشروان كان في صغره له معلم حسن  
 ١٥ التأديب ، فعلمه حتى فاق في العلوم ، فضره المعلم يوما من غير ذنب  
 فأوجعه ، فحقد أنوشروان عليه ، فلما ولي الملك أمر باحضار المعلم و قال  
 له : ما حملك على صرئ يوم كذا و كذا ظلما ؟ قال : أيها الملك !  
 لما رأيتك راغبا في العلم ، رجوت لك الملك بعد أهلك ، فأحببت أن  
 أذيقك طعم الظلم لئلا تظلم . فقال أنوشروان : 'زه ره' أى حيد

(١) في الأصل : راه زاه - كذا .

مليح ، وأحسن إليه وأكرمه - انتهى .

### [ ذكر ملوك الكفار - ١ ]

<sup>٢</sup> ذكر ملوك الكفار الطغام ، وعبادة التماثيل والأصنام ،

وما قيل في الهراقي والأقرونيات والنواميس والهياكل

والأهرام والطلاسم وغير ذلك من الواردات المستطردات <sup>٥</sup>

كان من ذرية قابيل بن آدم عليه السلام ملك جبار يقال له

درمشيل ، يعبد الأصنام ، من دون الملك العلام ، وكان أول من شرب

الخمر ، واتخذ القمار ، وصعد على الأسرة ، وأول من أمر بصنعة الحديد

والبحاس والرصاص ، وأول من اتخذ الثياب المنسوجة بالذهب . وكان

يعبد هو وقومه الأصنام الخمسة : <sup>٢</sup> أودا و سواعا <sup>٣</sup> ويعوث ويعوق <sup>١٠</sup>

ونسرا ، وهم أصنام قوم إدريس عليه السلام . ثم إنهم شرعوا في عمل

الأصنام حتى صار لهم ألف صنم وسعمائة صنم على صور شتى ، فأمر

الملك درمشيل أن يتخذ لهذه الأصنام كراسي وأسرة من الذهب

مفروشة بأنواع الفراش الفاخرة . وأقام هذه الأصنام على الأسرة

متوجة بتيجان الذهب ، مرصعة بالجواهر ، ولها خدما يخدمونها . <sup>١٥</sup> ١٦٩/ال

فإذا كان يوم عيدهم ، أخرجوا جميع الأصنام يقربون لها القران ،

ويوقدون بين أيديها أنيران . فاد احترق ذلك القران ، خروا

(١) العنوان مشتق من النص .

(٢ - ٢) هذا هو العنوان الكامل لما يلي من النص .

(٣ - ٣) في الأصل : ود وسواع .

للأصنام سجدا ، ثم يشربون الخمر ، و يضربون الصنوج ويرقصون ،  
ثم يواقعون النساء مثل البهائم ، فكان جزاء عبادتهم لها غرقهم بالطوفان  
في عهد نوح عليه السلام .

وكان الملك جدع بن عمير يعبد هو وقومه صنما له وجه كوجه  
٥ الإنسان ، وعنق كعنق البقرة ، ويداه ورجلاه كأيدى الخيل ، مغشى  
بصفائح الذهب ، [١] امرصع بالجواهر ، في بيت عرضه 'فرسخ' ، مرصع  
بصفائح الذهب [٢] والفضة ، مكوكب<sup>٢</sup> بالجواهر ، كي يتلألوا تلالوا النجوم ،  
مفروشة<sup>٣</sup> ، أرضه بالدياج والحرير . وجعل في هذا البيت سريرا من  
العاج والابنوس على عرض البيت ، قوائمه من الفضة ، على كل ركن  
١٠ من أركانه الأربعة جوهرة نفيسة . وكان لأبواب هذا البيت ستور سماها  
ستور العز ، وذلك الصم قائم على ذلك السرير ، وحمل عن يمينه  
وشماله أصاما دونه على كراسي ، وأخدمها أشراف قومه ، فكانت قوم  
ثمود يعبدون تلك الأصنام ، فلم يزالوا يعبدونها إلى أن أخذتهم الرجفة ،  
فأصبحوا في ديارهم جائعين .

١٥ وكان السمرود قد اتخذ أصناما من أنواع الجوهر والذهب والفضة  
والقوارير والخشب يعبدها هو وقومه .

(١) الجملة المحجوزة ماقطة من الأصل ، ووردت في هامشه بخط المصحح .

(٢-٢) في الهامش : فرصها مرصعا .

(٣) في الأصل : مكوكبا .

(٤) في الأصل : معروش .

وكان لقوم لوط ملك يقال له سدوم ، قد اتخذ للأصنام بيوتا  
من خزف وكراسى محلاة بالذهب والفضة ، كانوا يعبدونها من دون  
الله تعالى .

وكانت أهل الأيكة يعبدون الأصنام ، وملكهم يقال له : عمرو  
ابن صعب . وكانت تلك الأصنام عدتها ثلاثون صنما : عشرة منها  
من الذهب مغطاة بالجواهر ، على رؤسها التيجان ، وهى خاصة للملك  
ولعشيرته ، والعشرون الآخرون من الفضة والنحاس والحديد .

وصنع السامرى لى إسرائيل عجلا من الذهب والفضة ، / عدته ١٦٩ /  
طائفتهم .

وكان لقوم إلياس صم ' على صورة امرأة ، عليه زينة عظيمة ، وعلى ١٠  
وجهه بهجة فى نهاية الحس قد فتن الناس حسن ذلك الصنم .

قال الشيخ أبو العباس المرسى : شكل الآدمى ما عدا أهل العصمة صنمى ،  
فمن أقبل عليه عبده ومن أعرض عنه وتحد . ولما خرج عمرو بن عامر  
وولده من مأرب حين سيل العرم - كما تقدم ذكره - انخزع شو ربيعة فزلوا  
تهامة فسموا خزاعة لانخزاعهم . ووليت خزاعة أمر الكعبة بعد حرب ١٥  
جرى بينهم وبين أياد ومضر ابى نزار . وكان أول من ولى الكعبة من  
خزاعة عمرو بن عامر ، فقير دين إبراهيم عليه السلام و بدله ، وبعث العرب  
على عبادة التماثيل . وكان حين خرج إلى الشام ، ورأى قوما يعبدون

(١) فى الأصل : صنما .



الأصنام ، فأعطوه منها صنما ، فنصبه على الكعبة ، وقويت خزاعة ،  
وعم الناس ظلم عمرو بن عامر ، ففي ذلك يقول رجل من جرهم  
حيث قال :

يا عمرو لا تظلم بمكة إنها بلد حرام

سائل بعاد أين هم فكذلك 'تخترم الأيام'

٥

و بنى العاليق الذى لهم بها كان السوام

ولما أكثر عمرو بن عامر من نصب الأصنام حول الكعبة ، وغلب على  
العرب عبادتها ، وامتحت الملة الخيفية منهم إلا لمعا . قال شحنة بن خلف  
الجرهمي حيث قال :

١٠ يا عمرو إنك قد أحدثت آلهة شتى بمكة حول البيت أنصابا

وكان للبيت رب واحد أبدا فقد جعلت له في الناس أربابا

لتعرفن بأن الله فى مهل سيصطفى حولكم للبيت حجابا

وعمر عمرو بن عامر هذا ثلاثمائة سنة و أربعين سنة ، فلما جاء النبی صلی الله

عليه وسلم بالإسلام ، وأمر بعبادة الملك العلام ، جاهد فى المشركين

١٥ الطغام . وكسر ما كان لهم من الأصنام ، كما قال بعضهم فى مدح

النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال :

يا خير من عبد الرحمن مجتهدا وراقب الحق إسرا را وإعلانا

(١) فى الأصل : فكذلك .

(٢) بدون تشديد ياء الأيام لاستقامة الوزن .

١٧٠ / الأ / وخير من رفض الدنيا وزخرفها / وحاد عنها ولم يعلى لها شأنًا  
 كم عزيمة لك في الإسلام ماضية / أقمت فيها لأمر الله برهانًا  
 وكم قلت جموع المشركين وكم / ضربت أعناقهم شيبًا وشبانًا  
 بهمة رفعت للدين سودده / ونكست من أعالي البيت أوثانًا

و قال عبد اللطيف التكريتي من قصيدة له يقول فيها : ٥

أقامه الله للدين القويم وقد / وهت عراه وسيف الكفر مسلول  
 فقام في نصره حق القيام إلى / أن عاد جمع الأعادي وهو مفلول  
 [و أظهر الحق والأصنام ظاهرة / في الجاهلية والإسلام مجهول  
 وكف بالسيف كف الكفر حين طغى / فعاد من بعد شد وهو مغلول] ١  
 وشد أرب عرى الإسلام فانتظمت / فما استحالت وعقد الشرك محلول ١٠  
 وكانت ملوك وأمم كثيرة لها أصنام يعبدونها من دون الله تعالى ، تركها  
 ذكرها لطولها . فلندكر الآن عاقبة عباد الأصنام و عاقبة اليهود  
 و النصارى يوم القيامة إن شاء الله تعالى .

ذكر مسلم في صحيحه في حديث الشفاعة : إذا كان يوم القيامة أذن  
 مؤذن : لتتبع كل أمة ما كانت تعبد ، فلا يبقى أحد كان يعبد غير الله ١٥  
 عز وجل من الأصنام و الأنصاب إلا يتساقطون في النار ، حتى إذا  
 لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر وغير أهل الكتاب ، فتدعى

(١) البتان ساقطان من النص و وردا في الهامش بخط المراجع .

(٢) في الأصل : وشدًا .

اليهود، فيقال<sup>١</sup> لهم: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد العزيز ابن الله، فيقال: كذبتُم! ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد، فما ذا تبغون؟ قالوا: عطشنا يا رب فاسقنا! فيشار إليهم: ألا تردون؟ فيحشرون إلى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضاً [فيتساقطون في النار-<sup>٢</sup>]. ثم تدعى النصارى، فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد المسيح ابن الله. فيقال لهم: كذبتُم! ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد. فيقال لهم: فما ذا تبغون؟ فيقولون: عطشنا يا رب فاسقنا! قال: فيشار إليهم: ألا تردون! فيحشرون إلى جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضاً، فيتساقطون في النار - الحديث إلى آخره. قوله تعالى: "و من الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله". قيل: بأي شيء يعرف أن محبة / المؤمن لله تعالى أشد من محبة الكافر للصم؟ قيل: بخمسة أشياء: أحدها أن الكافر إذا أصابته شدة تراء من معبوده، والمؤمن لا يعرض عن الله تعالى في الشدائد والمحن. قوله تعالى: "الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون". وقال بعضهم في تسليحه: ١٥ سحان من يقتل أولادنا ونجبه! الثاني محبوب الكافر ومعبوده كثير،

(١) من مرجع الحديث . وفي الأصل : فقيل .

(٢) من مرجع الحديث : وفي الأصل : ترون .

(٣) زيد من مرجع الحديث .

(٤) قرآن كريم سورة ٢ آية ١٦٥ .

(٥) قرآن كريم سورة ٢ آية ١٥٦ .

و محبوب المؤمن و معبوده واحد ، فالكافر يتبرأ من معبوده يوم القيامة .  
 قوله تعالى<sup>١</sup> : ” اذ ترا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا “ - الآية ، و المؤمن  
 لا يتبرأ من معبوده لا في الدنيا و لا في الآخرة . الثالث أن الكافر أظهر  
 محبة لمعبوده من جهة واحدة و هي حبه له ، و محبوه لا يحب ولا يبغض  
 لاه<sup>٢</sup> حمله ، و محبة المؤمن من جهتين : يحب مولاه و يحبه مولاه . قوله<sup>٥</sup>  
 تعالى<sup>٣</sup> : ” يحبهم و يحبونه “ . الرابع محبوب الكافر يغيب عنه و يحتجب ،  
 و معبود المؤمن و محبوه معه في كل حال . قوله تعالى<sup>٤</sup> : ” ما يكون  
 من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم و لا خمسة الا هو سادسهم “ . و الخامس  
 معبود الكافر و محبوه يحمل<sup>٥</sup> الكافر معه و يكفله ، و معبود المؤمن  
 هو حامله و كافله ، قوله تعالى<sup>٦</sup> : ” و هو معكم اين ما كنتم “ الآية - انتهى . ١٠  
 فلذا ذكر الآن ما قيل في الأعمال إن شاء الله تعالى - سئل علي بن  
 أبي طالب رضي الله عنه عن القضاء و القدر و أفعالها هل هي باستطاعة  
 منا ؟ فقال للسائل : هذا بحر عميق لا تدركه . فقال : أحبرني . فقال :

(١) قرآن كريم سورة ٢ آية ١٦٦ .

(٢) في الأصل : لأن - كذا .

(٣) قرآن كريم سورة ٥ آية ٤ و الآية ” سوف يأتي الله بقوم يحبهم و يحبونه  
 ادلة على المؤمنين “ .

(٤) قرآن كريم سورة ٨ آية ٧ .

(٥) في الأصل : و ما يجعل .

(٦) قرآن كريم سورة ٧ آية ٤ .



طريق مظلم لا تسلكه . فقال : لا بد أن تخبرني . فقال : اسمع وبلغ ، الأعمال  
ثلاثة : فرض و طاعة و معصية ، فأما الفرض فبأمر الله تعالى و بإذن الله  
و بإرادة الله و بقدر الله و بمشيئة الله و بعلم منه ، و جرى به القلم ، و صاحبه  
مأجور . و الله عنه راض ؛ و أما الطاعة فليست بأمر الله فتكون كالفرض ،  
٥ ولكن بإذن الله و بإرادة الله و بقدر الله و بمشيئة الله و بعلم منه ، و جرى  
به القلم ، و صاحبه / مأجور ، و الله عنه راض ؛ و أما المعصية فليست  
بأمر الله و لا بإذن الله ، ولكن بقضاء الله و بقدر الله و بمشيئة الله و بعلم  
منه ، و جرى به القلم ، و صاحبه مأثوم ، و الله عليه غضبان .

### [ ذكر صفة الأهرام والنواميس والهياكل والبرابي

#### ١٠ التي صنعها الأوائل وغير ذلك - ' ]

استخرج زمن أبي سليمان عوف بن سليمان قاضي مصر كتاب  
بالقطيعة وجد في قبر ميت ، كان فيه كتب هذا الكتاب في أول سنة من  
ملك قليس . استنسخه من صحيفة ذهب الكتابة الأولى ، و ترجمه له أخوان  
من القطط علماء ذلك عن آباءهما ' . و هو رجل من أهل مصر الأوائل ،  
١٥ لم يبع منها من الطوفان غيره ، [لأنه أسلم هو و زوجته ، و نزل السفينة مع  
سيدنا نوح عليه السلام ] و المترجم من الكتاب : بسم الباقي بعد الأشياء ،

(١) اعنوان و ارد في أول النص ، و ليس بالهامش .

(٢) في الأصل : آباؤهم .

(٣) العارة المحجوزة ساقطة من النص و واردة بالهامش .

إن الملك سويد بن سهاول ملك مصر رأى في منامه رؤيا هائلة ، فأحضرنا  
وأمرنا أن ننظر ما تدل عليه الكواكب مما يحدث في العالم ، فأقنأها في  
مراكزها في وقت مسأله ، فدللت على أنه تنزل من السماء حادثة إلى  
الأرض ، فلما بان لنا ذلك أخبرناه به ، فقال : ما هو ؟ فظننا في خفي  
أمرها ، فوجدنا ما يحدث مفسدا للأرض وأهلها ، فلما تم اليقين من هـ  
ذلك ، أمرنا ببناء الأقرويات وأعلاما عظاما تكون له ولأهل بيته  
قبور<sup>١</sup> تحفظ أجسادهم من الفساد ، ويبقى عالمهم صحيحا ، وكتب على  
حائط الأقرويات وسقوفها علم غوامض الأمور من دلائل السجود وعللها ،  
وسائر الطبائع وتكوينها ، والنواميس العظام والعقائير وتأليفها ، وغير  
ذلك مما ينفع ويصير ملخصا مفسرا لمن عرف كتابنا ولغتنا . وأبـ ١٠  
هذه الآفة محبطة بجميع أقطار الأقاليم إلا اليسير . وذلك إذا نزل<sup>٢</sup> قلب  
الأسد أول دقيقة من السرطان ، فتكون الشمس والقمر في أول دقيقة  
من رأس الحمل فعجب سويد بن من قول المنجمين فيما ذكروه من  
الآفات التي تظهر لهم في علم النجوم من النار المحرقة لأقطار العالم وغير  
ذلك ، من انقول . فرسم ببناء ما تقدم ذكره . ومات سويد بن و دفن ١٥ / ١٧٨ ب  
في الهرم الشرقي . وملك بعده مصر أخوه وهو حيت ، ومات فدفن في  
الهرم الغربي . وملك مصر بعده ابنه مائوس . ودفن في الهرم الملون  
بلونين من الحجارة . ولهذه القبور أبواب في أزاج منية بالحجارة في

(١) في الأصل : قبورا .

(٢) في الأصل : نزلت . و بهامشه : اعلاه نزل .

الأرض ، كل أزج عشرون ذراعا بذراعهم . وله باب من حجر واحد  
يدرر بلولب ، إذا أطبق لم يعرف أنه باب وصار كالنيان ، ولا يوصل  
إليه إلا بالوصول منه ، وفي هذه الأهرام فتون الذهب والفضة والكيمياء  
وحجارة الزرجد الرفيع والجواهر الثمينة النفيسة ما لا يحتمله الوصف  
ه كثرة . هذا آخر الكتاب الموجود في القبر ، وترجم يوم وجود هذا  
الكتاب يوم الأحد من شهر توت عند طلوع الشمس سنة خمس وعشرين  
من سني العرب ، وانتهى ما تضمنه من التواريخ من لدن نسخه بالخط  
الأول إلى هذا اليوم ، فوجد اثنتين<sup>١</sup> وأربعين و تسعمائة و ثلاثة آلاف سنة ،  
فلم أن الكتاب كتب قبل الطوفان بما بين الجملتين . وكانت الرؤيا التي  
١٠ رآها سويدين ملك مصر على ما ثبت في المصاحف الموجودة بمدينة منف  
في خلافة أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان<sup>٢</sup> [ أحد<sup>٣</sup> حلفاء بني أمية ،  
وكانت سعة مصاحف مترجمة ، فذكر قيطون بن كانوس الكاهن يذكر  
فيها ساذي الولادات والخلق الأولية ، ويذكر الملوك والقاطرين<sup>٤</sup>  
وما وضعوه من الحكم ، وما عملوه من الطلسمات ، وكانت بخط اركيوس  
١٥ الكاهن ، فحملت إلى أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان ] فصرها له رجل

(١) في الأصل : اثنتين .

(٢) انظر حاشية سابقة و راجع العهارس .

(٣) العبارة المحجوزة ساقطة من النص و وردت في الهامش بخط المراجع .

(٤) في الأصل : والقاطرون .

(٥) « ما » ساقطة من الهامش .

يهودى ، ولم تكن بالخط الكاهنى الصورى ، بل كانت بالخط المعروف بالمرسطى . فذلك قدر على استخراجها ، فكشف لهم اليهودى ما أراد ، و ستر ما أراد ، و قدر منها على كثير ، و عرف الخبر المشهور ، و كيف الوصول إليه ، و أصناف العلوم .

و كان صدر المصحف الأول الجامع لهذه المصاحف : باسم الرب ٥ المحيط بالأشياء ، أنا قيطون بر أساوس<sup>١</sup> الكاهن ، كان أبى من خدام الهياكل النورية و المتكلمين عندها بكلام التوحيد و الخضوع للآلهة المعظمة المطهرة للأرواح الاتساحية لمن كان يتعد لها و يقوم / لقراءتها ١٧٢/ الف إلى أن يسجوها ، و كان إليه مع ذلك خدمة نواويس الملوك ، و كان من وسم بهاتين الحالتين يوماً إليه بالتعظيم ، و يفضل بالتزكية . فلما هلك ١٠ مرقىوس الملك ، حفر له فى ناووس المملكة أزجا و صفع بالمرمر الأزرق ملوبا ، و حفر عند رأس الأزج موضعاً يقام فيه أسطوانة اثتاريخ ، فانتهى الحفر به إلى أرضية من رصاص مطبقة فيها مصاحف الكهنة ، و فيها جثة أبورس الكاهن الذى كان فى زمس أسارس الملك ، و أخذ المصاحف بحق قيامه على الهياكل و النواويس ، و وقف على ما فيها ، و لم يظهر ١٥ شيئاً من علومها . فلما هلك أنى ، صارت المصاحف إلى ، فنقلتها بترجمتى لتكون ذخيرة لولدى .

و كان أول ما ترجمه قيطون الكاهن من تلك المصاحف : باسم البور

(١) ورد فيما نقل : كانوس .



الذى<sup>١</sup> كانت الأنوار كلها منه، وإليه يعود مظهر الحكماء، ومؤيدهم  
بالأشباحية العالية وأسماء الآلهة. هذا ما نسخناه ووقفنا عليه من أسرار  
العلوم، والذى قدربا عليه من كتب ساداتنا القاطرين<sup>٢</sup> الهادين إلى طريق  
الحكمة، ووقفنا عليه من أسرار الخليفة ومفاتيح العلوم وأسرار الولادات.  
ثم نرجع<sup>٣</sup> إلى ذكر الرؤيا - فكان في جملة ما ترجم من  
هذه المصاحف أن سويدين الملك رأى الكواكب المعروفة بالسياسية  
في صور طير أبيض، وكأنها تخطف العالم، وتلقيهم بين جبلين عظيمين،  
وكان الجبلين انطبقا عليهم، وكان الكواكب النيرة مظلة كاسفة كلها.  
فلما أخبره القاطرون بما تقدم عنهم، أمر أن يختار موصعا لبناء الإعلام.  
١٠ فاختار موصعا بقرب النيل في الجانب الغربي، وبنيت فيه مدينة وسميت  
١٧٢/ب موقه أى مطلب الحكمة، وأمر / الملك بمجمع<sup>٤</sup> الناس والعلة، فجمع  
سبعة آلاف لقطع الحجارة وحملها، وسبعة آلاف لهندستها والنقش  
عليها، وأربعة عشر ألف للساء وعمل قضبان الحديد، واستخراج معادن  
الرصاص، فكانوا يصبون البلاطة ويحملون في وسطها عمود حديد  
١٥ قائم قد ضبط بالرصاص المسوك، ويركب عليها بلاطة أخرى في قدها

(١) في الأصل : التى .

(٢) في الأصل : القاطرون .

(٣) في الأصل : ترجع .

(٤) في الأصل : جميع .

و هندستها مثقوبة الوسط بقدر دخول القضيب فيها ، و يسبك الرصاص  
و يصب <sup>١</sup> حول البلاطين معا ، حتى بنوا <sup>٢</sup> بنيانا طويلا مائة ذراع  
و خمسين ذراعا نذراعهم . ليكون ماء الطوفان مع حافته ، و هرم  
البيان صاعدا ، فجعل رأسه عشرة أذرع في مثله ، و عرض كل حائط  
من تربع الهرم مثل طوله مائة و خمسين ذراعا . ثم أحضرهم فقال : ه  
انظروا ! هل تهتد هذه الأعلام . فنظروا فوجدوها باقية لا تزول .  
وقال : انظروا ! هل يفتح منها موضع . فنظروا فقالوا : نعم ، يفتح من  
الجانب الشمالى <sup>٣</sup> . فقال : حققوا النظر فى علومكم ، هل تعرفون الموضع  
بعينه ، و عرفوني إلى متى يكون ذلك ، فأخرجوا الموضع و ذكروا أن  
ذلك لا يكون لأربعة آلاف دورة للشمس . قال : أفتقفون على قدره ؟ ١٠  
فعرفوه ، فقال : أحملوا فى الموضع الذى يصلون منه إلى داخل العلم  
دهبا وزن ما يفيقونه . و حث الرجال و الصناع و الفعلة على الفراغ  
من الأهرام و الأقرونيات . فخرجوا من ذلك فى ست سنين . فمن يدعى  
موازنتنا فى الملك أو بلوغنا فى القدرة و انتهاءنا من السلطان فليهدمها  
فى ستين سنة ، و ليزل <sup>٤</sup> رسمها ، فان الهدم / أيسر من البناء ، و التفريق ١٥ ١٧٣ / الف

(١) فى الأصل : يصب .

(٢) فى الأصل : بنى .

(٣) فى الأصل : انشمال .

(٤) فى الأصل : ليرى .

أيسر من التأليف . و ذكروا أنها كانت مراقل من خوص ، إذا ضربوا بها الحجارة قفزت من أنفها و سارت ، و أن ذلك لم يزل متعارفا عندهم .

قال الوصيفي في تاريخه : قال لي رجل قبطي يعرف بابراهيم ، ه و قد أجرينا شيئا من هذا الكلام : إنهم أصابوا في بعض الكنائس شيئا<sup>١</sup> بالطاق ، سقط منها سلة ففتحت ، فوجدوا فيها مرقلة من خوص ، ففجوا منها ، ولم يدروا لها معنى ، فطرحوها في النار ، وكانت تثب في النار حتى تبلغ سقف الكنيسة ، فلما رأوا ذلك قطعوها بالسكين . ثم عرفوا الحال فدموا على إفسادها . ثم قال للوصيفي : و لا أدري هل ١٠ هي من مراقل الحجارة أو من غيرها ، إلا أن وثوبها من النار عجيب<sup>٢</sup> . و لما قدم أمير المؤمنين المأمون<sup>٣</sup> بن هارون الرشيد إلى مصر لينظرها و يشاهدها ، و رأى الأهرام ، أراد هدمها ، فعرفه بعض شيوخ المصريين أن ذلك غير ممكن ، و لا يحسن مثله أن يطلب شيئا لا يبلغه . فقال : لا بد أن أعلم علم ما فيها . ثم أمر ففتح من الجانب الشمالي لقلة دوائر الشمس ١٥ على من يتولى ذلك ، فكانوا يوقدون النار عند الحجر ، فاذا احمر رش عليه بالخل ، و رمى بالمنجنقات حتى فتحت الثمة التي يدخل منها إلى الهرم

(١) في الأصل : شبيه .

(٢) في الأصل : عجبا .

(٣) انظر حاشية سابقة و راجع المهارس .

اليوم ، فوجد بنيانه على ما ذكرنا من الحديد و الرصاص . و وجد عرض الحائط عشرون ذراعاً ، فلما وصلوا إلى آخر الفتح . وجدوا خلفه مطهرة من حجر أخضر فيها مال على حول الدنانير العراض ، و وزن كل دينار سبعة و عشرون مثقالاً و ثلثاً مثقال ، / فقال : زنوا الذهب كله ، ١٧٣/ب فوزنوا الجملة ، فوجدوا فيها قدراً معلوماً . و كان المأمون فطناً ، فقال : ه احرزوا ما أنفقتم على فتحه ، فوجدوه موازناً لما وجدوه من المال ، فعجب من ذلك و من معرفتهم بالموضع الذي يفتح منه على طول الزمان في المستقبل ، و ما يصرف على فتحه ، فوضعوا ذلك المصروف بقدر ما انصرف ، فازداد المأمون و أصحابه يقيناً في علم الجوم ، و ركب المأمون حتى دخل ذلك الموضع ، و نظر إلى البيت فوجدوا فيه صماً<sup>١</sup> أخضر ١٠ ماداً يده و هو قائم ، و نظروا إلى الزلافة و البئر ، فأمر بزولهما ، فزلوا من درحة إلى درحة حتى أفضوا إلى صنم أخضر و عيناه جزعتان سواد في ياص كأنهما حدقتا<sup>٢</sup> إنسان ، فهالهم أمره . و قد رأوا أن له حركة فجرعوا ، و جراه ذلك على طلب مخبئ<sup>٣</sup> كثيرة ، و وجد المأمون طول كل هرم من الهرمين الكبيرين أربعاً ذراعاً بالملكي ، و كذلك عرض ١٥ كل حائط من حيطانها . و يقال : إنه ليس على وجه الأرض أرفع باء

(١) في الأصل : صنم .

(٢) في الأصل : حدقت .

(٣) في الأصل : مخبئ .



من هذين الحرمين ، وهما غربي بلدة<sup>١</sup> يقال لها وسيم<sup>٢</sup> ، ولا في العالم حجر موضوع على آخر أعلى منهما . ويقال : إن عمقهما في الأرض مثل ارتفاعهما فوق الأرض . وذكر أن أبواب هذه الأهرام لا تفتح إلا بكلام وبقرايين وبخورات ، والصابئة تحجها من حران<sup>٣</sup> .

هـ و سأذكر هنا ما قيل في الصابئين إن شاء الله تعالى - قال مجاهد

والحسن : انصاثون طائفة بين اليهود والمجوس . وقال قتادة : هم قوم

يعبدون الكواكب . وقال بعض الفقهاء : إنهم بين المجوسية / والنصرانية . ١٧٤/ الف

وقال بعض الشيوخ : إنهم طائفتان ، طائفة تتحل دين المسيح و تقر

بالإنجيل ، وهم في ناحية من أعمال واسط<sup>٤</sup> . قال الشيخ أبو بكر الطرطوشي :

١٠ ولا تؤكل ذبائح الصابئين ، وليس محرام كتحريم ذبائح المجوس - انتهى .

نعود إلى ذكر ما قيل في مصحف هرثيل - زعموا أن تاريخه

لستمائة سنة من الطوفان ، وأن سنديل ملك مصر نظر في النجوم أن

حادثه تكون من السماء مضره بالعالم ، فأمر ببناء أعلام تكون نواويسا

(١) في الأصل : بلدا .

(٢) أوسيم من قرى مديرية البحيرة وهي تابعة الآن لمركز امبابه على الشاطئ

الغربي من النيل حوار القاهرة .

(٣) الغالب أنها حران بضم الحاء و تشديد الراء ، وردت في معجم البلدان

( ج ٢ ص ٣٣٢ ) من قرى بيساور بارض الفرس .

(٤) واسط وردت في معجم البلدان ( ج ٤ ص ٨٨٨ ) وهي قرية

مشهورة ببلخ و هناك أخرى بعس الاسم من قرى حلب بسوريا .

تحفظ أجسام الملوك و زبر على تلك الأعلام أسماؤهم<sup>١</sup> و توارىخهم ،  
 و كنز فيها من فاخر الجواهر و الصنعة و طرائف الحكمة و من التماثيل  
 و الذهب الملون و التيجان الفاخرة ما استدل به على عظيم ملكهم ،  
 و جعل لذلك طلبها<sup>٢</sup> يمنع منه إلى أوقات معلومة يكون ذخيرة لهم ،  
 و كأنهم يزعمون كما أخبر الله تعالى في كتابه العزيز<sup>٣</sup> ” ان هي الا هـ  
 حياتنا الدنيا نموت و نحيا و ما يهلكنا الا الدهر “ ثم إنه وضع أساسها  
 في وقت السعادة ، و جعل في أساس كل علم منها صنما ، و كتب في  
 صدرها دفع المضار و الآفات عنها ، و في يد كل صنم منها كالبوق ،  
 و هو واصله على فمه ، و في وسط كل علم منها مشاراة موجهة إلى  
 آراج ضيقة للناقد ، واسعة المداخل ، تجتذب ” الرياح إليها “ ، و إن  
 لم يحس دفعها<sup>٤</sup> ، أهلكته ، و منها ما ينطبق عليه بحكمة متقنة و أمر مرمم .  
 و قيل : إنه عمل تحت الأهرام أسرابا تخرج إلى ناحية الغرب و إلى  
 ناحية اليوم مسيرة يوم و يومين منها ، و أودعت عجائب كثيرة ، و إن  
 أسفلها مسارب / للماء يجري إليها من النيل . و قيل : إنه و كل بالأهرام

(١) في الأصل : اسماءهم .

(٢) في الأصل : طلبان .

(٣) قرآن كريم سورة ٤٥ آية ٢٤ .

(٤) في الأصل : كت .

(٥-٥) في الأصل : الرياح إليها .

(٦) في الأصل : دفعه .

روحانيين ، فجعل في الهرم الغربى روحانيا<sup>١</sup> فى صورة امرأة عريانة مكشوفة الفرج ، لها ذؤابتان ، فاذا أرادت أن تستفز الإنسان ضحكته إليه واستجرتة إلى نفسها ، وقد ذكر ذلك من رآها و قصدها . وكل بالهرم القبلى روحانيا فى صورة غلام أسود عريان قد رثى من خارجه ٥ مرة بعد مرة ، تم يغيب عنهم . و فى الهرم الملون صورة شيخ فى كفه بحجرة كنائسية كأنه يتبخر ، وعليه ثياب الرهان . و كذلك وكل بجميع الأقرونيات ، حتى أن مدينة أخيم<sup>٢</sup> لا يشك جماعتهم أن روحانى الربا التى بها غلام أسود أمرد معه عصا ولا يستطيع أحد أن يدخل الربا التى بها رجل طويل آدم صغير اللحية أشيب . وأما بربا أبو صير<sup>٣</sup> ١٠ فيها صورة شيخ أبيض عليه زى الرهان وفى يده مصحف ، ولكل واحد من هؤلاء الروحانيين قرآن و كلام يطبع به<sup>٤</sup> و يدل معه على علوم الربا و كوزه .

و فى بعض الأخبار أن قوما قصدوا الأهرام فى خلافة جعفر المتوكل ، أحد خلفاء بنى العباس ، و كان على مصر حينئذ ابن المدر ،

(١) فى الأصل : روحانى .

(٢) من مدن مديرية سوهاج على البر الشرقى وهى قديمة .

(٣) وردت فى معجم البلدان ( ج ١ ص ٧٦٠ ) أربع قرى بهذا الاسم فى مصر وهى بوسير من كورة الأشمونين و أخرى بالجيزة و أخرى بالفيوم و بوسير بناء بالسمنودية .

(٤) فى الأصل : بها .

فنزّلوا من الزلاقات والآبار، وطلبوا أن يدخلوا من تلك المضائق التي تخرج الرياح منها، وحملوا سرجهم في أواني الزجاج، فأتتهم رياح وأخرجتهم وكسرت أوانيهم وأطفأت سرجهم، وأنهم أخذوا واحد منهم فربطوا وسطه بالحبال، وقالوا له: ادخل، فإذا كان شيء تكبره جررناك، ففعل ذلك، فلما دخل وأمس وزاحم الرياح، انطبق عليه ذلك النصب وجذوه وانقطعت حبالهم، ونق الرجل في ذلك الشق لا يقفون له على خير، فاغتموا لذلك وصعدوا هارين حتى خرجوا من الهرم، وجلسوا عند باب الثلثة المفتوحة يهكرون في ذلك الرجل وأمره وأمرهم وما قدموا عليه، فانهم كذلك إذ انفجرت من الأرض كالوهدة، وأثارت لهم ذلك الرجل عريانا مشوه الخلق ميت ١٠ الدم جامد العينين، وهو يتكلم بكلام عجيب لا يفقه. فلما فرغ من كلامه سقط ميتا، فآزاداد تولّهم، وتضاعف جزعهم، واحتملوه إلى منزله، فأخذهم الحرس وأطلقوا بهم مع الرجل الميت إلى ابن المدير، فسألهم عن أمرهم فأخبروه، فأمر أن يكتب ذلك الكلام على حسب ما أتقوه، وأقام بطلب من يصره إلى أن وجد رجلا يعرف شيئا من ذلك اللسان، فإذا معناه: هذا جزاء من طلب ما ليس له، وكشف على ما لا يخأه، فليعتبر من رآه. ومع ابن المدير من التعرض للأهرام.

وفي خبر آخر أن جماعة وجدوا في بيوت الأهرام البيوت، الوسط زلاقة إلى سر، ونزلوها وجدوا سرما. فساروا فيه نصف نهار ٢٠



حتى انتهوا إلى حفير عتيق ، و في عدوته باب لطيف ، يتبينون منه شعاع الذهب و الجواهر ، و من رأس الحفير مما يليهم <sup>١</sup> إلى الباب المحاذي لهم عمود حديد ، قد ألبس محورا من حديد ، يدور عليه و لا يستمسك ، فاحتالوا في وقوعه و ذهاب حركته . فلم يصلوا إلى ذلك ، فرطوا أحدهم ه في جبل و تعلق به ليصل إلى الجانب الآخر ، فدار به المحور فتجير و سقط ، فخرجوا منه هارين لا يلوون .

و دخل نفر بعض الأسراب التي في الهرم ، فانتهاوا إلى صنم أحضر في صورة شيخ ، و بين يديه أصنام صغار كأنه يعلمهم . و ساروا فوجدوا فواره تحت قبة ، يقع فيها ماء من أعلى القبة ، فيكون له نشيش شديد ب ١٠ كأنه طفوء نار ، و يفيض فيها / فلا يتبين ، و داروا فوجدوا بيتا مسدودا بحجر فيه دوى شديد ، لا يدرى ما هو ، و وحدوا عنده شيئا بالمطهرة الكبيرة فيها دنانير ، عليها <sup>٢</sup> صورة أسد من وجه ، و صورة طائر من وجه ، فأخذ بعضهم منها شيئا ، فلم يقدر على حركة و لا على كلام حتى طرحه من يده .

١٥ و كل ما فسد من هذه الأقرونيات و تهدم و تغير - مثل ربا بوصير و ربا سمود <sup>٣</sup> و غيرها <sup>٤</sup> من الهياكل - بتركهم الاستقصاء في الطالع

(١) في الأصل : يلهم .

(٢) في الأصل : على .

(٣) مدينة قديمة على شاطئ فرع دمياط العربي بمديرية الغربية .

(٤) في الأصل : و غيرها .

وصحته قبل وضع الأساس ، و كذلك ما بقي منها ، فلقرب الطالع من  
الصحة ، لأن الذين بنوا هذه البرابي كانوا على بعد من الملوك ، لم يكونوا  
بحضرة موضوعة ، فتيقنوا النظر كما تيقن في العمل الأهرام و هم  
لا يشكون ، إنهم لما هدموا بريا سمود ، فحملوا حجارته إلى أشتوم  
دمياط ، و وهبوا بقيته بنى المهندس ، و إن اليوم الذى فرغ منه من ه  
هدم الحائط الغربى دخل حياسة الإسكندرية و خربها ، و كثرت الرمال  
حتى انقطع البحر فى شهور الصيف ، و قد زكا الزرع ، و كثر الفار  
و الجراد و أشياء من الفساد كثيرة يطول شرحها . منها أن بعض من  
دخلها كتب على كفه المحاذية لها صورة من تلك الصور أعجته فانطبقت  
عينه حتى أتاه من كتب على كفه الصورة المحاذية لها فاهتكت عينه . ١٠  
قال الوصيفى فى تاريخه : و أخبرنى من أثق به أنه رأى فيها صورة  
شيطانين يحوط بهما سلسلة بكتابة ، و هما يمسكان طرفيها و بينهما كتابة ،  
فكانت عنده إلى أن عرفها بعض من رآها عنده أنها حرز عظيم . و ذكر  
أنه لو جعل عليها لحما و جوع كلما أو شيئا من الساع و خلاه عليه لم يقرب  
منه شيئا . قال : فعجبت ذلك و امتحنته ، فوجدته كما ذكر . قال الوصيفى : ١٥  
و رأيت أنا فى ربا أنخيم صورة عقرب ، فألصقت عليها شمعا ، و كان  
/ عندى ، فلم أتركها فى موضع إلا انحاشت العقارب إليها ، و إن كانت فى ١٧٦ / الف  
تاوت اجتمعت تحته و حوله ، و كست أتجافى عن حملها خوفا من اجتماع  
العقرب حولى ، و طلبها بعض إخوانى فدفعها إليه . و رحعت إلى أنخيم ،  
فوجدت الصورة قد نقرت و أفسدت - انتهى . ٢٠

و من المتعارف عند أهل أنخيم أنه كان في البربا صورة شيطان قائم على رجل واحدة ، وله يـد واحدة قد رفعها إلى الهواء <sup>١</sup> ، وفي جبهته و حواليه كتابة ، وله إحليل ظاهر ملصق بمحاط البربا . فكان من احتال لذلك الإحليل حتى تقب عليه و نزعه من غير أن يكسر و علقه في وسطه ، ه لم يزل منعظا و بجامع ما أحب إلى أن ينزعه ، فلم يوحد له في البربا غير صورة واحدة كانت قرب السقف ، فاحتيل عليها حتى أخذ له الإحليل ، فكان يستعمله و آخر بصحته .

و كان فيها صورة شيطان يسوق كبشا بحبل في عنقه في صورة في صحيفة رصاص ، و ما حوله من الكتابة ، و حمله معه ، و مر على طريق ، ١٠ الكشاش اتبعته .

و كان فيها صورة بومة إذا لصق عليها الشمع و جعل في موضع ، لم تقربه بومة .

و في بربا أنخيم في الباب الذي يدخل منه في عقب الباب على يسار الداخل منه رأس عظيم بلحية عظيمة كبيرة و شعر كثير ، كانه رأس رومي ، ١٥ وهو بغير جسد ، قد كروا أن الأوائل كانوا ينخرون ذلك الرأس بنخور لهم معروف ، فكل من نخر وجد عنده دينارا ، فكان في ذلك معونة لأهل المسكنة . قال الوصيفي : و تصفحت موضع الرأس فوجدت آثار البخور بينة فيه . و في القبة الداخلة التي يسزل إليها من سطح البربا المعروفة بقصة

(١) هذا وصف الإله « من » (Min) إله الخصب و التناسل عند قدماء المصريين و لا زال يرى على حيطان المعابد .

مسطاس بئر، ولها بخور و كلام، من تكلم به و سال عن كل أمر أخبر به من البئر بكلام يسمعه و يعقله .

١٧٦/ب / وفي رما فقط<sup>١</sup> صورة رجل جالس في دائرة و حوله كتابة، و على جميع دور الدائرة شياطين، و بأيديهم حراب يرمون بها ذلك الرجل، و الرجل رافع يده كأنه يرميهم . فقيل : إنه من صور تلك الصورة في صحيفة ذهب و حملها معه و دخل الحرب لم تضره، و لا عمل فيه حديد و لا غيره، يعمل ذلك في أول الهلال، و يكون المشتري مسعودا، و حذاء هذه الدائرة من الجانب الآخر دائرة أخرى، و فيها رجل مكبوع على وجهه، و حوله شياطين بأيديهم حراب يضربونه بها، و قد شكوها في حسمه، فيقال . إنه من صور مثلها في صحيفة رصاص ١٠ باسم عدوله و بخرها بشعر جمل في آخر الشهر و دفنها في ناووس تحت رأس ميت لحقه كل مكروه، و لم يزل فزعا ميت القلب، فان تركت أكثر من ثلاث خيف عليه الهلاك . فاذا أخرحت و غسلت بماء بئر لا تراها الشمس، و جعل في ذلك الماء<sup>٢</sup> لحم في قدر جديد، و يشرها الرجل و جرد تلك الصحيفة زال عنه ما يجذبه . ١٥

و على بربا أنخيم طلسم<sup>٣</sup> قطعة من حجر في صورة القلنسوة الطويلة معنقة الرأس كأنها منقار، يقال : إن تحتها<sup>٤</sup> مالا عظيما<sup>٤</sup> . فجهد جماعة

(١) من مدد الصعيد الأعلى .

(٢) في الأصل : اما . (٣) في الأصل : طلسا .

(٤ - ٤) في الأصل : مال عظيم .



من الولاة أنفسهم في قلعتها أو كسرها ، فلم يطيلوا إلى ذلك ، و تكسرت  
المعاول عليها ، ولم يتلم منها شيء .

و أما الدفائن فقال يحيى بن نكير : كان عبد العزيز بن مروان عاملا  
على مصر لأخيه أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان ، فأتاه وجل متصع ،  
ه فسأله عبد العزيز عن نصيحته ، فقال : بالقبة العلانية كنز عظيم . قال  
عبد العزيز : و ما مصدق ذلك ؟ قال : هو أن يظهر لما بلاط من أنواع  
المرمر و الرخام عند يسير من الحفر حتى ينتهى بنا الحفر إلى قلع باب  
من الصخر تحت عمود من الذهب ، على أعلاه ديك من ذهب ، عيناه  
الف ياقوتتان تساويان الدنيا ، و جناحاه مضرجان / بالياقوت و الزمرد ،  
١٠ و برائته على صفائح الذهب على أعلى ذلك العمود . فأمر له عبد العزيز  
بنفقة ألف من الدينار لأجرة من يحفر من الرجال في ذلك و يعمل  
فيه . و كان هنالك تل عظيم ، فاحتفروا حفيرة عظيمة في الأرض ،  
و الدلائل المتقدم ذكرها من الرخام و المرمر تظهر ، فازداد عبد العزيز  
حرصا إلى ذلك و أوسع في النفقة و أكثر من الرجالة . ثم انتهوا في  
١٥ حفرهم إلى ظهور رأس الديك ، و برق عند ظهوره لمعان عظيم كالبرق  
الخاطف لما في عيبيه من الياقوت ، و شدة بوره ، و اتساق ضيائه .  
ثم بان جناحاه ، ثم بات برائته ، و ظهر حول العمود عمود من البنيان  
بأنواع من الأحجار و الرخام و قساير مقنطرة و طاقات على أبواب

(١) و لعله « الديار » .

(٢) كذا في الأصل ، و لعله : الرجال ، و هو بلغة العامة في مصر بتشديد الجيم .

معقودة ، و لاحت منها تمائيل و أشخاص من أنواع الصور و الذهب  
 و أخزقة من الأحجار قد أطبقت عليها أغطيتها و شبكت ، و قفل ذلك  
 بأعمدة الذهب . وركب عبد العزيز حتى<sup>١</sup> أشرف على الموضع ، فنظر إلى  
 ما ظهر من ذلك ، فتسرع بعضهم ، فوقعت قدمه على درج مشبكة من  
 النحاس تنتهى إلى ما هنالك . فلما استقرت قدمه على الدرجة الرابعة ، ه  
 ظهر سيفان عظيمان عاديان عن<sup>٢</sup> يمين الدرجة و شمالها ، فالتقيا على  
 الرجل ، فلم يدرك و جزياه قطعا و أهوى جسمه سفلا . فلما استقر  
 على بعض الدرج بعض جسمه ، اهتز العمود و صفر الديك صفرة  
 عجيبة أسمع من كان بالعد من هالك ، و حرك جناحيه فظهرت من  
 تحته أصوات عجيبة قد عملت باللواب و الحركات إذا وقع على بعض ١٠  
 تلك الدرج شئ . أو ما شها ، فتهافت من كان هالك من الرجال إلى  
 أسفل تلك الحفيرة ، و كان فيها من يحفر و يعمل و ينقل التراب  
 و يبصر و يحرك و يأمر و ينهى نحو ألف رجل ، فهلكوا جميعا ،  
 / فجزع عبد العزيز و قال : هذا ردم عجيب الأمر ممنوع النيل ، نعوذ بالله  
 منه . و أمر جماعة الناس فطرحوا ما أخرج من هنالك من التراب على ١٥  
 من هلك من الناس . و كان الموضع قبورا لهم .

و قد كان جماعة من أهل الدفائر و المطالبة و من قد أغرى بحفر  
 الحفائر و طلبة "لكور" و دخائر الملوك و الأمم السائفة المستودعة بطن  
 الأرض ببلاد مصر عنى أذرع بسيرة من بعض الأهرام ، بأن فيها

(١) في الأصل : حين . (٢) في الأصل : من .

مطلباً عجيباً ، فأخبروا الأخشيدي محمد بن طنج<sup>١</sup> بذلك ، فأذن لهم في حفره ، و أباحهم أعمال الحيلة عن استخراجها ، فحفروا حفراً عظيماً إلى أن انتهوا إلى أزج و أقباء و حجارة مجوفة في صخر منقور . فيه تماثيل قائمة على أوتحلها من نوع من الخشب ، قد طلى بالأطلية المانعة من سرعة البلى و تفرق الأجزاء ، و الصور مختلفة : منها صور شيوخ و شبان و نساء و أطفال ، و أعينهم من أنواع الجواهر كالياقوت و الزمرد و الفيروز و الزرجد ، و منها ما وجوها ذهب و فضة ، فكسرت بعض تلك التماثيل ، فوجد في أجوافها رمم بالية و أجسام قائمة ، و إلى جانب كل تمثال [ منها نوع من الآنية كالدراني<sup>٢</sup> و غيرها من الآلات من الزمرد و الرخام ، و فيه نوع من الطلاء متروك في ذلك الإناء - و الطلاء دواء مسحوق و أخلاط معمولة و لا رائحة له ، فجعل منه على النار ، فظهرت منه أراييح طيبة لا تعرف في نوع من أنواع الطيب ، و قد جعل كل تمثال -<sup>٣</sup> ] من الخشب على صورة ما فيه من الناس على اختلاف أسانهم و مقادير أعمارهم و تباين صورهم ، و بازاء كل تمثال من التماثيل تمثال من الحجر المرمر و الرخام الأخضر على هيئة الصم على حسب عاداتهم للتماثيل و الصور ، عليها أنواع من الكتابات ، لم يقف على استخراجها أحد من أهل الملل ، و زعم قوم من ذوى الدراية منهم أن لذلك القلم مد فقد

(١) تاريخ حكمة سنة ٣٢٣ - ٣٣٤ هـ / ٩٣٥ - ٩٤٦ م .

(٢) جمع برية أى إزاء من حرف .

(٣) الجملة المحجوزة ساقة من البص و وردت في هامشه بخط المصحح .

من أرض مصر أربعة آلاف سنة . وفيما ذكر دلالة أن هؤلاء ليسوا  
يهود ولا نصارى ، ولم<sup>١</sup> يؤدّم الحفر إلا إلى ما ذكرنا . و كان ذلك  
في سنة ثمان وعشرين ومائة<sup>٢</sup> . و كان لمن سلف و خلف من ولاية  
مصر إلى أحمد بن طولون<sup>٣</sup> وغيره أخبار عجيبة من الدفائن و الأموال  
و الجواهر / وما أصيب في هذه المطالب من القور و الخزائن . ٥ ١٧٨ / ألف  
و لمصر أخبار عجيبة من الدفائن و البنيان ، وما يوجد في الدفائن من  
ذخائر الملوك التي استودعوها الأرض ، وغيرهم من الأمم ممن سكن  
تلك الأرض ، و تدعى بالمطالب - والله الموفق للصواب ، وإليه المرجع  
والمآب - انتهى .

## ١٠ [ ذكر الوزراء و أخبارهم -<sup>٤</sup> ]

و ما قيل فيهم ، وغير ذلك من الواردات المستطردات - إنما قيل  
لمدر الأمور على الملك وزير ، من الورر ، وهو الحمل الثقيل ، يريد أن  
يحمل عليه من<sup>٥</sup> الأمور مثل الأوزار . قال الله تعالى<sup>٦</sup> : ” و وضعنا عليك

(١) في الأصل : لا .

(٢) يقابلها سنة ٧٤٥ - ٧٤٦ م . و أغلب الظن أن صحة هذه السنة الطبرية  
٣٢٨ بدلاً من ١٢٨ متفق بذلك في مدة حكم الأخشيدي محمد بن طنجع سالف الذكر  
و يقابلها ٩٣٩ - ٩٤٠ م .

(٣) حكم ابن طولون ٢٤٥ - ٢٧٠ هـ ٨٦٨ - ٨٨٣ م .

(٤) العنوان من بداية الكلام في النص بهذا المآب .

(٥) في الأصل : مثل . - مصححة بالهامش : نعله من .

(٦) قرآن كريم سورة ٩٤ آية ٢ و ٣ .



وزرك ۞ الذى انقص ظهرك ۞“ .

وإن السلطان ليس له غنى عن الوزراء، فلو كان يستغنى عن الوزراء، لكان أحق بذلك سى الله موسى بن عمران عليه السلام، بل سأل الله تعالى فقال<sup>١</sup>: ” واجعل لى وزيراً من اهلى ۞ هارون اخى ۞ اشدد به ازرى ۞ و اشركه فى امرى ۞“ . فكما يحتاج أشجع الناس إلى السلاح، يحتاج أجمل الملوك إلى الوزير، وكما يحتاج أعز ما كان من الحيل إلى المقرعة . وأسعد الملوك ملك له وزير صدق، إن نسى ذكره، وإن ذكره أعانه . والوزير عون عند النائبة، والوزير مع الملك مثل سمعه وبصره ولسانه وقلبه، وأول ما يظهر نبيل الملك ١٠ وقوة تميزه وجودة عقله فى استنجااب الوزراء، واستيفاد الجلساء، ومحادثة العقلاء . وهذه ثلاثة خلال تدل على أعمال السلطان، وبهذه الحلال يحمل فى الخلق ذكره، وبجمل صلاحه . وكذلك وزراؤه تجالس العلماء، فى ذلك صلاحهم .

وقال بعض الملوك لوزيره وأراد [ أن - ٢ ] يمتحنه : ما خير ما يرزق  
١٥ العبد ؟ قال : عقل يعيش به . قال : فان عدمه ؟ قال : فأدب يتحلى به .  
قال : فان عدمه ؟ قال : فاخوان يحملونه . قال : فان عدمهم ؟ قال :  
وصاعقة / تحرقه وتريح منه .

(١) قرآن كريم سورة ٢٠ آية ٢٩ - ٣٢ .

(٢) غير واردة بالمص .

## كتاب الإمام، رزقيرى، قاسم بن محمد ن دى ٦ ج - ١

و كان لبعض الملوك وزيران <sup>١</sup> : أحدهما شاب رأسه قبل لحيته ،  
و الثانى شاب لحيته قبل رأسه . فأراد أن يمتحهما ، فقال للواحد منهما :  
ما بال رأسك شاب قبل لحيتك ؟ قال : لتقدم نباته <sup>٢</sup> على اللحية بعشرين ،  
فلذلك شاب قبلها . و قال للآخر : ما بال لحيتك شابت قبل رأسك  
و هى متأخرة النبات عن <sup>٣</sup> الرأس ؟ فقال : لأنها مجاورة الصدر ، و الصدر ه  
محل الهموم و الأحزان . فاكسبت منه ذلك بالقرب و الاستئناس ،  
فلذلك شابت قبل شعر الرأس . فأعجب الملك كلامهما لإقامة حججهما .  
و ذكروا من لطائف الوراء كلاما يشتمل على حكم . فيها قولهم :  
خاطر بنفسه من رك الحر ، و أشد مه مخاطرة من خالط الملوك .  
ذكروا أن ملكا من ملوك حمير كان متصيذا و معه نديم له كان يقره ١٠  
و يكرمه ، فأشرف النديم على صخرة ملساء و وقف ، فقال للملك : لو  
أن إسما ذبح على هذا الصخرة ، إلى أين كان يبلغ دمه ؟ فقال :  
اذبحوه عليها لسطر دمه إلى أين يبلغ ؟ فذبح عليها ، فقال الملك : رب كلبه  
تقول : دعى .

و اعلم أن الوزير يكثر أعداؤه ، و يقل أصدقاؤه . لأنه لا يخلو ١٥  
فى وزارته من الجور ، كما قيل : إنه لما عزل الوزير أبو شجاع عن وزارته  
قال بعض الشعراء فى هذا حيث قال

(١) فى الأصل : وريرين .

(٢) فى الأصل : نباتها .

(٣) فى الأصل : على .

تولاها. وليس له عدو وفارقها وليس له صديق  
وقيل : وزير السلطان كراكب الأسد تخافه الناس ، وهو لمركبه  
أخوف ، لأنه إذا غضب عليه السلطان صادره وأخذ أمواله التي جمعها الوزير :  
لنفسه ، وقتله بعد عذابه له ، ليظهر الذي خباه<sup>١</sup> من المال بالعذاب ، فيهلك  
الف هـ تحت العقوبة ، ويصير لغيره أمجوبة . قال الشاعر / حيث قال :  
وموازر السلطان شبه سفينة في البحر ترعد دائما من خوفه  
إن أدخلت من مائه في جوفها أدخلها وماؤها في جوفه  
ذكر الصفدي في تاريخه : إن الورير علم الدين بن زنبور<sup>٢</sup> القبطي  
لما غضب عليه سلطان مصر ، أمر بمصادرته ، فأخذ منه أواني ذهب وفضة  
١٠ ستين<sup>٣</sup> قظارا ، وستين<sup>٤</sup> رطلا جوهرا ، وإردا لؤلؤا ومائتي ألف دينار  
وأربعة آلاف دينار ، وستة آلاف حياصة ، وستة آلاف كلوبة<sup>٥</sup>  
زركش ، وألفين<sup>٦</sup> وستمئة فرجية من ملوسه ، وثلاثمئة شاس ، وستة  
آلاف دواب حلالة ، وستة آلاف دواب عاملة ، و<sup>٧</sup> ألفي رأس<sup>٧</sup> حيلة

(١) في الأصل : أخباه .

(٢) في الأصل : ابن زيتون . - وهذا خطأ بدليل ورود « ابن زنبور » في

ابن إياس ص ١٩٧ - ١٩٨ .

(٣) في الأصل : ستون .

(٤) في الأصل : ومائتا .

(٥) في الأصل : كلوبة .

(٦) في الأصل : ألعان .

(٧-٧) في الأصل : ألعان رأسا .

وبغالا، وخمسة وعشرين معصرة للقصب والزيت الحار، وثلاثة أرادب دراهم، وسبعائة إقطاع، كل إقطاع خمسة وعشرون ألف درهم، ومائة عبد، وستين<sup>١</sup> خادما، وسبعائة جارية، وأملاكا<sup>٢</sup> قيمتها ثلاثمائة ألف دينار، وسبعائة مركب، ورخاما<sup>٣</sup> قيمته مائتا ألف درهم، ونحاسا<sup>٤</sup> قيمته أربعة آلاف دينار. وسروجاه<sup>٥</sup> وبدلات خمسمائة، وسبعة آلاف بساط،<sup>٥</sup> وسبعة آلاف نطع، ومائتي بستان<sup>٦</sup>، وألف وأربعمائة ساقية، ومتاجر أربعة آلاف دينار. ثم إنه ضرب بالمقارع ضربا كثيرا، وكان يقول في حال تلك المحنة هكذا قدر! هكذا قدر!، يكررها مرارا ومات حينئذ من كثرة العقوبة.

قال حكيم الهند: إذا كان الوزير يساوى الملك في المال والهيبة.

والطاعة، فليصرعه الملك، فإن لم يفعل، فليعلم أنه المصروع.

وليحذر الملك أن يشاور أهل الزيغ فانهم يضلونه<sup>٧</sup> مثل / هامان، الوزير لهرعون الملك. وذلك لما قال له فرعون: إن موسى ذكر لى: إن آمنت بالله فلك الجنة ولك ملكك. فقلت: حتى أشاور هامان ويرى،

(١) في الأصل: ستون.

(٢) في الأصل: املاك.

(٣) في الأصل: رخام.

(٤) في الأصل: نحاس.

(٥) في الأصل: سروج.

(٦ - ٦) في الأصل: مائتا بستانا.

(٧) في الأصل: يضلوه.



فما ترى في ذلك يا هامان؟ قال: بينا أنت إله تعد، فصرت عبدا تعبد. فأنق  
 فرعون واستكبر، فكان من أمر فرعون ما كان، وكان فرعون يفتخر  
 بالماء ويقول: أليس لي ملك مصر، وهذه الأنهار تجري من تحتي.  
 فأغرقه الله بالماء. فالذي افتخر به هلك به. وأورد قومه النار. قال الله  
 ه تعالى: "يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار وبئس الورد المورده".  
 واعلم أن دخول النار بالكفر مضاعف العذاب، وقسمة الدرجات  
 بالأعمال والأخلاق السيئة، ودخول الجنة بالإيمان وتضاعف النعم،  
 وقسمة الدرجات بالأعمال الصالحة والأخلاق الحسنة، وأن الله تعالى  
 خلق الجنة فحشاها بالنعيم ثوابا لأهلها، وخلق النار فحشاها بالعذاب عقابا  
 ١٠ لأهلها، وخلق الدنيا فحشاها بالآفات والتعب محنة وابتلاء. ثم خلق  
 الخلق والجنة والنار في غيب منهم لم يعاينوه. والنعيم والآفات التي في  
 الدنيا هي أنموذج الآخرة مداقة، وخلق في الأرض من عبيده ملوكا  
 أعطاهم سلطانا أرعب به القلوب، وملك به النفوس. فهذا أنموذج<sup>٢</sup> ومثال  
 لتديره وملكه ونفاذ أمره ومعاملته، فجعل خبر ذلك كله تنزيلا،  
 ١٥ فوصف الدارين ووصف ملكه وقدرته وتديره ومنه وصنائه، وضرب  
 الأمثال على ذلك. ثم قال<sup>٣</sup> "وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها  
 إلا العلماء". فالعلماء بالله يفهمون عن الله أمثاله. لأن المثل إنما هو صفة

(١) قرآن كريم سورة ١١ آية ٩٨.

(٢) في الأصل: أنموذج.

(٣) قرآن كريم سورة ٢٩ آية ٤٣.

شيء قد شاهدته ، يريك صفة ما غاب عنك / ويصرك بما تبصره بعينك ،  
 لينفذ بصر قلبك إلى ما لا تبصره عينك ، فيعقل قلبك ما خوطبت به من  
 خبر الملكوت وخبر الدارين ومعاملة ملك الملوك ، فليس في الدنيا نعمة  
 ولا شهوة إلا وهي أنموذج الجنة وذوقها . ثم من وراء ذلك فيها ما لا عين  
 رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . فلو سمي للعباد منها ، ه  
 لم ينتفعوا بتلك الأسماء ، لأنهم لم يعقلوها هاهنا ولا رأوها <sup>٢</sup> ، وليس لها  
 أنموذج في الدنيا . و الجنة مائة درجة ، وإما وصف منها ثلاث درجات :  
 الذهب والفضة والنور ، ثم ما وراء ذلك غير معقول ولا تحتمله العقول .  
 وكذلك ما في الدنيا من الشدة والعذاب فهو أنموذج دار العقاب ،  
 ثم من وراء ذلك ما لا يحتمله العقول من ألوان العذاب . كل ذلك يخرج ١٠  
 لهم من غضبه ، ولأهل الجنة من رحمته ، وكل من تناول <sup>٣</sup> من عبيده  
 من دنياه عما أيسح ، وشكره عليها ، أبدل له من الجنة ما رزق هذا في  
 جبهه ، ومن تناول عما لم يسح له ، فقد حرم نفسه حظها من الدرجات ،  
 ومن كذب بها حرم الجنة عما فيها أجمع .

واعلم أن الجنة مطلوبة والنار طالبة ، ولهذا تعامل هذه بالطلب ، ١٥  
 وتعامل هذه بالهرب . في الحديث : لم أر مثل النار تام هاربها ، ولا مثل

(١) في الأصل : لم يعقلوه .

(٢) في الأصل : رأوه .

(٣) في الأصل : تناول .

(٤) الكلمة غير واضحة في الأصل وهي : يدق - كذا .

الجنة نام طالبها . قال بعض العارفين : الزاهد غريب في الدنيا لأن الآخرة وطنه ، والعارف غريب في الآخرة لأن حضرة الله تعالى وطنه ، يمر الزاهد في المحشر فيعرف بظهور أنواره ، ويمر العارف في المحشر فلا يعرف لحفاء أسرارهِ - والله أعلم .

٥ واعلم أن لأهل الجنة منزهات يخرجون إليها في رياض على شاطئ نهر الكوثر ، عليه خيام الدر مضروبة ، الخيمة ستون ميلا في عرض مثله ، كل خيمة من لؤلؤة واحدة ليس لها باب ، فيها جوار عبقات لم ينظر إليهن ملك ولا أحد من أهل الجنة من الخدام والخور العين ، وهو قوله عز وجل : " فيهن خيرات حسان " وإذا قال الله لهن : حسان ، فمن ١٠ يقدر أن يصف حسنهن . ثم قال : " حور مقصورات في الخيام " فذلك خيرة الرحمن اختار / صورهن الحسان من بين الصور بدعاء من سحاب الرحمة ، فأمطرت جوارى حسان على مشيئة الكريم ، نور وجوههن من نور العرش ، فصرمت عليهن خيام الدر ، فلم يرهن أحد منذ خلقهن الله ، فهن مقصورات في الخيام . قد قصرت ، أي حبسن على أزواجهن من ١٥ جميع الخلق . فأهل الجنة يتنعمون في القصور مع الأزواج والخور ، يلشون في العمة ما شاء الله ، حتى إذا كان اليوم الذي يريد الله أن يحدد لهم نعمه ، نودى في درجات الجنان : يا أهل الجنان ! إن هذا يوم نزهة وسرور ، وتفسح وجور ، فاخرجوا إلى متزهكم ،

(١) قرآن كريم سورة ٥٥ آية ٧٠ .

(٢) قرآن كريم سورة ٥٥ آية ٧٢ .

فيخرجون على خيول الدر والياقوت من أبواب مدائنهم إلى تلك  
الرياض على شاطئ نهر الكوثر ، فيدنيهم الله إلى منازلهم ، وينزل كل  
واحد منهم عند خيمته ، فتصدع الخيمة عن باب ، ليعلم ولي الله أن التي فيها  
لم يطلع أحد عليها ، وفاء لما قدم الله من الوعد في دار الدنيا حيث  
يقول "فيهن خيرت حسان" ثم قال "حور مقصورت في الخيام" ه  
"لم يطمئنهن انس قبلهم ولا جان ه" فيستوين معها على سرير الزهة  
في تلك الحجال ، يأكلون ويشربون ويتفكهون ويشغلون بالخيرات  
الحسان ، يقضون الأوطار والبهات ، ثم يتحولون إلى مجالس العقریات  
الموشات بألوان النقوش على شاطئ الأنهار في تلك الرياض ، يركبون  
الرفارف الخضر ويتكثرون عليها ، وهو قوله تعالى "متكئين على رفرف ١٠  
حضر وعبرى حسان ه" والرفرف هو شيء إذا استوى عليه رفرف به  
وأهوى به كالمرحاح يمينا وشمالا ورعها وخفضا ، يتلذذ مع أنيسه ،  
فإذا ركوا الرفارف سمعوا صوت إسراييل بالتسبيح والتقديس ، فلم يبق  
في الجنة / شجرة إلا وردت ، ولا باب إلا ارتج وانفتح ، ولم تق حلقة ١٨١ / الف  
باب إلا طنت بأنعام طينها ، فيوحى الله تعالى إلى الملائكة أن حاوهم ١٥  
وأسمعوا عبادي الذين زهوا أسماعهم من مزامر الشيطان . فيحاوون  
بالحان وأصوات روحانيين . فتحتلط هذه الأصوات . فتصير رجة واحدة .  
ثم يقول الله : يا داود ! قم عند ساق عرشي ، فحدثني ، فيندفع داود في  
تمجيد ربه بصوت يعمر الأصوات ويحليها ، وتتضاعف لذة أهل الحيام

(١) قرآن كريم سورة ٥٥ آية ٧٦ .



على تلك الرفارف تهوى بهم ، وقد حفت بهم أفانين اللذات و الأغاني ،  
فذلك قوله تعالى<sup>١</sup> : ” فهم في روضة يحبرون ” شغلوا بالنعيم و ألوان  
القواكه ، و اقتضاض العذاري ، و ركبوا الرفارف و التلذذ بالأغاني و أنواع  
السماع و غيرها من اللذات ، رزقنا الله الجنة بمنه و كرمه آمين !

٥ قال الشيخ أبو العباس المرسى : يجمع الله تبارك و تعالى الخلائق  
يوم القيامة ، فينادى : أين العابدون ؟ فيؤتى بقوم ، فيجعلهم في درجة فوق  
تلك الدرجة الأولى . ثم ينادى : أين المشتاقون ؟ فيؤتى بقوم فيجعلهم  
[ مع - ٢ ] أولئك . ثم ينادى : من عبدنا جازيائه و أعطيناه ، و من خافنا  
آمناء ، و من اشتاق إلينا وصلنا و قربناه . و قال الشيخ عبد العزيز الدبريني  
١٠ في كتاب قلادة الدر المنثور ، في ذكر و البعث النشور في وصف الجنة :

جاءت عدن لهم ما يشتهون بها

في مقعد الصدق بين الروض و النهر

نناؤها فضة قد زانها ذهب

وطينتها المسك و الحصباء من درر

١٥ أشجارها ذهب منها الغصون دنت

لكل نوع من الرياح و الثمر

أوراقها حلل شفافه خلقت

اللؤلؤ الرطب و المرجان في الشجر

(١) قرآن كريم سورة ٣٠ آية ١٥ و الآية بتمامها ” فاما الذين آمنوا و عملوا

الصلححت فهم في روضة يحبرون ” .

(٢) ريد لاستقامة العبارة .

١٨١ / ب

/ دار الخلود و جنات النعيم لهم

دار السلام لهم مأمونة الغبر

و جنة الخلد و المأوى و كم جمعت

جنات عدن لهم من مؤنق نضر

طباقتها درجات عدها مائة ٥

كل اثنين كبعد الأرض و القمر

أعلى منازلها الفردوس عاليها

عرش الإله فل و اطمع و لا تذر

أنهارها غسل ما فيه شائبة

١٠ و خالص اللان الجارى بلا غبر

و أطيب الماء و الخمر التى سلبت

من الصداق و نطق اللغو و الهدر

و الكل تحت جبال المسك منعها

يحرونه كيف شاؤا غير محتجر

١٥ فيها نواهد أكار مزية

عرب تمايل من عجب بلا خفر

ساؤا المؤمنات الصارات على

حفظ الحدود مع الإملاق و الكدر

و الحور من زعفران قد خلقن و قد

٢٠ زان العيون سواد فى سنا الحور

كانهن بدور في غصون نقا

على كشب<sup>(١)</sup> بدت في ظلمة الشعر

فوق الأرائك في تلك الخيام من الـ

در المجوف أقصى متهى البصر

هـ هذا وكل امرئ يعطى قوى مائة

في الأكل والشرب والإفضا بلا خور

طعامهم رشح مسك كلما عرقوا

عادت بطونهم في هضم منضم

لا جوع فيها ولا برد ولا نصب

١٠ بل عيشها عن جميع النائبات عرى

فيها الوصائف والغلمان تخدمهم

كلؤلؤ في كمال الحسن منتشر

لباسهم سندس حلاهم ذهب

ولؤلؤ ونعيم غير محتجر

١٥ والذكر كالنفس الجارى بلا كلف

ويزهوا عن جميع اللغو والهدر<sup>(٢)</sup>

فيها غناء الحور الناعمات لهم

بأحسن الذكر للسولى مع السمر

وأكلها دائم لا شيء مقطوع

٢٠ كرر أحاديثها بأطيب الخبر

(١) في الأصل : كشييب . (٢) في الأصل : القدر .

- فيها من الخير ما لم يجر في خلد  
ولم يكن مدركا بالسمع والبصر  
فيها رضى المالك المولى بلا غضب  
سبحانه ولهم تقع بلا ضرر  
لهم من الله ما لا شيء يعدله  
سماع تسليمه والنور بالنظر  
بغير كيف ولا حد ولا مثل  
حقا كما جاء في القرآن والخبر  
وهي الزيادة والحسى التي وردت  
وأعظم الموعد المذكور في الزبر<sup>١</sup> ١٠

### [ذكر القضاة ولمع من أخبارهم -<sup>٢</sup>]

- و غير ذلك من الواردات المستطردات . قال نثر الإسلام الشاشي :  
القضاء فرض على الكفاية ، فان لم يكن من يصلح للقضاء غير واحد ،  
تعين عليه طلبه ، فان امتنع / ألزمه السلطان الدخول فيه ، وإن كان ١٨٢/الف  
هناك من يصلح<sup>٣</sup> للقضاء غيره ، وكان هو مشهورا متفعا عليه ، ١٥  
كره له الدخول فيه - يعنى القضاء - إذا كان له كفاية ، ويختار الإمام أفضلهم  
وأورعهم ، فان امتنعوا جميعا ، كان له أن يعين واحدا منهم ويحيره  
على القضاء ، ومن تعين عليه القضاء وله كفاية ، لم يجز له أن يأخذ عليه

(١) في الأصل : الدبر .

(٢) العنوان مأخوذ من النص الذي هو استمرار له ، وليس بالهامش .

(٣) في الأصل : لا يصلح .



رزقا ، وإن لم يتعين عليه حازه أخذ الرزق عليه . ولا يجوز أن يكون القاضى فاسقا ولا امرأة ولا أعمى . ويكون عالما بطرق الأحكام الشرعية . ويكره أن يكون القاضى حبارا عسوقا ، أو مهينا ضعيفا ، ولا يجوز للحاكم أن يقضى ولا أن يسمع بينة في غير عمله . ولا يحكم لنفسه ولا لولده . ولا لوالديه ، فإن اتفق لهما حكومة ارتقعا إلى خليفتيه ، ويجوز أن يختلف في الحكم ولده ووالده ، ولا يجوز أن يرتشى على الحكم ، قال النبی صلی الله عليه وسلم : لعن الله الراشئ والمرتشئ في الحكم . قال القاضی أبو الحصین قاضی معرة النعمان<sup>١</sup> حيث قال :

ولیت الحكم خمسا بعد خمس لعمری والصبا فی العنقوان<sup>٢</sup>  
 ١٠ فما وضع الأعادی قدر شائی ولا قالوا فلان<sup>٣</sup> قد رشائی  
 ولا یقبل القاضی هدیة من لم تجر عادته بالهدیة قلّ الولاية . ولا یقضى القاضی وهو غضبان . وإن دعت الحالة إلى اتحاد حاجب ، اتخذ حاجبا أمینا بعيدا من الطمع .

قال أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز<sup>٤</sup> : لا یسغى للقاضی أن یتقاضی  
 ١٥ حتی یكون فیہ سبع خصال : الحلم ، والورع ، والزاهة ، والصرامة ، والعقل ، والعلم بالسنن ، والفقه . وكان أمير المؤمنين عثمان<sup>٥</sup> بن عفان

(١) فی الأصل : فیه .

(٢) قضاء فی سوريا ، محافظة حلب .

(٣) بهمشه العنقوان أول الشاب .

(٤) فی الأصل : فلانا .

(٥) انظر حاشیة سابقة وراجع الفهرس .

رضي الله تعالى عنه إذا جلس للقضاء ، أجلس أربعة من الصحابة رضي الله عنهم / واستشارهم ، فيما أفتوه فيه أمضاه . ويقول للمتحاكين : هؤلاء قضوا ، لست أنا .

و<sup>٢</sup> ينبغي للقاضي أن يكون بصورة من يتها منه القيام لإقامة الحدود و رد المظالم عن المظلوم و غير ذلك من المصالح التي تلي الدين و الدنيا ، هـ  
و لن يتها منه ذلك إلا بخصال سبع : وهي الأمانة و العفة ، و الفقه ، و العدل ، و النصيحة ، و الرحمة ، و النزاهة ، و الصلاة . فأما الفقه فلكي<sup>٢</sup> يفارق [ به ] الجهال ، و أما الأمانة فلكي<sup>٢</sup> يوثق به فيما يقضي . لأن القاضي إن لم يزد حاله على حال الوديعه المستحفظه لم ينقص منها ، و أما العدالة فلكي يفارق بها من يقدم على الفسق و خلاف المروءة من المجنون ١٠ و اللعب ، و أما النصيحة فلكي يفارق بها من يقدم على الظلم و لا يبالى ما يقع الغن و الخطأ و الغلط ، و أما الرحمة فلكي يفارق بها من يقسو قلبه و لا يرحم اليتيم و لا الصغير و لا ينهض بنصر المظلوم ، و أما النزاهة فلكي يفارق من يطمع و يتشوق لما في أيدي الناس ، و أما الصلاة فلكي يفارق بها حال من يضعف عن استخراج الحقوق و عن الإقدام على ١٥ ذي السلطان و القهر و الظلم و الاعتداء .

(١) في الأصل : فيما .

(٢) زيد في الأصل : لا .

(٣) في الأصل : فليكن . و التصحيح : ساء على ما سيأتي .

(٤) في الأصل : عن .

و إذا سئل القاضي عن القضاء كان خيرا له من سعيه فيه . فانه  
إذا سئل شدد ، و إذا سأل و أرشى عليه ، كان غير موفق - انتهى .  
قال بعضهم في فقيه يتبغى في القضاء مدة طويلة فمات قبل أن يليه ،  
حيث قال :

لنا صاحب لم يزل دائما يحدو يسعى إلى أن قضى  
يعنى ' القضاء فما ناله فعند الإياس أتاه القضاء

واعلم أن القضاة في المشيئة ، إن شاء الله أن يعذبهم ، و إن شاء الله أن  
يعفر لهم ، و إذا لا يدري الشقي منهم الذي لا يعفر له بما سبق في أم  
الكتاب من السعيد الذي يعفر له بما سبق في أم الكتاب ، و يشهد لهذا  
١ / الف ١٠ / قوله صلى الله عليه و سلم : الله أعلم بما كانوا عاملين ، لأنه قيل إن  
معناه : أعلم بما يعمل بهم ، و قيل : أعلم بما كانوا يعملون <sup>٢</sup> لو أدركوا  
العمل ، لأن الله سبحانه و تعالى عالم بما كان و ما يكون ، و لو كان  
كيف يكون .

فلندكر الآن ما قاله الوليد بن رشد في تلخيصه اختلاف أهل العلم  
١٥ فيما يولد عليه الأطفال في الدنيا ، و ما يصيرون إليه من حنة أو نار في  
الدار الآخرة ، و أدل على الصحيح من ذلك على مذهب أهل الحق و السنة  
المعتصمين بالقرآن و ما يجب أن يحمل عليه ما ورد في <sup>٣</sup> ذلك من الآثار .

(١) في الأصل : يتبغى في ، و أما ما أثناه يستقيم به المعنى و الميزان .

(٢) يريد في الأصل « و » . (٣) في الأصل : من .

قال : فقلت : اختلف العلماء اختلافا كثيرا في الاطفال ، فمنهم من ذهب إلى ' أنهم يولدون على الإسلام ، ويصيرون في الجنة ، واستدل على ذلك بقول النبي صلى الله عليه وسلم في حديث أنى هريرة : كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه ، فجعل الفطرة الإسلام ، وحمل الحديث على العموم ، إذ قد روى أيضا : ما من مولود إلا وهو يولد على الفطرة . . ومنهم من ذهب إلى ' أنهم لا يولدون على كفر ولا على إيمان ، وأنهم يصيرون إلى ما سبق لهم في علم الله من شقوة أو سعادة ، فلا تحتم على واحد منهم بحجة ولا نار . واستدل على ذلك عما روى عن عائشة رضي الله عنها قالت : أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بصبي من صبيان الأنصار ليصلي عليه . فقلت له : طوبى له ! عصفور من عصافير الجنة ، لم يعمل سوءا ولم يدركه ذنب . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أو غير ذلك يا عائشة ! إن الله تعالى خلق الجنة وخلق لها أهلا ، وخلقهم في أصلاب آبائهم ، وخلق النار وخلق لها أهلا ، وخلقهم في أصلاب آبائهم . . ومنهم من ذهب إلى أن منهم من يولد على الإسلام ، ١٨٣/ ب ومنهم من يولد على الكفر وإن كان أبواه مؤمنين . واستدل على ذلك بحديث عائشة ، وما روى أن العلامة الذي قتله الخضر كان ضيع كافرا . ومنهم من ذهب إلى أن أولاد المسلمين يولدون على الإسلام .

(١) في الأصل : على .

(٢) في الأصل : ما .



و يصيرون إلى الجنة ، وأن أولاد المشركين يولدون على الكفر ،  
و يصيرون إلى النار . واستدل بحديث الصبي بن جثامة أن رسول الله  
صلى الله عليه وسلم قال في أولاد الميثركين <sup>١</sup> . هم منهم ، <sup>٢</sup> أي هم مع  
الآباء ، وبأنه قال في أولاد المسلمين <sup>٣</sup> لا يموت لأحد من المسلمين  
ثلاثة من الولد فيحتسبهم إلا كانوا له جنة من النار ، قالوا :  
فحال أن يكون لأبويهم جنة من النار وهم من أهل النار ، وبما  
أشبه ذلك من الآثار ، فيحصل في أولاد المسلمين ثلاثة أقوال : أحدها  
أنهم في الجنة . و الثاني أنهم في المشيئة ، و الثالث أنهم في النار . و قد  
قل : إنه توجب لهم يوم القيامة دار ، يقال لهم : اقتحموها ، فمن أطاع  
١٠ و اقتحمها كانت عليه بردا و سلاما ، و أدخل الجنة بطاعة الله ، و من  
عصى دخل النار بعصيانـه . فأما من يقول : إنهم يولدون على كفر  
و إيمان فلا محال ، و يعلمون أنه محال لاستحالة وجوب الإيمان و الكفر  
مع عدم العلم و العمل . قال الله عز و جل : ” و الله أخرجكم من بطون  
أمهتكم لا تعلمون شيئا “ فمن المستحيل أن يوصف المولود من بي آدم  
١٥ قل أن يعمل بكفر أو بإيمان على الحقيقة ، كما يستحيل أن يوصف  
بذلك من سواه من الحيوان ، و الذي قال النبي صلى الله عليه وسلم في

(١) وقع في الأصل : المسلمين - مصحفا .

(٢-٣) في الأصل : أوهم و : منهم - كذا .

(٣) في الأصل : المشركين - تصحيف .

(٤) ريد في الأصل : أولاد ، و التصحيح بحده من الموطأ للإمام مالك .

(٥) قرآن كريم سورة ١٦ آية ٧٨ .

الغلام الذي قتله الخضر « إن الله طبعه يوم طبعه كافراً ، فغناه خلق في قلبه الكفر حين ميزه و عقله و حكم له عليه بحكمه على ما سبق في سابق عليه . و كان قتل الخضر إياه لكفره إما بعد بلوغه على ما روى أنه كان رجلاً قاطع طريق ، وإما - وهو صغير يفعل الكفر و يعتقد - بشرع كان عليه خلاف شرع الإسلام من وجوب الحد على من لم يحتمل . هـ

و كذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم / « كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه » الحديث - الحديث إلى قوله : الله أعلم بما كانوا عاملين . . أولى وأحسن ما قيل في تأويله : إن المراد بالفطرة المذكورة فيه الحلقة المسلمة من الآفات المتهمة لقبول الدين عند بلوغ العقل المميز الذي لو ترك و مر بها ' لاختار بها . . الإسلام على غيره من الشغل و الأديان لوضوحه و ظهور الحق منه ، فأبواه [ إن ] كانوا يهوديين أو نصرانيين يهودانه أو ينصرانه . أى يحمله على اليهودية أو النصرانية . و يقولانه إياهما و يسميانه اسمهما ، فيقول بذلك كما تنج الإبل سائمة الحلقة ، فتشرب أوفها . و تشق آذانها لتعرف بذلك . فيقال : هذه بحيرة ، وهذه سائبة ، فترك لذلك . و يؤيد ١٥ هذا التأويل ما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حاكياً عن ربه : « إني خلقت عبادي حفاة كلهم ، فأنتهم الشياطين ، فأما أنتهم » عن دينهم ، لأن الخفيف في كلام العرب : المائل ، فعنى الحديث أن الله تعالى

(١) في الأصل : عجماء ، و التصحيح من الموطأ للإمام مالك .

(٢) في الأصل : فأحتاتهم .

خلق عباده مُيَّلا إلى قبول الدين بالجبهة التي فطرهم عليها ، فلو لا الشياطين الذين يخونهم عن الدين لكان جميعهم مسلمين . وهو معنى قول الله عز وجل : ” فاقم وجهك للدين خفيضا فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم “ عن ابن مسعود قال : حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق : إن خلق ابن آدم في بطن أمه أربعين يوما ، ثم يبعث الله عز وجل ملكا فيقول : يا رب ! أذكر أم أنسى ؟ شقي أم سعيد ؟ فما الأجل ؟ وما الأثر ؟ فيوحى إليه و يكتب الملك حتى أن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع أو قيد ذراع فيغلب عليه الكتاب الذي سبق ، ١٠ فيعمل بعمل أهل النار ويدخلها ، وأن الرجل ليعمل بعمل أهل النار / حتى لا يكون بينه وبينها إلا ذراع فيغلب عليه الكتاب الذي سبق ، فيعمل بعمل أهل الجنة ويدخلها ، ومن شأ على الكفر والضلال فأطاع الشيطان ، وكفر بالرحمن ، وعبد الأصنام والأوثان ، ثم ختم له عند الموت بالإسلام والإيمان ، فهو ممن سبقت له من الله السعادة . وكتب ١٥ في بطن أمه سعيدا ، وهذا هو الصحيح فيما يولد عليه الأطفال . وأما ما يصير إليه من مات منهم صغيرا قبل أن يتقل من حنة أو نار ، فهذا ما لا مجال فيه للعقل ، ولا مدح فيه للقياس ، ولا ورد في ذلك [ ما - ٢ ] يقطع العذر ويوحى العلم من ناحية السمع ، إذ لا طاعات لهم يدخلون بها أيضا في جملة من أضاع الله . أو وعده الله على دنوبه بالعقاب الذي

(١) قرآن كريم سورة ٣٠ آية ٣٠ .

(٢) ساقطة من الأصل .

تدل عليه الآثار أن أطفال المسلمين في الجنة ، فحن نعلم ذلك يقينا لشهادة  
الآثار المتواترة بذلك على اختلاف ألقاظها و اتفاق معانيها ، من ذلك  
حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « صغاركم  
دعائص الجنة » . و حديثه أيضا ، أولاد المسلمين في جبل تكفلهم سارة  
و إبراهيم عليه السلام ، فإذا كان يوم القيامة دفعوا إلى آباءهم ، و ما  
أشبه ذلك من الآثار لا يقطع بذلك في حق كل واحد منهم لعدم  
النظر في ذلك و الإجماع المعصوم لحديث عائشة رضي الله عنها المذكور .  
و أما أطفال الكفار فقد روى أنهم في النار . من ذلك حديث الصعب  
ابن جثامة المتقدم و ما روى عن عائشة أنها قالت : سألت رسول الله  
صلى الله عليه وسلم عن ذراري المشركين . قال : « هم مع آباءهم في النار »  
إلا أن ترك<sup>١</sup> الوائد الإسلام فيقر لها ، و ما أشبه ذلك من الآثار .  
و قد روى أن أولاد المشركين [ في ] الجنة . من ذلك ما روى عن  
عائشة قالت : سألت خديجة التي صلى الله عليه وسلم عن أولاد المشركين  
فقال : « هم مع آباءهم في النار » ، و سأله بعد ذلك فزلت<sup>٢</sup> ، « ولا تزر  
وارة و زر أخرى » فقال : « هم على الفطرة و هم في الجنة » . و قيل : « بهم »  
يمتحنون في الآخرة ، و كل ذلك من أخبار الآحاد<sup>٣</sup> التي لا توجب<sup>٤</sup>

(١) في الأصل : ترك .

(٢) أي الآية قرآن كريم سورة ٣٥ آية ١٨ .

(٣-٣) في الأصل : الذي يوجب .



العلم . فلا يصح الحتم عليهم بجنة ولا نار ، ولذلك كره جماعة من العلماء التكلم فيهم .

و روى عن ابن عباس أنه قال : لا يزال أمر هذه الأمة مواساة ومتقاربا حتى يتكلموا في الأطفال و "تقدر" . ووجه القول منهم على استعمال الآثار إذ هو أولى من حملها على التعارض من طرحها أن تجعل الآثار التي وردت أنهم في المشيئة . إذ لا يدري الشقي منهم [ من السعيد . كما نقول في القضاة من المسلمين : إنهم في مشيئته إن شاء الله أن يغفر لهم ، إذ لا يدري الشقي منهم ] الذي لا يغفر له بما سبق في أم الكتاب من السعيد الذي يغفر له عما سبق في أم الكتاب ، ويشهد ١٠ لهذا ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قوله : الله أعلم بما كانوا عاملين ، لأنه قيل : إن معناه : أعلم بما يعمل بهم . وقيل بما كانوا يعملون<sup>٢</sup> لو أدركوا العمل ، لأن الله سبحانه عالم بما كان وما يكون ، ولو كان كيف يكون . قال الله عز وجل : " ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكذوبون " وما يفعل الله بهم من تعذيب و تعميم فهو عدل : ٥ : مه و حكم مستقيم ، يفعل ما يشاء ، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ، ويحكم ما يريد لا راد لأمره ولا معقب لحكمه ، فقد كان له أن يعذب المؤمنين الضائعين . ويعمم الكافرين العاصين ، إذ لا تمنعه الطاعة ،

(١) إساقطة من الأصل ، ووردت في هامشه بخط المراجع .

(٢) قرآن كريم سورة بآية ٢٨ .

(٣) ربه في الأصل « و » .

ولا تضره المعصية . لكنه بفضل ورحمة تفضل على المؤمنين بالخلود في الجنة التي أعدها لأوليائه المتقين ، وحتم على الكافرين بالخلود في النار التي أعدها لأعدائه - انتهى .

فلنذكر الآن ما قيل في الشهادات وتحملها وأدائها بمجالس الحكام ، ومن تقبل شهادته ومن لا تقبل شهادته إن شاء الله تعالى - أما تحمل الشهادة وأداؤها فحرض على الكفاية . فلا تقبل شهادة صبي ولا عبد ولا كافر ولا فاسق ، ولا شهادة من يكثر غلطه ، ولا شهادة من لا مروءة له ، ولا شهادة جار إلى نفسه نفعاً / ولا دافع عنها ضرراً ، ولا شهادة الوالد لولده ، ولا شهادة العدو على عدوه ، ولا تقبل الشهادة على الزنى أقل من أربعة من الرجال العدول ظاهراً وباطناً ، ١٠ وشهود الزنى متى اختلفوا في موضع الفعل فهم<sup>١</sup> قد قذفوا ، فيحدوا حد القذف ، ويثبت المال وما يقصد به المال بشاهد وامرأتين وشاهد ويمين ، وما ليس بمال ولا المقصود منه المال ، وهو ما يطلع عليه الرجال لا يثبت إلا شهادة رجلين ، كالسكاح والنسب والطلاق والعق ، وتقبل فيما لا يطلع عليه الرجال كالرضاع والعيوب التي تحت الثياب ١٥ شهادة النساء المنفردات ، ولا يقبل أقل من أربع<sup>٢</sup> من النساء الثقات ، وتقبل شهادة الاستفاضة في النسب والمالك والموت . وتجاوز الشهادة

(١) في الأصل . فيهم .

(٢) في الأصل : أربعة .

في حقوق الآدميين ، و لا يحكم بشهادة شهود الفرع إلا عند تعذر شهادة شهود الأصل بمرض أو موت أو غيبة .

و العدالة هي ملكة في النفس تمنعها من اقتراف الكبائر و الرذائل المباحة ، و العدالة تعرف بالتزكية ، و التزكية أن يحكم بشهادته أو يثني عليه . قال أبو شجاع أحمد بن الحسين الأصمعي الشافعي : لا تقبل الشهادة إلا ممن اجتمعت فيه خمس خصال : الإسلام و البلوغ و العقل و الحرية و العدالة . و للعدالة خمس شرائط : أن يكون مجتنباً للكبائر ، غير مصر على القليل من الصغائر ، سليم السريرة ، مأمون الغضب ، محافظاً على مروءة مثله . و الحقوق ضربان : حق الله تعالى ، و حق الآدمي ، ١٠ فأما حق الآدمي فثلاثة أضرب : ضرب لا يقبل فيه [ إلا شاهدان ذكران <sup>١</sup> ، و هو ما لا يقصد به المال و يطلع عليه الرجال ، و ضرب لا يقبل فيه إلا شاهدان ذكران أو رجل و امرأتان <sup>٢</sup> ، و ضرب لا يقبل فيه إلا أربع نسوة . و هو ما لا يطلع عليه الرجال كالرصاص و الولادة . و أما حقوق الله تعالى <sup>٣</sup> لا تقبل فيها النساء هي على ثلاثة أضرب : ١٥ ضرب لا يقبل فيه - <sup>٤</sup> [ أقل من أربعة <sup>٥</sup> شهود و هو الرني ، و ضرب

(١-١) في الهامش : شاهدين ذكرين .

(٢) في الهامش : امرأة .

(٣) ساقطة من الهامش .

(٤) العبارة المحجورة ساقطة من الأصل ، و وردت في هامشه بخط المراجع .

(٥) في الأصل : أربع .

يقبل فيه اثنتان وهو ما سوى الزنى من الحدود، و ضرب يقبل واحد  
 وهو هلال شهر رمضان . ولا تقبل شهادة الأعمى إلا في خمسة<sup>١</sup> مواضع :  
 الموت و النسب و الملك المطلق و الترجمة و ما يشهد به قبل العمى .  
 ولا يقبل شهادة / جارٍ لنفسه نفعا ولا دافع عنها ضررا - انتهى . ١٨٦ / الف  
 و إذا شهدت ثلاثة على رجل بالزنى ، و امتنع الرابع عن الشهادة<sup>٥</sup>  
 أو قصر فيها ، حد<sup>٢</sup> الثلاثة كما جرى في خبر أبي بكر لما شهد<sup>٣</sup> اثنتان  
 معه على المغيرة بن شعبة بالزنى عند أمير المؤمنين عمر بن الخطاب كما تقدم  
 ذكره ، و وصفوه فجاء زياد ابن أبيه و هو الرابع فشهد و قصر عما  
 يوجب الحد على المغيرة ، فصار الثلاثة قذفة فجلدهم عمر حد القذف ثمانين  
 تمانين . و روى أنهم لما فرغوا من حلد أبي بكر قال لهم : أليس<sup>١٠</sup>  
 قد حلدتموني ، فإني أشهد أن المغيرة زان . فهم عمر أن يجلده ثانية ، و ط  
 أنه قد قذف المغيرة قذفا<sup>٤</sup> آخر ، فقال له علي بن أبي طالب : إن أردت  
 [ أن - ° ] تحلده مرة أخرى فارحم المغيرة . يعنى أن هذا القول للذي<sup>٦</sup>

(١) في الأصل : خمس .

(٢) في الأصل : حدوا .

(٣) في الأصل : شهدوا .

(٤) في الأصل : قذف .

(٥) لا توحد بالص .

(٦) في الأصل : الذي .



جلد عليه ، فان كان غيره فقد<sup>١</sup> صار شاهدا رابعا ، تتم به الشهادة الأولى فيجب أن ترجم المغيرة ، لأن المغيرة كان محصنا . فرجع عمر إلى قول علي بحضرة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يكن مخالفا ، وهذا من علي عليه السلام فقه دقيق - انتهى .

٥ نعود إلى ذكر القضاة الصالحين و الفقهاء الورعين القائمين بشرعة الدين إن شاء الله تعالى - ذكروا عن الإسكندر أنه كان يتفقد أمر ملكه و عماله بنفسه ، فبينما هو يسير متسكرا في بعض المدن ، فجلس إلى قاض من قضاة أياما لا يختلف إليه أحد في خصومة . فلما طال ذلك بالإسكندر و لم يطلع على شيء من أمر ذلك القاضى و هم بالانصراف ، ١٠ فاذا هو رجلين قد اختصما إليه ، فادعى أحدهما فقال : أيها القاضى ! إنى اشتريت من هذا دارا و عمرتها و وجدت فيها كنزا ذهبيا دنانير كبيرة المقادير ، و إنى دعوته إلى أخذه فأبى على . فقال له القاضى : ما تقول ؟ / قال : ما دفت و لا علبت و ليس هو لى و لا أقضه منه . فقالا : أيها القاضى ! مر بقضه ، فضعه حيث شئت و أحببت ، فقال ١٥ القاضى : تفران<sup>٢</sup> من الإثم و تدخلانى فيه ! و الله ما أنصفتانى ! ثم قال القاضى : فهل لكما فى أمر أنصف عما دعوتما إلى إليه ؟ قالوا : نعم . قال للدعى : ألك ابن ؟ قال : نعم . و قال للآخر : ألك ابنة ؟ قال : نعم . قال : ذهب فزوج ابنتك من ابن هذا ، و جهزاهما من هذا المال ، و ادفع

(١) فى الأصل : ملو .

(٢) فى الأصل : تفر .

فضل ما بقي إليهما يعيشان به ، فتكونان قد صليتما بخيره و شره . قال :  
فعجب الإسكندر حين سمع ذلك ، و قال للقاضي : ما ظننت أن في  
الأرض أحدا يفعل هذا ، أو قاضيا يقصى بمثل هذا ! فقال القاضي و هو  
لا يعرفه : فهل أحد ؟ يفعل غير هذا ؟ قال : نعم . قال القاضي : فهل  
يمطرون في بلادهم ؟ فعجب الإسكندر من ذلك ، ثم قال : بمثل هذا قامت  
السموات و الأرض - انتهى .

فلندكر ما قال العلماء في معناه - قالوا : من اشترى أرضا فوجد  
فيها حجرا مدفونا ، فاحتلف هل يكون للنائع أو للتستري ؟ و صحح بعضهم  
القول بأنه مالك لظاهرها و باطنها ، لقوله صلى الله عليه و سلم « من غصب  
شرا من أرض طوقه [ الله - ٢ ] من سبع أرضين » - انتهى . ١٠  
سئ أبو خزيمة رحمه الله على أن يبلى القضاء ، فامتنع حتى أحضر  
له السيف و الطع ، فأجاب إليه . و كان أبو خزيمة قل أن يبلى القضاء  
يعمل أرسان الدواب و يبيعها ، فأراد ، لى الأمر استعماله على القضاء ،  
فوليه بعد حوفه من السيف لضعف قلبه ، و لم يحتمل ذلك ، و أخرى  
عليه في كل شهر عشرة دنائير . و كان لا يأخذ ليوم الجمعة رزقا إذ ١٥  
كان لا يحكم بين الناس فيه ، و يقول لها أنا أحيى المسلمين ! فإدا  
لم أعمل لهم لم آخذ أحرة . فمر به رجل من أهل الإسكندرية و هو في مجلسه

١٨٧/الف

(١) في الأصل : احدا .

(٢) ريد من مراجع الحديث .

(٣) في الأصل : إدا .

المعد للحكم به<sup>١</sup>، فقال: لا تجربن أبا خزيمة، فوقف عليه فقال: يا أبا خزيمة! احتجت إلى رسن لفرسى، فقام أبو خزيمة إلى منزله فأخرج رسنا فباعه منه ثم جلس يحكم.

و كان عبد الباقي بن يوسف المكي بأبي تراب يحفظ شيئا كثيرا  
 ه من مسائل الخلاف نحو أربعة آلاف مسألة بأدلتها و المناظرة عليها و غير ذلك من الحكايات و الملح و الأدب، و كان صورا متنقلا على طريقة السلف، جاءه منشور السلطان بقضاء همدان، فقال: أنا متظر منشور<sup>٢</sup> من الله على يد ملك الموت بالقدوم عليه، و الله! لجلوس ساعة في هذا المسجد على راحة القلب أحب إلى من ملك العراقين، و تعليم مسألة ١٠ لطالب أحب إلى من اثقلين. كانه بذكر الحديث الذي ورد عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يؤتى بالقاضي العدل يوم القيامة فيلقى من شدة الحساب ما يتمنى أنه لم يقض بين اثنين في ثمرة<sup>٣</sup> قط».

قال القاضي أبو الطيب: كنا يوما بجامع المصور في حلقة، فجاء ١٥ شاب، فذكر حديث أبي هريرة في المصراة، فقال الشاب: هذا الحديث غير منقول. فما استتم كلامه حتى سقطت من سقف الجامع حبة، فبعض الناس هاربين، فبعت ذلك الشاب من بينهم، فقبل له: تب، فقال: تب، فدهت تلك الحبة، فلا يدري أين ذهبت.

(١) في الأصل: ٤.

(٢) في الأصل: منشورا.

(٣) في الأصل: مرة، و تصحيح من مسند الإمام أحمد ٦ / ٧٥.

و كان أو نصر المروزي إماما في القراءات السبع . و اتفق أنه غرق في البحر في بعض أسفاره . فبينما الموج يرفعه و يضعه ، إذ نظر إلى الشمس و قد زالت ، فنوى الوضوء و انغمس / في الماء ، ثم صعد ، فادا خشة فركها و صلى عليها ، و رزقه الله تعالى السلامة بملازمته و محافظته على الصلاة ، و عاش بعد ذلك زمانا . و كان بعض الفقهاء ه الطاعين في السن يصلي قاعدا أمجزه عن القيام ، فأنشأ يقول هذه الآيات :

إليك اعتداری من صلاتی قاعدا و عجزی عن سعي إلى الجمعات  
و تركی صلاة الفرض فی کل مسجد یجمع ' فيه ' الناس ' للصلوات  
فیا رب لا تمقت صلاتی و بحی من السار و اصبح سیدی هفواتی ١٠  
قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : بادروا بالأعمال سعا :  
هل ينتظر أحدكم إلا عی مطغیا ، أو فقرا منسيا ، أو مرضا مفسدا ،  
أو هرما مفندا ، أو موتا محيرا ، أو الدجال ، فتر غائب ينتظر أو الساعة  
أدهی و أمر .

[ ما قيل في صفة الدجال - ١ ]

١٥

فلذكر الآن ما قيل في صفة الدجال إن شاء الله تعالى - روى  
الصحيح في صفة الدجال أنه : و ر شارب ، و لا حية له . رأسه كالقطة  
لعظيمة . طول وجهه ذراعان . وقامته ثمانون ذراعا ، و عرض ما بين

(١-١) في الأصل : ناس فيه . و ما أثبتته يستقيم به الورد .

(٢) لعون من النص و لم يرد بهامشه .



منكيه ثلاثون ذراعاً ، ثيابه وخفاه وسيفه و سرجه و لجام حماره ،  
كل ذلك بالذهب و الجواهر ، في يده طبرزين • و هيئة الدجال كهيئة  
المجوس ، قوسه فارسية ، و كلامه بالفارسية ، تطوى له الأرض و لأصحابه  
طياً طياً . يطاً بجامعها ، و يرد مياهاها . إلا المساجد الأربع : مسجد مكة ،  
و مسجد المدينة ، و مسجد بيت المقدس ، و مسجد الطور . يخرج من  
أصبهان ، فإذا نزل <sup>١</sup> دمشق ، خرج إليه منها الأرذلون : الحاكة و الحجامون  
و أولاد الزنى و الحشاشون و أصحاب الربا . و يمكث على كل بلد  
ثلاثة أيام ، و يكون القحط و الغلاء في جميع السلاط . و ينقطع كل  
ن ذى ظلف إلا المعز ، عيسه الواحدة ممزوجة بالدم / و الأخرى ممسوخة  
١٠ كأنها لم تخلق ، يتناول الطير من الجو ، و له ثلاث صيحات يسمعهن أهل  
المشرق و المغرب ، يركب حماراً أبيض ، مسيرة ما بين أذنيه أربعون ذراعاً ،  
و طول أذنيه مائتا <sup>٢</sup> ذراع . و بين حافره إلى حافره الآخر مسيرة أربعة  
أيام . يتبعه سبعون ألفاً من اليهود . عليهم التيجان و الطيالة ، يخيل  
للناس أن يده اليمى في المشرق و اليتابة في المغرب . فتوقف له الشمس  
١٥ في السماء ، فيقول للناس : إن كان لكم إله غيرى فادعوه حتى يكشف  
هذه الشمس عنكم ! فيتبعه كثير من الناس . ثم يقول : أنا ربكم الأعلى .  
ثم يقول : من أطاعنى أدخلته حتى ، و من عصانى أدخلته نارى .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الدجال جعد قشط ، أعور العين اليمنى

(١) تكرر في الأصل .

(٢) في الأصل : مائتى .

كأنها عنبه طافية ، ومعه ماء و نار ، فقاؤه نار و ناره ماء . فاذا خرج  
 يكون الناس ثلاث فرق : فرقة تقاتله ، وفرقة تقر منه ، وفرقة تتابعه ،  
 فمن استحرز منه في رأس جبل أربعين ليلة آتاه رزقه ، فأكثر من يتبعه  
 من المضلين أصحاب العيال ، يقولون : إنا لنعرف ضلالتك ، ولكن  
 لا نستطيع أن نترك عيالنا . فمن فعل ذلك كان منه . ويقولون : نحن  
 نشهد أنه كافر ، وإنما يتبعه لئلا نأكل من طعامه ، ونأكل من شجره ، فاذا نزل  
 غضب الله نزل عليهم جميعا ، - انتهى .

### [ عود لأخبار القضاة - ١ ]

نعود إلى ذكر أخبار القضاة والعلماء إن شاء الله تعالى - اعلم أنه  
 إذا أهرق رجل في البلد أو القطر شروط القضاء المعتبرة تعين عليه قبول ١٠  
 القضاء ، ولم يحز له الهروب عنه كسائر فروض الكفاية إذا تعينت ، غير  
 أن هذا النوع من فروض الكفاية مخالف لغيره من الفروض ، وذلك أنهم  
 قالوا : / إذا عين الإمام جماعة القضاة ، وهناك من يصلح له غيره ، جاز ١٨٨ / ب  
 له الاستعفاء و الهروب . قال بعضهم : سمعت بعض الأمراء يسأل بعض  
 أفاضل قضاة القضاة عن حاله . فقال له : حالة صفقة ثلثاها في النار . أشار ١٥  
 هذا القاضي إلى ما أخرجه النسائي عن بريدة قال : قال رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم « القضاة ثلاثة : اثنان في النار و واحد في الجنة . رجل

(١) العنوان من النص ولم يرد بهامشه .

عرف الحق فقضى به فهو في الجنة ، ورجل عرف الحق ولم يقض به  
وحار فهو في النار ، ورجل لم يعرف الحق فقضى للناس على جهل  
فهو في النار ، .

اعلم أن 'هذين الرحلين' ضعيفان عن رتبة القضاء : أحدهما بفسقه  
ه وظلمه ، و الآخر بجهله . وقد عابت جهلة بني إسرائيل طالوت فقالوا : أنى  
يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ، ولم يؤت سعة من المال .  
فماوه بنصليتين : الفقر ، وأنه ليس من سبط الملك . فقال لهم نبيهم  
عليه السلام : إن الله قد اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم ،  
فين شروط الولاية والممالك ، وبها يفتقر إلى العلم الذي به يحكم ، وإلى  
١٠ القوة التي<sup>٢</sup> ينفذ بها الأحكام دون ما ظنه بنو إسرائيل ، والعلم حليل  
قدره - انتهى .

ولما بلغ علماء ما وراء النهر بمدينة سمرقند<sup>٣</sup> وغيرها بناء المدارس  
بيغداد ، أقاموا مأتم العلم وقالوا : كان يشتغل به أرباب الهمم العلية .  
والأنفس الركية ، الذين يقصدون العلم لشرفه والجمال به ، فيأتون علماء  
١٥ ينتفع بهم وبعلمهم ، وإذا صار عليه أجرة تدانى إليه الأخساء أرباب  
الجهل ، فيكون ذلك سببا لارتفاع العلم ، وكفى بالعلم شرفا أن الله تعالى

(١-١) في لأصل : هذان الرحلان .

(٢) في لأصل . الذي .

(٣) وهي قديمة مشهورة في أواسط آسيا .

وصف به نفسه ، ومنع به / أنبياءه ، وخص به أوليائه ، وجعله وسيلة  
إلى معرفته ، وسبيل إلى الحياة الأبدية ، والنجاة من الشقاوة السرمدية .  
و الفوز بالسعادة الآخروية ، وجعل العلماء تلو ملائكته بالإقرار بربوبيته<sup>١</sup> ،  
و الاختصاص بمعرفته ، وورثة الأنبياء ، فالعلم أشرف ما ورث ، وكفاك  
دليلاً على شرفه قوله تعالى<sup>٢</sup> : ” الله الذي خلق سبع سموات و من الارض ٥  
مثلهن يتزل الامر بينهن لتعلموا “ ، فجعل العناية في ذلك العلم . وقال  
تعالى<sup>٣</sup> : ” اما يخشى الله من عباده العلماء “ . وقال تعالى<sup>٤</sup> : ” و ما يعقلها  
الا العالمون “ . وقال تعالى<sup>٥</sup> : ” هل يستوى الذين يعلمون و الذين  
لا يعلمون “ . وناهيك بهذا شرفاً و نبلاً . و جاء عن حير البشر محمد  
صلى الله عليه و سلم أنه قال : طلب العلم فريضة على كل مسلم . و عن ١٠  
على رضى الله عنه : العلم خير من المال ، العلم يحرسك و أنت تحرس المال ،  
و المال تفنيه الفقة ، و العلم يزكو بالإتقان . قال الشاعر حيث قال :  
رضينا قسمة الجبار فينا لنا علم و للجهال مال  
محبة العالم دين يذان ه ، يكسه الطاعة لربه في حياته ، و حميد

(١) قرآن كريم سورة ٦٥ آية ١٢ .

(٢) قرآن كريم سورة ٣٥ آية ٢٨ .

(٣) قرآن كريم سورة ٢٩ آية ٤٣ .

(٤) قرآن كريم سورة ٣٩ آية ٩ .

(٥) في الأصل . نبلا .



الأحدية بعد وفاته ، و منعة المال تزول بزواله . العلم حاكم و المال  
محكوم عليه ، مات خزان المال و هم أحياء ، و العلماء باقون ما بقى الدهر ،  
أعيانهم مفقودة ، و أمثالهم في القلوب موجودة . إذا مات العالم أثلم لموته  
ثمة في الإسلام . و قال النبي صلى الله عليه وسلم « العلماء ورثة الأنبياء ،  
١٨٩/ب هـ فان الأنبياء لم يورثوا دينارا / و لا درهما ، و إنما ورثوا العلم ، . و قال  
صلى الله عليه وسلم « علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل ، . و هاهنا نكتة ، و هي  
أنه صلى الله عليه وسلم لم يقل : [ علماء ] أمتي كرسول بني إسرائيل ، فمن  
الاس من ظن أن النبي هو الذي نُسب في نفسه ، و الرسول هو الذي  
أرسل لغيره ، و ليس الأمر كما ظن هذا القائل ، و لو كان كذلك فلما ذا خص  
١٠ الأنبياء دون الرسل بالذكر في قوله : علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل .  
و بما يدل على بطلان هذا المذهب قول الله عز وجل : " و ما أرسلنا من  
قبلك من رسول و لا نبي الا اذا تمى النى الشيطان في امنيته فينسخ الله ما يلقي  
الشيطان ثم يحكم الله " آيته و الله عليم حكيم . " فدل على أن حكم الإرسال  
يعمها . و إنما الفرق ما قال بعض أهل العلم : إن النى لا يأتى بشريعة  
١٥ جديدة ، و إنما يحى مقرر لشرع مر كان قبله كيشع بن نون . فانه إنما  
أتى مقرر لشرعة موسى عليه السلام ، و أمرا بالعمل بما في التوراة ،  
و لم يأت بشرع جديد ، و هو ما تضمنته التوراة . فقال صلى الله عليه وسلم

(١) في الأصل : و هو . قرآن كريم سورة ٢٢ آية ٥٢ .

(٢) في الأصل : يعمها .

« علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل ، أي يأتون مقررين و مؤكدين و آمرين  
بما جئت به ، لأنهم يأتون بشرع جديد » فإن الأنبياء لم يورثوا دينارا  
ولا درهما ، وإنما ورثوا العلم . ، ألا إن الدنيا ملعونة ، ملعون ما فيها  
إلا ذكر الله وما والاه و عالم أو متعلم و وإن الملائكة لتضع أجنحتها  
لطالب العلم ، « وقال الذين أوتوا العلم بل هو آيت ينت في صدور ه  
الذين أوتوا العلم » و حينما وقع العلم في كلام الله و كلام رسوله صلى الله  
عليه وسلم فاما المراد به العلم انما هو الحمد للهوى القامع ، الذى تكتفه  
الحشبة ، و تكون معه الإجابة . قال الله تعالى :<sup>١</sup> « إنما يخشى الله ... » .

### [ فى العود و الطيب و غيره - ٢ ]

١ شعرة<sup>٢</sup> مخالفة شعرة ، و رائحته على النار تشبه رائحة الورد ، ١٠ ١٩٠ /  
و آخرها كأولها ، و هو عبق فى الثياب ، و أحسن أحاسن العود الأشباه ،  
و علامته أن آخر رائحته على النار دخابة . و لا تغرب العود عن

(١) قرآن كريم سورة ٣٥ آية ٢٨ .

و نهامشه : ههنا حرم بالأصل . و هذا السقط لا نستطيع ملأه لعدم وجود  
مخطوطات أخرى لهذا القسم من الكتاب .

(٢) «عنوان مشتق من النص . و هذا القسم خاص بالمنتجات الطبيعية .

(٣) لاحظ هنا انتقال المؤلف بحفاة إلى موضوع آخر غير سابق .

وطنه ، صار له منزلة عند الملوك و من دونهم ، فالتقاة 'تكسبه محاسن' ،  
كما قال بعضهم :

تنقل المرء في الآفاق يكسبه محاسن<sup>٢</sup> لم تكن فيها يلدته  
أما ترى يذوق الشطرنج أكسبه حسن التنقل فيها فوق رتبة  
و العود الهندي يقال له المندل . قال بعضهم من أبيات :

ومندل مالت به ريح الصبا فشم أذيالها عيقه  
عرفا فتي كررته تخاله كالمسك يزكو أرجا فتيقه  
وقال أيضا :

و شممت في الأشجار من ذيل الصبا أرجا يهوق شذاه ريح المندل  
١٠ سئل : النبي صلى الله عليه وسلم فقيل له ، يا رسول الله ! هل في الجنة  
عود ؟ فقال : نعم . فقيل : هل يحترق ؟ قال : نعم . قيل : بالنار ؟ قال :  
لا . فقيل : يا رسول الله ! [ كيف يحترق العود غير نار ؟ فقال - ٢ ] :  
يحترق سورين : نور العرش ، و نور الجنة .

وقيل : لما أخرج آدم من الجنة بكى عليه كل شئ إلا الذهب  
١٥ و المضة ، فقال الله تعالى لهما : لم لا بكيتما على عبدى ؟ قالا : ما كنا  
نبكى على من عصاك ، قال : لا تحملن بنيه في دار الدنيا خداما لكما .

(١-١) في الأصل : نكتسه محاسنا .

(٢) في الأصل : محاسنا .

(٣) الجملة المحصورة واردة بظامش .

و قال للعود : لم يكبت على آدم ؟ قال : رحمة يا مولاي ! قال : لا جعلن  
فيه في دار الدنيا لا ينتفعون بك إلا ما حرقك .

قال وهب بن منبه : كان نبي الله زكريا عليه السلام يبيع الطيب في  
السوق فقال له نبي الله يوسف عليه السلام : ليس ذلك من صفات العباد .  
فقال له زكريا : أما السوق و البيع و الشراء فانه مباح ، و التاجر فاحر ه  
إلا من أخذ الحق و أعطى الحق و اتقى الله عز و جل ، و لم يمدح سلعته .  
الترمذي عن أس قال : خدمت النبي صلى الله عليه و سلم عشر سنين ،  
فما قال لي : أف / قط ، و لا قال لشيء صعته : لم صنعته ؟ و لا لشيء تركته :  
لم تركته ؟ و كان رسول الله صلى الله عليه و سلم أحسن الناس تخلقاً ، و لا مسست  
حزا و لا حريراً كان ألين من كف رسول الله صلى الله عليه و سلم ، ١٠  
و لا شممت مسكاً و لا عطراً كان أطيب من عرق رسول الله صلى الله  
عليه و سلم . قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح ، جاء في الخبر :  
من دفع له طيب ' فلا يردّه ، لأنه طيب الريح خفيف الحمل .

و لما أتت إخوة يوسف الصديق عليه السلام بأخيهم بنيامين حين طلبه  
منهم يوسف ، فأحضروه من عند أبيهم ، فلما بلغ يوسف أنهم حضروا بأخيهم ، ١٥  
أمر قبل دحوهم به عليه أن يزين مجلسه بالريّة الحسنة ، فزين على سريرته ، و أمر  
بأواني الذهب و الفضة ، فملئت مسكاً و عسراً و أنواع الطيب ، و أمر بالآواني  
فصفت من ذلك الطيب من باب قصره إلى موضع سريرته عن يمين

(١) في الأصل : طيباً .



و يسار . ثم أمر بدخولهم عليه ، فلما دخلوا قدموا بنيامين بين أيديهم  
ليعلم الملك بوصوله معهم ، لما كانت أولاد حثهم على الإتيان به ، لأنه  
أخوه شقيقه . فلما دخل أخوهم دخلوا في إثره ، فلما نظر بنيامين إلى تلك  
الأواني مملوءة طيبا ، جعل يأخذ منها ويمسح وجهه وجسده به ، فجعل  
إخوته يلومونه ويزجرونه ويقولون له : فما أجهلك ! وضعت هذه  
الأواني لك و لأهلك حتى تأخذ منها و تطيب ، أليس هذا سوء أدب !  
لأنك لم تعود الدخول على الملك ، إنما تعودت رعى الغنم و صحتها .  
فقال لهم بنيامين : يا إخواني ! ليس الأمر كذلك ، إنما هذا ملك عزيز  
هو أعز الملك و أطيبهم نفسا ، و قد تعود مس الطيب ، فتغيره أدنى رائحة ،  
١٠ و نحن قوم تغيرت رائحتنا بسفرنا ، فعلت هذا لتزول عنا الرائحة الكريهة .

١٩١/ الف

فقالوا له : صدقت والله ! و أخذوا من الطيب / و مسحوا به أجسادهم ،  
و يوسف ينظر إليهم و قد امتلأ سرورا . فلما وقفوا بين يديه ، نظروا  
إلى بهاء ملكه ، و وقار سلطانه ، و زيادة زيه . فتعجبوا من ذلك ، فقال  
بعضهم لبعض : لعن هذا الملك غير من كنا لقينا في سفرتنا الأولى ! قال :  
١٥ ففأجابهم تترجان بالكلام : يقول الملك : من أنتم و من أي بلد جئتم ؟  
فأجابوا له : نحن من الأنبياء ، الذين أمرتنا بالإتيان بأخينا . فقال : نعم ،  
عرفتكم و أنتم عدى مكرمون ، فقال : أتيتموني بأخيكم الذي أمرتكم  
بالإتيان به . فاستبشروا و عرفوا أنه الملك ، و ذلك لأنه لم يكن يكلمهم  
إلا من تحت رقع عبي و حبه مكلل باللائىء و الجواهر ، ينظر لهم من

(١) في الأصح : و يقول . - و أو او رائدة .

داخله ، وهم لا ينظرونه . ثم إنهم قالوا له : أيها العزيز ! إننا قد أمثلنا  
 أمرك ، ولزمنا سمعك و طاعتك ، و أتينا بأخيها الذي طلبته منا ، و قد  
 أحضرناه و هو هذا . فأمر بانزالهم و إكرامهم ، فزلوا بدار الضيافة ،  
 ثم لما كان بعد أيام قلائل ، أمر بطعام فصع و جعل في أواني على موائد  
 عظيمة ، و نصب الموائد أمام سريره ، ثم أمر باحضارهم جميعا ، فحضروا ه  
 و جلسوا على الموائد في عز و شرف و كرامة عظيمة ، و الولدان و الوصائف  
 وقفوا على رأسهم بالخوان و الأشربة و أنواع الزينة الحسنة ، فلما  
 أرادوا التناول قال الترجمان : الملك يأمركم أن يجلس على كل مائدة  
 أخوان شقيقان . فاقحم كل أخوين منهم على مائدة . فكان عدتهم  
 عشرة على خمس موائد ، و بقي بنيامين وحده ، لأنه لم يكن له شقيق ١٠  
 إلا يوسف ، فتأخر عن الطعام ، و جادت أجماعه بالدموع ، و جعل يبكي  
 و ينتحب و ينادى : يا حسرتاه لفراقك يا يوسف ! و لم يدر أن الذي  
 يبكي لفراقه ، قد جرى القدر بدونه و تلاقه . فلما رأى يوسف حاله ،  
 و سمع مقالته ، أشفق إليه ! و أقبل بكلية عليه . و قال : مالك يا غلام ! ١١٩١ /  
 تأخرت عن الطعام ؟ . فقال : أيها الملك ! أمرت أن تأكل أخوين شقيقين ١٥  
 على كل مائدة ، و كان لي أخ يسمى يوسف من أبى و أمى ، فلما ذكرته  
 الآن تجددت أحزاني ، و تحركت أشجاني . ثم صاح و وقع مغشيا عليه ،  
 و وقعت الضجة في منزل يوسف : ألا ! إنه قد مات أحد العبرانيين . فزل  
 يوسف عن سريره و البرقع على وجهه ، فرفع رأسه و جعله على حجره ،  
 و أقبل يساعده في البكاء حتى أفاق . فقام يوسف فأمر الخدم و قال : ٢٠

أحمله إلى السرير حتى يجلس معي عليه . فحملوه ووضعوه إلى جانب يوسف . ثم أمر بأحضار مائدة من ذهب مرصعة بالجوهر واللؤلؤ . فوضعت بين يديهما . وحمل يأكل معه ، فعظم ذلك على الإخوة العشرة وقالوا : انظروا لابن راحيل - يعنون أمه - أخوه الأول يوسف . قال لنا : أنتم عبيدي ، بزعمه أنه رأى في منامه أحد عشر كوكبا والشمس والقمر له سجودا<sup>٢</sup> ، وهذا الأخ الثاني إذا رجع إلى كنعان يقتخر علينا ويقول : جلست على سرير الملك ، وأكلت معه على مائدته - وبقية القصة مشهورة . وإنما خلعت<sup>٣</sup> هذا لما فيه من وضع الطيب في أواني الذهب والفضة\* عند ذكر الطيب .

١٠ فليرجع الآن إلى ذكر أنواع الطيب - من الطيب أيضا الحصالان الحاوي<sup>٤</sup> ، وهو صمغ شجر بأرض جاوة من الهند . ومن الطيب أيضا العدر ، والبحار تقذفه في أماكن معلومة . وقيل : إنه يسع من عيون في البحر الملح ، ويطعمو على وجه الماء ، فتقذفه الأمواج إلى الساحل .

(١) في الأصل : قال .

(٢) في الأصل : سجد .

(٣) في الأصل : خلعت .

(٤) في الأصل : الحاوي .

(٥) يريد بعبده في الأصل : المذهبة العضة .

(٦) أي من خريزة حاوه في إندونيسيا .

ومن الطيب أيضا المسك، وأفضله التبي، ولا يكون إلا بالتبت والصين، وإما فضل التبي على الصيني لأن طباء التبت ترعى سنبل الطيب وأنواع الأفاويه، وطباء الصين ترعى الحشيش، وأيضاً فإن أهل الصين يخرجون المسك من نواجذهم ويغشونه، / وأهل التبت يتركونه محضاً لا يغشونه. ومن الطيب أيضاً القرنفل، قيل: إنه في جزيرة برطایل<sup>٢</sup>، ويشتريه التجار من قوم لا يروهم، وإمّا يصعونه أكراما على الساحل، فتأخذهم التجار وتترك هناك العرص. وقيل: إن التجار تترك هناك المضائق على الساحل ويعودون إلى مراكهم، فإذا كان من غد جاءوا فوجدوا إلى جانب كل مضاعة كوما من القرنفل، فإن رضى أحده وترك المضاعة، وإلا أحد مضاعته وترك القرنفل، وإن ١٠ أخذها معا لم تقدر مراكهم على السير حتى يردوا القرنفل، وربما طلب أحدهم الزيادة فيترك المضاعة والقرنفل، فيزاد فيه. وقيل: إن شجر القرنفل على نهر يعرف بنهر القرنفل هناك، ولم يدخل إليه أحد قط، ولا ذكر أنه رأى شجرة. وقد ذكر بعضهم أن الخمر يبيعونه من التجار. ويقال: إنه إذا كان رطباً كان حلو المصنع. ١٥

(١) أي من بلاد التبت أو وسط آسيا.

(٢) لم يتر عليها في كتب الجغرافيا والرحلات العربية، وربما كانت إحدى حور جنوب شرق آسيا. والتجار العرب في العصور الوسطى كانوا يرتادون تلك البحار بالهند واندونيسيا.



يأكلون منه فلا يمرضون ولا يهرمون، و أجود القرقل الكباش  
السالم من العقوة .

و الزعفران أجوده الحديث العهد الحسن اللون السالم من الياض  
و الاستحالة و الرمل و الدق و النداة المفرطة ، و يغش الزعفران الشعر  
ه بالحلبة المنبوتة ، فتضمير و تصير شبيه الزعفران بالذبول بعد قطع رؤسها ،  
و يعلم غشها بذلك بأن يجعل الزعفران الشعر في الخل ، فان كان مزغولا  
بالحلبة شربت الحلبة من ذلك الخل و انتفخت ، فيعلم أنه مغشوش بها ،  
و إن كان سالما من الغش بها لم ينتفخ من شعر الزعفران شيء<sup>١</sup> .  
و قال بعض الأطباء : من أكل من الزعفران وزن درهمين و نصف  
١٠ درهم فانه يموت بسرعة .

و الراوند أجوده الطرى ، و إذا نشر كان لونه حسن الصفرة ،  
ب / ١ / و أرداه النخر و السوس و اللون الأسود ، و أفضله القريب العهد  
بالموضع الذى يحلب منه . و قيل : إن منته بقعر البحر ، و يطول  
كالسرو ، و ليس له ورق و هو تحت الماء ، و لم يزل يطول حتى يلحن  
١٥ بعصه كدور الدرهم ، ينطق ماذن الله تعالى من أصله و يطفو على وجه  
الماء ، تقذفه الأمواج إلى الساحل ، فيؤخذ حينئذ .

و البقم<sup>٢</sup> أجوده الغليظ الطرى الحسن اللون ، و هو إما أحمر قان<sup>٣</sup>

(١) في الأصل : شيئا .

(٢) بتشديد الباء شجر و رته كورق اللوز و ساقه أحمر ، يستعمل في عمل  
الصبغة الحمراء .

(٣) في الأصل : قان .

بهرمانى<sup>١</sup> ، أو صفرة فاقعة ذهبية . و يستدل على طراوته بزهرة<sup>٢</sup> اللون  
و حلاوة الطعم ، و أفضله إذا كان أقل عقد و تشقيق .

و الفلفل أجوده النظيف من الدق و التراب و الحصى ، السالم من  
الاحتراق و العفونة . و أما الفلفل الأبيض فهو جنس يخالف هذا  
الجنس فى شكله و لونه ، و هو يدخل فى الأدوية و لا يدخل فى الأغذية ه  
و أفضله ما نل حبه و قل قشوره .

و الزنجبيل أطرى الرزين السالم من السوس و العفونة ،  
و هو يحول و يسوس بسرعة ، و حفظه بأن تحمل معه الفلفل و مرنى  
الزنجبيل و مرنى الورد ، من أخذ منه كل يوم على الفطر نصف أوقية  
مدة ثلاثة أيام ، قويت معدته و صحته ، و الضعيف المعدة يتجنب الأمراق ١٠  
فإنها ترخيها و تفسدها ، و يصلحها اللحم الناشف الأحمر و العسل لتحل  
و التين و الزبيب و الموز ، فإن ذلك يسخى المعدة ، و قليل شرب الماء  
يصح المعدة ، و كذلك طعام المرنى المعرنى يصلحها .

اللبان الذكر هو صمغ شجر مدينة عمان . و أجوده المعلق ، و هو  
ما لقط من تجره قل أن يسقط على الأرض . ١٥

المصطكا صفاته المحموده كصفات اللبان الذكر سواء .

/ دارصين<sup>٣</sup> الطعام و هو الثقرة ، و أجوده ما كان قطعاً كبيراً ١٩٣ / الف

(١) أى لونه كلون الحناء و هو الحمرة التى تميل إلى الصفرة الصافية .

(٢) فى الأصل : زهرة .

(٣) شجر كالرمان من أصل هندي .

وطعمه حار<sup>١</sup> ورائحته ذكية، وهو من شر البضائع لأنه يحول سرعة،  
 فيمر طعمه ورائحته. وكذلك التمر هندي، وأما الدارصيني الملفوف،  
 فإنه يدخل في الأدوية أكثر من الأغذية، والدارصيني الطيب وهو  
 يسمى قرقة القرنفل فهو يبين برائحته ورقته.

٥ والزرنب<sup>٢</sup> أجوده الحديث النقي السالم من العقوة والرقه  
 والسوس والدق.

واللاذن<sup>٣</sup> أجوده الشمعي النقي الصافي، وهو يبقى المدة الطويلة،  
 فلا يفسد.

والكابلي<sup>٤</sup> أفضل ما كبر منه وكان خلنجي<sup>٥</sup> اللون حديثا،  
 ١٠ وعلامته أنك تجده إذا كسرتة مصغيا<sup>٦</sup>، وأما الأسود فالنظيف منه،  
 وأما الأصفر فالصافي اللون الحديث، والأملج والشيرملج والبليج

(١) في الأصل: حارا.

(٢) نبات طيب الرائحة.

(٣) شجر اللادن ينتج الصمغ الذي يستعمل للضمغ ويتحد منه أحيانا العطر  
 والدواء.

(٤) وهو الأهليلج الكابلي نسبة إلى كابل يقال له في المصطلحات النباتية  
 (Myrobolan chebale).

(٥) من الخلاج وهو نوع من الشجر ذي الرائحة الذكية العبة و لونه ما بين  
 الحمرة والصفرة.

(٦) في الأصل: مصغ.

فانها<sup>١</sup> بما تقل المتاجر فيهم . و أصول الطيب خمسة وعشرون صنفا  
وهي : السنبل ، و القرفل ، و الصندل ، و الجوزبوا<sup>٢</sup> ، و السليخة ،  
و الزرنب ، و القرقة ، و الزريرة ، و القاقلي . و الكبابة ، و الهال نوا ،  
و الفاغرة ، و الكافور ، و المحلب ، و الورس ، و القسط ، و الأظفار ،  
و البنك ، و الصرو<sup>٣</sup> ، و اللان ، و الميعة ، و القنل ، و قصب الزريرة ،  
و الدانة<sup>٤</sup> .

ولما أهبط الله تعالى آدم من الجنة إلى الأرض ، فكان هبوطه بالهند  
على جزيرة سرنديب<sup>٥</sup> ، و عليه الورق الذي حصه ، فيس قدرته الرياح  
في بلاد الهند . فيقال - والله أعلم : إن علة كون الطيب بأرض الهند

(١) في الأصل : فانهم .

(٢) من مفردات ابن البيطار ، و في الأصل : حورتوا .

(٣) أي السرو .

(٤) لم تحاول الإفاضة في البحث عن هذه الجملة من لياقات العطرة و الطيبة  
التي كان التجار العرب يحتلونها من الهند و حوب شرق القارة الآسيوية  
و حررها في انصوير الوسطى ، و أعلمها يدخل في مند العطارة . فهذا الدب  
طويل محتاج إلى بحوث خاصة . لذلك اقتصرنا هنا على إحياء المص كما هو  
واقصدنا في الحواشي التفسيرية التي لا طائل للؤرخ أو المستشرق في الاضطلاع  
بدقائقها .

(٥) وهي سيلان - انظر حشية - بقعة و راحع النهارس .



١٩/ب من ذلك الورق، ولذلك خصت أرض الهند بالعود والقرنفل والآفويه والمسك وسائر / الطيب . وكذلك الجبل لمعت عليه اليواقيت ، و كان منه ألماس ، وفي جزأره السباذج . وفي قعره مغايص اللؤلؤ .

وقيل : إن آدم لما أهبط إلى الأرض ، لم يكن عليه إلا ورقة ه من أوراق الجنة ملففة على جسده ، فذرتها الرياح حين يبت في بلاد الهند ، فصارت معدة للطيب . وأخذ آدم في البكاء حتى بكى مائة عام ، لا يرفع رأسه حياء من الله تعالى لا كله من الشجرة التي بهاء عن الأكل منها ، فأثبت الله عرو وحل من دموعه العود الرطب والزنجبيل والصندل والكافور وأنواع الطيب ، و امتلأت الأودية بالأشجار . ١٠ و بكت حواء حتى أبنت الله من دموعها القرنفل والآفويه .

وقيل : إن آدم لما أهبط من الجنة خرج معه منها صرة من الحنطة و ثلاثون<sup>١</sup> قضيا من تيجر الحنة مودعة أصناف الثمار ، منها عشرة مما له قشر . وهي<sup>٢</sup> : الجوز واللوز والبندق والفستق والخشخاش والشاهبلوط والرايح والمور والملوط والرمان . و منها عشرة دات ١٥ نوى ، وهي : الخوخ والمشمش والإجاص والرطب والعيراء والسق والرعرور والغناب والمقل والرقوق . و منها ما لا قشر لها ولا حجاب دون مضعمها ولا نوى داخلها ، وهي : التفاح والسفرجل والعنب

(١) في الأصل : ثلاثين .

(٢) في الأصل : هو .

و الكثرى و التين و التوت و الأترج و القثاء و الحيار و البطيخ .

### [ عن آدم و إبليس - ١ ]

وقيل : لما خلق الله آدم عليه السلام ، أبان فضله للملائكة ،  
و أراهم ما خصه به من سابق العلم من حيث عرفهم عنه استنباءه إياه  
أسماء الأشياء ، فجعل آدم محرانا و كعبة و بابا و قلة أسجد إليه الأبرار ٥  
و الروحانيين / و الأنوار .

١٩٤ / الف

قال اس عباس : لما أمر الله تعالى الملائكة بالسجود لآدم ، سجدوا  
كلهم إلا إبليس ، أتى أن يسجد استكبارا و حسدا . فقال الله عز و حل  
له : ٢ ما منعك أن تسجد لما خلقت يدي ، استكبرت أم كنت من  
العالين ؟ قال : أنا خير منه خلقتني من نار ، و خلقتهم من طين ٢ . و النار ٢ تأكل  
الطين ، و أنا الذى عبدتك دهرا طويلا قبل أن تخلقه ، و أنا الذى  
كسوتنى الریش و النور و الهاء ، و أنا الذى عسدتك أكناف  
السموات مع الكروبين و الروحانيين و الحافين و الصافين و لمقربين .  
فقال الله عز و حل : لقد علمت فى سابق على من ملائكتى الصاعة  
و منك المعصية ، فلم تفعلك طول العبادة ، و قد أياستك من الخير كله ١٥

(١) العنوان مشتق من موضوع الباب ، و ليس بالهامش .

(٢-٢) الأصل فى سورة الأعراف (٧ - مكية) ، و قد تصرف المؤلف فى نقل

النص مع الاحتفاظ بالعنى و ذلك نكى يسرد منها قصة من إنشائه .

(م) هذا من عدييات المؤلف و ليس اقتباسا من المصحف .

إلى آخر الأبد ، و لا جعلتك مغموما مدحورا شيطاننا رجيا . قال :  
فبعد ذلك تغيرت خلقته إلى خلقه الشياطين . فلما نظرت الملائكة إلى  
سوء منظره ، و شمت رائحته ، و كرهته فوثبت عليه بحرابها و هم يلعنونه  
و يقولون : رجيم رجيم ! ملعون ملعون ! و هم يطعنونه و هو هارب من  
ه بين أيديهم حتى ألقوه في<sup>١</sup> البحر المسجور<sup>٢</sup> ، فبادرت إليه ملائكة البحر  
المسجور بحرابها ، و هي حراب من نار ، فلم يزالوا يطعنونه بها حتى بلغوا  
به القرار ، و غاب عن أعين الملائكة . و بقيت الملائكة في اضطراب ،  
و السماوات في رعدة ، من جرأة إبليس في مخالفته لأمر الله تعالى ،  
و من غضب الله تعالى عليه .

١٠ فلما كثرت درية آدم ، صار مسلطا عليهم ، يغويهم و يحسن

لهم كل فعل قبيح من الزنى و غيره ، فلذلك قال بعضهم في ذلك :

ب / عجت لإبليس في محوسه و قبح ما أظهر من زلته

تاه على آدم في سجدته و صار قوادا لذريته

حكى القرطبي في كتابه «المعجم في» صحيح مسلم ، أن بعض السلف اتقى

الخلوة بالهيمه . و قال : شيطان معي و أنثى حاضرة . فاذا كان هذا

(١) في الأصل : إلى .

(٢) أي المشتعل بالنيران .

(٣) من كشف : يظنون ، و في الأصل : على .

قد اتقى الخلوة بالبهيمة ، فكيف بالمرأة الجميلة و الشاب الجميل ، فالشيطان عمله فيها أقوى من عمل البهيمية .

قال الغزالي : إن سماع الصبي الذي تخشى فتنه في المغنى حرام . قال الشيخ محي الدين النواوى : يجب على كل مؤمن أن يفيض بصره ، و يصون نظره عما لا يحل النظر إليه ، من امرأة أو صبي جميل ، لأن ه النظر إلى الأمرد الحسن الوجه حرام ، سواء كان بشهوة أو غير شهوة ، سواء أمنت الفتنة أو لم تؤمن . هذا هو المذهب الصحيح المختار عند العلماء . و قد نص على تحريم النظر إليه الإمام الشافعى رضى الله تعالى عنه ، و دليله قوله تعالى ' قل للؤمنين يغضوا من ابصارهم ' . قال ابن الجوزى فى بعض مواضعه : يا مطلق أبصارهم فى النظر إلى ما لا يحل لهم ! حاء ١٠ توقيع الغزل ، ' قل للؤمنين يغضوا من ابصارهم ' - انتهى .

معود - اعلم أن الأمرد فى معنى المرأة ، بل وربما كان كثير منهم أحسن من النساء و يتمكن من أسباب ازينة مالا [ تتمكن منه -<sup>٢</sup> ] المرأة ، و يتساهل فى حقه مالا يتساهل فى حقها . و قيل : إن الإمام أحمد بن حنبل كان مجاوراً لرجل<sup>٣</sup> له ولد جميل ، فكان يأتى إلى الإمام أحمد لزيارته ، و للترك به ، و دخل عليه يوماً و ولده معه . فقال له الإمام أحمد : إن أردت زيارتنا ، فلا تأتأ بهذا معك . فقال له

(١) قرآن كريم سورة ٤٣ آية . . .

(٢) بياض بالأصل ، و ما أنبتناه مشتق من 'تسيق' ، و هو مشه : يابس - كذا .

(٣) فى الأصل : برجل .



الرجل : و مثلك يا سيدى يخاف على نفسه من هذا ! فقال له : على هذا أدركنا أئمتنا و مشايخنا هذه العلماء العارفين و الأولياء الخائفين ، / لا كما يفعل بعض أهل السماع من تعاطى مراتب الأولياء من مخالطتهم الشباب الحسان الوجوه و اتخذهم لخدمتهم و استماعهم لغنائهم معتقدين بزعمهم ٥ السلامة من الشيطان ، و أنه ليس له عليهم سلطان ، و ذلك من علامات الخذلان ، و فعل الجهال المجان - انتهى .

نعود إلى ذكر هبوط آدم إلى الأرض إن شاء الله تعالى - كان هبوط آدم عليه السلام بوادى سرنديب<sup>١</sup> من أرض الهند بالجبل المعروف ياس<sup>٢</sup> . فلما هبط وضع رجله الكريمة على ذلك الجبل ، فمادت الأرض به ، ١٠ فأتاه جبريل عليه السلام بالعصا التى كانت لموسى عليه السلام ، و هى من عروق آس الجنة ، و هو الريحان ، فاتسكا عليها ، و تناثر الورق من عليها ، فمن ذلك أصل الرياحين كلها ، وبقى أثر قدم آدم فى الصخر سبعين<sup>٣</sup> ذراعا ، و خطا الخطوة الثانية فى البحر على مسيرة ثلاثة أيام من هذا الجبل . و أوحى الله تعالى إلى جبريل حين نزل آدم ، فوضع يده ١٥ على رأس آدم فطأطأه إلى ستين ذراعا فى الطول ، إذ كان يمشى فيمس السحاب رأسه ، و انتقص من عظم جوارحه بقدر ما انتقص من طوله . ولما هبط آدم إلى الأرض ، أهبط معه حواء و إبليس ، فوضعت

(١) انظر حاشية سابقة و راجع الفهارس .

(٢) وردت قصة هبوط آدم على ذلك الجبل سرنديب فى معجم البلدان

لباقوت ( ج ٣ ص ٨٣ - ٨٤ ) وسماء « الرهون » .

(٣) فى الأصل : سبعون .

حواء لآدم هابل وقابل ، و كان هابل صاحب ماشية ، و كان قابل صاحب حرث ، و كان قربانها أن يتقربا بقربان ثم يلقياه على وجه الأرض حتى تأتي نار فتأكله أو يلبسه الدهر . و كان هابل يتقرب بالحنطة ، فتأتي نار من السماء فتأكل قربان هابل ، ولا تقرب قربان قابل . فغاضه ذلك ، فخرج حتى لقي إبليس . فقال : يا إبليس ! أتقرب أنا وأخي قربانين ، فتأتي نار فتأكل قربانه ، ولا تقرب قرباني . فقال له إبليس : / اقله تكون ملكا في الأرض . قال : وما القتل ؟ قال : إذا رأيته راقدا فأذني به . فلما رقد هابل أتى قابل إلى إبليس فأعلمه نومه ، فانطلق معه إبليس حتى وقف على رأسه . فقال : خذ حجرا فاضرب به رأسه . ففعل ، فلما قتله حمله ثلاثة أيام يطوف به الأرض ، يظن به إذا طعن ، و يزل به إذا زل ، حتى بعث الله بالغرايين ، فاقبلا و قابل ينظر إليهما ، فقتل أحدهما صاحبه ، فحفر له حتى أعحق ودفنه . فقال الله تعالى في كتابه العزيز : " و اتل عليهم نسا ابى آدم بالحق اذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر " - الآية . وقيل . كانت صفة الغرب الذي قتل الغراب ، رأسه أبيض ، ١٥ و ظهره أحضر ، و طنه أسود ، و هو أحمر الرجلين و المنقار ، أحضر الجناحين ، بين عينيه درة معلقة بسلسلة من ذهب . فلما بياض رأسه فانه شاب لما رأى قابل قتل أخاه هابل ، و أما حمرة منقاره و رجله فانه غمسهما في دم هابل الشهيد ، و أما خضرة أجنحته و ظهره فمن لمس

(١) قرآن كريم سورة هـ آية ٢٧ .

(٢) في الأصل : لأخيه .

كف الحور العين، وإيه ظائر من طيور الجنة . فلما رأى قابيل ما فعل الغراب من قتله للغراب الآخر ودفعه له قال : أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوءة أخى ! فحفر له ودفعه .

وقيل : لما قتل قابيل أخاه هابيل ، طرده آدم عليه السلام من دون إخوته ، وأمرهم أن لا يجالسوه ، وأباح قتله ، فأنته عناق أخيه وقربه . وبلغ ذلك آدم ، فغضب عليها ، ونهى أولاده عن كلامها وأعدها ، فقال قابيل : يا أخى ! إن أولاد أيننا قد حقرونا وأعرضوا عنا ، فهل لك أن تزوجنى نفسك ؟ فأجابته إلى ذلك ، فأخذها ومضى بها إلى بلاد اليمن . فأقامت عناق معه لا تحبل ولا تلد ، وكان الله تعالى قد خلق ١٠ لها عشرين<sup>٢</sup> إصبعا ، فى كل إصبع ظفران<sup>٣</sup> كالمخلايين القويين تحفر بهما الأرض ، وتقطع بهما الأشجار . وكان جلوسها مساحة حريب<sup>٤</sup> من الأرض ، وكان أكلها الوحوش . فأقامت مع قابيل ، ثم إنها حملت بعوج وسمته هبال ، ففرحت به / فرحا شديدا . فلما أتى عليه عشرون سنة ، هلك أبوه قابيل ، فوضع أمه حتى بلغ ثمانين سنة ، فخرج حارا ١٥ قويا لا يطاق . فبينا هو ذات يوم مع أمه عناق وهو صى لم يحتلم ، وهكذا كان<sup>٥</sup> أهل ذلك العصر لا يحتلم الرجل منهم إلا بعد مائتى سنة ،

(١) فى الأصل : لآحيه .

(٢) فى الأصل : عشرون .

(٣) فى الأصل : طعيرين .

(٤) فى الأصل : الحريب - كدا . والجريب من الطعام والأرض مقدار معلوم .

(٥) فى الأصل : كانوا .

إذ غلبها النوم فقالت : يا هيبال ! إن النوم قد غلبني ، فاجمع لي الوحوش  
حتى أستيقظ من نومي فأكلها . ثم نامت عناق ، فاشتغل عوج باللعب  
ولم يصطد لها شيئاً ، فانتبهت فوجدته يلعب فقضبت عليه ، وجعلت  
تضربه . فبينما هي تضربه إذ أقبل إبليس ، فأخذ حجراً عظيماً ودحرجه  
من رأس الجبل ليقتل به عناق ، فلما نظر عوج إلى الحجر يهوى إلى  
أمه ، جذب يده من يدها ، فتاعد كل واحد من صاحبه ، فسقط الحجر  
ناحية منها ، فلما نظرت عناق إلى عوج وقد وقاها من الحجر بعد أن  
كان يقصدها ، ضمت ولدها إلى صدرها ، وقبلت بين عينيه ، ودعت له  
بالقوة و طول العمر ، فاستجاب الله تعالى منها دعوتها ، وأقامت معه  
حتى تم له مائتان سنة ، فكان حينئذ بلوغه ، وهلكت عناق ، وبقى عوج ١٠  
وحده ، وأعطاه الله من القوة والبطش ما لم يعط أحداً من ولد آدم .  
فظهر في الناس بطشه ، وكان يغيب الشخص بين أديه ٢ ، والركب  
بين منكبيه ، يحطو الخطوة يقطع بها المهامه و القمار التي لا يقطعها  
الركب إلا بالزاد الكثير . وكان طوله ثلاثمائة ذراع والذراع الأول .  
وهامته كأعظم صخرة على وجه الأرض ، وبين عينيه ما بين مدينة ١٥  
الحيرة ٣ ومدينة الكوفة ٤ ، وصوته كالرعد ٥ نقاصف . وكان إذا مشى

(١) في الأصل : لم يصطاد . (٢) في الأصل : مائتي .

(٣) في الأصل : أدنه .

(٤) قريبة من الحيرة على حافة الصحراء من حريرة العرب .

(٥) بأواسط العراق على شط هندية من مروع نهر الفرات على بعد تسعين ميلاً  
جنوبي بغداد .



فرت الوحوش من بين يديه فيمد يديه فيخطو خطوة فيأخذها ، وربما  
بكي فتجري الأودية من دموعه . وكان يصبح الصبيحة فتهلك لساعها  
الأنعام ، وإذا نزل بلدا تكون فيه الأشجار موفورات<sup>١</sup> بالثمرة فيأكلها ،  
وإن كان على ساحل البحر / أقى سمكه ، وكان يأكل في اليوم ما يأكله  
ب / غيره في سنة . وكانت ملوك الأرض تعظمه و تكرمه و تتق سطوته .  
وكان إذا نزل على ملك من الملوك ، يقيم عنده يومين و ينتقل إلى غيره . وكان  
الملك الذي ينزل عليه لو أتحمه بكل ما يقدر<sup>٢</sup> عليه لم يبلغ رضاه ، وكان  
قد ألف الوحدة و الاقتراد في خوض البحار بالليل و النهار ، و كان  
يقبض السمكة العظيمة الخلق بيده و يرفعها إلى عين الشمس تنشوي  
١٠ بقوة حرارتها و يأكلها . و عاش حتى أدرك زمان موسى عليه السلام  
و أهلك الله فرعون و من معه بالغرق ، فرجع بنو إسرائيل إلى مصر ،  
فأوحى الله تعالى إلى موسى أن بلاد الشام<sup>٣</sup> ملكا ظالما<sup>٤</sup> يقال له خيشوم ،  
فأرسل إليه و خوفه عدائي . و كان خيشوم المذكور جارا عنيدا عظيم  
الخلق مهول الحثة ، و كان قد رزقه الله ابنة على هول خلقته ، وكانت  
١٥ بديعة الجمال ، فدعى موسى يوشع بن نون و قال له : تمضى إلى هذا الملك  
الطاغى و تدعوه إلى الإيمان بالله و أنى رسوله ، فإن أجاب و إلا سرت  
إليه بنفسى . فلما وصل يوشع إلى باب الملك ، قام إليه الحجاب فضر به ،  
فقال لهم حاجب الحجاب : كهوا عنه . و قال له : فيم حثت ؟ فقال له :  
أنا رسول رسول الله موسى بن عمران . قال : و ما أمرك به ؟ قال :

(١) في الأصل : موفورات .

(٢ - ٣) في الأصل : ملك ظالم .

تقولون<sup>١</sup> معي: لا إله إلا الله وأن موسى رسول الله. ففجأ حجاب الحجاب من كلامه وطرده من الباب، فصاح يوشع صيحة عظيمة، فألقنتها الريح في أذن الملك خيشوم فأرعبته فقال: ويلكم! ما هذه الصيحة؟ فتبادروا إلى يوشع، فتبادر من هو واقف بين يديه إلى باب الملك، ثم عادوا فقالوا: على الباب رجل ثي زى المجانين، يذكر أنه رسول موسى بن عمران، وكان عوج بن عنق إذ ذاك حاضرا عنده، فقال الملك: يا عوج! ما تصنع به؟ قال عوج: إن كان موسى فلا تدخله إليك: قال موسى عمل على فرعون حتى غرقه هو عساكره بحر القلزم كما علمت، وإن كان غيره فأدخله إليك. فقبل: هو يوشع رسول موسى. فقال خيشوم: على به! فأثنى به إليه، فلما نظر يوشع إلى خيشوم<sup>١٠</sup> وعظم خلقته قال: سبحان الملك الأعلى، قاص، أخباره، ومدل الكاسرة، وميد القياصرة!، فقال خيشوم: من تكور؟ قال: أنا يوشع رسول رسول الله موسى بن عمران، فتقلت عيابه في أم رأسه وقال: لو لا أنك أعد فقير مسكين<sup>٢</sup>، وبلا أمرت بقتلك، ولكن ارجع إلى صاحبك فاني سأر إليه أحرب دياره، وأعني آثاره. فرجع يوشع إلى موسى<sup>١٥</sup> فأخبره بجميع ما اتفقاه، فخرج موسى بنى إسرائيل يريد الملك خيشوم، وكان يوشع لما خرج من عند خيشوم، أقبل خيشوم على ريره، وقال له: ما تقول فيما أتى به رسول موسى؟ قال الوزير: يا موسى غير عوج، تروجه انتك فانها قريبته. وكانت امه الملك عني أعظم خفق الله تعالى،

(١) في الأصل: تقولوا.

(٢-٢) عبيد فقير مسكينا.

وكانت أحسن أهل زمانها ، وكان لها مائة ذؤابة من الشعر ، مكللة بالؤلؤ  
والمرجان وأنواع الجواهر . وكان عوج إذ ذاك في ضيافته ، فأمر الملك  
بأبنته فحضرت في أتم زينة . فلما نظرها عوج ملكت عقله ، و سلبت لبه ،  
فقال له الملك : يا عوج ! أريد أن أزوجه بآبنتي هذه ، وأجعلك  
هـ قسيم مملكتي . فقال عوج : وما تطلب بذلك أيها الملك ؟ فقال :  
تكفيني أمر موسى وحده ، وأنا أقتل جده . فقال عوج : أنا أكفيك  
أمر موسى وجنده أيضا . فقال الملك : إن أنت فعلت ذلك ، فأنتي  
ونصف ملكي لك . قال : فمضى عوج و ذرع عسكر موسى ، وإذا  
به أربعة أميال . فمضى إلى الجبل و قطع صخرة على قدر العسكر ، و حملها  
١٠ على رأسه ، و سار بها أمام الملك خيشوم و عسكره . فلما التقوا بموسى  
و قومه ، 'رآه بنو إسرائيل فولوا منهزمين . فأوحى الله تعالى إلى موسى :  
قل لهم : اثبتوا ، فإن مهلك عوج بطائر أرسله إليه . فثبت بنو إسرائيل ،  
فبعث الله طائرا على مثال الهدد ، / له منقار ، طوله ذراع ، فجعل ينقر  
تلك الصخرة و عوج لا يحس به ، حتى صار الحجر طوقا في عنقه ،  
١٥ فجعل عوج يدور يمينا و شمالا ، و لا يقدر على إخراج رأسه من قوة  
الحجر الذي صار على كتفيه . فجعل انطائر ينقر دماغه حتى وصل إلى  
المنخ . فأوحى الله تعالى إلى موسى : تقدم إليه فاضربه بالعصا . فتقدم  
إليه موسى : فكان طوله عشرة أذرع ، و عصاه عشرة أذرع ، و قهر في  
الهواء عشرة أذرع ، و ضربه فوصلت 'ضربة دون قلة كبه مع قهرته ،

(١-١) راوه نى .

فأتى ووقع بالصخرة على عسكر الملك خيشوم ، فهلك منهم ما شاء الله تعالى ، وزحف الباقر بن موسى عسكر موسى ، فأوحى الله تعالى إلى موسى أن اضرب بعصاك الحجر . فضربه فتفجر وخرج منه ألف ألف كوز ، في كل كوز ألف ألف قرصة ، في كل قرصة ألف ألف زبور ، كل زبور مثل الضفدع الكبير ، أرسلها الله تعالى على خيشوم وجنوده ، فجعلت تلسع وجوههم ، فولوا منهزمين ، فتبعتهم تلك الزباير تلسعهم ، فأهلكتهم وأهلكت خيولهم ، والتجأ بعضهم إلى الكهوف والمغاور ، فدخلت الزباير خلفهم منها ، فلما اجتمعوا خارجها ماخرج الزباير لهم منها ، أرسل الله تعالى عليهم غمامة سوداء . فأمطرت عليهم الرد فأهلكهم . فنظر موسى وأصحابه إلى سوء مصارعهم ، فغنموا أموالهم وعادوا إلى ١٠ مصر سالمين غامرين - انتهى .

ولما هلك عوج أقام في الأرض سين حتى أتت الأرض من فريسته ، وكان الثلث منه في البر مسيرة ستة أشهر ، وثلث في البحر . فدعا موسى ربه لما أضرت رائحته أهل الأرض . فسقط الله عليه الشمس والرياح حتى أفتته - انتهى . ١٥

نعود إلى ما قيل أيضاً في سب قاتل قابيل لأخيه هابيل - وذلك أن آدم عليه السلام كان يحب ولديه هابيل وقابيل من بين أولاده ، وذكر لها ما أكرم الله عز وجل عليه من بدء أوله وآخره . وما كان

(١) في الأصل : المغاير - كذا .

(٢) في الأصل : تفتت . (٣) في الأصل : والتفت - كذا .



فيه من نسيان / عهد ربه ، وأنه تاب عليه و قبل توبته ، و تقبل قربانه .  
ثم قال : إني أحب أن تقررا لربكما قربانا عساه أن يتقبل منكما ، وكان  
هايل صاحب غنم ، فأخذ منها كبشا سمينا لم يكن في غنمه خير منه ،  
فجعله قربانا ، وكان قاييل صاحب زرع ، فأخذ منه قبضة يسيرة فجعلها  
قربانا ، فنزلت نار من السماء بيضاء ليس فيها حر ولا دخان ، فأخذت  
قربان هايل و أكلته ، و لم تأكل قربان قاييل ، فداخله الحسد من ذلك  
لأخيه ، فقال : إن أولاد هذا تفخر على أولادي من بعدى . واجتهد  
أن يقتله . فنزل هايل و قاييل من موضع القربان يريدان منزل آدم  
عليه السلام . وكان هايل يمشي بين يدي قاييل ، فعمد قاييل إلى حجر  
عظيم ، فضرب به رأس هايل فقتله . فلما أبطأ على آدم ، خرج في  
طلبهما ، فأصاب هايل مقتولا ، فاغتم لذلك غما شديدا ، وكانت الأرض  
قد شربت من دمه و الأشجار و النواحي قد تغيرت عن نصارتها و زهرتها ،  
فيقال : إن آدم لما رأى ذلك أنشأ يقول هذه الآيات :

تغيرت أنسلاد و من عليها فوحه الأرض مغرق قبيح

١٥ تغير كل ذى طعم و لون و غيب في الثرى الوجه الصبيح

قتل قاييل هايلا أخاه فوا أسفا على الوجه المليح

[في الفقر و الزهد و القناعة و غير ذلك - ٢]

ذكر ما قيل في الفقر و الزهد و القناعة و الرزق و المعاش

(١) كذا في الأصل ، و انشطر طاهره مكسور .

(٢) العنوان من دلالة نص الباب و ليس بهامشه .

والاحتراف والكدية والكرماء والبخلاء وغير ذلك - اعلم أن الفقر صلاح مبغوض ، و هو باب الخلاص من شوائك الدنيا ، هو قاتل الشهوات ، هو يجعل الإنسان غير متهم بالجملة ، هو خير ولكنه عسر الاحتمال ، هو سبب الأدب ، هو تجارة غير محسود عليها ، هو جوهرة لا تعرف ، هو ربح بلا خسارة ، هو فائدة الحكماء ، و رغبة العقلاء ، ٥ / ١٩٨ ب و عاقبه أحسن من عاقبة التمتع .

لما مرض أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان<sup>١</sup> مرضه الذي مات منه ، أمر أن يصعد به إلى أعلى قصره ، فلما صار في أعلاه ، أشرف على عسال يعصر ثوبا بحاوته ، فقال : ليتني كنت غسالا ! أغسل الثياب بالأجرة ، و لا تغلدت أمر الأمة ، أسأل عنها يوم القيامة ، لما روى أن ١٠ كل راع سؤل عن رعيته . فلما بلغ الشيخ الصالح أنا<sup>٢</sup> حازم مقالته تلك ، قال : الحمد لله الذي يتمي الملوك عند موتهم ما يحسن فيه من الفقر . و أنشدوا في هذا المعنى :

إذا كنت في أمر فك في محسنا فما قليل أنت ماض و تاركه  
فكم دحت الأيام أرباب دولة و كم ملكوا أضعف ما أنت مالكه ١٥

و اعلم أن الفقير هو الذي لا يجد موقعا ما من كفايته ، [ غير أنه لا يتم به كفايته ، فيدفع إليه من الزكاة ما تزول به حاجته . و المسكين

(١) انظر حاشية سابقة و راجع العهارس .

(٢) في الأصل : ابو .

هو الذي يجد ما يقع موقعا من كفايته - <sup>١</sup> [ فيدفع إليه ما يقوم  
بتمام كفايته ، فالمسكين أيسر حالا من الفقير لقوله تعالى <sup>٢</sup> : ” اما السفينة  
فكانت لمسكين يعملون في البحر “ .

و قد جاء في الخبر ” اتخذوا عند الفقراء أيادي ، فان لهم دولة و أي  
دولة ! ، . و قال بعضهم : أكرموا الفقراء ، فانهم يحملون أروادكم إلى  
الآخرة . و كان بعضهم يتصدق بالرخفان ، فقيل له : إنما تعطى الفقراء  
الكسرا فقال : إني أستحي من الله تعالى إذا نشرت صحتي أن أرى  
فيها كسرا ، و الله تعالى يقول <sup>٣</sup> ” من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا  
فيضعه له “ و الرخفان أحسن من الكسر .

١٠ كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يتصدق بالسكر ، فقيل له في  
ذلك . فقال : إن الله تعالى يقول <sup>٤</sup> ” لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما  
تحبون “ ، و أنا أحب السكر . قال أبو أمامة : قال رسول الله صلى الله  
عليه وسلم : يا ابن آدم ! إن تذل الفضل حير لك ، و إن تمسكه  
شر لك ، و لا تلام على كفاف ، و ابدأ ممن تعول ، و اليد العليا خير من  
١٥ ” اليد السفلى - خرجه مسلم .

(١) الجملة المحجوزة ساقطة من النص و وردت في الهامش بخط المراجع .

(٢) قرآن كريم سورة ١٨ آية ٧٩ .

(٣) قرآن كريم سورة ٣ آية ٢٤٥ .

(٤) قرآن كريم سورة ٣ آية ٩٢ .

عن أبي هريرة قال : سمعت / رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ١٩٩ / ألف  
لأن يغدو أحدهم فيحطب على ظهره ، فيتصدق به ، ويستغنى به عن  
الناس ، خير [ له - ١ ] من أن يسأل [ رحلاً - ١ ] أعطاه أو منعه ذلك ،  
فإن اليد العليا خير<sup>٢</sup> من اليد السفلى ، وأبدأ بمن تعول - خرجه مسلم .  
و عن أبي هريرة قال : ليس المسكين بهذا الطواف الذي يطوف ه  
على الناس ، فترده اللقمة واللقمتان و التمرة و التمرتان . قالوا : وما  
المسكين يا رسول الله ؟ قال : الذي لا يجد غى ويغنيه ، ولا يفتن له  
فيتصدق عليه . ولا يسأل الناس شيئاً - خرجه مسلم .

عن سالم بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان  
يعطى عمر بن الخطاب رضى الله عنه العطاء ، فيقول له عمر : أعطه<sup>٣</sup> ١٠  
يا رسول الله أفقر إليه منى . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
حده فتموله أو تصدق به ، وما جاءك من هذا المال و أمت غير  
مشرف ولا سائل فحده ، وما لا فلا تنعه نفسك . قال سالم : فمن  
أجل ذلك كان ابن عمر لا يسأل أحداً شيئاً ، ولا يرد شيئاً أعطيه  
- خرجه مسلم .

١٥

و أعلم أنه إذا تصدق بدينار من ندرهم على فقير . ثم أحده منه ،

(١) يريد من صحيح مسلم .

(٢) في الصحيح : أفضل .

(٣) في الأصل : انعطيه .

(٤) في الأصل : أحد .



وجب عليه رد ذلك الدرهم على الفقير ؛ كما 'إذا صلى أحدهم' فلا يتم  
الركوع و السجود ، و لا يقيم صلبه ، لأنه يظن أن ذلك يحزبه ، و ليس  
يحزبه و إن كان تطوعا ، لأنه حين دخل في التطوع فقد صار ذلك  
واجبا لازما يجب إتمامه و إحكامه ؛ كما لو أن رجلا أحرم بحجة  
ه تطوعا ، و جب عليه تمام مناسكها ، فإن أفسدها و جب عليه قضاؤها ،  
و إن أصاب فيها صيدا ، و جبت عليه الكفارة ؛ و كما أن رجلا لو صام  
ب يوما تطوعا ثم أفطر / بعد العصر ، و جب عليه قضاء ذلك اليوم . فكل  
تطوع دخل فيه العبد فقد لزمه و و جب عليه أدائه تاما محكما قضاؤه ،  
لأنه حين دخل فيه فقد أوجبه على نفسه . و لو لم يدخل فيه لم يجب  
١٠ عليه شيء .

و اعلم أنه ينبغي للعاقل الصبر على الفقر ، فإن الصبر مر و عاقبته  
حلاوة ، قال الشاعر :

استعمل الصبر تجي بعده العسلا      وقف على الباب ليلا تلغ الأملأ  
و قال الآخر :

١٥      الصبر مثل مر مذاقته      لكن مدقته أحلى من العسل  
و قال الآخر :

حوية الصبر لها رنة      يحسدها أياقوت و الدر  
و قال الآخر :

لا تسأل الدهر إنصافا و تظلمه      و اصبر عليه فلم يخلق لإنصاف

(١-١) الجملة مكررة بالنص .

(٢) في الأصل : آخر .

خذ ما تيسر والى الله ناحية لا بد من كدر فيه ومن صاف  
 لكن الفقر داء لا دواء [ له ] ، إن بحث به فضحك ، وإن كتمته  
 قتلك . قال بعضهم : لا تنجر الناس بفقرك ، فإن الفقير لا يعيا به ، ولا  
 يلتفت إليه أحد . وقال بعضهم : الفقر في العين فقر ، وفي البطن فقر ،  
 وفي الظهر فقر . قال الجوهري : الفقر مر المذاق ، والعربة تكسر ه  
 الأعناق ، والصدقة تطفى غضب الخلاق ، ما عندكم بعد و ما عند الله  
 باق . وما قيل .

النفس تكره أن تكون فقيرة والعقر خير من غنى يطغيها  
 ففي النفوس هو الكفاف قال أبو جهميع ما في الأرض ما يكفيها  
 وقال لقمان لانه . يا بني ! لا تلم من لا قوت له في طلب قوته ،  
 فان من عدم قوته عدم عقله . وقال بعضهم : عجبت لمن عدم القوت ،  
 كيف يستطيع السكوت ! وقال بعضهم : ما ذل قلب قط لسارته إلا  
 أفاده نورا أو خيرا . وقال بعضهم : ألح على الكرام وإن لم تكن  
 أهلا للعطاء ، فان لهم أخلاقا جميلة .

قيل . طلب فقير مدينة : قوصاً على كوه ألف دينار . فقام ١٥ / ٢٠٠ ألف  
 يتمساها مدة طويلة ، فأنى إليه بعض أهلها المتولين نخسائه دينار ،  
 فلم يقلها وقال . ما آخذ إلا ألف ديناراً وتركه مدة طويلة أيضاً ، وأنى  
 إليه بألف دينار فأخذها منه ، فلما صارت يد الفقير . رفع الفقير طرف

(١) في الأصل : النفس ، ويستقيم الورد بما أثبتناه .

(٢) مدينة كبيرة عظيمة بأصعيد الأعلى لم تذكرها في معجم البلدان .

بجادته وقال له : انظر ، فظر فإذا كنز ذهب تحتها ، فقال التاجر :  
يا سيدى ! هذا ذهب . فقال الفقير : من يكون هذا الكنز تحته يطلب  
ألف دينار ! وإنما طلبتها لأنظر هل أحد يعطيها أم لا ، فلما أعطيتها  
علمت أنك من كرماء الناس ، ولكن خذها وخذ الكنز لك .  
٥ وتركه الفقير ومضى إلى حال سبيله ، فأخذ الرجل الكنز والالف ،  
وبى من ذلك الكنز مدرسة بقوص ، وصار يكرم بها الفقراء . قال  
بعضهم بمدح كريما :

من عود الناس باحسانه وعم بالفضل جميع الأنام  
تزدحم الناس على بابه والمنهل العذب كثير الزحام  
١٠ كتب بعض الفقراء لغى بيتين :

ولقد قصدتك حين جرت الورى فوجدت مثلك بينهم معدوما  
وإذا الحوادث صيرتنى سائلا لا تجعلنى سائلا محروما  
فأحس إليه ووصله .

سأل بعضهم بخيلا فقال . هب لى دينر ! فقال المسؤل : لقد  
١٥ صعدت عظيما ، أما تعلم أن الديار عشر العشرة ، والعشرة عشر المائة .  
والمائة عشر الآلاف ، والآلاف ديتك - انصرف سلام . فالتخيل يملأ  
بضه وهو جائع ، ويحفظ ماله والعرض صائع .

هجا بعض المقلين رجلا متمولا متكبرا ، وذم زمانه ونفسه  
أيضا فقال :

٢٠ يتحى سوء خلق على الناس ونفس ظلومة كفاره

ما له ميزة على سوى أن له بغلة ومالى حماره  
 شاب رأسى وما رأست كأتى زامر الحى أو صغير الحماره  
 أحسب الزهد هينا وهو حرب لست منه ولا من النظاره  
 /ولو أنى وحدى لكنت مريدا فى رباط أو عابدا فى مغاره  
 لا تكلى على سواك فأخيا ر زمانى ما يمنحون خياره  
 ووجوه القصاد فيه حديد وقلوب الأجواد فيه حجاره  
 قال الحسن : لم أر أشقى مناله من البجيل ، فاه مهتم فى الدنيا بجمعه ،  
 وفى الآخرة محاسب بمنعه ، غير آمن فى الدنيا من همه ، ولا ناج فى  
 الآخرة من إثمه ، عيشه فى الدنيا عيش الفقراء ، وحسابه فى الآخرة  
 حساب الأغنياء .  
 ١٠  
 ويقال : مثل الأعياء النخلاء كالغلال والخير تحمل الذهب والفضة ،  
 وتعتلف التبن والشعير ، فان سألتهم ولم تطلب ردهم أحوك ، وإن  
 سألتهم شيئا من ما لهم كرهوك . فاطلب من ربك ، وانك إن تركت  
 سؤاله أغضبك ، لأنه كريم يحب من يسأله . وقانوا فى معناه :  
 ١٥  
 الله يغضب إن تركت سؤاله . ونسأله آدم حين يسأل يغضب  
 وقال لقمان لانه : يا بى ! مضع "صخر وبيع الجمر أهون منك من مسالك  
 "الفقر ، لأن "الفقر يتبين لوجه "تصبح ، وبيعهم "اللسان "تصبح .

(١) تلك الكلمة من الشطر الثانى الأول .

(٢) فى الأصل . هين .

(٣) فى الأصل : شئ . (٤) فى الأصل : ونى .



قال بعضهم :

أمر و أمضى من سموم الأراقم      وأوجع من ضرب السيوف الصوارم  
وقوف في حر أديب مهذب      باب لئيم عند بذل المكارم  
و كم من قى حر أديب مهذب      يروح و يغدو صائما غير صائم  
ف لو كانت الأرزاق تأتي بحيلة      لكنت حيولا عند كسب الدراهم  
ولكنها تجري على الخلق كلهم      بقسمة قسام و حكمة حاكم  
يفوت العى من لا ينام عن السرى      و آخر يأتي رزقه و هو نائم

وقال بعضهم :

ف لو كانت الأرزاق تجري بحيلة      لأدركت منها ما أريد بحيلتي  
١٠      لكنها تجري بأمر مقدر      له الحكم فيها لا محولى و قوتي

وقال بعضهم :

هو الرزق لا حل لديك ولا ربط      و لا أدب يعطيك رزقا و لا حظ  
و ما الرقى و الآحال إلا مواهب      فأرض بها خصب و أرض بها قحط  
فأرزاقا مقسومة فكاننا      طيور لنا فى كل ناحية لُقَط  
١٥      فطير يثير الجو يطلب رزقه      و آخر يأتي رزقه و هو لا يخطو  
ف تحط صروف الدهر كل مهذب      و ترفع ندلا يستحق له الحط  
فيا موت زر إن الحياة ذميمة      إذا انحطت الازات و ارتفع البط

قال بعض الوعاظ .

(١ - ١) فى الأصل : حرا ادبيا مهذبا .

(٢) فى الأصل : لان ، وما أثبتناه يستقيم به الوزن .

كم عالم يسكن بالكرى وكم جاهل له قصور وقرى

فلما نزل "نحر قسمنا بينهم" ارتفع الجدل والمرا

قال النبي صلى الله عليه وسلم : أنا زعيم بيت في رضى الجنة لمن ترك

المراء وإن كان محققا . و ينبغي للإنسان أن لا يئأس من رحمة الله تعالى ،

فإن اليأس كفر . قال بعضهم :

ولا تيأس فإن اليأس كفر لعل الله يغنى بالقليل

ولو أن العقول تسوق رزقا لكان المال عند ذوى العقول

وما قيل في العقل :

العقل لا يقدر أن يحده إلا إله العالمين وحده

لأنه خشيصة أودعها في الآدمي جل من أبدعها ١٠

و كل ذى روح له إلهام تعجز عن إدراكه الألفهام

كالنحل حص بديع الهندسة حتى نرى بيوتنه مسدسة

وهكذا خصائص الأحجار من حكمة المهيمن الجبار

وليست الأوراق تجري على قياس ، فقد يكون الجاهل كثير المال ،

و العالم فقيرا . قال الشاعر :

١٥

كم من حمار له حمير وكم لبيب سلا حمار

وكم سويدا لها خمار وألف أيضا سلا خمار

فيدعى اللسان الصبر على الفقر ، فإن الصبر حيلة من لا حيلة له ،

و المسألة كسب من لا كسب له . قال بعضهم :

إذا جمعت بين امرأين صناعة و أحيت أن تدري الذي هو أحق  
 حيث يكون الجهل فالرزق واسع و حيث يكون الحذق فالرزق ضيق  
 و قال بعضهم:

كم جاهل يسرف في عزه و عالم و القوت لم يحزه  
 يموت موت الدرد في قزه قد يرزق العاجز في عجزه  
 و يحرم تكيس مع طهته

و قال بعضهم:

في مصر ألف أغنياء بجمعهم و ألوف شتى ليس تملك قوتا  
 لو قسمت أرزاقهم بسوية لم نعط شيئا فوق ما أعطينا  
 ٢٠/ب ١٠ / و قال آخر:

أنظر ررقك تحتويه بقوة هيهات أنت باطل مشغوف  
 رعت النور بقوة حيف "ملا رعى الذباب الشهد وهو ضعيف  
 و قال بعضهم:

لك رزق على الإله مقدر لو تخيرت عرقه ما تأخر  
 ١٥ فوغ الله منه من قبل هذا فائق الله فالضمان مقرر  
 يا ضعيف "يقين من دا سواه كان غذاك في الحشاء و صور  
 أفساك حين أصبحت شيخا يا ضعيف اليقين كم تتضجر  
 فارض عنه إن أقاتك ملحا و أقات الغنى لوزا و سكر  
 أنت في الخيلة التي أنت فيها ساخطا و هو بالمصالح أخير

و قال بعضهم :

مثل الرزق الذى تطلبه مثل الظل لئذى يمشى معك  
أنت لا تدركه مستعجلا وإذا رايت عنه تبعك  
روى عن النى صلى الله عليه وسلم أنه قال لابنى خالد : لا تياسا  
من الرزق ما تهزئت رؤسك ، فإن الولد تلده أمه لحما عليه قشر ، ه  
ثم يرزقه الله تعالى .

كان بعضهم يقول فى دعائه : اللهم ! إن كان رزقى فى السماء فأزله ،  
و إن كان فى الأرض فأخرجه . و إن كان بعيدا فقربه . و إن كان  
قريبا فيسره ، حتى لا أكون حريصا فى تعجيل أمره و لا تأخيره . إلك  
على كل شىء قدير .

١٠

نقل عن الجيد أن أصحابه أبطأ عليهم الرزق فكموه فى ذلك .  
فقال : إن عرفتم للرزق مكانا بعينه فادعوا إليه فحدوه . فقالوا : فقدعو الله  
و تؤمن على دعائك أن يرزقنا . فقال : إن وقع لكم أمره سببكم فذكروه .  
فقالوا : فخلق إذا الأبواب علينا و مدع الأسباب و ستظر الأوراق . فقال :  
"تحربة شك . قالوا : فما الحيلة ؟ قال : ترك الحيلة .

١٥

سؤال عن كلام الجيد . إن قلت : عرض عليه أسماء ثلاث خصال  
كلها محمودة فى ظاهر الحال شرعا فما وجه رده ؟ قيل : لخصلة الأولى  
فالاكتساب و تعطى لأسباب . قد علم أن السبب ستة . و أنه لا ينافى  
"توكل . قال الله تعالى : "يا أيها الذين آمنوا اتقوا من طيبت ما كسبتم" .

٢٠٢/الف

(١) فى الأصل : لخم . (٢) قرآن كريم سورة ٢ آية ٢٦٧ . و فى الأصل  
«كلوا» و هى من آية أخرى ( ١٧٢ : ٢ ) .



الخصلة الثانية : الدعاء ، وقد علم أنه مأمور [ به ] شرعا و مأمور به دنيا ، قال الله تعالى : " ادعوني استجب لكم " . الخصلة الثالثة : التوكل و ترك الأسباب ، وقد علم أنه محمود و أنه حال الخواص ، قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : لو توكلتم على الله حق اتكاله لرزقكم . كما يرزق الطير تغدو خفاصا و تروح بطانا . و الطير لا تكنسب ، و لكنها تصادف ررقها فتأخذه بلا علاج و لا تعب .

قال موسى عليه السلام عند مناجاته لربه : يا رب ! كيف قمت بأرزاق خلقك على اختلاف صورهم ، و كثرة عددهم ؟ فأوحى الله عز و حل إليه : يا ابن عمران ! إن الخلق في قبضتي كحبه خردل ملقاة بفلاة من الأرض ، و إن إحاطتي بهم أكثر من إحاطة الفلاة بالحبة ، أرزق البعيد و تقرب ، و العظيم و الصغير ، و المؤمن و الكافر ، و لا يتعد ذلك على لفوة الإحاطة . قال : يا رب ! فكيف ترزقهم و لا تهى خزائنك ؟ قال : إنى ؟ أضرب لك في ذلك مثلا ، إذا جاء الليل فمرسى إسرائيل أن لا يضرموا نارا و لا يوقدوا مصاحا ، ثم اجعل مصباحا على باب حيمتك ، و مرهم أن يقتبسوا منه . فعلم ذلك موسى ، فجعل هذا يوقد مصباحه ، و هذا شعلته ، و هذا ما يحتاج إليه ، حتى أوقد الكل من سراجيه ، وبقى سراجيه على ما هو عليه . فأوحى الله إليه : يا ابن عمران ! أنقص من سراجك شيء ؟

(١) قرآن كريم سورة . ٤ آية ٦٠ .

(٢) في الأصل : ان .

قال : لا يا رب ! قال : إذا كان هذا حكم سراجك فما حكم خزان أمدها  
بلطني وأحوطها بحفظي ! فقال : سبحانه لا إله إلا أنت ، لا تنقص  
خزائنك ، ولا يبد سلطانك .

قال مالك رحمه الله : من كانت له دار و خادم و كفاف فقد أوتي  
ملكاً عظيماً . و عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ه  
انظروا إلى من هو أسفل منكم ، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم ، / فهو / ٢٠٢  
أحدر [ أن - ' ] لا تزدروا نعمة الله عليكم - حرجه مسلم . و عن أبي  
هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يقول العبد : مالي مالي !  
إن مالي من ماله ثلاث : ما أكل فأفنى أو<sup>٢</sup> لس فأبلى<sup>٢</sup> . أو أعطى فأقتى ؛  
و ما سوى ذلك فهو داهب و تاركة للناس - حرجه مسلم . ١٠

قال سري السقطي : قلت للبهلول : إن الخنز قد غلا ، فقال : والله  
لا أبالي ولو بلغت كل حبة قمح دينار ، علينا أن نعبد كما أمر ، و عليه  
أن يرزقنا كما وعد .

و اعلم أن محبة الغنى مع اختيار الله تعالى لعبده الفقر منحة ، و محبة  
الفقر مع اختيار الله لعبده الغنى حرج . و كل ذلك هرب من الشكر لقلة ١٥  
المعرفة ، و تضييع الأوقات من قصر العلم ، و ذلك أن إيمان الغنى لا يصلحه  
الفقر ، و إيمان الفقير لا يصلحه الغنى ، كما جاء في الحديث يخبر أن الله تعالى

(١) ريد من صحيح مسلم .

(٢) من الصحيح ، وفي الأصل « و » .

يقول: إن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا الغنى، ولو أفقرته لأفسده ذلك، وإن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا الفقر، ولو أغنيته لأفسده ذلك. وكذلك في الصحة والسقم، فمن عرف الله لم يتهمه، ومن فهم عنه رضى بقضائه، ولو لم يكن لأهل العلم إلا هذه الآية لكفتهم، "و ربك ٥ يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة"١ فان من صدق الله نصحه، ومن تزين لغيره فضحه، ومن توكل عليه كفاه. ومن وثق بغيره مقلته، ومن خافه أمنه. ومن شكره راده، ومن أطاعه أكرمه، ومن آثره أحبه.

واعلم أن من سعادة المرء حسن النية فيما عند الله، والتوفيق لمحابه٢،  
 ١٠ ومن أراد الله به خيرا وهب له العقل، وحجب إليه العلم، وحباه بالإشفاق، واستعمله بالرفق، وأغناه بالقناعة، وبصره عينه. وأما  
 ٧ / الف الزهد والقناعة / ففيهما خير كثير، وذلك أن الزاهد في الدنيا يريح قلبه  
 ودينه في الدنيا والآخرة، قال بعضهم:

لو تجزيت بالقليل كماكا وترفعت قل فيه عناكا  
 ١٥ تجمع المال بعضه فوق [بعض-٢] وتخليه وافرا لسواكا  
 واعلم أن الرزق لا يكون إلا بالجهد. ألا ترى أن يعقوب  
 عليه السلام كان حريصاً على رؤية يوسف عليه السلام، والإخوة كانوا

(١) قرآن كريم سورة ٢٨ آية ٦٨.

(٢) في الأصل: لمجاه - كذا بالجيم.

(٣) ساقطة من الأصل.

فيه من الزاهدين ! فالأرزاق بالتقدير لا بالتدبير . وكيف تفيد الحيل وربنا عز وجل يقول <sup>١</sup> : " لكل أجل كتب " فالعاقل يقتصد ويسلم الأمر لحالقه ، يريح بدنه وقلبه ، قال بعضهم :

دعني فلن أخلق دياجتي وليس أبدى للورى حاجتي  
منزلى يحفظها منزلى وباجتي تحفظ دياجتي ٥  
وقال بعضهم :

لا تظهرن لحاسد أو غادر حالبك في السراء والضراء  
فلرحمة المتوجعين مرارة في القلب مثل شماتة الأعداء  
واعلم أن الغنى غنى النفس . عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال  
رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليس الغنى عن كثرة العرض ، لكن الغنى ١٠  
غنى النفس ، والله ما أخشى عليكم الخطأ ، ولكن أخشى عليكم العمد ،  
وما أخشى عليكم الفقر ، ولكن أخشى عليكم التكابر . قال بعضهم :  
إن الغنى هو الغنى لنفسه ولو أنه عارى المناكب حافى  
ماكل ما فوق السبطة كافى فإذا قنعت فكل شيء كافى

يقول الله تعالى في بعض كتبه المنزلة : يا ابن آدم ! كل يوم ينقص ١٥  
من عمرك وأنت لا تدري ، و توفى <sup>٢</sup> كل يوم رزقك وأنت لا تحمد ،  
فلا ما قليل تقنع ، ولا بالكثير تشبع ؛ يا ابن آدم ! ما من يوم إلا ويأتيك  
من عندى رزق و تعصبي ، وأنت تدعوني أستجيب لك ، حيرى إليك مارل ،

(١) قرآن كريم سورة ١٣ آية ٣٨ .

(٢) في الأصل : توف .



٢٠١ / ب و سوء عملك إلى صاعد . فنعى المولى [ أنا ] وبس العبد أنت لى ! تسألى فأعطيك ، وأستر عليك فضيحة / بعد فضيحة ، وأستحيى منك وأنت لا تستحيى منى ، تنسأى و تذكر غيرى ، وتخاف مقتهم وتأمن غضبي . وقال الله فى بعض كتبه المنزلة : يا عبدى ! لو أعطيتك الدنيا بمظاهرها لم ينلك<sup>١</sup> ه منها إلا القوت ، فاذا أنا أعطيتك القوت و جعلت حسابها على غيرك ، فقد أحسنت إليك . قال بعض الصالحين : لأن يغنيك الله عن الدنيا خير لك من أن يغنيك بها ، فوالله ما استغنى بها أحد قط ! وكيف يستغنى بها بعد قوله تعالى<sup>٢</sup> : " قل متاع الدنيا قليل " ! قال بعضهم :

إذا شئت أن تحيا غنيا فلا تكن على حالة إلا رضيت بدونها  
 ١٠ فمن طلب الأعلى من العيش لم يزل فقيرا من الدنيا أسير غبونها  
 فاق رأيت النفس تتعب دائما و تطلب دياها ماتلاف دينها  
 قال الشلى : الدنيا قدر تعالى ، وكيف يمتلى ، والحذر الحذر من  
 الفقراء انطالين ، الطالبين الدنيا بالدين ! فهم الذين غيروا الطريق ، وحادوا  
 عن التحقيق ، وتحيلوا على اصطياهم الدرهم و الديسار ، من الملوك  
 ١٥ و الأمراء و التجار ، ومن عوام الناس ، ليصيروا بذلك أغنياء بالحيلة على  
 طلب الدنيا .

وسأذكر ما قيل فى حيلة فقير ، حير بها فهم الكبير و الصغير ،  
 لأخذ منهم الدنانير ، بالحيلة التى قيل : إنها أصع من قبيلة . و ذلك أن  
 (١) فى الأصل : لم يالك .

(٢) قرآن كريم سورة ٤ آية ٧٧ .

بعض الفقهاء قال لزوجته : قد ترين<sup>١</sup> ما نحن فيه من الذل بسبب القل ،  
وقد عزمت [ أن - ٢ ] أعمل حيلة تحير الأفكار ، فان ساعدتني عليها  
حصل لنا من المال ألف دينار . فقالت : أرشدني إليها حتى أساعدك  
عليها . قال : عزمت أن ألزم نفسي عند سارية من سوارى الجامع الذى  
بالمدينة الفلانية مدة سنة كاملة لا أفارقها ليلا ولا نهارا أصلى عندها ، هـ  
وأريد منك أن تأتى إلى الميناء المقابلة لباب الجامع ، تدخليها قبل  
الفجر فى صفة رجل ، تجعلين<sup>٣</sup> فى ركن بيت الماء الفلانى شيئا من اللوز  
والزبيب المدقوق المصجون يكون مقدار رطل ، فمن دخل بيت الماء  
قبلى وراه ، ظن أنه ربيع ابن آدم ، فلا يقدم عليه ، وأدخل أنا آكله  
وأشرب عليه من الماء الذى بحوصه المعد للاستجاء ، وأعود إلى مكانى ١٠  
عند السارية ، فاذا تم<sup>٤</sup> ذلك ، تم الاختيار وحصلنا بحيلتنا ألف دينار .  
فاتقيا على ذلك ، وسافرا من بلدهما إلى تلك المدينة ، وأقاما بها مدة سنة ،  
والناس ينظرون إلى صلاته واجتهاده فى العبادة ، فيقولون : سبحان من

(١) فى الأصل : ترى .

(٢) ساقطة من الأصل .

(٣) فى الأصل : تدخليها .

(٤) فى الأصل : تجعلى .

(٥) فى الأصل : فاتم . - وبهامشه : لعله فاداتم . ويستقيم بذلك المعنى . وقد

يكون غير ذلك بسبب سقوط بعض الكلام بدليل النقص الواضح فى هذا الجزء  
من القصة .

رزقه السعادة بقوة على العبادة و الزهادة ١ و صاروا يعرضون عليه  
الطعام المأكول و الماء المشروب، فيأباهما بالإشارة من غير أن يسمعوا منه  
الكلمة الواحدة، فتحدث الناس به و اشتهر أمره، و انتشر ذكره،  
فقوم يقولون: 'هو ساحر، و قوم يقولون': هو ولي من أولياء الله تعالى،  
و قوم يقولون: هو أحمس . و أجمع رأيهم على أنه ولي صالح . فلما  
كان قريب السنة نطق و تكلم، و بلسانه ترجم، فقرحت الناس بكلامه .  
فسئل عن عدم نطقه قل ذلك فقال: إني دائماً صامت<sup>٢</sup> . لا أتكلم  
إلا بذكر الله في سرى، و رأيت أقواما لا يطمثون في صلاتهم، و الطمأنينة  
في الصلاة ركن من أركانها، و خفت من الإثم الذي يحصل لي على  
١٠ عدم تعليمهم، و كذلك مسابقتهم للإمام، فرأيت أن إعلامهم بذلك  
أفضل لي من الصمت لأبرأ من الإثم . فقالوا: أيها الشيخ الصالح !  
علما و فهمنا، و للحق أرشدنا، فقال: افهموا عني، و اسمعوا مني، فنصت  
القوم لكلامه . فقال: اعلما أن أكثر الناس يتركون صلاتهم و هم  
٢٠/ب يصلون ! قالوا: وكيف ذلك / أيها الشيخ الصالح ؟ قال: لسبقهم  
١٥ الإمام في السجود و الخفض و الرفع، و قد جاء في الحديث: يأتي على  
الناس زمان يصلون و لا يصلون . فاتقوا الله و انظروا في صلاتكم  
و صلاة من يصلي معكم، و اعلما أن الشيخ الصالح المحاسي قال في  
كتابه: لو أن رجلا أحسن الصلاة و أتمها و أحكمها، ثم نظر إلى من

(١) في الأصل: يقولوا .

(٢) في الأصل: صامتا .

أساء في صلاته فضيعها ، و سابق الإمام و سكت عنه و لم يعلمه إساءته  
 في صلاته و تضييعه لها ، و مسابقته للإمام فيها ، فلم ينهه عن ذلك  
 و لم ينصحه فيها ، كان شريكه في الإساءة و التضييع ، و كان شريكه أيضا  
 في إثم ذلك و وزره ، و بذلك جاءت الأحاديث عن النبي صلى الله  
 عليه و سلم و عن أصحابه ، عن عبد الله بن مسعود أنه قال : من رأى ه  
 من يسيء في صلاته و لم ينهه فهو شريكه في وزرها و عارها . فالحسن في  
 صلاته شريك المسيء في صلاته في وزرها و عارها إذا لم ينهه و لم ينصحه .  
 و جاء عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال : ويل للعالم من الجاهل حيث  
 لا يعلمه ! فان تعلم الجاهل واجب على العالم لازم له ، ما كان له الويل  
 في السكوت عنه [ إلا ] لتركه تعليمه ، فاتقوا الله في أموركم عامة ١٠  
 و في صلاتكم خاصة ، و اتقوا الله في تعليم الجاهل ، فان تعليمه واجب  
 لازم ، و التارك لذلك مخطئ آثم ؛ فأمرُوا أهل مسجدكم بأحكام الصلاة  
 و إتمامها ، و لا يكون تكبيرهم إلا بعد تكبير الإمام ، و لا ركوعهم  
 و سجودهم و رفعهم و خفضهم إلا بعد فعل الإمام ، فانه حاه في الحديث  
 أن كل راع مسؤول عن رعيته . و قد قيل : إن الإمام راع لمن يصلي ١٥  
 به خلفه ، فما أولى الإمام بالنصيحة لمن حلفه أن يهاجم عن المسابقة  
 في الركوع و السجود ، و أن يركعوا / و يسجدوا مع الإمام . و أن  
 يأمرهم بأن يكون ركوعهم و سجودهم و رفعهم و خفضهم بعده ، و أن  
 يحسن آدابهم و تعليمهم ، إذ كان راعيا لهم . فكان غدا مسؤولا عنهم .

(١) في الاصل . تمامها .



فلما سمعت الناس منه ذلك تعلقت<sup>١</sup> قلوبهم به ، و ازدادوا فيه رغبة ، وقالوا : هذا من العلماء الأولياء ، هذا من أكابر الصالحين المتقين الورعين الزاهدين . فهرعت إليه الناس من كل جانب و مكان ، يؤثرونه بالإحسان ، و يتقربون إلى قلبه بأعز ما كان ، و هو لا يقبل منهم شيئاً ، فازدادوا فيه محبة و رغبة . فلما انقضت السنة قال لزوجته ٥ في الميضأه على جارى عادته وقت الفجر : الآن تمت الحيلة ، فإذا كان في انصراف الناس من صلاة الصبح تأتين<sup>٢</sup> الجامع<sup>٣</sup> متميزة و تتعلقين<sup>٤</sup> بي . و علمها ما تقوله له . فلما سلم الإمام من صلاة الصبح ، أتت المرأة و جعلت تشق بين الناس ، و الناس ينظرون و يتعجبون من أمرها ١٠ فقبل لها في ذلك فقالت : أريد الشيخ الصامت الناطق بعد صمته . فأرشدتها<sup>٤</sup> الناس إليه ، وقالوا : هذه سمعت صلاحه . فأتت إليه تلتمس ركته . فلما رآته تعلقت به و صرخت و قالت : يا أهل الجامع ! هذا الزنديق المرأى الفاجر قتل ولدى و ثمرة كبدي ، و لى سنة أطلبه في البلاد ، و قد دلت عليه ، و ها هو ! فتحملوه معي إلى السلطان يصفى منه ! ١٥ و ولولت و استعائت ، و صرخت و أعولت ، فصاح الناس عليها و ضجوا و ماجوا وقالوا . تكذبين يا عدوة الله ! تأتين<sup>٢</sup> لرحل من الأقطاب

(١) في الأصل : تعلق .

(٢) في الأصل : تأتي .

(٣-٣) في الأصل : متميزة و تتلقى .

(٤) في الأصل : فارشتها .

وولى الرحمن ترمينه<sup>١</sup> بالفجور و تكذبين عليه، و تستدين الباطل إليه .  
 فقال لهم : دعوها تقول ما تقول، و تفعل ما تفعل، فان الحق معها،  
 أنا قاتل ابنها . فلما سمعوا منه ذلك تركوها و أقبلوا عليه / و قالوا : أيها  
 الشيخ ! كيف قتلته و أنت ولى من أولياء الله تعالى،<sup>٢</sup> ورع زاهد<sup>٣</sup>  
 في الدنيا . فقال : والله ما تعدت قتله ! وإنما أمرته بالصوم لما صار  
 مريداً لى طالباً طريق الفقراء، فصام أياماً كثيرة، و صار يأكل عند  
 الإفطار قليلاً عن عادته، و يتدرج بالاختصار فى الأكل، فتغيرت عليه  
 العادة، فرق جسمه، و محل بدنه، و كان رحمه الله راغماً فى الخير  
 قصد أن يسير ما أنا عليه من السير، فلم يطق ذلك فمات طائعاً لله،  
 و أنا كنت السبب فى وفاته، دعوها تصنع لى ما تريد ! فأقبلوا عليها .  
 و قالوا : أيتها المرأة ! الرفق أولى بك . فقالت رهي تصبح و تستغيث :  
 لا أصر ولا أريد إلا قتله كما قتل ولدى و أنجنى فيه، و هو واحد  
 من الدنيا . قال : يا قوم ! الأمر لله، دعوها تقتلى، و الله ما لى فى الدنيا  
 أرب ! و لى أحب الموت شوقاً إلى لقاء ربي لأتخلص من هذه الدنيا،  
 و أصير إلى حنة المأوى، برحمة المولى ! ثم قال :  
 ١٥

لوم يلد الموت فى جبكم لم أصب بحو ثرق و هو حسام  
 و ما اعتصت نار قلبي فى الهوى<sup>٢</sup> و لكل نار بالنسيم حرام  
 صب يرى نار الصباية أنها فى جبكم رد له و سلام

(١) فى الأصل : ترميه .

(٢) فى الأصل : ورعاً زاهداً .

(٣) قلنا الكلمة من الشطر الثانى للأول .

فبكى الناس وضجوا وماجوا [ وقالوا ] للرأة : يا هذه ! دعيه وعلينا دية  
ولذك . فقالت : أبدا لا أقبل فيه دية . ولا أريد إلا قتله . فلم يزالوا  
يسألونها و يتضرعون<sup>١</sup> إليها إلى أن رضيت بأخذها الدية ، فجمعوا لها من  
بين التجار ألف دينار ، فلما قضت المال ذهبت هي و هو ، فلم يعلم  
لها خبر ، ولا وقع أحد لها على أثر . فتعجب الناس من غيبته ، و علموا  
أنه أخذ ذلك المال بحيلة .

فانظر إلى فعل المرغدين : و أكلهم الدنيا بالدين ، فالمستور بأثواب  
غروره مكشوف ، و المتبهرج بدعواه يرد عليه الزيوف . قال بعضهم :

قالوا فلان جيد فأجبتهم لا تكذبوا ما في زمانك جيد

٢/ ألف ١٠ / فغنيهم نال الغنى بخديعة و فقيرهم بصلاته يتصيد

و قال بعضهم :

يا قهيه اللسان يا جاهل القلب يا جميل الأقوال لا الأفعال

أنت أنت الذى جلست لتهدى من ضلال و أنت عين الضلال

باطل مظلم و لفظ مضى . يا خبيثا جمعت شر الخصال

١٥ منك للخلق ظاهر مستقيم و يرى منك ضده ذو الجلال

قال محنون : لأن أطلب الدنيا بالدفع و المزمارة أحب إلى أن

أطلبها بالدين . و قد تقدم ترجمة القاضى محنون فأغنت عن الإعادة .

و قال بعضهم : يأتى على الناس وقت ، الرجل فيه أكرهه قوت

(١) فى الأصل : يتضرعوا .

يومه . وكان القاضي عبد الوهاب بن نصر المالكي البغدادي فقيرا ببغداد ،  
لا يملك شيئا من الدنيا ، وكان يحا في الإقامة بها ، لا يريد مفارقتها ؛  
فأنشأ يقول حيث قال :

بغداد دار لأهل المال طيبة      وللماليس دار الضنك والضيق  
ظلمت حيران أمشي في أزقتها      كأنني مصحف في دار زنديق ه  
ثم أنشأ أيضا يقول :

هو الله ما فارقتها عن قلبي بها      وإني بشطى جانبيها لعارف  
ولكنها صاقت عليّ نأسرها      ولم تكن الأرزاق منها تساعف  
فكأت كخيل كنت أهوى دنوّه      وأخلاقه من شؤم قسبي تخالف

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ارحموا ثلاثة : غني قوم ١٠  
افقر ، وعزيز قوم ذل ، وعالم يتلاعب به الجهال . وقال الشافعي  
رحمه الله : أربعة مرحوم : عزيز ذل ، وغني قس ، وحبيب مل .  
وفيه ضل .

ثم إن القاضي عبد الوهاب ببغداد قصد الخروج منها والتوجه  
إلى مصر ، فلما انصرف عنها حول وجهه إلى جهتها وقال : يا بغداد ! ١٥  
لو كان لي بك رغيان في كل يوم ما خرجت منك . وسار إلى أن  
أتى مصر ، فانتشر عليه بها وظهر ، وآل أمره إلى أن صار قاضيا  
بها متمولا ، وصار يدعى بالقاضي عبد الوهاب . ثم إنه لما مرض  
مرض الموت ، قالت له زوجته : كيف تجدك ؟ قال : لما عشنا متا -



ومات من مرضه ذلك ، وكانت وفاته سنة أربع وعشرين وأربعمائة<sup>١</sup> .  
قال بعضهم :

وما المرء في الدنيا وإن نال غاية من العيش إلا كالخيال الذي يسرى  
كضيف أتى ليسلا فخط ركابه فلما أضاء الفجر ولى مع الفجر  
٥ قال بعض الصالحين : دخل على شخص وأنا في مغارة فقال : قيل  
لى . إن عندك صنعة الكيمياء ، فقلت له : أعلمها لك ولا أغادرك منها  
حرفا إن كنت قابلا ، وما أراك قابلا ، فقال<sup>٢</sup> : إني والله أقبل ، فقلت  
له : أسقط الخلق من قلبك واقطع الطمع من ربك أن يعطيك غير  
ما سبق لك ، فقال لى : ما أطيق هذا ، فقلت له : ألم أقل لك : إنك  
١٠ لا تطيق ؛ فانصرف بسلام .

وقال بعضهم يذكر شقوته في طلب الكيمياء ولم يحصل له منها  
غير المقت من الخلق :

تعلمت علم الكيمياء لشفوقى ولم أدخل فيها قط يوما من العمل  
فسودت عرضى ثم يضت مقلتى وصفرت بين الناس وجهى من الخجل  
١٥ وما أنا بمن يحفل العلم قدره ولكى بمن أراد ولا وصل  
قال لقمان لابنه : لا تركى إلى الدنيا ، ولا تشغل قلبك بحبها ،  
فإنك لم تخلق لها . وما خلق الله خلقا أهون عليه منها ، لأنه لم يجعل

(١) يقابلها سنة ١٠٣٢ - ١٠٣٣ م .

(٢) فى الأصل : فقلت .

نعيمها ثواباً<sup>١</sup> للطيعين ، ولم يجعل بلاءها عقوبة للعاصين . وأنشد بعضهم في معناه :

ولو كانت الدنيا ثواباً لمحسن إذا لم يكن فيها معاش لظالم  
فقد جاع فيها الأبياء كرامة وقد شبت فيها بطون البهائم  
عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا ه  
سدت كلب الجوع عى رغيغ وكوز من الماء<sup>٢</sup> القراح ، فعلى الدنيا  
وأهلها مى الدبار<sup>٣</sup> .

عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : عرض على ربي  
ليجعل لى بطحاء مكة ذهباً ، قلت : لا يا رب ! ولكن أشع يوماً  
وأحوج يوماً ، فإذا حعت تصرعت إليك وذكرك ، وإذا شعت ١٠  
شكرتك وحمدتك - ذكره الترمذى .

عن أبي هريرة أنه مر بقوم / بين أيديهم شاة مصلية ودعوه ، فأنى ٢٠٧/الف  
أن يأكل وقال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يشبع من خبز  
الشعير - ذكره البخارى .

عن أنس : ولقد رهن النى صلى الله عليه وسلم درعه شعير ، ١٥  
ومشيت إلى النبي صلى الله عليه وسلم محز شعير وإهالة ، ولقد سمعته  
يقول : ما أصبح لآل محمد إلا صاع . ولا أمسى وإهم لتسعة أبيات -

(١) فى الأصل : نوما .

(٢) فى الأصل : ماد .

(٣) أى الهلاك .

ذكره البخاري .

عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبيت الليالي المتتابعة طاويا وأهله لا يحدون عشاء ، وكان أكثر خبزهم خبز الشعير -  
ذكره الترمذي .

٥ عن عائشة قالت : لما مات عثمان بن مظعون ، كشف النبي صلى الله عليه وسلم النوب عن وجهه ، وقبّل بين عينيه ، وبكى بكاء طويلا . فلما رفع على السرير - يعنى النعش - قال : طوبى لك يا عثمان ! لم تلبسك الدنيا ولم تلبسها .

قال بعضهم : أذل الله العباد مختصتين : الموت والفقر ، فلو لا الموت لما خضع كل جبار عنيد ، ولو لا الفقر لما خدمت الأحرار العبيد . قيل : إن رجلا جاء إلى الشبلي يشكو إليه كثرة العيال ، فقال : ارجع إلى بيتك فانظر ، فمن ليس ررقه على الله فاطرده عنك . وقال أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز حين عاتبه مسلمة بن عبد الملك في ولده : إني لم أمنعهم شيئا هو لهم ، وما كنت بالذي أفقر نفسي عبد الله لغناهم ، إن يكونوا أتقيا فسيجعل الله لهم مخرجا ، وأن يكونوا مكين على الدنيا والمعاصي فما كنت بالذي أقويهم على ذلك . ثم نظر إليهم وهم بضعة عشر ذكرا فقال : أي سي ! إن مثلت نفسي بين أن تستغنوا ويدخل أبوكم النار ، أو تهتقروا ويدخل أبوكم الجنة ، فكان أن تهتقروا ! ويدخل الجنة أحب إلى من أن تستغنوا ويدخل النار . قوموا عصمكم الله ! يعنى عمر بقوله :

( في الأصل : تهتقروا .

أنى إن أغنيتم من بيت مال المسلمين ، فأكون قد ظلمت المسلمين فى ما لهم / الذى أعطىكموه حتى تستغفروا به ، فأدخل بسبب ظلمهم النار ، فإذا لم أعطكم من ما لهم شيئاً أرجو أن أدخل الجنة لعدم ظلمهم و توفيره عليهم ، وإذا تركتم فقراء فالله تعالى بمنه وكرمه قسم لكم رزقا لم تموتوا حتى تنالوه .

٥

قال بان الحمال : كنت فى طريق مكة و معى زاد ، فجاءتنى امرأة من الصالحات فقالت : يا نان ! أنت حمال ، تحمل على ظهرك الزاد ، و تتوهم أنه لا يرزقك . قال بان : فرميت بزادى . ثم أنى على ثلاثة أيام لم آكل فيها شيئاً ، فوحدت حلخالاً فى الطريق ، فقلت فى نفسى : فلعل يحىء صاحبه فيهب لى شيئاً فأرده عليه ، فإذا أنا بتلك المرأة . ١٠ فقالت : يا نان ! و أنت أيضاً تاجر ، تقول : حتى يحىء صاحب الحلحال يهب لى شيئاً . قال : ثم رمت إلى بدراهم و قالت : أنفقها عليك .

قال الشيخ أبو العباس المرسى : قضى الله تعالى بسابق قدرته و لطيف حكمته ألا يظهر باطن لب إلا بعد إزعاج ظاهر قشرته ، و كلما لطف اللب و حفى ، اشتد إزعاج ظاهر قشره - <sup>(٢)</sup> و قوى . كذلك ١٥ النوع الإنسانى ، لا يظهر لب حقيقته إلا بإزعاج ظاهر طينته ، و على حسب علو مقامه ، و شرف ما فى وعائه . على حسب إزعاج ظاهره و شدة بلائه ، و لهذا قلب فى الأضوار يُظهر ما فيه من كنوز الأسرار ، و لطائف

(١) فى الأصل : شىء .

(٢) العبارة المحبوزة ساقطة من النص و وردت فى هامشه بقلم المصحح .



الأنوار، قال الله تعالى: "وَلَنَبْلُونَكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجْتَهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوا أَخْبَارَكُمْ". وقوله تعالى: "مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِمَّنْ ذَكَرَ أَوْانَثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّه حَيَاةً طَيِّبَةً". قال أهل التفسير: الحياة الطيبة في الدنيا القناعة. وقال صلى الله عليه وسلم: القناعة كنز لا يهَى .  
 هـ وقال صلى الله عليه وسلم: كن ورعاً تكن أعبد الناس، وكن قنعاً تكن أشكر الناس، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمناً، وأحسن مجاورة من جاورك<sup>٢</sup> تكن مسلماً، وأقل من الضحك فإن الضحك يميت القلب. وفي الزبور: القانع غني وإن كان جائعاً. قال بعض الصالحين: لما خلق الله تعالى النفس والعقل، جعل لهما خزانين من خزان فضله، ١٠ تم أذن لهما في الإهراق مهما مدة دولتهما. ولما خلق الله القلب والروح طلب ما جعل للأولين، فقال: وعزتي وحلالي! لأجعل لكما ما جعلت لهما، لأنكما عندي أجل رتبة مهما، وأعلى قدراً من قدرهما، ولكن أهما وأنا أمدكما مدداً دائماً سرمداً، ولا أقطع عنكما فضلي ولا عطائي أبداً، فإنكما في كف عري وطن قربي وحلالي، ولكما إشارة من المعنى ١٥ اللالي، أنفق قلالي. ولا تحش من ذي العرش إقلالي.

وقيل: وضع الله خمسة أشياء في خمسة مواضع: العر في الطاعة،

(١) قرآن كريم سورة ٤٧ آية ٣١.

(٢) قرآن كريم سورة ١٦ آية ٩٧.

(٣) في الأصل: جاور. (٤) كذا الرعاية السجع.

والذل في المعصية ، والهيبة في قيام الليل ، والحكمة في البطن الخالي ،  
والغنى في القناعة . وقيل : لما نطق موسى بذكر الطمع ، وقال للخضر :  
” لو شئت لتخذت عليه اجرا “ - يعني في إقامة الجدار الذي أراد أن  
ينقض<sup>٢</sup> ، قال الخضر له : هذا فراق بيني وبينك . قال البوصيري في  
قصيدة له :

٥

و أقيم منقض الجدار و تحته كرز الوصول إلى المقام السرمد  
فلهم جمعا في الفراق و وصله من قاطع و ترقيما من مخلد  
وقيل . لما قال موسى للخضر : ” لو شئت لتخذت عليه اجرا “ -  
يعني في إقامة الجدار ، وقف بين موسى والخضر طي ، و كانا جائعين ،  
فأما الجانب الذي يلي موسى فعير مشوى ، والجانب الذي يلي الخضر ١٠  
مشوى - انتهى .

نعود - واعلم أن الذي هو أشد من الفقر السؤال ، فإن السؤال  
سبب قاتل ، وموت عاجل . قال بعضهم :  
بلوت بي الدنيا ولم أُرَ فيهم سوى غادر والغدر منء إهابه

(١) قرآن كريم سورة ١٨ آية ٧٧ .

(٢) ريد في هامشه هنا بخط المراجع : وقف بين موسى والخضر طي وكان  
حابين فاما الجانب الذي يلي موسى فعير مشوى والجانب الذي يلي الخضر  
مشوى - انتهى . وبالعبارة في النص والهامش غموض بسبب النقص فيها وربما  
وضح المعنى بما تلا ذلك من القول .

(٣) نقلنا الكلمة من الشطر الأول للثاني .

فجردت من غمد القناعة صارما    قطعت رجائي منهم بذيابه  
فلا ذا يراني واقفا في طريقه    ولا ذا يراني جالسا عند بابه  
قال الأصمعي: سمعت أعرابيا يقول: المسألة طوق المذلة، تسلب العزيز عزه،  
والحبيب حبه. وقال بعضهم: حسبك من السؤال أنه يضعف لسان  
٢٠٨/ب ٥ المتكلم، ويكسر قلب الشجاع البطل، ويوقف الكريم / موقف العبد  
الذليل، ويذهب بنصرة اللون، ويمحو الحسب، ويجب الموت، ويمقت  
الحياة، فالقناعة باليسير مع الإقلال، أحسن من الكثير يتبعه ذل السؤال.  
وأنشدوا في معناه حيث قالوا:

عزيز النفس من طلب القناعة    ولم يكشف لمخلوق قناعه  
١٠ كففت يدي عن الإطماع طرا    وقلت لفاقتي سمعا وطاعة  
ولعندهم:

هي القناعة فالزمها تكن ملكا    لو لم ينالك إلا راحة البدن  
ولبعضهم:

رأيت القناعة أصل الغنى    فصرت بأذيالها متمسك  
١٥ فألبسى عزها خلعة    يمر الزمان ولا أنهتك  
فصرت غنيا بلا درهم    أمر على الناس شبه الملك  
ولبعضهم:

كم فاقة مخفية بمروءة    وضرورة مستورة تتحمل  
وكم ابتسام تحته قلب شج    قد خامرته لوعة لا تجلي  
٢٠ لو سود لهم الملابس لا تجر    ييض الثياب على امرئ في محفل

و لبعضهم :

قنعت بالقسوت في زمانى هصرت في العز و الأمان  
وقد تركت السؤال دهرى وعشت حرا بلا هوان  
مخافة الناس أن يقولوا فضل فلان على فلان  
من كنت عن ماله غنيا رأيت به بالذى يبرانى ٥

وقال عثمان الموصلى :

تقنع بما يكفيك واستعمل الرضى فانك لا تدري أ تصبح أم تسمى  
وليس الغنى عن كثرة المال إنما يكون الغنى و الفقر من قبل النفس  
و لبعضهم :

لا تحسن الموت صوت السلى وإنما الموت سؤال الرجال ١٠  
كلاهما موت ولكن د أشد من ذلك على كل حال  
وقف أعرابى ردى الخال نأى الأسود الدؤلى وهو يأكل تمر ،  
فسأله شيئا ، فاردراه أبو الأسود وظر أنه من جهة نعوم . فقال ٢٠٩  
الأعرابى : إني واحد محتاج . وابن سبيل ماص . قد اكلى الفقير ،  
وأذلى الدهر . فأعز ضعيفا . وأسف ماؤفا . ورمى إليه بتمر ١٥  
أخرى ، فضرب بها الأعرابى وجهه أنى الأسود وقال : جعلها الله  
حظك من عده ، وأجأك إلى مثلك كما الجأنى إليك . ليلوك كما

(١) يقرأ باسكان اللام لاستقامة الوزن .



أبلائي . ثم قال : عطية القوم على [ قدر - ١ ] أقدارهم ، ثم انصرف وتركه ، فحجل أبو الأسود منه لفصاحته و بلاعته في سؤاله و جوابه ، ولم يكن معه في ذلك الوقت ما يعطيه لحسن كلامه .

قال النبي صلى الله عليه وسلم : أحب الأعمال إلى الله عز وجل ه سرور يدخله المؤمن على مؤمن ، يطرد عنه جوعته ، و يكشف عنه كربته . يقول الله تعالى في بعض كتبه المنزلة : الأغنياء خزنتي ، و الفقراء عائلتي ، هو عزتي و جلالتي ! لئن جاءت عائلتي لأعدن خزنتي .

حكى الشيخ الفقيه أبو إسحاق بن الرشيد ، قال : كنت جالسا عند بعض الرؤساء في ستانه ، و الخدمة بالمسحاة يخدمون ، فلما جلسوا للغداء ، ١٠ جلس رحلان منهم ألسان فاحية ، و أخرج أحدهما غداءه الخبز وحده ، و أخرج الآخر خزا و جسا ، فسأل الذي ليس عنده جبن صاحبه أن يعطيه من جبنه ، فأعطاه شيئا يسيرا حدا ، فقال له بعد أن أخذ : عطية القوم على قدر أقدارهم . فقال له المعطي : صدقت . فقال له الآخر : ليس هذا مذهب سيويه . قال الشيخ أبو إسحاق : فعلت ١٥ أنهما من طلبة العلم ، فكلمت صاحب الدستان فيهما ، فأحسن إليهما . و بين الشيخ أبو إسحاق قولهما ذلك . فقال . أراد الآخذ للجن أن عطيته مصدر مضاف إلى الفاعل ، فالمعطي إنما أعطى / على قدره ، لا على قدر الآخذ ، و لما كان اللفظ غير صريح في هذا ، بل يحتمل أن المصدر

٢٠٩/ب

(١) ساقطة من الأصل و ورد بهامشه « لعله : على قدر أقدارهم » .

مضاف إلى المفعول . صدقة المعطى بناء منه على إرادة هذا المعنى الثانى  
أنه مضاف إلى المفعول . فقال له الآخذ : ليس هذا مذهب سيويه -  
يعنى أن حمله على الإضافة إلى الفاعل هو الراجح عند سيويه . وإما  
حكاه الشيخ أبو إسحاق تنبيهها منه على أن كثيرا مما يعتقد فيه الجهل ظاهرا  
يكون فى الباطن على خلافه - انتهى .

قال حسن الخياط : كنت عند بشر الحافى ، فجاء نفر فسلموا عليه ،  
فقال : من أنتم ؟ قالوا : نحن من الشام ، حثا لنسلم عليك ، و نريد الحج .  
فقال : نشكر الله لكم . فقالوا : تخرج معنا ؟ فقال : بثلاث شرائط :  
لا تحمل معنا شيئا ، و لا نسأل أحدا شيئا . و إن أعطى أحد شيئا  
لا يقبل . فقالوا : لا نقدر على هذا . فقال : أر كم خرجتم متوكلين على  
رأد الحجيج لا متوكلين على الله . ثم قال الحسن : الفقراء ثلاثة : فقير  
لا يسأل ، و إن أعطى لا يأخذ ، فذاك من جملة الروحانيين ، و فقير  
لا يسأل و إن أعطى قبل ، فذاك يوضع له موائد فى حظائر القدس .  
و فقير يسأل ، و إن أعطى أخذ بقدر الكفاية . فكفارته صدقة .

قال أبو حمزة الصوفى : عاهدت الله تعالى أن لا أكل أمرى إلا إليه ، ١٥  
فحججت سنة من السنين ، فبينما أنا أمشى فى الطريق إذ وقعت فى بئر .  
فنازعنى نفسى أن أستغيث ، فذكرت العهد الذى بينى و بين الله أن لا  
أستغيث . قال : فما استتمعت كلامى هذا الخاطر حتى مر برأس البئر

(١) فى الأصل : شىء .

رجلان . فقال أحدهما لصاحبه : تعال حتى نسد يا أخى هذا البئر لئلا

يقع فيه أحد . قال : فأتيا بقصب و تراب ، / و طموا رأس البئر . قال : ٢١٥ / الف

فهمت أن أصبح . ثم قلت فى نهى : أستغيث بمن هو أقرب إلى من

جبل الوريد . قال : فسكت ، قال : فبينما أنا بعد ساعة إذا بشيء قد

ه جاء فنبش عن رأس المئردلى لى رجله ، يشير إلى أن أمسكها حتى

أطلعك منها ، فإذا هى رحل أسد فتعلقت بها فرفعى و تركى و مضى ،

و إذا بهاتف يهتف بى : يا أبا حمزة <sup>١</sup> بيمينك من التلف بالتلف .

فأنشدت أقول :

نهائى جئنى منك أن أكشف الهوى

١٠ فأغيتنى بالفهم منك عن الكشف

تلطفت فى أمرى فأبدت شاهدى

إلى غايتى و اللطف يدرك باللطف

تراءيت لى بالغيب حتى كأما

تبشرنى بالغيب أنك فى الكف

١٥ كتب الشبللى إلى ابن يزدانبار أن ابعت لنا شيئاً من دنيائك ، فكتب

إليه ابن يزدانبار : سن دنيائك من مولاك . فكتب إليه الشبللى : دنيائك

حقيرة ، و أنت حقير ، و إنما أطلب الحقير من الحقير ، و لا أطلب

(١) ريد هنا فى الأصل : مادامليح - و لا محل لذلك فى الجملة و المعنى

لخدمتها .

من مولاي غير مولاي - انتهى .

نعود إلى ذكر المعاش والحرف إن شاء الله تعالى - اعلم أن المعاش والحرف محمودة . قال بعضهم :

طلب المعاش فريضة يغنى الوحوه عن السؤال

و يعود بالنزر اليسير على الكثير من العيال <sup>c</sup>

قال الأصمعي : كان أعرايان متواحين بالبادية . فطلب أحدهما

المعاش ، فاستوطن لريف ، و اختلف إلى باب الحجاج بن يوسف الثقفي

وسعى عنده فاستعمله على أصبهان فوليها ، فكثر ماله ، وجلس على

سريره ، وحمل يحكم بين الناس ، فسمع به موخيه الذي بالبادية ، فسعى

إليه ليل منه حيرا ، فأقام بسابه حيد لا يصل إليه ، فحمل على نفسه <sup>١٠</sup>

من ذلك وقال : ما أقبح دن سؤال ! ثم أذن له في الدحول ، فأخذه

الحاجب ، فمضى به وحمل يوصيه . يقول له : سلم على الأمير زيدا

بأتم سلام . فلم يلتفت لأعراني أقوله ، ولما رأى زيدا جالسا على

السرير لم يبدأ سلام ، ولا خاطبه بكلام ، دون أن أنشده :

و نلت مسلما ما دمت حيا عني زيد تسليم الأعـمـير <sup>١٥</sup>

فقال زيد : إذ ما أبالي . فقال لأعراني :

أ تذكر إذ لحاك حلد شاة و إذ نعلاك من جلد العير <sup>٢١٠</sup>

فقال زيد : إني لا أذكر ذلك . فقال الأعراني :

وسحان الذي أعطاك ملكا و نملكك الجلوس على السرير

(١١) في الأصل : زيدا .



فقال زيد: بحمد الله لا بحمدك، وأمر له ببغل وصرقه، فركب الأعرابي ذلك البغل وانطلق، فاذا ببغل تقور. فبينما هو كذلك، وإذا هو قد نهر ورمى الأعرابي لصرعه، فلما أفاق من صرعه، أنشأ يقول:

أقول للبغل لما كاد يقتلني لا بارك الله في زيد وما وهبا

هـ إذ جاء بالبغل لما جئت سائله وأمسك الفضة البيضاء والذهبا

قال الأصمعي: كنت في حلقة فيها سروات الناس، إذ وقف أعرابي ومعه ابنتان كأنهما ظيتان. فقال للكبرى منهما: ارفعي رقعك ليظهر وجهك، وأسألي أعمامك. فأسفرت عن وجه كأنه الشمس حسنا وجمالا، وقالت بصوت رخيم، وفصاحة منطق:

١٠ هل عندكم شيء<sup>١</sup> تواسونا به لله والرغبة في ثوابه

فقد رماها الدهر بانقلابه بمرفعات من شأ أنيابه

فلم يعطها أحد شيئا. فجلست واندفعت تسكى. فقال للصغرى: يا ابنتي! ارفعي برقعك وأسألي أعمامك. فرفعت برقعها عن وجه كالقمر في ليلة أربع عشرة<sup>٢</sup> وسكت وقالت:

١٥ والله لو لا قلة النساء وعدم من دهرنا لم نأت

ولم ير الشيخ مع البنات بمد أيدينا بهات بهات

فلم يعطهم أحد شيئا. فأخذ الشيخ بأيديهما، وضمهما إليه وقال:

نَسَيْتِي اتعابا أباكما إنكما معين من يراكما

(١) في الأصل: شيئا. (٢) في الأصل: أربعة عشر.

إن تبكيا فالدمر قد أبكا كما لو شاء ربى عنهم أغنا كما

فقال الأصمعي : لقد طرح عليهم من الثياب ما حال بينى وبينهم ،  
ومن الدراهم ما استغنوا بها . وقالوا لائيهما : ما أحرنا عنكم العطاء  
إلا لنسمع حسر منطقتيها <sup>١</sup> ، وحلاوة مسألتها <sup>٢</sup> ، وصاحبة منطلقك  
أيضا ، فحمل أبوهما ما اجتمع له وانصرفوا .

وقف أعرابي على قوم يسترفدهم ، وقال : أخ في كتاب الله ،  
و جار في بلاد الله ، و طالب خير من عند الله . فهل أخ مواس في الله ؟  
فأحسنوا إليه لحسن سؤاله .

/ سأل بعض الصالحين رجلا عن رجل ، و كان المسئول يكره ١٢١١

ذلك ، و السائل لا يعلم كراهته . فقال : هو يأكل الحرام ، و يأكل ١٠  
ما لا يحل له ، فكره السائل منه قوله ذلك ، و قال : لعله يأكل السمك  
الطافي و هو حرام عند قوم ، و حلال عند قوم آخرين ، منهم الشافعي  
و غيره . و قد رأى بعض العلماء أن أخذ السمك من البحر ذكاته ،  
بخلاف ما يؤخذ منه ميتا فإنه لا يؤكل ، و فرق آخرون فيما يؤخذ  
ميتا بين الطافي و غيره ، فمنعوا أكل الطافي ، و أباحوا ما عداه . فقال ١٥  
الرجل : يا سيدى ! إنه يأكل المحرمات ، حيث المطعم ، فكره أيضا منه قوله  
ذلك و قال : عسى أنه يأكل الذبيحة التي ترك الذابح لها تسمية الله تعالى عليها

(١) في الأصل : مسطقتيها .

(٢) في الأصل : مسألتها .

عامدا، وهذا حرام عند جماعة من أهل العلم، وحلال عند غيرهم منهم الشافعي، ويحتمل أيضا أنه يأكل هوام الأرض، وهي محرمة عند جماعة من الفقهاء ومحللة عند المالكية. ثم قال الرجل: وهو يحب الغلمان، فقال: لعله يحب ملك الغلمان يتجمل بهم، ويتقوى بجمعهم، ويحتمل ه أن يكون فيه رقة، يحب من أجلاها الصبيان رحمة لهم ورقة عليهم، لأنهم ما عصوا الله عز وجل. فقال الرجل: ما أنا إلا كلما ذكرت حاله، تأولت له الخير. قال: وما ينبغي أن يتأول للمسلم إلا الخير، فإن الشفقة على خلق الله تعظيم<sup>١</sup> لأمره.

قال الواقدي: كنت معلما لأولاد الخلفاء، فلما ولي أحدهم الخلافة كتبت قصة أشكو إليه غلبة الدين، ولزوم الغرماء يابى، فوقع على ظاهرها: أما بعد، فإن الله قد جعل فيك خلتين<sup>٢</sup>. وهما الحياء والسخاء. أما الحياء فهو الذى منعك أن تطلعنا على حقيقة حالك، وأما السخاء فهو الذى أوحب دهاب ما ملكت يمينك، وقد أمرنا لك بمال، فإن كنا قد أصبنا مقدار بيعتك، وإلا فزد فى بسط يدك، فإن خزائن الله ٢١١/ب ١٥ بالرفق مملوءة، ويده بالخير مبسوطة،/ وكنت أخبرتني فيما<sup>٣</sup> نقل عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: إن الله سبحانه وتعالى يزل أرزاق

(١) فى الأصل: تعظيما.

(٢) فى الأصل: خلتان.

(٣) فى الأصل: فيمن.

العباد على قدر تفقاتهم ، فمن قَلل قُلل له ، و من كثر كثر له . قال الواقدي : و قد كنت نسيت هذا الحديث ، فكان تذكاره لي أحب إلى من الجائزة التي أمر لي بها .

و قال بعضهم : المعونة على قدر المؤنة . و اعلم أن من ضيق العيش شراء الخبز من السوق ، و التنقل من منزل إلى منزل . رأى قوم ه رجلا نصف لحيته بيضاء و نصفها سوداء ، فسألوه عن ذلك ، فقال : الجانب الأيسر تسارنى جاريتى منه فى وقت فراغ الدقيق فتقول لى فى مجلسى الذى أجلس فيه مع قومى فى أذننى : قد فرغ الدقيق ، فتحملى هم فراغه من كثرة سؤالها إياه ، و تكفى لشرائه مع الفاقة ، بيض<sup>١</sup> جانب لحيتى . قال بعضهم فى هذا المعنى :

١٠

مس عدم الخبز بداره مكتوى من حر ناره  
و تقوم الأهل حقا و بنوه<sup>٢</sup> و جواره  
و ينادون عليه بالمشا<sup>٣</sup> و فى نهاره  
هات يا هذا دقيقا ناعما [ لى - <sup>٤</sup> ] من حجاره

(١) فى الأصل : ابيض .

(٢) فى الأصل : و بنيه .

(٣) نقلناها من الشطر الأول .

(٤) زيد لاستقامة الميزان .



نخبز الخبز سريعا في التهاب بشراره  
تشبع المعدة منه برضى منك و كاره  
إن معت الخبز شحا تلتقى منا المكاره

قال بعض العلماء شعرا في حال فقره وهو :

هـ لعمري لقد قاسيت بالفقر شدة أقمت بها في حيرة و شتات  
فان بحث بالشكواء<sup>٢</sup> هلكت مروتي وإن لم أبح بالفقر خفت بماتي  
فأعظم به من نازل بملمة يرل حياتي أويزيل حياتي  
وقال بعضهم :

إن عضك الدهر فانتظر فرجا فانه نازل ممتظره

١٠ أو مسك العسر و ابتليت به فاصبر فان الرخاء في إتره

كان بعضهم به حاجة شديدة ، و فاقة و عرى ، و كان ذا مروءة  
و محوة ، فقال : إن كدّيت فضحت نفسي ، و إن لم أفعل أمت حوعا ، و إن  
حملت نفسي على الكدية كيف أخرج عريانا ، فقطع رجاءه و أقام  
ببته . فبينما هو في الليل مصطجع على جنبه ، و عيابه لم تناما من شدة  
١٥ جوعه ، و إذا بسارق دخل بيته ، فوضع كارة كان سرقها ، و أتى بها  
بيت الرجل ليزداد عليها سرقة أيضا ، و كان ملتحفا بملحفة دكانه ،  
فخلها و نشرها في البيت ، و صار عريانا يلتبس في حالك الظلام ما يضعه  
فيها ، فالتمس فلم يجد في البيت ما يأخذه ، فأخذ صاحب البيت هراوة

كانت إلى جنبه ، ضربه بها ضربة أزجته ، فلم يجد له سيلا غير الهرب ،  
فخذ ذلك أخذ صاحب البيت الملحفة ستر بها نفسه ، وقش الكارة فوجد بها  
دراهم كثيرة ، فرمى بالثياب والملاء في شارع غير شارع له لئلا تعرف  
عليه ، وأصبح غنيا بالدرهم بعد أن أمسى فقيرا ، ومضى السارق خاسرا  
حقيرا ، فاستعار من حاره ما ستر به عورته ، وسد جوعته . ٥

واعلم أن بسط اليد للكدية سبب مذموم ، وليته يبسط يده للكدية  
خاصة ، لكى يقول : أنا رجل صالح فأعطوني ، ترى ما ذا يبيعهم حتى  
يعطوه<sup>١</sup> إن باعهم عمله ، فبيع الدين بالدنيا كييع الثمرة قبل بدو  
صلاحها ، يخشى عليها من جائحة الخاتمة حتى يطلب بالثمن . وما هناك  
حبس إلا جهنم ، فيقعد مفلسا ، فالحبس أولى به . ١٠

قال الغزالي يحدث : خصلتان خسيستان : اللصوصية والكدية ،  
يقصدان أن يأكل<sup>٢</sup> مما سعى فيه غيرهما ، وقال أيضا : الكدية تزيد على  
الآلفين - يعنى بذلك طرقها ، وكل ذلك استنط بدليل الفكر لأجل المعيشة ،  
وإما جرم إلى ذلك جائحة المطعم والملبس واللبس . واعلم أنه ليس  
الفقر والتصوف سوى بالعلم والحلم والعرض النقي والتعفف والمحاولة ١٥  
بسبب يغنى به نفسه وينفع بعضه غيره ، كما قال الشيخ عبد العزيز الديري :

/ وليس الفقر مسبحة ودلق و سجاد ولا ثوب سُنى

/ ٢١٢

(١) في الأصل : جرعه .

(٢) في الأصل : حتى يعطوه .

(٣) في الأصل : يا كلان .

ولا بمذبة و بلاس شعر      ولا ليف ولا جلد زنى<sup>١</sup>  
 ولا طبر و دبوس و سيف      و شربوش كهيئة تونسي  
 و حلق الذقن تقطيع وجهل      و ليس الجهل فعلة مهتدي  
 و يحلق رأسه مع حاجيه      لكي يدعى بذاك قرندلي<sup>٢</sup>  
 فليس الفقر و الرحمن هذا      ولا التصريف بالفعل البطي  
 سوى علم و آداب و حلم      و إمساك عن الفعل الردي  
 و كم دلق مرقع فوق تيس      بلا علم ولا عرض تقى  
 له لذع يذوب الصخر منه      و كف يلقط الفحم الحمي  
 فكم تحت<sup>٣</sup> التصافي صافيات<sup>٤</sup>      و تحت الزى شيطان غوى

١٠ قيل : إن بعض الواعظات بالإسكندرية كانت تعظ النسوان ،  
 فاذا فرغت من وعظها نزلت عن كرسىها ، و تمد طرف مقنعتها ،  
 و تمسكن ، و تطوف عليهن و تقول محلاوة كلامها : رقت ساداتي ،  
 أطلب منهم عاداتي ، فما تطيب أوقاتي ، إلا بقولي : شيء لله . و ترقص  
 لهن ، و تمشخر فيضحكن منها ، و يمددنها برقعهن و إحسانهن ، فقبل لها  
 ١٥ في ذلك ، فتقول : ما الحسن في لف الخلق ، الحسن في حل الخرق ،

(١) في الأصل : رلني و ينكسر الوردن بها . و يستقيم بما أثبتناه بمعنى : ضيق .

(٢) انظر حاشية سابقة و راجع الفهارس .

(٣ - ٣) في الأصل : التصافيات صافي . - و بذلك ينكسر الشطر ، و يستقيم

الوزن باعتكاس الكلمتين مع عدم المساس بالمعنى .

(٤) في الأصل : تطلب .

وما تنحل خرقهن ، لأخذي منهن دراهمهن ، إلا تمسخرى لهن ،  
[ لحقة عقلهن - انتهى قولها لهن - ١ ] .

فلنذكر الآن أهل الرياء المظهرين للتقشف وإفراط التنسك و مواظبة  
الصلاة و الصيام و كثرة التسييح ، و القيام بين الخواص و العوام ،  
يلقونهم بالبشر و السلام ، و يغشون أبواب الملوك و الأمراء على صفة هـ  
التهاني في الأعياد ، و لما يأتي من الأولاد ، و بالأوبة من الأسفار ،  
و السلامة من الأخطار ، و يجعلون الدين سلماً إلى الدنيا ، و أكثر  
أغراضهم أن تودع عدهم الأموال ، و تجلهم العوام و تقبل شهادتهم  
القضاة و الحكام ، و هؤلاء أشر من اللصوص ، و تشبه هؤلاء بأهل الخير ،  
يحمل الناس على الاغترار بهم ، فادا أسروا ، بطروا و تكبروا و تبحروا ١٠  
و تيلسوا ٢ ، فليس لمثل هؤلاء دواء غير الفقر و عدم الإعطاء ، ليحصل لهم  
بذلك الدل و المسكنة ، و يستريح العالم من شرورهم و بطرهم . قال الشاعر :

قوم إذا أسروا في الناس قد بطروا

فأوجب الأمر أن يضجوا تعاكيسا

١٥ الفقر يمنعهم عن كل منحة

لو لا تمنعهم كانوا أباليسا

(١) العبارة المحجورة ساقطة من النص و وردت بالهامش بخط المراجع .

(٢) الفعل من إبليس .



فلنذكر الآن الفقراء المخلصين<sup>١</sup> . و أما الفقراء المخلصون المتقون ،  
 فنقطعهم الصواب ، و ملبسهم الاقتصاد ، و مشيهم التواضع ، أحسادهم  
 نحيفة ، و أنفسهم عفيفة ، أرادتهم الدنيا و لم يريدوها ، و أسرتهم فقدوا  
 أنفسهم منها ، أما النهار فخلاء أبرار ، أما الليل فقائمون<sup>٢</sup> على أقدام الجد  
 ه و الذكر ، فمن علامة أحدهم أن ترى له قوة في دين ، و حزمًا في لين ،  
 و إيمانًا في يقين ، و حرصًا في علم ، و حكمة في حلم ، و قصدا في غنى ،  
 و خشوعًا في عبادة ، و تجملًا في فاقة ، و صبرًا في شدة ، و طلبًا في  
 حلال ، و نشاطًا في هدى ، و تخرجًا في طمع ، يعمل الأعمال الصالحة  
 و هو على وجل ، يمسى و همه الشكر ، و يصبح و همه الذكر ، نفسه  
 ١٠ منه في غنى ، و الناس منه في راحة ، أتعب نفسه لآخرته ، و أراح الناس  
 من نفسه . فهو لاء الفقراء ملوك الآخرة الذين يدخلون الجنة قبل  
 الأعياء بخمسمائة عام ، و هؤلاء الذين<sup>٣</sup> ينبغي مواساتهم ، و إدخال  
 السرور عليهم .

عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
 ١٥ إدخال السرور على محبيننا و طالبي طريقتنا أفضل عند الله من ألف حجة  
 و عمرة و مائة نسمة تعتق من ولد إسماعيل .

قيل : كان بالبصرة عجز صالحه تعرف بالماوردية ، تكتب و تقرأ

(١) في الأصل : المخلصون .

(٢) في الأصل : فقائمين .

(٣) في الأصل : الذي .

و تعظ النساء، و لا تأخذ منهن شيئاً، / و مكثت خمسين سنة من عمرها  
لا تقطر نهارة، و لا تنام ليلاً، و لا تقعات إلا بخبز الفول، و تأكل  
من التين اليابس شيئاً يسيراً، و شيئاً يسيراً من العنب و الزبيب، و ربما  
أكلت من اللحم اليسير. و حين توفيت تبع أكثر أهل البصرة  
جنازتها، و دفنت في مقار الصالحين .

قال الشيخ صفى الدين بن أبى المنصور: رأيت امرأة كبيرة الشأن  
يعظمها الأولياء والعلماء، مغربية يقال لها ست الملوك، زارت بيت المقدس  
في وقت ' الشيخ الولي الكبير الشأن على بن عباس اليمنى'. قال الشيخ  
على المذكور: كنت بيت المقدس، و إذا أنا أشاهد جبل نور مدلى  
من السماء إلى قبة كانت في المسجد، ففضيت إلى القبة، فوجدت فيها ١٠  
هذه المرأة، و قد ظهر عليها الهيبة، فطلبت منها الدعاء، فدعت لى  
و انصرفت .

و كانت بنت الشيخ أبى العباس الجزار على وجهها نور لا يخفى  
على أحد، أحرقت بموتها في الوقت العلامى، فلما حضرتها الوفاة كانت  
تقول لنفسها: "يايتها النفس المطمئنة ٥ ارحنى الى ربك راضية مرضية ٥". ١٥  
و تكرر ذلك حتى خرجت روحها . فهذا شأن العباد المؤمنين الذين  
قال الله في حقهم: "و لله العزة و لرسوله و للمؤمنين". وهذه الهيبة التى  
جعلها الحق فى قلوب العباد لأوليائه سرت إليهم لانبساط جاء المتبوع  
عليهم . ألم تسمع قوله صلى الله عليه و سلم: و نصرت بالرعب مسيرة

(١) ورد معه بياض بالأصل بقدر كلمتين من غير إخلال بالسياق .

شهر . ألبسهم الحق ملابس هيبته ، وأظهر عليهم إجلال عظمتهم ، كلما  
نزلوا إلى أرض العبودية رفعهم إلى سماء الخصوصية ، فهم الملوك  
وإن لم تتحقق عليهم البنود ، والأعزاء وإن لم تسر أمامهم الجنود ،  
فهؤلاء عباد المسلمين / الأولياء الصالحين .

٢١٤ / ألف

هـ [ما قيل في رجال الهند الكافرين - ١]

فلنذكر الآن ما قيل في رجال الهند الكافرين الذين<sup>٢</sup> يفعلون  
بأنفسهم ما لا تفعله المجانين - اعلم أن كفار الهند لهم رسوم و سنن  
قد جرت عاداتهم عليها ، منها ما يدينون به ، ومنها ما قد اصطالحوا  
عليه ، ومنها ما تنفرد به فرقة دون فرقة . وكل ذلك اتفاقا عقليا ،  
١٠ و من سننهم حرق أنفسهم بالنار ، فإذا أراد الواحد حرق نفسه قوة  
أو مخاطرة أو غضبا أو رسم الملك بذلك ، طاف المدينة ثلاثة أيام ومعه  
طبول وناس حوله ، وأهله معه ومن يتعصب له ويقوي عزمه ، فإذا  
كان اليوم الثالث وقدت نار بحطب ودخلها ، فان خاف وأراد  
الخروج منها ، رده أهله إليها بالحرايب ، لأن هذا عندهم عار للحى .  
١٥ ثم يقال له : تقرأ على فلان السلام و فلان وفلانة . وهم قوم يعتقدون  
التناسخ ، وعندهم أن الإنسان ترجع بعد أربعين يوم روحه إلى هيكل  
غير هيكله ، إما لکب أو حمار أو بقرة أو غير ذلك .

(١) العنوان مشتق من النص ، وليس بالهامش .

(٢) في الأصل : الذى .

قال عبد الله بن عبد العزيز : رأيت رجلا من التناسخية ممن يقول :  
 إن الأرواح تنتقل إلى عالم آخر ، وبين يديه كلة و هو يحدثها وكأنها  
 تصغي إليه . فقلت : ويحك ! ما هذه الكلة ؟ قال : هي أمى عافاك الله .  
 فقلت : و ما قصتها ؟ قال : كانت عاقبة لاني ، فدعا عليها ، فلما ماتت  
 انتقلت روحها إلى هذه الكلة . قلت : فما تحدثها ؟ قال : أحدثها ما حري ه  
 بعدها . قال : فتفهم عنك ذلك . قال : نعم تفهم . قال : فتفهم أنت  
 عنها ما تقول هي . قال : لا . قال : فما المسوخ إلا أنت .  
 و أما التناسخية فاعلم أن النسخ في اللغة يراد به أمران : أحدهما  
 الإزالة له . و ذلك قوله : نسخت الشمس لظل ، / و نسخت الريح آثار  
 القوم ، بمعنى : أزالتهما ؛ و الآخر النقل . يقولون : نسحت الكتاب - ١٠  
 إذا نقلت ما فيه .

و الهود مطاوعون<sup>١</sup> لملكهم كثيرا ، يرون ذلك أصل دينهم .  
 و ربما قال الملك لواحد منهم : مُرَّ لبيتك ، و وُجَّه لي رأسك .  
 فيخرج من بين يديه و يمضي ، فيجذب غصنا من شجرة أو رأس قناة ،  
 و يشد شعده بها<sup>٢</sup> ، و معه سكين ماضية مثل الماء فيضع حد السكين ١٥  
 على رقبته ، و نصابها في يده اليمى ، و يضع يساره على طرف السكين  
 و يمضيها بفوته ، فينفك رأسه مع غصن الشجرة ، و يبقى جسمه مطروحا  
 بالأرض . و لكل ملك من ملوك الهند جماعة يختص بهم ، فإن مات

(١) في الأصل : مطاوعين .

(٢) في الأصل : لها .



ماتوا كلهم ، ولو انكسر أو طارت عينه أو جرح ، فعلوا كذلك مثله .  
 وحكى عن رجل هندي كان يطوف بمدينة سندابور<sup>١</sup> ومعه  
 طبول و خدم و خلق كثير ، وقد قرر وسط قحف رأسه ، و قلبه  
 على قحفه ، وقد فيه قتيلة ، وقد تقد بدهن رأسه مثل الشمعة ، وجعل  
 ه عليها قليل دهن لتقد جيدا ، و دور برأسه صفيحة حديد و سمرها بمسامير  
 من حديد ، و هو يمشي و يغني و بمضغ التنبل ، فلما كان في اليوم الثالث  
 مات و مضى إلى النار ، و بنس القرار ا

وقيل إن ملكا من ملوك الهند مات ، فأحرق عليه أربعة آلاف  
 رجل من رجاله أنفسهم بأيديهم . و حدث بعضهم ، قال : عاينت بأرض  
 ١٠ الهند رجلا قد أخذه الملك بجنابة ، و كان لصا فأحضره ، و طلى بدنه  
 بالنورة ، و شدوا أربع خشبات كبيرة ، فشدوه عليها مثل المكدة ،  
 و جاء رجل جزار معه ساطور كبير قاطع ، و اللص يغني ، فخبذت  
 يده و وضعت على الخشبة ، و ضربها الجزار بالساطور فقطع / الأصابع ،  
 ثم ضربه أخرى فقطع الكف ، ثم ضربه أخرى على قصة الذراع ،  
 ١٥ ثم ضربه أخرى على المرفق ، هكذا يديه جميعا و رجله جميعا ، و أنا  
 أنظر ، و هو يتأوه و لا ينطق بكلمة ، و يلتقم التنبل فيا كاه ، ثم انقطع  
 تأوؤه ، و غارت عيناه ، و تلفت نفسه . فحسبت أن الجزار قطعه اثنتين<sup>٢</sup>

(١) سندابور - جاءت « سندابور » في ابن بطوطة (ص ٥٥٧ - ٥٧١) من مدن

الهند الشرقية في حكم الإسلام .

(٢) في الأصل : اثنتين .

و ثلاثين قطعة ، و أوقد نارا عظيمة ، و طرحوه فيها . و هذا جلد عظيم ، و قدرة على البلاء .

و قيل : إن يبلاد الهند لصوصا تجيء إلى البلد منهم جماعة ، فيعيّنون رجلا تاحرا ، فيقبضون عليه في بيته أو في السوق أو في الطريق ، و يجرّدون في وجهه خناجرهم ، و يقولون : أعطنا كذا و كذا من المال و إلا قتلناك . فان جاء أحد يمنعهم عنه قتلوا الرجل التاجر و قتلوا أنفسهم بخناجرهم التي بأيديهم بعده . فهم إذا أخذوا رجلا تاجرا و طالوه بالمال ، لم يترك أحدا يكلمهم خوفا على نفسه منهم . ثم يأخذون الرجل و يخرجون به خارج البلد حتى يفقدى منهم بما يشتهون<sup>١</sup> و يسلمه إليهم و حينئذ يتركونه<sup>٢</sup> .

١٠

و قيل : إن اثني عشر تقيا من هذه الطائفة اللصوص الملعونة جاءوا إلى مدينة صيمور<sup>٤</sup> من أرض الهند ، فقبضوا على شاب من أبناء التجار هندي ، وله أب من مشايخ الهنود ملئ الدمة ، وهو يحب هذا الولد حبا شديدا ، و ليس له ولد غيره ، فقبضوا عليه في جوف داره ،

(١) في الأصل : و طلبوه .

(٢) في الأصل : يشتهوا .

(٣) في الأصل : يتركوه .

(٤) صيمور - وردت في معجم البلدان لياقوت ( ج ٣ ص ٤٤٤ ) من بلاد الهند الملاصقة للسند قرب الديبل فيها مسلمون و يليها مسلم .

وطالبوه بعشرة آلاف دينار، وهو بعض ما يملكه أبوه من المال، فوجه إليه ابنه يعرفه ما نزل به، ويسأله أن يخلصه من أيديهم، فجاءه والده مع الناس، وكلهم ورقق بهم ليقطع أمرهم على ألف دينار، فأبوا ووقفوا على عشرة آلاف دينار، لا يحطون منها شيئاً، ٢١/ ب ه فلما / عين الرجل ذلك، مضى إلى الملك وعرفه الصورة، وقال: هذا داء لا دواء له، وإن لم تقطع هذه المادة لم يقدر أحد يسكن هذه البلاد مع هؤلاء و جنسهم، ويتطرق إلى هذا العمل كل من في بلدنا من وغد ونذل. فقال الملك: كيف نصنع؟ وإن كلناهم قتلوا ابنك. فقال له: كيف العمل؟ فقال الملك: قتلهم على هين، وإما أخاف أن يقتلوا ابنك، وليس لك ولد غيره. قال: ما أبالي، هؤلاء يطلبون مالا عظيماً، ولا يجوز لي أن أفقر نفسي وأخلص ولدي. اعزم أيها الملك على أن تدور على الدار التي هم بها الحطب، وتسد بابها وتضرمها عليهم ناراً. فقال له: يحترق ابنك وعيالك معهم. فقال: إحراقهم أهون على من ذهب مالى، وأيضاً فى ذلك موعظة لغيرهم، كيلا ١٥ يتطرق غيرهم لمثل فعلهم هذا. فقال الملك: وأنت راض بما ذكرت من ذهب ولدك وعيالك؟ قال: نعم، فوجه الملك رجاله وفعل ما أمره به صاحب الدار، وأطلق فيها النار، فاحترق كل من فيها من اللصوص والولد والعيال.

(١-١) فى الأصل: أنا بدور.

## [ كسرى و المزدقة - ١ ]

و قد ظهر فى ملك كسرى قباد<sup>٢</sup> بن فيروز أبى<sup>٣</sup> أنوشروان  
مزدق<sup>٤</sup> الزنديق ، فقال مزدق للملك قبادان : الله عز و جل جعل الأرض  
للعباد ، فتظالم الناس ، و استأثر بعضهم على بعض . و انضم إلى مزدق  
جماعة ، فقالوا : نحن نقسم بين الناس و نرد على الفقراء حقوقهم من  
الآعياء . فكانوا يدخلون على الرجل فيغلبونه على أمواله و نسائه .  
فوثب رجل من أشرف الفرس يعرف بابن شوجرا فى جماعة من  
أصحابه على مزدق فقتله ، فسعى مقاتل مزدق إلى الملك قباد حتى قتل  
قاتل مزدق ، فانتثر بعد ذلك أمر قباد و أدبر ، و لم تبق ناحية إلا  
خرج فيها غارحى ، ثم هلك قباد على ذلك ، و ملك بعده ابنه كسرى<sup>٥</sup>  
أنوشروان<sup>٥</sup> بن قباد ، فبنى رؤس المزدقة ، و قطع آثارهم  
و محام - انتهى .

## [ ما قيل فى العسر و اليسر و غير ذلك - ١ ]

ذكر ما قيل فى اليسر و العسر و الكرم و الخل و إقبال الدنيا

(١) العنوان مشتق من البص و ليس بالهامش .

(٢) كسرى قباد ( Kavad, Chosroes Kobad ) حكم فارس من ٤٨٧ إلى ٥٣١ .

(٣) فى الأصل : أبو .

(٤) مزدق - مبتدع الديانة المزدقية بفارس ، انتشرت أيام كسرى قباد  
و اصطهدده و قسى على قوتهم أنوشروان .

(٥) كسرى أنوشروان حلف أباه كسرى قباد سنة ٥٣١ حتى ظهور العرب .



٢١/ الف و إدبارها و غير ذلك - قال الأصمعي : رمت بنا / الأيام إلى حي من أحياء  
النميريين ، فلما قربنا من بيوت القوم ، ظهر لنا غلام شاب كالغصن الباسق ،  
يرفل في مطرف خز ، فسلم ثم أقسم بالله : لنزلن ، فنزلنا ، فوالله ما استقرت  
بنا الأرض في قنائه حتى دخل بيته ، ثم خرج و في يده مدقة كالنجم  
ه الثاقب ، فعمد بها إلى ناقة من إبله فتحرها ، فأقلت عليه أمه تلومه و تعذله ،  
و نحن نسمع كلامها ، فكان مما قالت له : أي بى ! ارفق بمالك ، فانه  
جفن دمك ، و ستر دينك ، و جنة عرضك ، و اعلم أن الفقر هو الموت  
الأول ، و الحاجة هي المذلة و السكون إلى الدهر غرور ، و ركوب الشهوة  
خطر ، و القصد خير من اتهميط ، و قد ساءنى ما رأيت من طول يدك  
١٠ في مالك ، و أنت في زمن بكد ، فانظر لنفسك ولى فقد نصحتك إن  
قبلت نصحي . فأشأ الغلام يقول لها هذين البيتين<sup>٢</sup> :

لا تسرفى فى ملاهى ان فى أدنى وقر<sup>٢</sup> فلومك لى من أعظم الخطل  
ما كنت متقلا باللوم عن خلقى حتى يوسدى بعض الثرى أجلى  
فقلت له :

١٥ أرى ذا الغنى والناس يسعون حوله فان قال قولا تابعوه وصدقوا  
كذلك دأب الناس ما دام موسرا فان زال عنه المال يوما تفرقوا

(١) في الأصل : و فى . و الواو رائدة مخدفاها .

(٢) في الأصل : الايات .

(٣) نقلنا الكلمة من الشطر الأول للثاني .

افعل يا بني ما بدا لك فقد نصحتك ثم قالت :

ما الناس إلا مع الدنيا وصاحبها فكيفها انقلبت يوما به انقلبوا

يعظمون أخا الدنيا وإن وثبت عليه يوما مما لا يشتهي وثبوا

أما سمعت يا بني قول القائل :

إن الفقير الطويل الذيل ممتهى فكيف حال فقير ما له قوت ٥

يمسى ويصبح في هم وفي نكد بين الاخلاء مرفوض ومحقوت

و اعلم يا بني أن الفقير مأحود من فقار الظهر ، و المعى أنه انكسر

فقاره ، فالفقير الذي يسأل ، و المسكين الذي لا يعلم به . قال النبي صلى الله

عليه وسلم : الفقير الذي ترده اللقمة و اللقمتان ، لكن المسكين الذي

لا يعلم به / فيتصدق عليه ، فقال لها : صدقت فيما قلت ، ولكن قال ١٠ ٢١٦/ب

بعضهم حيث قال :

فلا تحزن إذا ماضاق عيش فتحرم رتة الرجل اللبيب

فكم لطف خفي في كفاف ، كم لله من سر غريب

١ ألم تجر له الشديان رزقا وعرفه التنازل للنصيب

ألم ينعم<sup>٢</sup> عليه عهد لطف ، أعطاه مودات القلوب ١٥

فقلت : صدق القائل فيما قال ، ولكن قد قيل :

لولا دراهمه التي في جيبه لرأته أسوأ البرية حالا

(١) في الأصل : ألم تجرى له التدبين .

(٢) في الأصل : ألم تنعم .

يا بني ! إن الفقير إذا كان شجاعا قيل : أهوج ، وإن كان سخيا قيل :  
متلاف<sup>٢</sup> ، وإن كان حليما قيل : ضعيف ، وإن كان وقورا قيل : بليد ،  
وإن كان فصيحاً قيل : مهذار ، وإن كان مميزاً قيل : عتي . و هو كما  
قال الشاعر :

٥ إذا افتقر الإنسان قل صديقه      و أعرض عنه خله و شقيقه  
و لم يستمع منه الحديث جليسه      و هانت على كل الرجال حقوقه  
و يصبح مرفوضاً لقلّة ماله      و إن شرفت أنساه و عروقه  
و قال الآخر :

ترى المال محبوا إلى الناس كلهم      و ذر الفقر مبغوص إلى الناس جانبه  
١٠ و من يفتقر يوماً يراه صديقه      بمؤخر عين و ازورار حواجه  
و قال حكيم الهند : إنه لا يكون الأهل و الإخوان ، و التسع و الأعوان ،  
و الأصدقاء و الحشم إلا مع المال ، و لا الرأي و القوة إلا بالمال ،  
و لا المروءة يظهرها إلا المال ، و من لا مال له إذا أراد أن يتناول أمراً  
قعد به العدم عما يريد ، فبقى مقصراً عما أراد ، كالماء الذي<sup>٣</sup> يبقى في الأودية<sup>٢</sup>  
١٥ من ماء المطر ، فلا يتم إلى بحر و لا إلى نهر ، بل يبقى مكانه حتى تشبهه  
الأرض ، فمن لا مال له لا شيء له ، لأن الرجل إذا اتلى بالفقر رفضه

(١) في الأصل : كان .

(٢) جميع هذه الألفاظ وردت في آخرها بألف التوسين في الأصل .

(٣-٢) في الأصل . تبقى في الأودية .

إخوانه ، و قطعه ذوو رحمه ، فلا شيء أشد من الفقر ، و الشجرة النابتة  
في الساخ ، المأكولة من كل جانب ، أحسن حالا من الفقير المحتاج إلى  
ما في أيدي الناس ، و الفقر داعية صاحبه / إلى مقت الناس ، و مسلبة  
للعقل و المروءة ، و معدن للثمة ، و بجمعة للسلايا . و ليس من خلة هي  
للغنى مدح إلا هي للفقير عيب . فالموت أهون من العاقبة التي يضطر  
صاحبها إلى مسألة الأشقاء و اللئام . قال أبو يعنى<sup>١</sup> بن الهبارية :

إن الفقير ممتحن مستقبح عنه الحسن  
جميعه عيوب و كسبه ذنوب  
و وجهه ممقوت و جده مكبوت  
إحسانه إساءة علاؤه دناءة  
سماحه تدمير تديره تدمير  
عفته فسوق و بره عقوق  
صوابه خطأ صلاته رياء  
عظاسه ضراط رفقه انحطاط  
إن قال لم يصدق إن<sup>٢</sup> رام لم يوفق  
إن زار رد و حجب إن لم يزر قيل غضب  
راحه كالأعزل و رحمه كالمعزل  
أعراسه مآثم ليس له ملائم

ألم تر إلى قول بعض الفقراء يذم نفسه حيث قال :

(١) في اصل : أبو العباس ، و التصحيح من كشف الطنون - راجع فيه تأليفه  
الصادق و الباعم . (٢) في الأصل : و ان .



العنكبوت بنت يتا على وهن تأوى إليه و ما لى مثله وطن  
و الخنساء لها من جنسها سكن و ليس لى مثلها ألف و لا سكن  
فلما ذكرت أم القتي ما ذكرت له ، قال لها : أقصرى عما ذكرت  
فلست أفعل إلا كما قال القائل :

٥ إذا ما رؤس قد سلن من الأذى فما المال إلا مثل قص الأظافر  
أى إذا قص الظفر يطول ، و كذلك الإنسان لم يزل رزقه جاريا عليه  
إلى أن يموت - انتهى -

فلذكر الآن ما قيل فى الغريب المتمول :

و قالوا غريب الدار قلت فكيسه فقالوا به جزء من المال وافر  
١٠ فقلت لهم هذا مؤهل حيثما يقيم بلا شك و حيث يسافر  
و قال بعضهم :

و ليس غريب الدار من كان مؤمرا و كيف و كل الناس بالمال يفرح  
و لكن ذا الإفلاس صاحب غربة و إن كان بين الناس يمسى و يصبح  
و الدنيا لها إقبال و إدبار . قال بعضهم حذ من إقبال الدنيا لإدبارها ،  
١٥ فان الله تبارك [و] تعالى يرزق فى يوم للآيام أكثر ما يكتسب الإنسان  
فيها . قال الشاعر :

تقنع بما يكفيك - استعمل الرضى فانك لا تدري أ تصح أم تمسى  
/ و ليس الغنى عن كثرة المال إنما يكون الغنى والفقر من قبل النفس  
و قال بعضهم :

٢٠ إذا أقلت كادت تقاد شعرة وإن أدبرت كادت تعد السلاسل

(١) فى الأصل : دووا .

(٢) فى الأصل : اذا .

و قال الآخر :

إذا أقبلت باض الحمام على الوتد وإن أدبرت فر الحمام من البلد

و قال الآخر :

إذا أقبلت باض الحمام على الوتد وإن أدبرت بال الحمار على الأسد

فالزهد في الدنيا فيه كل الراحة ، و الرغبة في الدنيا فيها كل

التعب . كان عيسى عليه السلام يمشي دائما على رجله من غير أن يركب

دابة . فقيل له : لو اتخذت حمارا تركه ! قال أنا أكرم على الله من أن

يجعلني خادما لحمار ، فدأتني رجلاي ، و بنتي كهوف الأرض ، و شرابي

من أنهارها . أي غي أكثر من هذا يا بني إسرائيل ! كلوا من خبز الشعير

و الصل البري ، و إياكم و خبز الحطة ! فانكم لا تقومون بشكره . ١٠

عن كعب بن مالك عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه

و سلم : [ ما - ١ ] ذئبان جائعان أرسلا في غنم فأفسد لها من حرص

المرء على المال و الشرف لدينه .

عن أس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : هذا

ابن آدم و هذا أجله - و وضع يده عند قفاه ثم سطها<sup>٢</sup> و قال : ١٥

و كتم<sup>٣</sup> أملة .

و عن عبد الله قال : خط رسول الله صلى الله عليه و سلم خطا مربعا

فقال : هذا الأجل . و خط في وسطه خطا فقال : هذا الإنسان .

(١) من مسند الإمام أحمد ٣ / ٤٦ ، وفي الأصل بياض .

(٢) في الأصل : سطة .

و خط في عرضه خطوطا فقال : هذه الأعراض . ثم خط خطا خارجا فقال : هذا الأمل ، والعروض تنهشه ، وعينه إلى الأمل .

وعن عبد الله بن عمرو قال : مر علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نعالج خصيا ، فقال : ما هذا ؟ قلنا : قد وهى ، فنحن نصلحه .  
الف هـ - فقال : ما أرى / الأمر إلا أجعل من ذلك - رواه الترمذى . واعلم أن طالب الدنيا لم يزل فقيرا . قال بعضهم :

ومن يطلب الأعلى من العيش لم يزل فقيرا من الدنيا أسير غبونها  
واعلم أن الأجساد الهرمة قرية من الموت والبلى . كذلك الأمور التي يخرج منها أكثر ما يستفاد قريبة من الفناء . كان بعضهم غيبا .  
هـ ماله ، فعدمه و صار فقيرا ، فقال :

مجلوة صفرا تخيرتها تممدا من سكة الهند  
لكها أمست ولا والذي أحلف به ما أصبحت عندي  
وقال بعضهم في قلة ما بيده :

جميع الحروف تلتقط ونا كآلاف وحدى  
ونا من شقا تحتى لا فوقى ولا تحتى  
ولعصهم في عدم لث الدراهم عنده :

ما يألّف الدرهم المضروب صرتنا إلا يمر عليها وهو منطلق  
عن أنى هريرة : قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن المعونة تأتي من الله على قدر المؤنة ، وإن الصبر يأتي على قدر اللاء . عن علي

ابن أبي طالب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من رضى بالقليل من الرزق رضى الله عنه بالقليل من العمل ، و انتظر الفرج من الله عبادة . كان بعضهم يقول في دعائه : اللهم ! إن كان رزقي في السماء فأزله ، وإن كان في الأرض فأخرجه ، وإن كان بعيدا فقربه ، وإن كان قريبا فيسره ، حتى لا أكون حريصا في تعجيل أمره ولا تأخيره ، إنك على كل شيء قدير .

عن أنى سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : حوسب رجل كان قبلكم فلم يجد له حسنة ، إلا أنه كان يخاطب الناس ويقضى حوائجهم ، وكان موسرا ، فكان يأمر غلامه أن يتجاوزوا عن المعسر ، فقال الله عز وجل : أنا أحق بذلك . / فتجاوز عنه وغفر له . ١٠ / ٢١٨ ب وقال الشاعر :

و أسعد الناس في أيامه رجل تقضى على يده للناس حاجات  
الناس بالناس ما دامت حياتهم ولا غى عنهم إلا إذا ماتوا

### [ ذكر النساء وأخبارهن - ١ ]

ذكر النساء وأخبارهن ، و التفرس فيهن ، و العيرة عليهن ، و ما قيل فيهن ، و معرفة أحوالهن في الأحوال بهن ، و غير ذلك من الواردات المستطردات - سميت الفراسة فراسة تمثيلا بفراس الأسد لسرعة لحوطه بقوة ، فلم يملته لفرط تحققه فيه . و لغيلون<sup>(١)</sup> الفيلسوف كتاب في الفراسة

(١) العنوان من النص الكامل في أول الباب .

(٢) وامله : فيلون (Philon) ، هو فيلسوف يهودي والد للإسكندرية .



يختص بالنسوان ، ومنفعته جليلة في مقدمة المعرفة بأخبار من يضطر الإنسان إلى مخالطته من زوجة أو سرية أو صاحب ومملوك ، ليصير على بصيرة من أمره ، وهذا العلم معتبر في الشرع . قال الله تعالى :<sup>١</sup> : ” ان في ذلك لآية للتوسمين ” . وقال الله تعالى :<sup>٢</sup> : ” تعرفهم بسيماهم ” . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : اتقوا هراسة المؤمن ، فانه ينظر بنور الله . ويقرب من هذا العلم قيادة الأثر و قيادة الشر ، وليست علوما اكتسائية ، إنما هي تخمينات حسية ، وكذلك النظر في غضون الكف وأسارير الجهة ونحوها .

واعلم أن أطيب عيش الرجل هو أن يكون عنده مال يكفيه ،  
١٠ و دار تؤويه ، و جاه يحبه ، و زوجة ترضيه . قال بعضهم :

سعادة المرء أن يكون له      ظهر جواد و كسوة حسنة  
و راحة حرة موافقة      موصوفة بالجمال مؤتمنة  
و رزقه حارياً عليه و لا      يعدل عن أهله و عن وطنه  
فذاك ان عاش عمره سنة      كأما عاش ألف ألف سنة

١٥ و يستحب للرجل أن يتزوج نكراً يستحسنها ، لقوله صلى الله عليه وسلم :

النساء لعب ، فاذا اتخذ أحدكم لعبة فليستحسنها . و الحذر الحذر من

تزويجك / لعجور فاية ، ففي مشور الحكم : المرأة ريحانة لا قهرمانة .

٢١٠ / الف

قال بعضهم في عجوز :

(١) قرآن كريم سورة ١٥ آية ٧٥ .

(٢) قرآن كريم سورة ٢ آية ٢٧٣ .

عجوز عمرها سبعون عاما وعشرون أو عشرًا في الحساب  
 مقلعة الضواحك و الشايات من الأنياب إلا فرد ناب  
 يسلوح بكها 'ضرس فريد' شبيه الوتد<sup>٢</sup> في دار خراب  
 و يستحب للرجل أن يتزوج المرأة ذات العقل و الدين . قال النبي صلى الله  
 عليه و سلم : عليك بذات الدين تربت يداك<sup>١</sup> فإذا كانت المرأة زينة ه  
 صينة جميلة ، كان زوجها قائم الجاه بين الناس ، خالياً من الفكرة  
 و الوسواس ، و مع ذلك ينبغي أن يعار عليها ، فان النبي صلى الله عليه  
 و سلم قال : إني لغيور ، و ما من امرئ لا يغار إلا منكوس القلب .  
 و قال النبي صلى الله عليه و سلم : إن لله ليغار ، و من غيرته حرّم الفواحش  
 ما ظهر منها و ما بطن . عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال : قال ١٠  
 رسول الله صلى الله عليه و سلم : يا علي ! كس غيورا ، فان الله يحب الغيور .  
 و روى أبوهريرة أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : إن المؤمن  
 يغار . فنسب الغيرة إلى الإيمان بقوله : إن المؤمن يغار . عن ابن عباس  
 قال : كان الفضل بن عباس ردف رسول الله صلى الله عليه و سلم ، فجاءت  
 امرأة من خثعم تستغيبه ، فجعل الفضل ينظر إليها و تنظر إليه ، فجعل ١٥  
 رسول الله صلى الله عليه و سلم يصرف وجه الفضل إلى الشق الآخر ،

(١) في الأصل : عشرا .

(٢-٢) في الأصل : صرسا فريدا .

(٣) بتسكين «و» الوتد» لاستقامة الوزن .

(٤) في الأصل : حال .

فقلت: يا رسول الله! إن فريضة الله على عباده الحج، أدركت أبي شيخا كبيرا لا يثبت على الراحلة فأحج عنه؟ قال: نعم - خرجه مسلم .

والطريق المعنى عن الغيرة أن لا يدخل الرجل على زوجته الرجال،

٢١/ب ولا تخرج هي إلى الأسواق . قال النبي صلى الله عليه وسلم / لابنته فاطمة

ه رضي الله عنها: أى شيء خير للمرأة؟ قالت: أن لا ترى رجلا ولا يراها

رجل . فضعها رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه وقال: "ذرية بعضها

من بعض". واستحسن قولها . وأم فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه

وسلم خديجة بنت خويلد، تزوج بها النبي صلى الله عليه وسلم وقد بلغ

خمسا وعشرين سنة ولها أربعون سنة، وأصدقها خمسمائة درهم، وولى

١٠ تزويجها عمرو بن أسد عم خديجة، وقام أبو طالب عم النبي صلى الله

عليه وسلم خطيبا فقال: الحمد لله الذى جعلنا من ذرية إبراهيم وزرع

إسماعيل، وجعل مسكسا بيتا محجوبا، وحرما آمنا، وجعلنا حكاما

على الناس أجمعين . ثم إن ابن أخى هذا لا يؤزن رجل إلا ربح عليه!

وإن له لخطبا حليلا، وثناء جميلا وإن كان مقلا فى المال، فإن المال

١٥ رزق حائل، وظل مائل، فقد حطب إليكم رغبة فى حديثكم، وقد

بدل لها من الصداق ما آحله وعاحله كدا - والسلام عليها وعليكم .

فلنذكر الآن ما قيل فى اشتقاق الخطبة إن شاء الله تعالى - الخطبة

بالمكسر اشتقاقها من الخطب بمعنى الأمر و"بيان، قال: "ما خطبك"،

أى ما شأنك . وخطب فلان فلانة، أى سألتها أمرا وشأنا فى نفسها.

(١) فى الأصل . وحرما .

وقيل : ان أصل الخطبة من الخطاب الذي هو الكلام ، لان الخطبة تستلزم الخطاب في أمر المرأة . و أما الخطبة بالضم فهو الكلام المؤلف في الزجر و الوعظ و ما في معنى ذلك - انتهى .

نعود - فلما خطب أبو طالب و تم العقد ، أرسلت خديجة حينئذ إلى النبي صلى الله عليه وسلم حلة يمنية ، فأخذها فألقاها على عم خديجة ه قبلها و تم الكاح ، فقام النبي صلى الله عليه وسلم فقال له عمها : أين تريد يا محمد ؟ قال : إلى منزل عمي . قال : قل مع أهلك و دع عمك يحر سكرة و يطعم الناس . ففعل ذلك النبي صلى الله عليه وسلم و قال مع خديجة و قد / أقر الله عيه ، فخرج أبو طالب فرحاً شديداً ، فقال : ١١/٢٢٠ الحمد لله الذي أذهب عنا الكرب ، و دفع عنا الغم . ثم إن خديجة ١٠ أحبت النبي صلى الله عليه وسلم . فوجدت بمحبتها له القرب و الإسلام ، و النجاة من عبادة الأصنام ، فعصت عذالها ، و أنفقت عليه مالها ، و كانت أول من أسلم من نساء عصرها ، و شرها الملك بقصرها .

قال أبو هريرة . أتى حريز إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ! هذه خديجة قد أتتك<sup>١</sup> و معها إباء فيه ماء و طعام ، فاذا ١٥ أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها و مني ، و شرها بيت في الجنة من قصب ، لا صخب فيه و لا نصب - ذكره مسلم بن الحجاج في صحيحه ، و القصب هنا اللؤلؤ المجوف .

و قالت عائشة رضى الله عنها : ما غرت على واحدة من نساء النبي

(١) من صحيح مسلم - الفضائل ، و في الأصل : انت .



صلى الله عليه وسلم ما غرت على خديجة ، و ما رأيتها ولكن لما كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر ذكرها ، وربما ذبح الشاة ولم يقطع لها أعضاء ، ثم يبعثها في صدائق خديجة ، فر بما قلت له : كأن لم تكن في الدنيا امرأة إلا خديجة ! فيقول : إنها كانت وكانت ، وكان لي منها ولد - ذكره مسلم . وقالت عائشة رضي الله عنها : استأذنت هالة يوما على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتذكر استئذان خديجة فقال : اللهم هالة ! فقلت له : ما تذكر لعجوز حمراء الشدين هلكت في الدهر الأول ، أبدلك الله خيرا منها - ذكره مسلم .

وقالت عائشة أيضا : دخلت عجوز يوما على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : من أنت ؟ فقالت : حسانة المدينة . فقال : بلى أنت حسانة المدينة ، كيف حالكم ؟ كيف أنتم بعدنا ؟ قالت : بخير يا رسول الله ! فلما خرجت فقلت : على مثل هذه العجوز تقبل هذا الإقبال . وتساءل هذا السؤال ؟ . فقال : يا عائشة ! إنها كانت تأتينا في أيام خديجة ، و حسن العهد من الإيمان - انتهى .

١٥ نعود إلى ما قبل في الغيرة - وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسدون الطيقان لئلا تطلع النسوان إلى الرجال . ورأى معاذ امرأته تتصلع من طاق فضرى بها ، وراها رافعت إلى غلام قد أكلت بعضها<sup>١</sup> ،

(١) من الإصابة في معرفة الصحابة ، وفي الأصل : المزنية .

(٢-٢) العبارة قد اعتورها الغموص ، ولعلها : رافعة إلى غلام بعضها قد أطلت .

فضر بها . و قال عمر بن الخطاب : أعرؤا النساء يلزمن الحجاب . وإنما قال ذلك لأنهن لا يرغبن في الخروج في الهيئه الرثة .

- / عن عائشة قالت لنى الله صلى الله عليه وسلم : حسبك من صفية كذا وكذا . قال بعض الرواة : تعنى قصيرة . فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم : لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته . معنى مزجته ٥ أى خالطته بخالطة تغير بها طعمه و ريحه لشدة تنها و قبجها . وهذا الحديث من أعظم الزواجر عن الغيبة . وما أعلم شيئا من الأحاديث يبلغ في الذم لها هذا المبلغ . قال الله تعالى في حق النبي صلى الله عليه وسلم : " وما ينطق عن الهوى " ان هو الا وحى يوحى \* . ويخشى أن يظن ظان من العوام مالا يليق بمن قال في حقها النبي صلى الله عليه وسلم : ١٠ فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام . فان قيل : كيف صدر هذا القول عن اختصت من النساء بالافضلية في حق صفية ؟ قيل : إنما صدر ذلك منها لفرط الغيرة العريضة التي جبلت عليها القلوب السرية . وقد قال القاضي عياض في كتاب " الإكمال " [ ٤ - ] في حديث فيه مثل هذا الإشكال : يعنى عن النساء في كثير من الأحكام لأجل ١٥

(١) ريد هما : واعظهما - والكلمة مكررة لمدفعتها بلامس للمعنى .

(٢) قرآن كريم سورة ٣ آية ٣ و ٤ .

(٣) في الأصل : عن .

(٤) الجملة المحجورة ساقطة من النص و وردت في هامشه بخط المراجع .

الغيرة حتى ذهب [ مالك وغيره من العلماء إلى إسقاط الحد عن المرأة خشية إذا رمت زوجها بالفاحشة على جهة الغيرة . قال : واحتج لذلك بقول النبي صلى الله عليه وسلم : ما تدرى الغيرة أعلى الوادى من أسفله - انتهى .

٥ فلندكر الآن ما قيل في العفاف و خدع النساء و مكرهن و حيلهن و عيوبهن إن شاء الله تعالى . قالت امرأة من العرب لبعولها : ما هذه الغيرة التي أراها سلك ؟ قال : أغار على حمقاء مثلك ، تأتي بولد من غيري ، فتقدفيه في حجرى . قال بعض الحكماء لولده : يا بني ! تمسك بالمرأة العفيفة و اجأها في عينك ، و لا تمسك بالمرأة الفاجرة ، فان من تمسك بها ١٠ فهو فاجر جاهل ، و من عدم المرأة الحرة عدم الخير . قال بعضهم : و توق من خدع النساء حباثلا إر النساء حباثل الشيطان و قال الآخر :

در الدنيا و إن راقك حسا و لا يغسررك ربات الحجال  
فليست فتنة في الأرض تختبى أضرم من النساء على الرجال  
١٥ قال علي بن أبي طالب رضى الله عنه لما ذكر عده النساء : ما العجب  
٢ / الف من فسادهن ، بل العجب من صلاحهن . إن المرأة إذا رأتك / غيا  
سلتك ، ر إن رأتك فقيرا هجرتك ، و إن حاعت أكلتك بأسانها ، و إن  
شعت قرضتك بلسانها . إن هي إلا عودات تجتمع ، و حياء يرتفع ، تخرج  
من بعد ذلك ما شنع . فذلك كله على الولد إن جاع كد ، و إن مات

(١) في الأصل : تقدفه .

هد ، فاللذة بهن يسيرة ، و الهموم<sup>١</sup> بهن طويلة تورث الحيرة ، فلا تأمنوا النساء على مال ، ولا تكلوهن إلى تدبير العيال فانهن لا مروءة لهن ، عند دواعي شهواتهن ، ولا صبر لهن عند إرادتهن ، بل جوعوهن جوعا لا يضرهن<sup>٢</sup> ، وأعروهن عريا لا يضرهن ، فانهن إن جعن وعرين قررن في السيوت . قال الله تعالى<sup>٣</sup> : ” و قرن في بيوتكن و لا تخرجن ه تخرج الجاهلية “ .

فلذكر الآن ما قيل في جوار النظر إلى النساء و عدم جوازه ، قال أبو شجاع أحمد بن الحسن الشافعي رحمه الله تعالى : نظر الرجل إلى المرأة على سعة أصرب : أحدها [ نظره - <sup>٤</sup> ] إلى الأجنبية لغير حاجة فغير جائز ، و الثاني نظره إلى زوجته و أمته فجائز خلا<sup>٥</sup> فرجها<sup>٦</sup> لآله يورث الطمس ، ١٠ و [ قيل ] له أن ينظر إلى فرجها ، و قاسوه كسائر بدنها . قال أبو عمرو ابن الحاجب المالكي في مختصره : و الملك و النكاح يبيع نظر الهرج من الجاسين ، يريد أن عقد النكاح يبيع لكل واحد من الزوجين أن ينظر إلى فرج الآخر ، و كذلك الرجل مع جاريته . عن معاوية بن حمزة قال : قلت : يا رسول الله ! عوراتنا ما نأتي منها وما نذر . قال : احفظ عورتك إلا من زوجتك و ما ملكت ١٥ يمينك . قلت : يا رسول الله ! فإذا كان القوم بعضهم في بعض ؟ قال :

(١) في الأصل : و الهم . (٢) في الأصل : يضرهن .

(٣) قرآن كريم سورة ٣٣ آية ٣٣ .

(٤) مساقطة من الأصل .

(٥) في الأصل : خلاف . (٦) زيد في الأصل : فليل .



إن استطعت أن لا يرى أحد عورتك فافعل . قلت : فإذا كان أحدا خاليا ؟ قال : الله أحق أن يستحي منه . وأما [ ما - ' ] وقع لأصبع وستل : أي يجوز للرجل أن ينظر إلى فرج امرأته ؟ فقال : نعم ، ويلحسه بلسانه . قال بعض الشيوخ : إنما أراد به تحقيق إباحة النظر ، وليس من مكارم الأخلاق أن يلحسه بلسانه . ويحل في النكاح كل الاستمتاع من الحرة والامة في كل موضع منها إلا الإتيان في الدبر فانه لا يحل ، قوله تعالى<sup>٢</sup> : ” نساؤكم حرث لكم فاتوا حرثكم اني شئتم “ ففهم الجمهور أن الحرث في المرأة مستعار من الحرث في الأرض ، وأن المطلوب من كل واحد منهما الباء ، وذلك لا يتم إلا إذا كان الوطء في القبل ، ١٠ و جعلوا ” اني “ بمعنى كيف ، بقوله تعالى<sup>٣</sup> ” اني يكون له ولد “ و ” اني يكون لي ولد “ ويقويه ما في الصحيح من حديث جابر قال : كانت اليهود تقول : إذا أتى الرجل امرأته من درهما في قبلها كان الولد أحول ، فزلت ” نساؤكم حرث لكم فاتوا حرثكم اني شئتم “ قال جابر : إن شاء مجيبة<sup>٤</sup> ، وإن شاء [ غير - ° ] مجيبة<sup>٥</sup> غير أن ذلك في صمام واحد . ولا يعزل عن الحرة ١٥ إلا بآذنها - انتهى .

(١) ساقطة من الأصل .

(٢) قرآن كريم سورة ٢ آية ٢٢٣ .

(٣) قرآن كريم سورة ٦ آية ١٠١ وسورة ٣ آية ٤٧ .

(٤) من صحيح مسلم - النكاح ، وفي الأصل : بحنة .

(٥) ريد من الصحيح .

نعود إلى ما ذكره أبو شجاع أحمد بن الحسن ، قال : و الثالث نظره  
إلى ذوات محارمه / أو أمته المزوجة فيما عدا بين السرة و الركبة . و الرابع  
النظر لأجل النكاح ، فيجوز النظر للوجه و الكفين . و الخامس النظر للداواة ،  
فيجوز إلى الموضع الذي يحتاج إليه . و السادس النظر لشهادة أو معاملة ،  
فيجوز إلى الوجه خاصة . و السابع نظر الأمة لاشترائها ، فيجوز إلى  
الموضع الذي يحتاج إليه في تقليها . قال بعضهم :

مَنْ الْعَقْلُ عَنْ لَحْظَةٍ فِي هَوَى فَانِ الْبَصِيرَةُ طَوَّعَ الْبَصَرَ  
و غَضَ الْجَفُونَ عَلَى عَفَا فَانِ زِنَاءَ الْعَيُونَ النَّظَرَ

و قد يحصل من العبد الوقح ، ما يفضي نظره إلى الفعل القبيح .  
و ذلك أنه كان لبعض العرب عد يقال يسار الكواعب ، و كان من  
حديثه أنه كان لسيده بات حسان ، فأحبها جدا ، قد أفتته بحسنهن  
و جمالهن ، فجعل يحد النظر فيهن ، و يتعرض لهن بمشاكلته لهن ، فصرن  
يكلمنه بلين محادثتهن له ، وطمع فيهن ، فعمل الحيلة عليه ، و صرن  
يتقررن إليه ، فكثر طمعه فيهن ، فقلن له : يا يسار ! إنا نريد أن ننحرك  
نعود رطب ، فأمكننا من ذلك ، ففرح بقولهن ، و أمكن نفسه منهن فكشف  
سوءه لهن ، و قال في نفسه : قد أحسنني و اشتهينني ، فلما كشف لهن  
عن غرموله ، وكن أعددن له موسى وعدون عليه ، فقطعنه بخصيته ،  
و قد ذكره الفرزدق الشاعر في شعره فقال :

فهل أنت إن جاءت أتانك راكب

إلى آل بسطام بن قيس فخطاب ٢٠

(١) من م'ن ي'ون ' احتمال المؤنة .

ولو مثلك اخيار الدنو إليهم

للاقي كما لاقى يسار الكواعب<sup>١</sup>

واعلم أنه يباح للعبد أن يرى من سيده ما يراه ذو المحرم ، إلا أن يكون له منظر فيكره أن يرى ما عدا وجهها ، ولها أن تؤاكله إذا كان غير وغد يؤمن منه التلذذ برؤيتها ، بخلاف من لا يؤمن ذلك منه ، ولا يدخل الخصى على المرأة إلا أن يكون عبدها ، واستخف إذا كان عنه زوجها للشقة الداخلة عليها في استئثارها منه .

### [ ذكر الفرزدق مع النوار -<sup>٢</sup> ]

وإذ قد ذكر الفرزدق ، فلنذكر خيره مع النوار إن شاء الله  
 ١٠ تعالى - اعلم أنه ما من أحد له طمع سليم يرى جمالا فائقا إلا ويميل / إليه طمعه ، وأن الفرزدق مال طمعه إلى نوار ، فعمل عليها الحيلة لفقره  
 ٢ / ألف وغاها ، ودمايته وحسنها ، إلى أن تزوح بها . وذلك أن الفرزدق واسمه همام بن غالب الدارمي ، والفرزدق لقب له لجهومة وجهه وغلظه وعدم حسه ، والفرزدق أيضا قطعة<sup>٣</sup> العجين ، وقيل : الرغيف  
 ١٥ الضخم . والنوار بنت عم الفرزدق . وخبره معها أنه كان وليها ، إذ كان ابن عمها ، فأمرته أن يزوجه من كعب لها صاحب أصل في العرب

(١) وورد البيت في الأغاني باختلاف كثير .

(٢) العنوان غير وارد بالنص أو الهامش .

(٣) في الأصل : قطع .

و حسن<sup>١</sup> في المال . فقال : إن بالشام من هو أقرب إليك مني ، ولا آمن أن يقدم منهم قادم ، فيكر ذلك عليّ ، فأشهدي أمك جعلت أمرك إليّ . فأشهدت علي نفسها بذلك ، وجعلت له أمرها أن يزوجها بمن رأى . فقال لها بعد مدة قريبة : أرسلي إلى القوم أزوحك من خطبك مني . فلما غص مسجد بني مجاشع بنى تميم ، جاء العرزدق فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : لقد علمتم أن النوار قد ولتني أمرها ، وأشهدكم أني قد زوجتها من نفسي . فلما أخبرت النوار بذلك نشرت عليه ونافرته من البصرة إلى أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير بمكة ، وكان إذ ذاك سلطان مكة ، حين أعيأها أمر من بالبصرة أن يطلقوها منه ، وأعيأها اليهود أن يشهدوا لها خوفا من شره وهجوه ، إذ كان شاعرا مطيقا ، ١٠ والمهجاء يصير به المهجوا<sup>٢</sup> سبّة بين قائل العرب . كما قيل :

لوهجى المسك وهو أهل لكل مدح لصار جيفه

ولم يقدم أحد على حملها لمكة ، حتى تمهر قوم من بني عدي يقال لهم نو نسير<sup>٣</sup> إلى مكة ، فصحبهم النوار ، فقال العرزدق

وقد سخطت مني النوار الذي ارتضى ١٥

به ؛ قبلها الأرواح خاب رحيلها

(١) في الأصل : حسبا .

(٢) في الأصل : المهجور .

(٣) من الأعاني - أحبار العرزدق . وفي الأصل : ببو بشر .

(٤) نقلنا الكلمة من الشطر الأول للثاني .



أطاعت بني أم النسير فأصبحت  
 'على شارف' ورقاء صعب ذلولها  
 وإن امرأ يسعى ليفسد زوحتى  
 كساع إلى أسد الشرى بسيلها  
 / ومن دون أحوال<sup>١</sup> الأسود سالة  
 وبسطة أمر يمنع الضيم طولها  
 وإن أمير المؤمنين لعالم  
 بنا وبما رضى العباد رسولها  
 تم ارتحل في إثرها حتى وصلا مكة ، فزلت الوار على بنت منظور من  
 ١ زبان زوجه عبد الله بن الزير . و نزل المرزوق على ابنه حمزة بن عبد الله  
 ابن الزير ، وقال هذه الآيات :

أمسيت قد نزلت بحمزة حاجتي  
 إن الموءة باسمه الموثوق  
 بأنى عمارة حير من وطئ الحصى  
 و حرت له فى الصالحين عروق  
 بين الحوارى<sup>٢</sup> الأغر و هاشم  
 ثم الخليفة بعد والصدق

يعنى بالحوارى الزير بن العوام و هاشم بن عبد مناف ، و معنى الحوارى  
 الخالصة ، فكان ما أصلح حمزة من شأن الفرزدق عند والده عبد الله  
 ٢٠ ابن الزير نهارا ، أفسدته بنت منظور امرأة عبد الله بن الزير ليلا ،

(١ - ١) نقلنا « على شارف » من الشطر الأول للثانى .

(٢) فى الأعانى : أبوالها .

حتى غلبت الوار على الفرزدق فقال الفرزدق :

أما البنون فلم تقبل شفاعتهم

وشفعت بنت منظور بن زبانا

ليس الشفيع الذي يأتيك مكتسيا

مثل الشفيع الذي يأتيك عريانا ٥

فلما سمع ابن الزبير شعره هذا توقف في أمره ، فلقبه يوما بياب المسجد ،  
وضعه إلى الحائط ، فكادت تزهرق روح الفرزدق ، و كان ابن الزبير  
في غاية من القوة ، ثم هدده وتركه خائفا ، ثم دخل على الوار فقال  
لها : إما [ أن - ١ ] تسمى رواج ابن عمك ولا قتله وأرحت المسلمين  
من شر لسانه . فقالت : ولا بد أن تقتله . قال : ولا بد أن فعطفتها ١٠  
عليه رحم القرابة وقالت : لا والله [ ما - ١ ] أدعه للقتل ، قد رضيت  
زوجا لي . فحكم عليه ابن الزبير بمهر متلها عشرة آلاف درهم . وسأل  
الفرزدق : هل ممكة أحد يعينه ؟ فنزل على سلم بن زياد ، وكان عبد الله بن  
الزبير حبسه ، فقال فيه قصيدة منها .

دعى مقفلي<sup>٢</sup> الأبواب دون فعالهم ١٥

و مرى تمشي<sup>٣</sup> المقاصدون إلى سلم

٢٢٣ / الف

/ إلى من يرى المعروف سهلا سبيله

و يفعل أفعال الكرام التي تسمى

(١) ساقطة من الأصل .

(٢) من الأثافي ، وفي الأصل : مقفل .

(٣-٣) من المراجع ، وفي الأصل : ومنزل يمشي . و الشطر في المراجع :  
و مرى تمشي بن هبلت إلى سلم .

ثم دخل على سلم فأنشده القصيدة و قال له : إن ابن الزبير طلب مني المهر للنوار عشرة آلاف درهم . فقال سلم : هي لك ، و مثلها لنفقتك . فقبض عشرين ألفا ، فدفع مهرها عشرة آلاف ، و دخل بالنوار و أحملها قل أن يخرج من مكة . ثم خرج بها و هما عديلان في عمل ، فكانت أدا تسبه و تحالفه لأنها كانت صالحة الدين كاسمها ، لأن هذا الاسم في لغة العرب السور من الرية <sup>١</sup> .

و كان الفرزدق رديء الدين زانيا قاذفا للمحسنيات . و من ملح أخارها أنه أراد امرأة شريفة على نفسها فامتعت عليه ، فتهددها بأن يهجوها ، فاستعادت بزوحته النوار ، فقالت لها الوار : واعدية ليلا ١٠ ثم أعلبي . و خرجت المرأة من حجبتها ، و مادر الفرزدق الحجلة و النوار فيها ، و هو لا يشك أنها الشريفة صاحبة الحجلة ، و ذلك في الظلام ، فواقعها ، فلما فرغ منها قالت : يا عدو الله ! يا فاسق ! فعرّفها و علم أنه خدع ، فقال لها . أنت هي ، سبحان الله ! ما أطيك حراما و أبردك حلالا ! فلم ترل تؤذيه بلسانها حتى أنقضها . فحدث أبو معد راويته قال : قال لي الفرزدق يوما : امض بنا إلى حلقة الحسن الصرى ، فاني أريد أن أطلق الوار . فقلت له : إني أخاف أن تتبعها نفسك ، و يشهد عليك الحسن و أصحابه . فقال : امض بنا . فجتنا حتى وقفنا على الحسن ، فقال له الفرزدق : كيف أصبحت يا أبا سعيد ؟ قال : بحير . ثم قال الحسن للفرزدق : كيف أصبحت يا أبا فراس ؟ قال : تعلم أن الوار مي طالق ثلاثا .

(١) ورد مثله في الأغاني و نصه : فكانت لا تزال تشارّه و تحالفه لأنها كانت صالحة حسنة الدين و كانت تكره كثيرا من أمره .

فقال الحسن وأصحابه: قد سمعنا . قال أبو معبد: فقال الفرزدق: يا هذا!  
إن في قلبي من النوار شيئا ، فقلت: قد حذرتك ، فقال:

ندمت ندامة الكسعي / لما غدت مني مطلقا نوار  
وكانت جنتي تخرجت منها كآدم حين أخرجه الضرار  
ولو أني ملكت يدي ونفسي لكان عليّ للقدر اختيار  
و كنت كفاقي عبيد عمدا فاصح ما يضيء له نهار

٢٢٣ / ب

و مات الفرزدق سنة عشر ومائة للهجرة ، وفيها مات حرير بن الخطمي<sup>١</sup>  
و محمد<sup>٢</sup> بن سيرين و الحسن البصري . فقالت امرأة بصرية: كيف يصلح  
بلد مات فقيهاه و شاعراه؟ و الحسن هو أبو سعيد بن أبي الحسن البصري  
و اسم أبي الحسن يسار مولى الأنصار ، و ولد الحسن لسنتين نقيتا من خلافة  
عمر بن الخطاب<sup>٣</sup> ، و مات بالبصرة سنة عشرين ومائة للهجرة و هو ابن ثمان  
و ثمانين سنة .

و روى أن أمه كانت خادمة لأم سلمة زوجة النبي صلى الله عليه  
و سلم ، و ربما بعثتها في حاجة ، فيبكي الحسن . فتناوله ثديها ، فأوا أن  
تلك الحكم التي رُرقها الحسن من بركات ذلك .

١٥

و روى أن أم سلمة أحرقت<sup>٤</sup> إلى عمر بن الخطاب فدعا له فقال:  
اللهم! فقهه في الدين ، و حسنه إلى الناس . و سئل أنس بن مالك عن مسألة<sup>٥</sup>  
فقال<sup>٦</sup>: سلوا مولانا الحسن ، فإنه سمع و سمعا ، فحفظ و نسيما - انتهى .

(١) يقابلها سنة ٧٢٨ - ٧٢٩ م . (٢) في الأصل: الخطمي .

(٣) في الأصل: الحسن ، و التصحيح من الأعلام للزركلي .

(٤) انظر حاشية سابقة ، راجع الفهارس .

(٥) في الأصل: أحرقت .

(٦-٦) في الأصل: مسمة فقالوا - كذا .



## [ قصة الكسعي - ' ]

نعود إلى قول الفرزدق في شعره حين طلق زوجته النوار :

ندمت ندامة الكسعي لما غدت مي مطلقه نوار

وذلك أن الكسعي رحل منسوب إلى كسع قبيلة باليمن ، واسمه

٥ محارب بن قيس ، وبندامته يضرب المثل ، يقال : أندم من الكسعي .

ومن حديثه أنه كان يرعى ابلا بواد كثير العشب والخط ، فبيها

هو يرعاها إذ بصر ببعة في صخرة ، فقال : ينبغي أن تكون هذه قوسا ،

فجعل يتعاهدها ويقومها حتى أدركت فقطعها ، فلما حفت اتخذ منها قوسا ،

وأنشأ يقول :

١٠ يا رب وفقني لحت قوسي فانها من لذتي لنفسى<sup>١</sup>

واسمع بقوسي ولدي وعروى أحتها صفراء مثل الورس

لف / الورس مابث كح اريسم يجلب من الحشّة ، يصنع به الثياب الصفرة

الحرير . و كان ثم دهنها و حطمها بوتر ، واتخذ من رايته خمسة أسهم ،

و جعل يقلبها بكفه ويشد :

١٥ هن ورنى أسهم حسان تلد للرامي بها البنان

كأما قوامها<sup>٢</sup> ميران فأشروا بالخصب يا صبيان

إن لم يعق الشؤم و الحرمان

(١) ليس العنوان طامش و لكه مشتق من المص .

(٢) من لسان العرب ، وفي الأصل : ونسي .

(٣) في اللسان : قومها .

ثم أتى موارد جمّة ، فكمن فيها ليلاً ، فر به قطع ، فرمى حمار وحش  
 بسهم فأصابه السهم ، و خرج منه وأصاب الجبل ، ففدح منه نارا ،  
 فظن أنه أخطأ . ثم مر به قطع آخر . فرمى بالسهم الثانى حمار وحش  
 فأخطه بالسهم ومضى إلى الجبل فأورى نارا كالأول . ثم مر به قطع وحش  
 فرمى ' بالسهم الثالث ' حمارا منه فأخطه و صرع صنيعة<sup>٢</sup> الأول والثانى . ٥  
 ثم مر به قطع رابع [ فرمى بالسهم الرابع حمار وحش - ٣ ] فخرقه السهم  
 و مر إلى الجبل ففدح نارا . ثم مر به قطع خامس ، فرمى بالسهم  
 الخامس حمار وحش ففرق من الحمار و ركز في الجبل ، فدح منه النار ،  
 وهو لا يعلم بأصابة الأسهم لشيء من الوحش لشدة الظلمة ،  
 فأشأ يقول :

١٠

أبعد خمس قد حفظت عدها أمسك قوسى وأريد ردها  
 أخزى الإله لينها وشدها والله لا تسلم<sup>٣</sup> عندي بعدها  
 ولا أرجى ما حيت ردها

ثم أخذ القوس فكسرها على حجر ، و بات بقية ليلته ، فلما أصبح  
 أبصر الحمار الخمسة مطرحة حوله ، وأسهمه بالدماء مضرجة . فأسف ١٥  
 و ندم على كسره القوس و عض إبهامه فقطعها تلهما ، و أنشأ يقول :  
 ندمت ندامة لو أن نفسى تطاوعنى إذا لقطعت خمسى

( ١ - ١ ) فى الأصل : ه . ( ٢ ) فى الأصل : صنيعة .

( ٣ ) ريدت العبارة لا كتمال الجملة .

( ٤ ) من اللسان ، و فى الأصل : لا يسلم .

تبين لي سفاه الرأي مني لعمر أيك حين كسرت قوسي  
- انتهى -

### [في الغيرة وأخبار النساء - ١]

يُعود إلى ما قيل في الغيرة - ذكروا أن الغيرة من أكر مروءات  
الرجال . قيل : إن أمير المؤمنين / عند الملك بن مروان<sup>٢</sup> كتب إلى  
عامله الحجاج يأمره بطلب رجل ، وبلغ الرجل ذلك ، فجمع نساءه وحریمه  
وهرب بهن إلى دير هـد ، فأخبر الحجاج بذلك ، فهجم عليه شرطة ذلك  
الدير ، أخرجوا منه تسعاً<sup>٣</sup> من نسائه وأخواته وبناته ، وهرب الرجل  
من الشرط . فلما أخرج الشرط النسوة من الدير ليمضوا بهن إلى الحجاج ،  
١٠ فسمع رجل من الناس الضجة ، وإحداهن تشد وتقول :

خارجات تُسَقُّ من دير هند غايات بدلة وهوان

يتمين أب يري كريماً طيب الخيم من بي غطفان

ليت شعري أول الهرج هذا أم محم الدهر غيرة الفتيان

فلما سمع الرجل ذلك منها ، شد على شرط الحجاج ، وأخذ سيف واحد

١٥ منهم . وخلص النسوة بعد أن قتل منهم واحداً وهرب . فلع الحجاج

ذلك ، فأمر بالقض على من كان حاضراً في ذلك الوقت عند تحليصهن

من الشرط ليقتلوا إن لم يحضر الرجل ، فسمع الرجل بذلك ، فجاء

إلى الحجاج فقال : أصلح الله الأمير ! أنا صاحب الجناية ، نفل من قد

(١) العوائد مشتق من النص و ليس بهامشه .

(٢) انظر حاشية ساقية ، و راجع الفهارس . (٣) في الأصل : تسعة .

أخذت سببي من الناس الذين<sup>١</sup> كانوا حاضرين حين حصلت النسوة من الشرط، فخلى الحجاج عنهم، ثم قال له الحجاج: ما حملك على ما صنعت؟ عصيت ربك، وحالفت أميرك، وقتلت النفس التي حرم الله تعالى [قتلها -<sup>٢</sup>]، قال: سمعت امرأة منهم تقول كذا وكذا، وأشدّه الشعر، فلم أتمالك أن فعلت ما فعلت. فقال له: فأمت عقوتي؟<sup>٣</sup> قال: والله ما أمتها ولا كان ذلك مني إلا على بصيرة وغيره على النساء. قال: فأعجب الحجاج مقالته، وعظم في عينه، وأمر له بكسوة<sup>٤</sup>، وما زال في حملته إلى أن مات. وما قيل في المعنى:

وللقادير أسرار فان ظهرت تعجب الخلق منها حين تستشر

وكل شيء له حمد سيلعه فيذهب الكرب والمطلوم ينتصر<sup>٥</sup>

وقال صالح بن سليمان: ما رأيت عقول الناس<sup>٦</sup> إلا قريبا بعضها من بعض، إلا ما كان من الحجاج بن يوسف وإياس بن معاوية، فان عقولهما كانت ترحح على عقول الناس. قال ابن شاذب: ما رأى أحد مثل الحجاج لم أطاعه، ولا مثله لم عصاه، وقد تقدم من أخسار الحجاج لمع<sup>٧</sup> في مواضع متفرقة / من هذا الكتاب.

١٥ / ٢٢٥ ألف

(١) في الأصل الذي.

(٢) في الأصل: النساء. وهو خطأ يعطى بصححه السياق.

(٣) في الأصل: لمعا.



فلنرجع إلى ذكر ما قيل من أخبار النسوان ، من الإساءة والإحسان ، إن شاء الله تعالى - ذكروا أن امرأة كانت صنعاء اليمن لها ربيب ، فغاب زوجها ، وكان ربيبها عندها ، وكان عندها خليل لها ، يحضر أصحابه معه عندها . فقالت لهم : إن ربي فاضحنا . فتمالوا عليه وهم سبعة ه فقتلوه وألقوه في بئر غمدان . فمر على البئر رجل بعد أيام ، فإذا هو بذباب أخضر يطلع من البئر ويهبط ، فأتى الأمير يعلى عامل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب عن صنعاء ، فأخبره بذلك ، فخرج يعلى بالناس حتى وقفوا على البئر ، فشموا رائحة متنة . فقال الرجل صديق المرأة : دلوني ، فدلوه ، فأخذ الغلام وغيبه في سرب في البئر ، فطلع وقال : ١٠ لم أقدر على شيء ، ولا رأيت شيئا . فقال القوم : الريح الآن أشد منها حين جئنا . فقال رجل : أرلوني البئر . فلما أرادوا أن ينزلوه ، أخذ صديق المرأة الرعدة ، فاستوثقوا منه ودلوا صاحبهم ، فاستخرجوه ورفده إليهم ، فقرر صديق المرأة ، فاعترف واعترفوا كلهم ، فكتب فيهم يعلى إلى عمر ، فكتب إليه عمر أن يقتلهم ، فلو تملا عليه أهل ١٥ صنعاء اقتلتهم به ، فقتلهم يعلى .

قال العلماء : تقتل الجماعة بالواحد إذا تعدوا الجناية عليه . قال الله تعالى : "ولكم في القصص حيو" - الآية . ولو لم تقتل الجماعة

(١) في الأصل : عليهم .

(٢) قرآن كريم سورة ٢ آية ١٧٩ .

'بالواحد لزال' معنى الردع ، وكان في ذلك تضييع الدماء . و السكران  
 إن قُتل قُتل ، هذا إذا سكر من محرم ، لأن القلم غير مرفوع عنه  
 سكره . و الذي يسكر من اللبن لا يلزمه شيء ، وكذلك الذي يسكر  
 من شرب دواء ، و القتل بغير حق حرام ، و هو من الكأثر العظام ،  
 فيقتل المسلم بالمسلم ، و الذي بالذمي ، و الحر بالحر ، و العبد بالعبد ، و لا يجب  
 القود على المسلم بقتل الكافر ، و لا على الحر بقتل العبد ، و لا على  
 الوالد بقتل الولد . فان قتل دمي ذميا تم أسلم القاتل . لم يسقط عنه  
 القود ، فان أمر الأمير رجلا بقتل رجل بغير حق ، فحكم القتل بتعلق  
 بالأمر دون المأمور ، لأن طاعته واحة عليه - انتهى .

قال السزالي بن سيرة : أنا لمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه ١٠  
 / بمى ، و إذا بامرأة ضخمة و هي تنكى . فقال لها عمر : ما يكيك ؟ إن ٢٢٥ / ب  
 المرأة ربما استكرهت فقالت إني امرأة ثقيلة اليوم ، و كان الله عز و حل  
 يرقى من الليل ما شاء أن يرزقني ، فصليت و ردي و تمت ، فوالله  
 ما استيقظت إلا و رجل قد ركبي و مصي ، و ما أدري أي خلق الله  
 هو ! فقال . عمر : لو قتلت هذه خعت على ما بين الأحشين النار ! ١٥  
 ثم كتب إلى ولاته [ أن ] لا يقتلوا أحدا إلا بأمره . و ذلك رحمه الله  
 سقوط الغسل عن المكروهة و السائمة . و أحد مه 'ن القصار سقوط  
 قضاء الصوم كذهب الشافعي رحمه الله . و إذا جامع الرجل زوجته

مكرهه ، ففسد حجها ، وجب عليه أن يحجها من ماله و أن يهدي عنها من ماله ، وسواء بقيت في عصمته أو طلقها فتزوجت غيره أو لم تزوج ، وكذلك لو أكره أجنبية ، لأنه من باب الغرامة ، ولا شك إن طوعته فإن ذلك في مالها خاصة . وقال أبو حنيفة : إن أكرهها حجت من مالها ، ولا ترجع به عليه . هذا حكم الملى ، وأما العديم فروى عيسى عن ابن القاسم ليس عليها حج ولا صيام وإن كانت ملية ، وذكر ابن الموار عن ابن القاسم أنها تحج وتهدى وترجع به عليه ، قال بعضهم بالأصل من تم الهدى أو من قيمته - هذا حكم الحرية ، وأما الأمة يطؤها سيدها ، فإن كانت مكرهه فحكمه بين عما تقدم .

١٠ و إن كانت طائفة فهل يكون إكراهها في الحكم أو طوعا حقيقة ، فيه قولان ، فإذا قيل : إنه ليس باكره ، كان عليها القضاء إذا عتقت ، وإذا قيل : إنه إكره ، أو أكرهها ابتداء ، لزمه إحجاجها . وهل يجوز له أن يبيعها قبل أن يحجها - فيه قولان ، وإذا قلنا . يجوز بيعها ، فلا بد من بيان ذلك وإلا فهو عيب ، للشترى ردها . وفي السليمانية : إذا لم يحجها

١٥ فليبعها من يحجها ، واعلم أن وجوب الصداق للمكرهه على الزنى أقوى منه لغير العالمة به اظهرها أنه روحها ، ولم يكن زوجها ، لأنها وإن اشتركا<sup>٢</sup> في العقد المسقط للحد ، إلا أن<sup>٣</sup> غير العالمة سلطت على نفسها جهلا ، وقد علمت حكم المسلط على ماله مع احتمال / أنها لو علمت

(١) ريد في الأصل : «أبي» ولم تكن الريادة فيما سيأتي لخدمتها .

(٢) في الأصل : اشتركت .

(٣) في الأصل : عن .

لقد رت على المدافعة ، بخلاف المكرهه فى ذلك ، و إذا علمت المرأة أن زوجها طلقها ثلاثا ولا بينة لها ، إنه لا يسعها المقام معه ، فهى كمن طلقت ثلاثا ولا بينة لها ، فلا تنزى له ولا يرى لها شعرا ولا وجهها ، و إن قدرت ولا بآتيها إلا مكرهه معها فراقته للحاكم ولا يمين عليه إلا بشاهد إذ لا تنفعها كراهيتها فيما بينها وبين الله تعالى ، و إنما ينفعها ه أن تكون مكرهه على ذلك . قال ابن المواز : و لتفقد منه بما قدرت عليه [ من - ١ ] ضربه أو قتله ، إذا أراد وطأها فلتفعل ذلك من ضرب و قتل ، كأنه كالعادي و المحارب . و قال ابن سحنون : لا تقتله ولا تقتل نفسها ، و أنكر قياس ابن المواز هذه المسألة على مسألة الحرابة ، فان شرط القياس أن يثبت فى الفرع مثل حكم الأصل ، و هذه المسألة ١٠ غير حاصلة هاها لأن الحكم فى الحرابة التحير بين ممانعة المحارب أو تسليم المال له ، و الحكم هاها يحتم الممانعة . و أما القتل فى مسألة الروجة فلا سبيل إليه ، لأنه قبل الوطء لم يستحق ما يوجب القتل ، و بعد الوطء فالواجب اخذ ، و ذلك إلى الأئمة لا إلى المرأة ، و أحيب باختيار القسم الأول ، و هى أن لها أن تقتله قبل الوطء لأجل المدافعة إذ لا يمكنها ١٥ مدافعة عن نفسها إلا بذلك ، كما أواد قطع عصو من أعضائها و لم يمكنها مدافعة إلا على هذا الوجه . و أحيب عن اعتراضه على أصل القياس أولا بأن مراد ابن المواز هنا الاستدلال الذى هو محاولة الدليل من القواعد الشرعية ، لا حتمية القياس بخصوصيته ، و ذلك أن حرمة (١) ساقطة من الأصل .



الفروج في نظر الشرع أكد وأقوى من حرمة المال ، فإذا جازت المدافعة عن المال بالقتل فلا بد أن تجوز عن الفروج أولى - انتهى .

في العينة : سئل مالك فقيل : إني تزوجت امرأة فأذنت لي بالدخول عليها والسكنى والمبيت معها قل أن أعطى صداقها وأنفق عليها ، هـ . فان اضطجع معها إلى جنبها في اللحاف<sup>١</sup> تمنع نفسها / حتى أعطيها صداقها وليس عندي ؟ فقال له : ذلك ! أرحمها من مهرها ، استعرن عليها بعض حاراتها ، فأما النفقة عليها فذلك لها عليك . و ظاهر هذا أن المرأة تمنع نفسها حتى تقبض ما اتفقا عليه من صداقها المعجل ، ولأنها لو رصيت بالدخول من غير قبض الصداق ولا قبض شيء منه ١٠ فجاز كالبيع ، والسكاح متى على المكارمة ، ولا يجوز فيه الهبة ، والبيع متى على المكايسة والمشاحة ويجوز فيه الهبة ، والجمع بينهما متفاض ، وفي العينة عن ابن القاسم وسئل عن الرجل ينكح المرأة فيهدى لها : هل ترى أنه يدخل بها بتلك الهدية حتى يقدم عليها من صداقها ربع دينار . لأن الهدية ليست من الصداق ، قيل : فهل يدخل بها إذا رهنها ١٥ بصداقها رهنا ؟ قال : نعم ، يدخل بالرهن - انتهى .

فلذكر الآن ما قيل في حق الزوجة على زوجها وحقه أيضا عليها - اعلم أن الواجب للزوجة على الزوج النفقة ، إذا سلمت إليه وهي من أهل الاستمتاع ، ونقلها حيث يريد ، وجب عليه نفقتها ، فيجب على المومر بمال أو كسب مدان<sup>١</sup> من قوت البلد ، وعلى المتوسط

(١) يريد في الأصل : « و » .

مد و نصف ، و على المعسر مد ، و يجب لها [ من - ١ ] الإدام ما تحتاج إليه من أدم البلد من الزيت و الشيرج و اللحم و أجرة الحمام ، و لا يلزمه في مرضها الأدوية و أحرة الطيب ، لأن المرأة كالدار المستأجرة ، إذا تهدم منها شيء لزم المالك بناؤه ، و يلزم الزوج الكسوة إذا كان موسرا من مرتفع ما يلبس في البلد من القطن و الكتان و الخز و الإبريسم ، و لامرأة المعسر من غليظ القطن و الكتان ، و لامرأة المتوسط ما بينهما . و أقل ما يجب لها قميص و سراويل و مقنعة و مداس للرحل ، و في الشتاء / حبة ، و يجب لها ملحفة و كساء و وسادة و مضربة محشوة للنوم ، و زلية أو لبد أو حصير بالنهار ، و يجب لها السكن على حسب حاله كالنفقة . فان كانت المرأة ممن لا نخدم نفسها ، و يجب لها ١٠ جارية واحدة ، و نفقة الجارية في حق الموسر مد و نصف ، و في حق غيره مد ، و لا يجب للجارية سراويل و لا مشط و لا دهن ، فان كانت الجارية ممن تخرج إلى الحاجات رجب لها خف أو سقماء . و يجب للزوج أن يدفع للزوجة نفقتها في كل يوم إذا طلع الشمس ، و الكسوة في كل ستة أشهر ، فان أعسر الزوج نفقة المعسر ، ثبت لها فسخ ١٥ النكاح . و لا تمتنع المرأة من تمكين زوجها من نفسها فيما يسلمها بذلك ، لقول رسول الله صلى الله عليه و سلم : إذا دعا أحدكم امرأته إلى فراشه [ فأت - ٢ ] فبات وهو عليها ساخط لعها الله ولعنتها الملائكة حتى

(١) ساقطة من الأصل . (٢) ريد من صحيح البخارى .

تصبح . وله السفر بها . ولا تخرج من منزله بغير إذنه و لو إلى المسجد ،  
لما روى أن امرأة قالت : يا رسول الله ! ما حق الرجل على زوجته ؟  
فقال : حقه عليها أن لا تخرج من بيته إلا بإذنه ، فإن فعلت لعنها الله  
و ملائكة الرحمة و ملائكة العذاب حتى تتوب أو ترجع ، قالت :  
ه يا رسول الله ! وإن كان ظالما لها ؟ قال : وإن كان ظالما لها .  
و لا يجب على المرأة خدمة زوجها في طبخ و لا غسل و لا غيره . و لا  
يجمع بين امرأتين في موضع واحد إلا برضاتهما ، و يقسم بينهما لكل  
واحدة منهما ليلة ليلة مع يومها . و قال بعض العلماء : إذا مرضت الزوجة  
فقل أكلها أو خرجت قليلة الأكل ، وطلت قوتا كاملا ، هل يقضى  
١٠ لها به أو لا يقضى لها إلا بقدر كفايتها ؟ و أما إذا حرحت أكلها ،  
فقال : يمرض لها ما يكفيها ، و هي مصيبة نزلت بالزوج - انتهى .

### [ خبر البنت الإسرائيلية و حكايات أخرى - ١ ]

فلندكر الآن / خبر البنت الإسرائيلية التي طلعت من أيها أن  
يروحها لرجل في حياته ، إذ كانت أمها قد ماتت - دكروا أنه كان  
١٥ في بني إسرائيل رجل كثير المال ، فلم يكن له ولد سوى ابنة ، فلما كبر  
قال : أي نية ! اقترحي على حاحة حتى أقصيتها لك . قالت : يا أبت !  
أعظم حاجتي عدي أن تزوجني من رجل صالح ليكون لي مترا .  
فاغتاظ والدها من قولها و حلف : إن زوجتك إلا من استقبلني غدا

(١) هذا عنوان شامل لبعض القصص فيما يلي و ليس بالهامش .

عند خروجه من داري . فلما أصبح استقبله ملك من الملائكة في صورة  
 ذئب قعد على عتبة داره . و كان في ذلك الزمان السباع والوحوش  
 والهومام وبحورها يكلمون الناس . قال النبي صلى الله عليه وسلم : حدثوا  
 عن نبي إسرائيل ولا حرج فقد كان فيهم العجائب . فلما خرج الرجل  
 من داره رأى ذلك الذئب قائما بين يديه <sup>١</sup> . فقال له الذئب : إلك قد  
 عهدت عهدا بأبك تزوج ابنتك من أول من يستقبلك ، فأما ذلك .  
 فقال : اصر حتى أصلي في المسجد وأشاور الجماعة في ذلك . فذهب  
 الذئب إلى باب المسجد حتى فرغوا من الصلاة . فقال الرجل للجماعة :  
 جرى لي النارحة كذا وكذا - وأحرمهم بالقصة - فماذا تشيرون علي ؟  
 فقال واحد من الجماعة : هل يزوج عاقل <sup>٢</sup> ابنته من ذئب ؟ نخذ نعصا <sup>١٠</sup>  
 و اضرب رأس الذئب . و تكلم كل واحد بما قال ، فقال كبيرهم وكان  
 رجلا صالحا : أيها الرجل ! أوف بما عاهدت الله عليه . فامثل الرجل  
 قوله خوفا من نقض العهد ، فأخرج الرجل ابنته وسلمها للذئب . فقال  
 له الذئب : إن اشتقت إلى رؤية انتك فتحيء في البرية العلية فنحن  
 ههنا . و مضى الذئب بها ، فبعد أيام اشتاق الرجل إلى ابنته فقال : <sup>١٥</sup>  
 قد ريت بنتا كذا وكذا سنة و قد سلمتها للذئب ، فأقوم أزورها وأبصر  
 حالها . فقام و قصد تلك البرية التي دله الذئب عليها ، فلما بلغ ذلك

٢٢٨/الف

(١) في الأصل : ايديه .

(٢) في الأصل : عاقلا .



الموضع رأى شاما جميلا مليح الصورة فسلم عليه ، فقال : و عليك السلام يا صهرى ! فقال : أتسخر منى وأنا قد زوجت ابنتى من ذئب و أنت شاب حسن ؟ فكيف تكون صهرى ! فقال : أنا ذلك الذئب ، وأنا ملك بعشى الله عز و جل إليك لا تنظر إليك هل توفى بعهد الله عز و جل أم لا ! فحين أوفيت بالعهد فإن الله عز و جل قد غفر ذنوبك ، و جعلك من أوليائه ، فإن الله لا يضيع أجر المحسنين ، و هذه ابنتك نخذها و زوجها من رجل صالح ، و لا تغضب عليها فى قولها لك ذلك ، فإنها اختارت لنفسها العصمة به . و هى من الصالحات . فأخذ الرجل ابنته و مضى بها إلى وطنه . و اختار لها رجلا صالحا زوجها منه .

١٠ و كان عمران بن حطان رجلا دميما<sup>١</sup> قبيح المظر ، و كانت زوجته فائقة الجمال ، فدخل عليها يوما ، فجعل يطيل النظر إليها ، فقالت ما بالك تطيل النظر إلى ؟ فقال : لقد أصبحت و الله جميله ! فقالت : أشرفاى و إياك فى الجنة . قال لها : و من أين علمت ذلك ؟<sup>٢</sup> قالت : لأنك<sup>٢</sup> أعطيت مثلى فشكرت ، و أعطيت مثلك فصبرت ، و الصابر ١٥ و انشاكر فى الجنة .

قال الأصمى : دخلت حيا من أحياء العرب ، فادا أنا بجارية قد أعجبنى حسنها و جمالها ، فقلت فى نفسى : و من تكون هذه له ؟ و إذا

(١) فى الأصل : دميما .

(٢-٢) فى الأصل : قال لك .

رجل أقبح الناس مظرا قد أتى إليها وأمر عليها ونهى بنفس عال  
ثم ولى . فقلت لها : ما هذا يكون منك ؟ قالت : هو بعلى . فقلت : أرضيت  
لهذا الوجه المليح بهذا الوجه القبيح ؟ فقالت : نسا قلت يا هذا ! وقد  
يكون أحسن ما بينه وبين مولاه / فكنت ثوابه ، ولعللى أنا أسأت  
فيما بينى وبين الله مولاي فيكون هو عقوبتى فى الدنيا ، فالحمد لله على  
ما حكم وقسم .

وقال الأصمعى : دخلت البادية فاذا أنا بامرأة عليها قميص  
أحمر وهى محتضة ويدها سحرة ، فقلت لها : ما أبعد هذا من هذا !  
فقالت :

١٠ والله مى جانب لا أضيعه و لله منى و الطالة جانب  
فقلت : إنها امرأة صالحة ، وإن لها زوجا تزين له .

قيل : كانت امرأة ماشطة متزوجة لمرأوتى<sup>١</sup> . فقالت النسوة لها :  
أنت تزينين النساء وروحك يزين الرجال . فقالت : الحمد لله الذى لم أكن  
غاسلة ولا زوجى غاسلا للوتى ، من جعلنا الله تعالى للزين فى الفرح ،  
لا للحزن والترح .

١٥

قال أبو عمرو "عدوى : أتيت بادية لبي نعيم فى بعض الأيام من  
آخر النهار . فقصدت بيتا رحبا فاذا صفاته امرأة جالسة ما رأيت قبلها

(١) مراوات - وردت فى دورى ( ج ٢ ص ٥٨٥ ) بمعنى قطع الصفيح والمعدن  
التي تستعمل فى عمل سروج الخيل . فيكون المراواتى إذن السروجى .

و لا بعدها أحسن صورة منها ، و بين يديها صبي يلعب ، فعلبت أنه ابنها .  
 فسلمت فردت و حيت ، و قلت : ضيف . فقالت : أنزل ، و أمرت جارية  
 لها فجاءتني بقري ، فجلست آكل إذ أقبل إلينا رجل يسوق أباعر ،  
 فنظرت إليه غير متعمد ، فاذا هو من أتبع الناس منظرا من رجل دميم<sup>١</sup>  
 ه الخلق شديد الأدمة أعور العين اليمى ، قد درس آثار الجدرى معالم  
 وجهه حتى كأنما أحرق بالنار . فقلت : إنه أحير لها فى رعاية الإبل .  
 فلما انتهى إلينا هش له الصبي و أسرع نحوه فاحتمله و ضمه إلى صدره و جعل  
 يقبله ، فعلبت أنه أبوه ، وضمه<sup>٢</sup> ذلك فى نفسى حتى أمسكت عن الطعام  
 و صرفت وجهى إليه أتأمله و إياها ، و أعجب من جمالها و من قبحه ،  
 ١٠ و أقول فى نفسى : ليت شعرى كيف اجتماع هذان ! و كيف طابت نفس  
 أيها و أهلها يدعونها إلى مثله ! قال : فوطن لى فقال : ما شأن صيفنا  
 قد شغله النظر إلينا عن الطعام ؟ ثم أقبل على فقال : كأنى بك و أنت تقول  
 فى نفسك : كيف اجتماع هذان ! و تعجب من جمالها و من قبحى . قال :  
 فاستحييت عند ذلك منه و تبسمت و قلت : و الله ما أخطأت فى ظنك !  
 الف ١٥ فقال : إلك إذا فرغت / من شألك أحررتك بأمرى و أمرها . قال :  
 فأقلت على الطعام حتى نلت منه حاجتى . و أقبل هو على إصلاح مواشيه  
 و عييده حتى إذا فرغ فقال . اسمع يا أخا العرب ! أخبرك بالعجب ، إنى  
 كنت سابع سبعة إحوة لأبى ، و كان أبى يحكمهم و يبغيضى ، و يصلهم  
 و يقطعنى . و يكرمهم ، و يهينى و يصونهم و يمتهنى . فلما كان ذات ليلة

(١) فى الأصل : دميم . (٢) كذا فى الأصل ، ولعله تصحيف « فعظم » .

شردت لأبي أباعر ، فذهبت في ظلمة الليل ، فلما أصبح قال لي : انطلق في طلبها . وكانت غداة شديدة البرد . فقلت : يا أبت ! ما تصفني ؟ قال : وما ذاك ؟ فقلت : إذا حضرك الطعام الطيب و اللبن الخالص و الخير الكثير فهو لك و لبنيك ، و إذا كان طلب الضوال<sup>١</sup> و ما يثقل من الأعمال خصصتني به ، ألا تعث غيري في آثار هذه الأباعر ؟ فقال : إنه لآخر ه أيامك من ضرب شديد ! انطلق فعل الله بك و فعل ! قال : فانطلقت فزعا مرعوبا ، و أنا من أسوأ الناس حالا فسعيت يومى كله ، و اشتدنى الجوع و البرد ، فأشرفت من آخر النهار على حى عظيم ، فقصدته فلما انتهيت إليه تيممت أعظم بيت ، و أملت أن يكون أنصب البيوت قرى و أوسعها خيرا ، فإذا بهنائه امرأة ضخمة جالسة ، و إذا هذه المرأة التى ١٠ تراها جالسة معها [جارية - ٢] ، فعلت أنها ابتتها ، فسلمت فردت السلام ، واشتكيت لها حالى ، فأمرت ابتتها هذه فأتتني بطعام و نار أتدأ بها ، و جعلت هذه تهرأ مى فتقول . ما أجملك ! ما أحس وجهك ! ما أتم قامتك ! و أنا أقول لها : إليك عى ! فإنى عما أنت فيه بمعزل . و إذا قد أقبل شيخ دويها و سألنى عن حالى . و أوصى نى خيرا . و دخل هو و سوه . فلما كان عند ١٥ آخر الأمر قالت هذه - و أشار بإصبعه إليها : إذا نام الناس أن تأتى . قال : فطننت أن ذلك منها حق ، فلما شععت من القرى و دفقت من الاصطلاء سولت لى نسى أن آتيها ، و قد رأيت موضعها من البيت ، فانتظرت

(١) جمع ضالة أى الإبل الشاردة .

(٢) زيادة يقتضيها السياق .



حتى استثقل أبوها وأمه وإخوتها يوما ، ثم أتيتها فجسستها يدي : فاستيقظت  
 ب مذعورة وقالت / : من هذا ؟ قلت : الضيف . قالت : ابعد ، زادك الله  
 قبحا . وزجرتني ، كل ذلك منها بكلام خفي ، فخرجت من البيت فزعا  
 مرعوبا ، وثارني كلب لهم ينبحن ، فزاد ذلك في روعتي ، وخفت أباها  
 ه وإخوتها أن يحسوا بي وحملت أمشي القهقهري وأتقى الكلب حتى صرت  
 في ظهر البيت ، وإذا هناك بئر واسعة عميقة لا ماء فيها ولا أشعر بها  
 حتى سقطت ، فصرت في قعرها ، وسقط الكلب في إثري ، فسمعت هي  
 الوجنة عرفت القصة ، وليس منهم مستيقظ غيرها ، فجاءت حتى وقفت  
 على الثر فقالت : أنت هاهنا ! قبحك الله ! فقلت : نعم والكلب معي فأنقذني .  
 ١٠ فانطلقت فجاءت بحبل فأدلته إلى وقالت : تعلق به واصعد . فتعلقت به ،  
 فلما استقلت وثلقت عليها انهال ما تحت رجليها من التراب فسقطت في  
 الثر ، فصرنا فيها ثلاثة ، كل واحد ما مبغض لقرب صاحبه ، فأحس  
 أهلها بذلك فتبهوا ونهضوا وأخذوا الأثر حتى انتهوا إلى الثر فاستخرجونا ،  
 فقال الشيخ لبيه : قد ترون ما أرى فما عندكم ؟ قالوا : أنقلها جميعا ؟ فقال :  
 ١٥ كلا ! والله ما أبتي عندي بمتهمة ! قالوا : فنقله دونها ونحن أثره . قال :  
 إن ذلك لا ينحنى ، وإن فعلناه ليظهرن أمره ، ولتحدثننا العرب . ثم أقبل  
 على فقال : هل فيك من خير ؟ فقلت : نعم والله ! قال : قد روجتكها على مائة  
 معبر . فقلت : قد قبلت . فأعاروني إلى البيت حتى أصبحت ، زودوني وانطلقت  
 حتى أتيت أنى ، فلما رأيت لم آت بالأناعر الضالة أقبل على يشتمني فقلت :  
 ٢٠ مهلا ! فاني محدثك بحديث . وأحبرته الخبر كله ، فأكثر التعجب وقال :

(١) في الأصل : نقتلها .

فإن الله عز وجل قد أدى عنك ، دونك والإيل ! فسق صدق أهلك  
وانقلها إليك . قال : فسقت الصداق ونقلتها وها هي عندي ، وهي  
الآن راضية بي بعد أن كانت كارهة لي . فهذا ما كان من شأني وشأنها .  
قال أبو عمرو العدوي : فلما شرح لي قصته معها ، تعجبت من أمره  
وأمرها ، وتذكرت قول الشاعر حيث يقول في مثلها :

ه  
/ هويت من العرب الحسان خلوبٌ لها أسهم للعاشقين تصيبُ  
إذا أسفرت تسي العقول بحسنها ومن نورها كل البدور تغيب  
عروس لها وجه حكى<sup>١</sup> البدر في الضياء وطلعة حسن أبرزته غريب  
حوت بهجة حسناء يحكي شعاعها كواكب در واقعات لهيب  
بغرتها البيضاء أنارت فأشرقت بضوء جبين مزهر وعجيب ١٠  
بشر حكى الليل الهميم سواده وفرق أراد العجر منه هروب  
لها أعين دُجج مراض نواعس لمن فتور للقلوب يذيب<sup>٢</sup>  
خود لها كالورد عد اقتطاه على الوجنات الزاهرات ضروب  
وفي ثغرها الحاوي لآلى تناثرت<sup>٣</sup> وراح وشهد<sup>٤</sup> بالرضاب شبيب  
لها عنق من جوهر صيغ فتة و صدر به الرمان وهو خصب ١٥  
وقد أبرزت منها كهوفا نواعما على المعصمين الرايين ركوب  
وطن حوى<sup>٥</sup> أعكان<sup>٥</sup> فيه وسرة كشمع من اللبس للطيف يذوب

(١) في الأصل : كما ، والتصحيح من نفس الأبيات التي ترد ضمن قصة مجنون ليلى .

(٢) في الأصل : تذيب .

(٣-٣) في الأصل : وراحا وشهدا .

(٤) في الأصل : يحكى ، والتصحيح مما سيأتي من نفس الأبيات .

(٥) الأصل : أعكانا ، وحذفت ألف التنوين بحكم وزن الشعر .

و خصر نحيل زانها فيه رقة بلين وشاح قد علاه كتيب  
 وساقان كالتضبان أضخوا هواتنا فكم أنفـس أسرى لها و قلوب  
 بقـد شـيه بالغصون كأنه قضيب من الخيزور وهو رطيب  
 إذا خطرت تهتز عجباً وعزة يظل بها قلب المحب كتيب  
 هـ تهتك عشاقا لها بجمالها ومن حسن رؤياها النفوس تطيب  
 هي السؤال وهي القصد يحيي بوصلها ومن مثل 'ليلي للسقام' طيب  
 ترى هدفتي<sup>١</sup> يا صاح أحظى بقربها وتجمع شملي بالوصل قريب  
 على رغم حسادي وعدالي الوشاة وفي غفلة من حامد ورقب

كان بالمدينة عبد أسود يقال له : مغيث ، تزوج بجارية تسمى بريرة ،  
 ١٠ فاشترتها عائشة رضي الله عنها وأعتقتها ، فخيرها رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 في أن تقيم معه أو تفارقه ، فاختارت فراقه . قال ابن عباس : كأي أنظر  
 إليه خلفها يطوف ويبكي ودموعه تسيل على لحيته ، فقال النبي صلى الله  
 عليه وسلم : لو راجعته<sup>٢</sup> ! قالت : يا رسول الله ! تأمرني . قال : إنما أنا  
 أشفع . قالت : فلا حاجة لي فيه . وقالت عائشة أيضا : إن بريرة عتقت ،  
 ١٥ وهي عند مغيث عبد لآل أبي أحمد ، فخيرها رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 وقال : إن قربك فلا خيار لك . فلما سمعت هذا الكلام من رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم علمت بالحكم ، وهي عالمة / مع ذلك بالعتق ، فإن  
 مكنت المعتقة نفسها من زوجها العبد مع حصول القيد مع فلا خيار لها ،

٢١ / ب

(١-٠) في الأصل : إلى المسقام ، والتصحيح مما سيأتي .

(٢) الهدفة - بكسر الهمزة : الجماعة من الناس والبيوت يقيمون ويطعمون .

(٣) في الأصل : راجعته .



فان ادعى الزوج أنه وطئها بعد عتقها وأنكرت هي ، فالقول قولها ،  
إلا أن يكون خلاياها فالقول قوله ، وإن أنكرت الخلوة فالقول قولها  
مع يمينها ، وإن تقاورا على الوطء ، وادعت الإكراه فالقول قوله مع  
يمينه . وإذا أعتقت الأمة تحت العبد واختارت نفسها وتزوجت ، وقدم  
زوجه العبد إن كان غائبا وقدم سيده أو قدما معا وثبت بالبينة أنه كان  
قد عتق قبل أن تختار هي ، فالحكم هنا كالحكم في مسألة المفقود ، ثم ينظر  
في قدوم الزوج و ثبوت عتقه ، فاما أن يكون بعد العتق وقبل الدخول  
أو بعدهما ، والله أعلم - انتهى .

فلنذكر ما قيل في العشق - قال حكيم لتليذ له عشق حارية : هل  
تشك في أنه لا بد من فراقها يوما ما ؟ فقال : نعم . قال : فاجعل تلك المرأة  
المنخرعة في ذلك اليوم في يومك هذا ، واربح ما بينهما . وقيل : العشق  
مجازة الحد في المحبة . قيل لبعض الحكماء : ما العشق ؟ فقال : جنون  
لا يؤجر صاحبه عليه . وسئل آخر عنه فقال : مرض نفس فارغة  
لاهمة لها . وقال آخر : هو سوء اختيار صادف نفسا فارغة - انتهى .

وقيل : كان ملك بن متوشلح بن إدريس عليه السلام دا<sup>١</sup> بطش ١٥  
وقوة ، وكان يقطع الشجرة العظيمة من أصلها يده . وكان يكتم إيمانه  
عن قومه ، فخرج ذات يوم إلى البرية ، فاذا هو بامرأة في نهاية الحسن  
والجمال ، وبين يديها غم ترعاها . قال : فعجب منها وسألها عن اسمها  
ونسبها ، فقالت : أنا فيوش<sup>٢</sup> ابنة أكيد بن عريل بن لامك بن قايل بن

(١) في الأصل : دو .

(٢) وقد يكون هذا الاسم ( Venus ) المشهورة بجمالها في الأدب اللاتيني .



آدم عليه السلام، يقال: ألك زوج؟ فقالت: لا. فقال لها: فكم لك  
 ن من العمر؟ / فقالت: مائة وثمانون<sup>١</sup> سنة. فقال لها: لو كنت باللغة  
 تزوجت بك! وكان البلوغ فيهم في ذلك الزمان إلى استيفاء مائتي سنة.  
 فقالت له: ومن أنت؟ فلم يقل لها: إني من أولاد شيث بن آدم،  
 ه للعدواة التي بين أولاد شيث وأولاد قابيل بن آدم، ولكن قال: أنا من أولاد  
 من لا يحل لهم الحرام. فقالت له: اعتقدت أنك تريد أن تفضحني،  
 أما إذا أردت أن تتزوج بي، فاني تلفت، وإني على مائتي سنة وعشر  
 سنين. فاخطبني من أبي. ففضي وخطبها منه، وأرغبه<sup>٢</sup> في المال،  
 وتزوج بها فولدت له نوح عليه السلام. فلما كان وقت ولادتها،  
 ١٠ وضعته في غار خوفا على نفسها وعلى ولدها من ملك كان في ذلك  
 الزمان يقتل الغلمان. فلما وضعته وأرادت أن تنصرف، نادت: وانوحاه!  
 فكلما نوح وقال: لا تخافي علي يا أماه! فان الذي خلقني يحفظني.  
 فانصرفت أمه إلى منزلها. وأقام نوح عليه السلام في ذلك المكان  
 أربعين<sup>٣</sup> يوما، ثم مات أبوه، فاحتلمته الملائكة حتى وضعت بين يدي  
 ١٥ أمه مزيئا مكحلا، فهرحت به وأخذت في تربيته بعد أن سمته نوحا،  
 واتفق من أمره ما هو مشروح - انتهى.

### [خبر السفاح وأم سلمة زوجته -<sup>٤</sup>]

فلذكر الآن خبر السفاح<sup>٥</sup> حين تزوج بأم سلمة إن شاء الله تعالى -

(١) في الأصل: ثمانين. (٢) في الأصل: ارعه.

(٣) في الأصل: أربعون. (٤) العنوان مشتق من النص، وليس بالهامش.

(٥) خلافته ١٣٢ - ١٣٦ هـ / ٧٥٠ - ٧٥٤ م.

و ذلك أن أبا العباس السفاح تزوج بام سلمة بنت يعقوب بن سلمة بن عبد الله . و كانت قبله عند [ عبد العزيز بن - <sup>١</sup> ] الوليد بن عبد الملك ، و كان لها مال عظيم و جواد و حشم . و لما دخل عليها أول ليلة وجدها قد كلت كل عضو من أعضائها بالجواهر ، و كان زواجه إياها قبل أن يلي الخلافة ، فخطبت عنده ، و حلف لها أن لا يتزوج عليها . و لا يتسرى ، فقلت عليه غلبة شديدة ، حتى ما كان يقطع أمرا / إلا لمشورتها . فجلس عنده يوما خالد بن صفوان بعد أن ولي السفاح الخلافة ، و كان خاليا ، و كان خالد من أهل الفصاحة و البلاغة ، فقال له : يا أمير المؤمنين ! إني فكرت في أمرك و سعة ملكك ، و أنك قد ملكت نفسك امرأة واحدة و اقتصرت عليها ، فان مرضت مرضت ، و حرمت ١٠ نفسك التلذذ باستطراف الجوارى و معرفة اختلاف حالاتهن ، و التمتع<sup>٢</sup> بما تشتهى منهن ، إذ منهن الطويلة الخيداء ، و الفضة<sup>٣</sup> البيضاء ، و العتيقة الأدماء ، و الدقيقة السمراء ، و العربية العجزاء ، من مولدات المدينة ، تفتن<sup>٤</sup> بمجاورتها . و تلذ بلحوتها . و أين أمير المؤمنين من بنات الأحرار ، و النظر إلى ما عندهن من التحفز و التعطر و حسن الخدمة ، ١٥

(١) زيد من الدر المنثور في ربات الخدور ص ٨٠ ، و انظر حاشية سابقة لخلافة الوليد و راجع الفهارس .

(٢) من الدر المنثور ، وفي الأصل : النعم .

(٣) من الدر المنثور ، وفي الأصل : البصة .

(٤) في الأصل : تفتن .

وطيب النعمة . وجعل خالد يطيب الوصف بفصاحته ، و عذوبة منطقه .  
 فوقع كلامه من أبي العباس السفاح موقعا عظيما ، فلما فرغ خالد من كلامه  
 استعاده أبو العباس فحسن موقعه منه ، و تلذذ بما سمعه من وصفه .  
 ثم قال لخالد : انصرف . و بقي أبو العباس مفكرا بما سمع ، فدخلت  
 ه زوجته أم سلمة ، فأنكرت ما رأت من فكره ، و قلة شره . و قد كان  
 و في لها بما شرط لها ، فقالت له : يا أمير المؤمنين ! هل حدث أمر  
 تكرهه ، أو أتاك خبر ارتعت له ؟ قال : لا ، والحمد لله . فلم تزل به  
 حتى أخبرها بمقالة خالد . فقالت له : فما قلت لابن الزانية ؟ قال :  
 سبحان الله ، أ ينصحنى و أزحره ! فأرسلت أم سلمة مواليتها من التحارية  
 ١٠ إلى خالد و قالت لهم : اضربوه بالقارعة حتى يموت . قال خالد : و خرجت  
 مسرورا بما رأيت من أمير المؤمنين و إعجابه بما سمع من وصفه له ،  
 و لم أشك في الجائزه . فيما أنا ماش في بعض الطريق ، إذا بالعبيد يسألون  
 لف عى ، فحققت الصلة ، فقلت : ها أنذا ! / فأهوى إلى أحدهم بهراوة ،  
 فأيقنت بالشر ، فخثت<sup>١</sup> برذوى ، و ضرب أحدهم كفه ، و تعادى الباقيون  
 ١٥ خلئ ، فقتلهم<sup>٢</sup> ركضا ، و ما كدت أيجو . فأتيت مزلى ، فاحتضيت فيه ،  
 فلم أشعر بعد أيام إلا و قوم قد هجموا على و قالوا : أحب أمير المؤمنين !  
 فركبت إلى أمير المؤمنين و أنا يائس من الحياة ، فدخلت عليه في بيت  
 فيه ستور مرخاة في ناحية من البيت . فقال لى : يا خالد ! أين كنت ؟  
 قلت : متضعف . قال : إليك وصفت لى من أمر النساء صفة آخر

(١) في الأصل : فخثيت . (٢) من الفوات أى سبقتهم .

مرة رأيتك فأعدها لي . وسمعت حركة من خلف الستر ، فعلت أنه أمر مصنوع . قلت : نعم يا أمير المؤمنين ! حدثتك أن العرب اشتقت اسم الضرة من الضر . قال : لم يكن هذا حديثك . قلت . وحدثتك أن الثلاث نسوة للرجل كالأثافي ، القدر تغلى عليها ، وأخبرتكم أن الأربع نسوة شر مجموع لمن كن عنده ، يقهرنه و يهرمنه . قال : ما سمعت ه هذا منك . قلت : بلى ، بهذا حدثتك . قال : أفتكذبي ! قلت : أفتقتلي ؟ [ قال : مر في حديثك ، قلت - ١ ] و أخبرتك أن أبكار النساء رجال إلا أنهم لا حصي لهم . قال . فسمعت ضحكا من خلف الستر . قلت : نعم ، و أخبرتك أن بني محزوم ريحانة قريش ، و أن عبدك ريحانة من الرياحين ، و أنت تطمح بعينيك إلى حرائر النساء ، و غيرهن من الإماء ! ١٠ فسكت أبو العباس متعجبا ، و قيل من وراء الستر . صدقت يا عماء و بررت ! بهذا حدثته ولكنه غير حديثك و يطق على لسانك . قال : فاسللت و خرحت ، فبعثت إلى أم سلمة عشرة آلاف درهم و تحت ثياب و بردون . قال : فكان أبو العباس إذا رآني تدسم - انتهى .

[خبر لواء الملك بن سيف التيجان وزواجه بالدعجاء - ٢] ١٥

فلنذكر الآن خبر ترويح لواء الملك بن سيف التيجان بالدعجاء بنت الهيمان إن شاء الله تعالى - قيل : بينما الملك سيف التيجان بن سنا

(١) ريد من - ياق الدر المستور .

(٢) العنوان مقتبس من النص ، و ليس بالهامش . و القصة مثل أحاديث أف ليلة و ليلة .



ب ابن عبد شمس جالس في قصره ، إذ دخلت عليه زوجته / قانصة الليوث  
 أم لواء الملك ، قالت له : أيها الملك ! أنت قد أعطيت السعادة في ولدك  
 لواء الملك ، فانظر في تزويجه بجارية حسنة من بنات الملوك ممن يكون  
 لها جمال فائق ، وحسن رائق ، إذ أنت ملك الدنيا بخذايرها . قال  
 ه لها : نعم ، تنظر في ذلك إن شاء الله تعالى . وخرحت من عنده . فدعا  
 بأرباب دولته ، وأهل مشورته ، وقال لهم : أريد أن أزوج ابني لواء  
 الملك من جارية لها جمال بارع . فلم يجبه أحد ، فمر عليه ذلك حين  
 لم يجبه أحد ، فرد رأسه مغضبا عليهم نحو البحر ، وإذا بشيء يلوح في  
 البحر ، يعلو تارة وينخفض تارة ، فأمر مماليكه أن يدخلوا البحر في  
 ١٠ زروق لينظروا ما هو ذلك وياتوا به إليه ، فدخلوه فاذا هم بتابوت عليه  
 قفل من ذهب ، فمثل بين يديه ، فأمر بهتحة ، وإذا بنور قد سطع  
 من جوف التابوت كاد يخطف الأبصار ، وإذا به حجر ياقوت ، فأخرج  
 الحجر ، وإذا بازائه حلة مقيمة منسوجة بالذهب . فلما فتح الحلة وجد  
 في وسطها صورة جارية ما رأى الراؤن أجمل منها ، فافتن في جمال  
 ١٥ تلك الصورة ، وعلى رأسها ' سطران مكتومان ' بالذهب . هذه أمانة الله  
 لا تلقى إلا بيد الملك سيف التيجان من سبأ بن عبد شمس ، . فقال  
 لوزرائه : فيكم من يعرف هذه الجارية ؟ فلم يجبه أحد . فقام إليه شيخ  
 يقال له غدير فقال : أيها الملك ! أنا أعرف الناس بهذه الجارية وبأيها .  
 قال له : ومن أبوها ؟ قال له : أما الجارية فاسمها قانصة الجمال بنت

(١-١) في الأصل : سطرين مكتوبين .

مصباح العلي صاحب جزائر الباقوت ، وإنه يملك جزيرة طولها مسيرة أشهر ، فلما سمع ذلك سيف التيجان و ابنه لواء الملك ، وقع في قلب لواء الملك من حبها حر ، لا تطفئه السعة أحر .

عد ذلك عطف سيف التيجان على ابنه / لواء الملك و قال له : ٢٣٣ / الف

يا بني ! أقسمت قسما : لأسيرن في طلب هذه الجارية ولو أنها تصعد مصعد الشمس ، أو تغيب مغيب الرمس ، لا بد أن آتيك بها . ثم أمر سفينة أن تعمر بأنواع السلاح والعدد والرجال والقطائع ، و تعمر القطائع أيضا فعمرت ، و اتخذ هدية عظيمة من الجوهر والزمرد ، وحشائش الهند ، و طرائف اليمن ، و ثياب صنعاء ، و حلل عدن ، و قباطي مصر ، و الطنافس الغوالي ، و نوايج المسك ، و كروش العنبر ١٠ و الرعهران و الفلفل و الزنجبيل و الكافور و الصدل و الحصابان الجاوي و العود القهاري و السند<sup>١</sup> و الغوالي ، و ثلاثمائة جارية عليهن الحلل و الحلل . و أدخل القطائع الرجال في أحسن زى و أكمل عدة ، و أمر على القطائع حسام المايا صهره ، و على السفن البرقان بن رومان صهره أيضا ، و دخل هو في سفينة فيها لود و صواري عالية و قلع ١٥ يرض ، و تودع من ابنه و أمه أم لواء الملك ، و سار في أكاد البحر ، و القلاع قد دارت به مثل النجوم بالدر ، فأقام سائرا عشرين يوما . فلما كان في الليلة الحادية و العشرين ، أرسل الله عليهم<sup>٢</sup> ريحا عاصفا

(١) في الأصل : الشند . و السند نوع من الثياب اليمية المنقطعة .

(٢-٢) في الأصل : ريح عاصف .

ففرقهم ولم تجتمع مركب مع مركب ، فلما أصبح الله بالصباح<sup>١</sup> ، نظر سيف التيجان فلم ير للقطائع أثرا<sup>٢</sup> ، فعند ذلك عطف على مقدم سفينته ، وقال له : أين نحن من الحر ؟ قال له : يا مولانا ! ليتنا لم ندخل الحر ولم نره ولم نركبه ! والله لا عشنا أبدا ! قال له : وكيف ذلك ؟ قال : ألا تنظر إلى ذلك الجبل الذي أمامنا . قال له : نعم ، قال له : هذا حل يخرج منه ريح سوداء ، فتدور السفينة كدوران الرحي ، وتغيب تحت الماء ، ولا ينجو منها من يبحر البحر ، وهذا هو جبل الغمام ، ما قرب منه / أحد ونظر بطرفه إلى السماء أبدا ، بل يموت تحت الماء . قال : فيما هم يتكلمون وإذا بالريح قد هبت عليهم ١٠ من الجبل ، فلما رآها سيف التيجان ، تقلت منه العينان ، وخلع ما كان عليه من أثوابه ، وبقى في سراويله ، وإذا بالسفينة<sup>٣</sup> تدور بهم حتى تائرت ألواحها على وجه الماء وعرق كل من فيها . وأما سيف التيجان فإنه عام على وجه الماء ، والأمواج تارة ترفعه وتارة تضعه ، حتى قرب من الجبل ، فتعلق به حتى استوى<sup>٤</sup> على سطحه ، فصار ١٥ الماء تارة يضربه إلى ركتيه وتارة إلى محزمه . فظفر إلى حل كأما شرء بمشار أو قر بمنقار ، قد انقطع من الماء ، وتعلق بأعنان السماء ، فلم يجد له حيلة وأيقن بالهلاك . فيما هو كذلك إذ

(١) في الأصل : اتر .

(٢) في الأصل : السفينة .

(٣) زيد هنا في الأصل : عليه فتعلق به حتى استوى .

(٤) في الأصل : ينشر .

سمع دويًا نازلاً<sup>١</sup> عليه من أعلى الجبل، فتأمل وإذا بجارية قد سدلت شعرها المصفور، وهو ثمانية وعشرون ذؤابة، وإذا بها جنية فقالت له: اقتحمت بنفسك المهالك ياسيف التيجان! هلا أقمت بمكانك، وأرسلت بأجنادك! ألم تعلم أن الملك مثل الرأس في الجسد، فإذا عدم الرأس هلك الجسد، لكن أمسك بصفارى. فقال لها: ما اسمك؟ قالت له: اسمي الدعجاء بنت الهيمان بن شعثان بن مرة بن إبليس الأكبر. فتعلق بصفارها حتى صعدت به أعلى الجبل، وأنزلته في وسط رحة عظيمة، في وسط الرحة شجرة عادية، وعين من الماء جارية. وتركته حتى رجع إليه وهمه. وزال عنه روعه. ثم عطف عليه وقالت له: لولا أني أحبتك لتركتك تموت في لجج البحار! ثم إنها أتت به إلى مغارة عظيمة مقورة في الحجر الصلد، وألقت يدها في يده، وهبطت به في صالة<sup>٢</sup> عظيمة قد قامت على سوارى الرخام ساعة، واهرج له الضياء عن قصر و دسكرة ما رأى الراؤن مثلها. قيل: الدسكرة بناء كالقصر حوله بيوت. وجمعها دساكر. أي قصور حولها بيوت. وذلك القصر فيه مجانس. أرضها رجاج و سماؤها مزخرف بالذهب. وفي وسط القصر قبة عليها مطلق من النحاس، فأتت به ثقة وأدارت لولها و رفعت المطلق، ونزلت به أدراج، وأخرجته إلى مغارة خلف الحبل، فنظر إلى حزيرة عظيمة لم ير الراؤن أجمل منها. باتها العود

(١) في الأصل: نارل.

(٢) في الأصل: صالة.



الرطب و القرنفل و الزعفران و الأبنوس و الزان و صنوف الثمار،  
و مياه تطرد، و طيور تغرد، في وسط الأرض قصران، يحير في نائيهما  
العقل، بنيانهما مرصوص بعضه في بعض، قد قام القصران في الهواء،  
و بينهما نهر عظيم له احدار مهول كالفضة البيضاء، و حول القصرين  
ه عبيد قد لبسوا الثياب الحسان، و عمامة مختلفات الألوان، و وجوه على  
صفات مختلفات. فلما رأوا الجارية قاموا لها إجلالا و تعظيما، فأدخلت  
الجارية سيف التيجان في ذلك القصر و أرتة عزا و ملكا، و قالت له:  
انظر ما بحر فيه من الملك، و أنت لا يقر بك قرار عن ركوب الخيل،  
و خوض الليل، و الحروب حتى ينهزم شابك، و يزول ضياؤك في  
١٠ ملادك، و أنا ملكة من ملوك الجح، و قد هويتك، و أريد زواجك،  
لأنك ملك و ابن ملك، و بطل من الأبطال، و أهب لك ملكي.  
ثم دعت مشايخ الجح من أهلها، و أشهدتهم على رواجها إياه، و اشترطت  
[عليه أن لا يتزوج عليها حنية، و يتزوج من الإنسيات ما أراد. فقال  
نعم، و اشترطت هي أيضا - ١ ] على نفسها أن لا تألف إنسيا و لا حنيا  
١٥ طول حياته، و لا بعد وفاته، و أن تخبره بأخبار الملوك حيث ما كانوا  
من مشارق الأرض و مغاربها، و أن تكون معه في شدائده. فشهد  
المشايخ عليها بحضرة أبيها / و أهلها، و دسح لها خاتمه في مهرها،  
و دخل بها، فوحدوها بكرة عذراء، و وحد منها من اللذة و التمتع  
ما لا يحده في الإنسيات، و بقى معها في عيش هنيء، و قطع اليأس من

٢٣/ب

(١) الجملة المحجوزة وردت ناهماش بخط النسخ.

أهله وملكه . هذا ما جرى للملك سيف التيجان . و أما أصحاب الهدية  
و القطائع لما تفرقوا من سفينة سيف التيجان في البحار ، أخرجتهم الرياح  
إلى أرض الرعد . ثم إن لواء الملك من سيف التيجان قال لجده عبد شمس :  
يا جدي ! أنا ما يهألى عيش حتى يجمع الله بيني وبين أبي ، إذ قد طالت  
سهرته . و أمر بحارة سفن و قطائع ، و تودع من جده و سار في أكباد  
البحر مدة خمسة وعشرين يوما ، لا يرى برا ولا جبلا ولا جزيرة .  
فعطف لواء الملك على مقدم السفينة و قال له : اصعد على الصاري ، لعلك  
أن ترى برا مأوى إليه . فطلع ثم نزل و هو فرح مسرور ، فقال له لواء  
الملك : ما الذي رأيت ؟ قال له : البشارة أيها الملك ! قد وصلنا جزيرة  
الياقوت . فلم تكن إلا ساعة و إذا هم على الجزيرة . فأرسل صاحب الجزيرة  
إلى الملك مصباح العلي و أعلمه أن لواء الملك بن الملك سيف التيجان  
قد وصل . ففرح الملك فرحا شديدا ، و أمر بالقباب فصررت ، و بالابل  
فحرت ، و بالبقر فعقرت ، و بالعم فذبحت و نزل لواء الملك مع  
أصحابه في القباب ، و خرج إليه أهل المدينة : و صنعوا له برورا عظيما .  
و أخرج له الملك مصباح العلي هدية عظيمة ، و مطايا و جوار عليها ،  
و أمر بالجيش فلبسوا أحسن زيهم ، و زينهم أحسن زينة ، قد لبسوا  
أقبة الديباج المدهبة ، من ورائهم الصيلة ، أمامها فيل أبيض ، عليه قنة  
من الذهب الأحمر ، في أطرافها أحجار الياقوت على قضبان الذهب .  
/ و الملك مصباح العلي راكب على الفيل ، و قد دار بالفيل ألف فارس ،

كاللوث العوايس ، يقومون في الحديد ، لا يخافون الفوت ، ولا يجزعون  
من الموت ، من ورائهم ألف مطية ، عليها قباب من الوشى  
المتقل والدياج المدثر ، في كل قبة جارية تعاند الشمس في  
الجمال . قد لبس الحلى والحلل المثقلة ، في أعناقهن السلوك ، والأسورة  
٥ في معاصمهن ، والخلائيل في أقدامهن . وأعناق المطايا فيها أجراس  
الذهب والفضة ، يسمع لها دوى وجلبة ، وهن يضررن بالعيدان ، والمزاهر  
والشيزان ، فرأى لواء الملك ما يزيد على ثلاثمائة ألف ضارب سيف ،  
ورأى ملكا عظيما ، وضرب للملك مصباح العلي قبة مكحلة بالدر والياقوت  
والزمرد ، وقد دار بالقبة ألف قبة على أعلاها أحجار اليواقيت ، تكاد  
١٠ تختطف الأنصار من شدة لمعانها ، والجيش قد دارت بالقباب من كل  
حاجب ومكان . ثم دعا الملك مصباح العلي بالملك لواء الملك بن الملك  
سيف التيجان ، فلما دخل عليه ، قام له إجلالا ورحب به وصنع له  
وليمة عظيمة . وسار الملك مصباح العلي إلى مدينته ، ودعا وزير له يقال  
له سالم ، ووجهه إلى لواء الملك ليصل به إلى القصر . فأقبل إليه لواء  
١٥ الملك وبين يديه حسام المايا جده والورقان ، وساروا حتى وصلوا إلى  
القصر . ورأى قصرًا تكل عه الستة الواصفين ، على باب القصر نحو  
حسانة مملوك بأيديهم الدمايس ، قد لبسوا أقيسة الدياج ، وتمنطقوا  
بمناطق محكمة مرصعة درا وياقوتا . ودخل سالم بمن معه من الوزراء

(١) في الأصل : تكن .

قدام لواء الملك و أصحابه إلى أن وصلوا إلى باب النحاس ، و إذا على الباب  
 خمسةة جارية / قد لبس<sup>١</sup> القباطى المحكمة ، و فى أوساطهم<sup>٢</sup> المناطق  
 المرصعة بأحجار اليواقيت . ثم دخل من ذلك الباب إلى وسط قصر  
 ما رأأت العيون مثله ، فى وسطه صهريج من الماء . قد دارت عليه أربعون  
 قبة من الزجاج الملون قد قامت على قضبان النحاس ، على كل قبة هلال هـ  
 من الذهب فيه حجر ياقوت ، و بين القباب مجلس قد قام على أعمدة  
 من الرحام الساطع البياض . و المجلس مفتوح على ثلاثة أبواب من  
 العاج و الأبنوس مصفحة بصفايح الذهب . و أمامه قبة فى وسطها لولب  
 تقابله قبة من الناحية الأخرى بلوالب أيضا . فلما رأى لواء الملك ذلك  
 قال لسالم : كيف يجاز إلى تلك الناحية ؟ قال له الوزير : مهلا عليك أيها  
 الملك ! ثم أخذ بيده و أتى به إلى اللولب الذى كان فى القبة ، أداره  
 و إذا بصورة جارية كأنها البدر ، قد قامت وسط القبة التى أمام المجلس  
 و إذا هو بطلسم<sup>٣</sup> بما صنعتته الملاسة المتقدمون ، قد أسدات تمانى  
 عشرة<sup>٤</sup> دؤابة ، فأقبلت تخرق الصهريج حتى قرمت من لواء الملك ،  
 و أقبلت بهما راجعة حتى وصلت بهما إلى باب المجلس ، فمد يده لسالم<sup>٥</sup>

(١) فى الأصل : لسوا .

(٢) فى الأصل : أوساطهم .

(٣) فى الأصل : طلسم .

(٤) فى الأصل : تمانية عشر .



الوزير إلى رأس الجارية وأدار لولبا، وإذا بها قد أسحرت<sup>١</sup> حتى وضعتها في باب المجلس وغابت تحت الماء، ودخلوا للمجلس فظفروا إلى مجلس يحير فيه الوصف، عليه ستور الحرير وشباك الجواهر، قد فرش بالديباج المدثر ولبسود الطيلسان<sup>٢</sup>، وبنمارق الخسروان، ووسائد الأرجوان،  
 ٥ وعلى يمين المجلس سرير تكل في وصفه الألسن، وعليه الملك مصباح العلي بن بدر الدجى، عليه حلة عظيمة، وعلى رأسه تاج مرصع<sup>٣</sup> درا وياقوتا وزمردا<sup>٤</sup>، والتاج معلق من سلك المجلس بسلسلة من ذهب مدبر في لولب<sup>٥</sup> تدور على رأس الملك حيثما ما دار، / ينخل للناظر أن الملك يمسكه على رأسه. فلما دخل لواء الملك على الملك مصباح ١٠ العلي هو وأصحابه سلموا عليه، فرد عليهم السلام، بتحية وإكرام، وأنزلهم في مراتب قد أعدها لهم. وأما لواء الملك فأجلسه معه على سريره. ثم كلم وزيره سالما بكلام غير مفهوم، وإذا باب انفتح في وسط المجلس، وإذا بعشرة من المشايخ وأشراف قومه وساداتهم قد خرجوا من ذلك الباب، عليهم الثياب الرقاق، وعلى رؤسهم العمام ١٥ المصمصة بالذهب، لهم اللحى البيض، كأنها سبائك فضة، وسلموا على

(١) في الأصل . اسحرت .

(٢) في الأصل : الطيلقان .

(٣-٣) في الأصل : در وياقوت ورمرد .

(٤) في الأصل : لوليب .

الملك مصباح العلي، وعلى لواء الملك وأصحابه، وجلسوا في مراتب قد أعدت لهم. فلما استقر بهم الجلوس، وإذا بستر قد ارتفع من جانب المجلس، وخرجت جارية بيدها طست من الذهب مملوء مسكا وكافورا قد حل في ماء الورد، وعلى رأس الحارية طائر على شبه العصفور. فسلمت بسلام أعذب من الغنى بعد الفقر، ونظرت نحو الطائر وتكلمت بكلام، والطائر ينظر في وجه الجارية يسمع كلامها حتى فرغت منه، وإذا الطائر قد قام على رأسها ورفرف وزل رفق في الطست وانغمس في وسطه حتى استوعب جميع ما كان فيه من الكافور والمسك وماء الورد في ريشه، ثم سار إلى الملك مصباح العلي ورفرف عليه وهو ينفض رفق، حتى فرغ ما كان في ريشه من ذلك الطيب، ثم عاد إلى الطست وفعل كفعله الأول، ١٠ وعاد إلى لواء الملك وفعل به كما فعل بالملك مصباح العلي، فما زال يغمس ويصنع بهم كذلك واحدا بعد واحد حتى فرغ منهم. ثم نزل على قضيب حيزران وغرد تغريدا حسنا بهصاحة لم يسمع مثل تغريده، ثم عاد الطائر على رأس الجارية، فرجعت إلى المكان الذي منه خرجت. ١١

ثم عطف الملك مصباح العلي على أولئك المشايخ العشرة والوزراء وقال لهم: ١٥ هذا لواء الملك ابن ملك الدنيا بأطرافها سيف التيجان، أتاني ليتزوج بابنتي فائضة الجمال. أشهدكم أنني قد وهبتها له وزوجتها لياه. فقبل لواء الملك التزوج على صداق معين، وكتب الصداق، وصنعت الولائم، وصربت الطول، وزعقت الأواق، وصنع مهرجان عظيم. فلما جن

الليل من ذلك اليوم ، وإذا برسول الملك أتى إلى لواء الملك وقال :  
يا مولاي ! إن الملك يدعوك . فسار إليه معه إلى أن أتيا إلى قصر  
عظيم ، فقرع الرسول الباب قرعا خفيفا ، وإذا ياب القصر قد فتح ،  
و مقدار عشرين جارية عليهن زينتهن سلعن على لواء الملك ، بأيديهن  
الشموع المزهرة . ثم دخل من دهليز إلى دهليز حتى دخل به إلى قصر  
شاهق بكل عن حسنه الوصف ، قد دارت به أربعة مجالس ، أمام كل مجلس  
قبة من الزجاج الملون ، قد قامت على أربعة أعمدة من النحاس ، في وسط  
كل قبة صهرج من الماء ، في كل صهرج أربعة أعمدة من الرخام ، فيه  
طلاسم و تماثيل ، ترمى الماء على أنواع ، وهي أعجب من كل عجب ،  
١٠ قد حُلِصت من خالص الذهب . في وسط القصر بستان ، فيه أنواع  
من الثمار ، وأشجار و أنهار و أطيار ، تغرد من كل جانب و مكان ،  
على أعلى القصر شباك الحرير ، و نواعير من الأسوس و العاج ، لها  
أصوات تطرب الأسماع ، و الماء يخترق القصر على تماثيل تُزَلُّ  
الهموم ، و تطردن الغموم . و تلك النواعير تحس و تثن ، كما قال  
١٥ الشاعر في ناعورة :

و باكية و ليس لها حليل و قد منعت من الدمع الكلام

فحمل لواء الملك إلى مجلس سماؤه ذهب و أرضه زجاج ، يحير فيه الطرف ،  
و يعجز عن حسه الوصف ، عن يمين المجلس سرير قد قام على أربعة  
قوائم من الذهب مرصعا درا و ياقوتا و حوهرًا ، و سرير ثانٍ عن يسار

المجلس ، عليه من الديباج المدثر ، و بمارق الخسروان ، و مساند الحرير  
 المحاكية للأقحوان ، و الشموع<sup>١</sup> مركوزة في شمعدانات الذهب . فما استقر  
 بلواء الملك الجلوس حتى سمع صلصلة الخلاخيل على الرخام . كأنها وقع  
 الرد على الصفا ، / و إذا بهن ثلاثمائة جارية كالبدور الطلوع و الكواكب  
 الدرية . عليهن أنواع الحلى و الحلل ، يسمن عن ثغور كالأقاح ، كأنهن ه  
 قضبان يمس على كشان ، يبهن جارية غصة الشباب ، نقيه الجلباب ،  
 صافية الأديم ، عاطرة السيم ، قد كسيت الحسن و الجمال ، إن رنت  
 بطرفها أمالت العمام عن الرؤس . و إن تبسمت رقص الحيا<sup>٢</sup> في الكؤوس ،  
 ترفل في حلة كذب الطاوس ، كأنها صم تجسد من النور ، و تكون  
 من صفاء اللوز ، إن مشت تثت ، و إن تكلمت فتت ، على رأسها ١٠  
 تاح من الذهب الوهاج ، مكلل بأنواع الحواجر و اليواقيت . فعند ما  
 قرب الحوارى<sup>٣</sup> من باب المجلس ، اندفعت بحملتها المزامر و العيدان ،  
 و الطناير و الدفوف و الشيزان . و دخلت الجارية على لواء الملك ، فلما  
 وقعت عينا عليه ، سلمت و وقفت بين يديه ، و أرمأت<sup>٤</sup> يدها إلى  
 الحوارى<sup>٣</sup> ، فمضت كل واحدة إلى مقصورتها . فعند ذلك قام لواء الملك ١٥  
 إليها ، و قبل ما بين عينيها ، فرأى منها جمالا فائقا نازعا . كاد أن يغشى  
 عليه من نور وجهها عند ضمه لها . فاعتقها و حملها على السرير . فعند

(١) في الأصل : و الشعاع .

(٢) في الأصل : الحان .

(٣) في الأصل : الحوار .

(٤) في الأصل : اومت .



ذلك زعت تاجها عن رأسها ، و الحلال التي على بدنها ، و بقيت في غلالة شفافة ، يظهر باطنها من ظاهرها ، فبدأ له من تحت الغلالة صدر كلوح من رخام ، و نهذان كأنهما أحقاق عاج ، كما قال فيها بعض واصفيهما :  
 وقاتلتى بفتور الجفون و مستوفزين<sup>١</sup> على منبر  
 كحقين من لب كافورة رأسيهما تقطتا عسر

فدخل بها فوجدها نكرا عذراء ، فبقى معها مدة . ثم بعد ذلك اجتمع بصهره الملك مصباح العلي ، و قال له : أيها الملك السعيد ! إني آليت على نفسي أن<sup>٢</sup> أبحث عن أبي سيف التيجان ، حتى أعرف حبره أو أموت في طلبه ، و إني أريد أن أسير أطلبه . فأذن له في ذلك ، فودع / صهره ،  
 ١٠ و أخذ زوجته في هودج على نجيب ، و جواربها<sup>٣</sup> أركبهم المطايا ،  
 و سار في رجاله الذين خرج بهم من المراكب ، و سار يستفتح الجزائر في طريقه - هدا ما جرى هنا .

و أما حبر الملك سيف التيجان ، لما احتفظته الدعجاء بنت الهيمان الجسية من لجج البحار ، و أتت به إلى قصرها و تزوحها ، و بقى معها مدة ١٥ إلى أن اشتاق إلى أهله و وطنه ، فاستأذنها في ذلك ، فقالت له : نعم ، فاخرج معي إلى البحر . فخرج معها إلى شاطئ البحر ، و إذا فيه عبدان مقلان زورق إليه ، وركبه بعد أن ودعها ، و جذف العبدان<sup>٤</sup> به ساعة ، و إذا به قد طرح بالر ، و تركاه و رحما ، فصار يمشي في البرية ، يهيم كما يهيم العام الشرود ، و لا يعرف حيث هو من الأرض .

(١) بمعنى متحفرين أو واثنين .

(٢) في الأصل : عن .

(٣) في الأصل : و حوارها .

(٤-٤) في الأصل : و خدمت العبدتين .

فبينما هو كذلك إذ سمع كلاماً قصد نحوه ، وإذا هو حتى يموج بساكنيه ،  
ويرتج بقاطنيه ، فلما رآه<sup>١</sup> أهله أنكروه وقالوا له : من أنت ؟ قال لهم :  
أنا رجل غريب عابر سبيل . فأكرمه أهل الحى ، ورأى عندهم ملكة عظيمة .  
قال لهم : ما يقال لملككم ؟ قالوا : ملكنا رجل مؤمن بالله و اليوم الآخر ،  
إلا أنه أصيب البارحة ، وذلك أنه وراءنا فى أطراف هذه الأرض قوم<sup>٥</sup>  
من الجن ، وبالأمس اختطفت ابنة الملك ، ولم يكن فى زمانها أجمل  
منها . وقد خرج فى جملة من أصحابه يطلبون الآثار ، ويبحثون عن  
الأخبار . عند ذلك عطف عليهم سيف التيجان وقال لهم : إني أريد  
أن أجتمع مع ملككم ، وعسى [ أن - ٢ ] يكون له نصرة يدي . فاجتمع  
معه قوم ، وساروا به حتى لحقوا الملك وقالوا له : أيها الملك ! هذا رجل<sup>١٠</sup>  
غريب شديد البأس ، ضمن أنه ينصرك على عدوك . فأمر الملك باكرامه ،  
وقربه من نفسه ، وقال له : إن أنت أتيتى بابتى زوجتكها . قال له :  
اتنى بآلة حرب وجواد . فدفع له ذلك ، فدرع / و التثم و لبس السلاح ،  
وركب جواداً من عتاق الخيل ، وساروا يقطعون الأرض حتى أشرفوا  
على وادٍ ما رأت العيون أحسن منه ، الظاء فى ساحاته تغدو وتروح<sup>١٥</sup>  
و تنفر ، كثير الأشجار و الثمار و الأطياف و النوار . عند ذلك عطف الملك -  
وكان اسمه بهران بن بارق النيران ، صاحب أرض العقبان - على بعض أصحابه ،  
وقال له : ادخل النهر ، لعلك تجد خيراً . فسار الفارس فى الوادى

(١) فى الأصل : رآوه .

(٢) فى الأصل : من .

(٣) ساقطة من الأصل .

فلم يرجع ، فبعث آخر فلم يرجع ، هكذا حتى وجه عشرة من أبطاله ، فلم يرجع واحد منهم ، فلما رأى ذلك سيف التيجان قال له : أنا آتيك بالخبر إن شاء الله تعالى أيها الملك . فسار إلى الوادي حتى انتهى [ إلى -<sup>١</sup> ] وسطه ، فاذا هو بالعشرة أبطال أموات . قال سيف التيجان عد ذلك : لا حول ه ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، فيبما هو يتفكر إذ سمع هاتفا من داخل الوادي يسمع صوته ولا يرى شخصه وهو يقول : أيها الراكب على سرجه ! ألا ترى الظباء نفرت ! أيها الفارس ! إنه قد دخل بالوادي عدو قد أكل سكانه ، وقطع<sup>٢</sup> الطريق حتى خلت أوطانه . ثم رجع إلى الوحش فأكلها ، فارجع وراءك مسرعا قبل أن يحل بك عدو ، ما لك ١٠ به طاقة ، ولا يتركك حتى بأخذك في كفه ، ويضعك في بطنه ، فأنج نفسك سالما ، فأنا قد نصحتك ، فإن شئت قبلت ، وإن شئت أكلت . قال له سيف التيجان : أيها المتكلم ! صف لي هذا العدو الطاغى ، في أي نوع هو في طبيعته ؟ فلقد وصفته فوق قدره ، وأخرجته من حده . فقال له الهاتف : إن كنت عولت على لقائه فها هنا يكون اللقاء . عند ذلك ١٥ ترجل سيف التيجان عن جواده ، وعقله بفاضل عنائه ، وبات تلك الليلة . فلما أصبح الله بالصباح إذ سمع الهاتف من داخل الوادي وهو يقول : أيها الرجل المغرور بنفسه ، وسائقها لحينه ! ألا ترى العدو قد ظهر ! فخذ على نفسك / وكن منه على حذر . فيبما هو كذلك إذ سمع دوى عظيم بين شعاب الوادي ، وإذا بأسد مهول عظيم شديد الزئير ذي ناظر ب

(١) ساقطة من الأصل .

(٢) زيد هنا في الأصل : عن .

وشوارب، وأنياب ومخالب، وسواعد كاللواء. فلما نظر إليه سيف  
التيجان رده على قائم سيفه، وانتضاه من غمده، وأخذ حجفته بده،  
وأتى إلى الأسد، فلما رآه الأسد حمل عليه، وأراد افتراسه، وإذا  
بسيف التيجان قد خرج إلى ناحية والتوى عليه بضربة أبرى قوائمه  
الأربع، وثنى عليه بضربة أسقط رأسه على الأرض، وتركه يتخبط في  
دمه، وهبط سيف التيجان مع الوادي، فلاح له بين الأشجار قصر  
مشيد بنيانه بالرخام، مما صنعتها الفلاسفة المتقدمون، إلا أن القصر خال،  
فعقل جواده، ودخل القصر، فرأى فيه بستاناً<sup>١</sup> قد غرس فيه من  
جميع الثمار، وقد دار بالستان مقاصير من العاج والابنوس، قد قامت  
على سوارى الرخام الساطع الياض، وفي وسط القصر مجلس سماؤه<sup>١٠</sup>  
مذهب وأرضه زجاج، على أبوابه ستور الحرير وشباك الجواهر، قد بليت  
بما مضى عليها من الدهور، فلما دخل المجلس رأى عن يمينه سريراً قد قام  
على أعمدة من الذهب، وعليه شخص ميت يخيل للناظر أنه نائم، وعند  
رأسه لوح من الذهب مكتوب فيه: هذا هو الملك حمير أول التابعة<sup>٢</sup>،  
غالب الجبابرة، والملوك الفراعنة والأكاسرة، لم يغنه ملكه عن الموت. ١٥  
وتحت مكتوب هذه الآيات:

كل حيّ للسمات كل جمع للشتات

(١) في الأصل: بستان.

(٢) في الأصل: التابعة.



ما بهاب الموت جبا را<sup>١</sup> شديد البطش [عات - ٢]  
 أين أرباب المطايا والجياذ الصافات  
 شيدوا المدن وصاروا في قسورهم رفات  
 وأولات الأولى من أه ل السلى والمائرات  
 ه أين عمرو بن كنعان ن الشديد السطوات  
 أين فرعون وهامان ن وجميع الطغوات  
 أين ذو القرنين وأين دخوله [فى - ٢] الظلمات  
 أين ملك سليمان الوا لى على الجن الطغاة  
 ٢٢ / ألف / كلهم ساروا [طريق - ٢] موت من بعد الحياة

١٠ قال : فلما قرأ سيف التيجان ذلك قال : سبحان من لا يتغير ملكه ولا يحول  
 ولا يزول ! ثم أراد الخروج من القصر إذ سمع صيحة عظيمة قرفع  
 لها القصر كله ، وظن أنه انطبق عليه . فلما سمع ذلك تأمل نحوها  
 النظر ، وإذا هي جارية كأنها الدر الطالع ، أو الغزال الراجع ، بنت تسع  
 وخمس ، تحجل البدر والشمس ، فقال لها : أنت إنسية أم جنية ؟ يا جارية !  
 ١٥ فما رأيت أحسن منك . قالت : بل جنية يا سيف التيجان ! أما كفأك

(١) فى الأصل : حبار .

(٢) الكلمة ساقطة ، و بهامشه : سطوات .

(٣) بياض فى الأصل ، و يستقيم الورن بما أثبتناه .

(٤) فى الأصل : توقع .

[ أن ] تجاسرت على الإنس حتى أبدتَهُم ، ثم أتيت إلى الجن تحاربهم ؟  
قال لها : من أنت ؟ قالت : أنا ذات الأنجم بنت الشرود بن شمر بن إبليس  
الأكبر ، ولو لا محبتي فيك ما كنت إلا مع أصحابك العشرة قليلا ، ولكن  
إذ قد حصلت معك ، ما أفارقك حتى تفعل معي كما فعلت مع الدجاء  
بنت الهيمان و تزوجني . فقال لها : ما أقدر على ذلك فاني أعطيتها العهود ه  
أن لا أتزوج عليها جنية أبدا . قالت له : لا بد وإلا عذبتك عدا ما  
عذب به أحد من العالمين ، لا قبلك ولا بعدك ، صارت الدجاء خيرا  
مني ! قال لها : اصنعي ما شئت ! فما أقض عهدا . فعند ذلك نادى بعفريت  
من الجن ، وإذا به في قدر القصر بجثته ، وقالت له : خذه إليك وألقه  
في أرض النحاس . فاقض عليه الجنى واختطفه وهوى به في الهواء ، ١٠  
وألقاه في أرض النحاس ، وذلك أن الله عز وجل خلق أرضا من  
النحاس الأحمر ، فلما طلعت عليه الشمس وحيت وصارت ترقص من  
تحت الآل ، رقص المقيد في الأغلال . عند ذلك أيقن سيف التيجان  
بالهلاك ، فبينما هو كذلك وإذا بالجنية ذات الأنجم قد أقبلت وقالت  
له : كيف رأيت يا سيف التيجان ! / ادع الآن الدجاء تقذك من يدي ! ١٥ / ٢٣٩  
أقسمت قسما إن لم تزوجني إن كان هلاكك إلا على يدي ! قال لها :  
تمنعيني من الدجاء ؟ قالت له : أما أصرفها عنك وأرد كيدها في نحرها .  
قال لها : حتى أرى برهان ذلك . قالت : نعم . و نادى بالعفريت وأمرته  
بأمرها ، وإذا هو اختطفه من ذلك الموضع وألقاه على جبل قد تعلق

(١) في الأصل : حير .

بأعنان السماء ، في أعلى الجبل قصر مشيد بأبواب من الحديد ، قد دار به  
ثلاثة أسوار من الحجر الصلد عالية ، وأبراج باهية . فأتته وقالت له :  
كيف رأيت بنيان الجن ؟ فاختطفته وألقته على أعلى القصر ، فنزل على  
درج إلى صحن القصر ، فرأى فيه أشجارا ، و نوادر و أثمار و مياه تطرد من  
ه أفواه التماثيل ، و نواعير تدور في أصناف من الخيل ، قد نظمت كنظم  
الأكاليل . قالت له : أتصل إليك الدجاء في هذا القصر ؟ ثم عطفت  
عليه وقالت : أتدرى ما بينك و بين أهلك ؟ قال : لا أعلم . قالت له :  
بينك و بين أهلك و وطنك مسيرة عشرين سنة . قال سيف التيجان  
عند ذلك : لا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم . و أدركه الوحشة و قال :  
١٠ أين الفرار من القضاء فلما ! رآته الجنية كذلك قالت له : لا تحزن  
يا حبيبي ! فاني قادرة أردك في ست ساعات من نهار . ثم عطفت  
عليه و قالت : هات ما بيني و بينك . قال لها : والله ما أقدر على نقض  
عهد عهديته ! فبينما هم كذلك و إذا بغمامة قد أغمت القصر ، فقالت له الجنية  
ذات الأبحم : لا ترح من مكانك لئلا يصيبك الشواظ و الشرار فتهلك .  
١٥ ثم تركته و رجت رجة في الهواء غابت عن بصره . فأقام سيف التيجان  
وحده في القصر و ما يدرى ما يصنع و هو يدور بين الثمار و النواوير حتى  
عيل صره ، فوجد مطلعا فصعد عليه حتى أتى أعلى القصر ، فظفر إلى  
٢١ / ألف الدجاء بنت الهيمان / الجنية و هي راكبة على حواد من عتاق الخيل ،  
و إذا بالجواد عفريت من الجن في صورة حواد من الخيل ، و ذات  
٢٠ الأبحم الجنية كذلك ، و الدجاء تقول لها : أخذت زوجي . و ذات الأبحم

تقول : ما أخذت لك بعلا ، ولا رأيت لك إنسيا . فرفعت رأسها الدعجاء فنظرت إلى سيف التيجان ، قالت لها : أليس هو هذا ؟ وحملت كل واحدة منها على صاحبها و تقاتلتا<sup>(١)</sup> بالسيوف حتى غابتا عن بصره . وإذا بالدعجاء راجعة إليه وفي وجهها جرح شديد ، فقالت له : يا سيف التيجان ! أنزل إلى . فأراد النزول فلم ير من أين ينزل ، ورجعت له الأرض كلها .<sup>(٢)</sup> محورا وأمواجا تتلاطم . قال لها : وكيف أنزل إلى هذه البحار التي موجها يتلاطم ؟ قالت له : ما هاهنا بحر ولا موج ، ولكن سحرتك ذات الأنجم ، فلا بأس عليك . لا تبرح من موضعك لئلا تهلك ، حتى أريك الحيلة في خلاصك ولو دخلت مدخل الرس أو ارتفعت مطلع الشمس .

ثم غابت الدعجاء عنه [ وبقى حيران - ٢ ] لا يدري ما يصنع ، وصارت ١٠ الدعجاء تطلب مداخل القصر فلا تجدوها<sup>(٣)</sup> . ثم غابت ، وإذا بالجنية ذات الأنجم قد أقبلت وقالت له : كيف رأيت يا سيف التيجان ! أين الدعجاء منك الآن ؟ وإذا بالأراج والقصور كما كانت أول مرة ، فتعجب من ذلك ، ودخل معها المجلس ، فقالت : أين الذي بيني وبينك ؟ قال : والله ما أقدر على نقض عهد أبدا ! قالت له : ما أريد منك إلا أن ١٥ تتزوج بي ، وإلا أهلكتك الساعة حتى لا تنفع بك الدعجاء ولا أنا ولا أحد . فلم يجد بدا من الزواج بها ، فتزوجها ودخل بها ، فوحدها بكرا عذراء ، فأقام معها مدة . ثم قالت له : يا سيف التيجان ! إني حامل .

(١) في الأصل : تقاتلن .

(٢) العبارة المحجورة ساقطة من الأصل و أضيفت في الهامش بقلم الناسخ .

(٣) في الأصل : ولا تجده .



فقال لها : ساعة مباركة . ثم إنه تشوق إلى أهله ووطنه فعرّفها بالامر ،  
 وإذا بقطائع قد أرسيت إلى ساحل البحر فيها المقاتلة . فبينما هو ينظر  
 نحوهم ، وإذا هو بابنه لواء الملك معه زوجته فائضة الجمال بنت الملك مصباح  
 العلي / وهي التي صورت صورتها في الحيلة التي وجدت في الصندوق الذي  
 ٢٤٠ / ب ه كانت الأمواج تقذفه ، ففرح والده ببلوغ أمل ولده بها ، فترامى سيف  
 التيجان على ولده لواء الملك ، وتعاقبا وتباكيا ، وشرح كل منهما  
 قصته للآخر . ثم إنه قال له : يا أبت اركب معنا في هذه القطائع ،  
 وسر إلى بلادك وملكك . فحينئذ أتى إلى زوجته ذات الأنجم وعرّفها  
 بذلك ، فأذنت له في السفر ، فركب سيف التيجان وولده لواء الملك ،  
 ١٠ ولم يزالوا سائرين إلى أن وصلوا إلى بلادهم ، واجتمع الملك سيف  
 التيجان بزوجته قانصة الليث أم لواء الملك ، واجتمعت هي بولدها  
 وشكوا ألم الفرقة من تلك السهرة . وقال كل واحد منهم : الحمد لله  
 على السلامة . وأقاموا بمملكته في خير وسعادة حتى فرق الموت  
 بينهم - انتهى .

### ١٥ في شهوات الرجال مع النساء

فلنذكر الآن ما قيل في شهوات الرجال مع النساء إن شاء الله تعالى -  
 اعلم أن طبيعة النساء مائلة إلى شهوة الرجال ، ولو لا ذلك لما كانت امرأة  
 تعود إلى بعلها لما تقاسيه من ألم الولادة . وإنما جعلت هذه الشهوة في

(١) في الأصل : كلا .

طبيعتهن ليعدن إلى بعولتهن لتعمر الأرض بالذرية .

قال [ أبو - ' ] عبد الله الخزاعي في كتاب الدر الثمين ، : إن حواء خلقها الله تعالى من ضلع آدم الأيسر في حال نومه ، فكانت على طول آدم وعلى حسنه وجماله ، ولها سبعة عشر رصعة بالدر والياقوت ، محشوة بالمسك الأذفر ، دجاء مخضوبة الكفين ، يسمع لذوائبها خشخشة ، هـ وهي مدملجة متوجة ، وهي على صورة آدم عليه السلام ، غير أنها أرق منه جلداً ، وأصنى منه لونا ، وأحسن منه صوتاً ، وأدعج منه عينا ، وأقى منه أنفاً ، وأصغر منه سناً ، وأبلج منه ثغراً ، وألطف منه بناهاً ، وألين منه كفاً . فلما خلقها الله عز وجل ، أجلسها عند رأسه ، فلما اتته ورآها تمكن حبها من قلبه فقال آدم : يا رب ! من هذه ؟ ١٠ فقال الله تعالى : هذه أمتي حواء ، فقال : يا رب ! لمن خلقتها ؟ فقال الله عز وجل : هذه أمتي وأنت عبدى ، وقد زوجتها لك . ففرح آدم بها ، فلما أفضى إليها آدم ، قالت : يا آدم ! ما أطيب هذا ! زدنا منه . فبذلك أتت الذرية .

قال عمار<sup>٢</sup> بن وثيمة : كان عبد الله بن ربيعة من خيار قريش ١٥ صلاحاً / وعفة ، وكان ذكره لا ينام ، وكان يتزوج المرأة من قريش ، ٢٤١ / فلا تمكث معه إلا أياماً حتى تهرب إلى أهلها . فقالت زينب ابنة عمر ابن أبي سلمة : ما هن يهربن من ابن عمهن ؟ قيل لها : إنهن لا يطقنه من

(١) زيد من المراجع .

(٢) من الأعلام للزركلى ، وفي الأصل : عمار .

شدة شبقه . قالت : و ما يمتعه منى ، فأنا والله العظيمة الحجز ، المقحمة  
المرج ، الصابرة على إرادته و قضاء شهوته . قال : فتزوجها فصبرت  
عليه ، و ولدت له ستة أولاد ، أنشد بعضهم يقول في شدة شبقه ، و قيام  
غرموله تورية :

ه أير إذا نديته في حاجة تخص بي قام لها مبادرا ما هو إلا عصي

ذكر ابن نصر<sup>١</sup> الشيرازي في كتاب « الإيضاح في أسرار النكاح »  
أمورا عجيبة من أحوال النساء ، فقال : إن أصناف النساء ثمانية ، وهي  
المتشحمة و اللزقة و القعراء و الجوفاء و المتخمة<sup>٢</sup> و الشفراء و المتخنة  
و العمراء . و قال : هذه أصناف لا يدقن لذة الجماع إلا بما أذكره الآن :  
١٠ أما المتشحمة فهي الممتلئة الفرج بالشحم ، فهذه لا تجد لذة الجماع إلا بالذكر  
الطويل الذي يبلغ أقصى الفرج ؛ و الذكر الطويل - في قول حكاه  
الهند - يكون اثني عشر إصبعا مضموما<sup>٣</sup> ، أي ثلاث قبضات ، و الوسط  
تسعة أصابع ، و الصغير ما كان ستة أصابع . و أما اللزقة فهي التي التطم  
فرجها و قل شحمه و هزل و يبق ملتزقا مسترخيا لعدم شحمه ، و هذه  
١٥ لا تجد لذة الجماع إلا بالذكر الغليظ القصير ، و ليس لها في غيره أرب ،  
ولا يعجبها سواه . و أما القعراء فهي التي قد تقعر فرجها لاستحكام شهوتها  
و إفراط الشبق و عرم الجماع ، و هذه لا يشفيها غير الذكر الطويل  
(١) من كشف الظنون ، و هو عبد الرحمن بن نصر ، و في الأصل :  
ابو نصر .

(٢) في الأصل : المتخمة . (٣) في الأصل : مضومة .

الغليظ الكبير الفيشلة كي يسد منها مواضع التقير ويصل إلى مواضع اللذة . و أما الجوفاء فهي التي عريت حوائب فرجها ، و بعد مسافة إسكتيها ، و أكثر ما يكون ذلك في النساء الطول ، و تلك لا تجد لذة الجماع إلا بالذكر الطويل العريض ، و لا تجد لغيره لذة ، و تكون سيئة الخلق شديدة الغضب عند الجماع ، و ذلك لتقصير الرجل عن بلوغ لذتها ، و قلبا يزل لها شهوة . و أما المتخمة فهي التي أسفل فرجها و أعلاه شيء واحد مع قرب مسافة شهوتها / و سرعة إنزالها ، و هذه ليس لها أحب من الرجل السريع الإنزال ، و متى طال جماع الرجل لها و أبطأ إنزاله وجدت لذلك ألما . و أما الشفراء فهي التي قد خف [ أحد - ' ] جانبي فرجها و خلا من اللحم ، و ليس شيء أوقع عند هذه من الذكر الطويل ١٠ الدقيق سيما إذا كانت مائلة إلى الجانب الذي قد خلا من اللحم ، و إن لم تكن على جنبها لم تجد لذة ، و لم تنزل لها شهوة . و أما المتخمة فهي الغليظة حيطان الفرج من خارجه ، الثقيلة الامتلاء من داخله ، التي قد اختنقت فيها الشهوة لقلة الجماع ، و هذه لا تجد لذة النكاح إلا بالذكر الصلب الشديد ، و لا يعجبها سواه . و أما العفراء فهي التي اتسع ١٥ فرجها من فرط الرطوبة و برد داخله ، فهذه لا تجد لذة الجماع و لا ينزل لها لذة إلا بالسحاق ، لأنه يحمي فرجها ، فتفور الحرارة فتنزل شهوتها ، و أما الرجل فلا تجد له لذة .

و علامة إنزال المرأة أن تموت عينها ، فتصير كعين اليربوع

(١) زيد من السياق .



[كأن - ١] بها وسنا، ويعرض لها عند إنزالها أن يتكلم وجهها  
و يقشج ، وربما اقشعر جسدتها ، و عرق جبينها ، و تسترخي مفاصلها ،  
و تستحي أن تنظر إلى الرجل ، و تارة تأخذها رعدة و يعلو نفسها ،  
و تعرض بوجهها ، و تمكن الرجل من فرجها ، و تلتصقه به من شدة  
ه الشهوة . كل هذه علامة إنزالها ، و متى اجتمع الماءان منه و منها في  
وقت واحد ، كان هو الغاية القصوى في حصول اللذة و تأكيد المحبة .  
و اعلم أن مـي الرجل يخرج عند اللذة الكبرى بالجماع ، رائحته  
كرائحة الطلع ، دافق مصبوب رطب ، و إذا يبس فهو كفصوص  
البيض ، و إنما شبه بالطلع لما يعرف أهل البلاد ، و الطلع هو الجف  
١٠ يخرج من رأس النخلة ، فإذا انشق خرج منه عنقود فيه حبوب ، فإذا  
تـر ذلك العنقود كانت رائحته كرائحة المـي . و ماء المرأة ماء رقيق  
أصفر ، و ماء الرجل أبيض غليظ ، فأيهما علا و سبق كان له الشبه ،  
و قيل : ماء المرأة أصفر مالح ، و ماء الرجل زعاق ، و هو المر .

قال ابن الغزى : إذا سق ماء الرجل ماء المرأة كان الولد ذكرا ،  
٢١ / الف ١٥ و بالعكس أنثى ، باذن الله تعالى . / و إذا كان ماء الرجل أكثر ،  
أشبه [الولد - ١] أباه ، و إذا كان ماء المرأة أكثر أشبه أمه ، فإذا سبق ماء  
الرجل ماء المرأة و علا ، أشبه الولد أعمامه ، و بالعكس أخواله - انتهى .

### [ما قال أهل الفراسة في النساء - ٢]

فلنذكر الآن ما قالت أهل الفراسة في النساء - قال أهل الفراسة

(١) ساقطة من الأصل .

(٢) العنوان مشتق من النص ، و ليس بالهامش .

و الخبرة بالنساء : إذا كان فم المرأة واسعا كان فرجها واسعا ، وإن كان صغيرا كان فرجها صغيرا ضيقا ، وإن كانت شفتاها غليظتين<sup>١</sup> كانت إسكتاها غليظتين ، وإن كانت شفتها السفلى صغيرة كان فرجها صغيرا ضيقا ، وإذا كان لسانها كأنه مقطوع الرأس كان فرجها كثير الرطوبة ، فإن كانت حذاء الأتف فهي قليلة الرغبة في الجماع ، وإن كانت طويلة الذقن فهي راية الفرج قليلة الشعر ، وإذا كانت كبيرة الوجه غليظة العنق ، دل ذلك على صغر العجز وكبر الفرج وضيقة<sup>٢</sup> ، وإذا كثرت لحم ظاهر قدميها ويديها عظم فرجها ، وإذا كانت المرأة نيلة الساقين ، فيها صلابة ، فإنها شديدة الشهوة ، لا صبر لها عن النكاح ، وإذا كانت المرأة حارة المجسة و كائبة<sup>٣</sup> الفم ، صلبة الثديين ١٠ غير متدلين ولا رخوين . صلبة العجز ، فهذه لا شيء عندها أحظى من النكاح لشدة شبقها والتذاذها بالوطء ، وإذا كانت المرأة حمراء اللون ورقاء العينين فهي شديدة الشبق أيضا ، وزرقة العينين دليل على شدة الغلبة في المرأة ، والعين الكحلَاء تدل على الغلبة و ضيق الفرج ، وصغر العجز مع غلظ الأكتاف يدلان على عظم الفرج . ١٥

قال الجوهري في الظهار : الظهار قول الرجل لامرأته : أنت عليّ كظهر أمي .

(١) في الأصل : غلاطا .

(٢) في الأصل : ضيقته .

(٣) أي الغليظة ، وفي الأصل : كانت - كذا .

قال القاضي عياض: والظهار مأخوذ من الظهر، كناية عن المجامعة،  
ولأنه ركوب المرأة كما يركب ظهر المركوب، لاسيما وعادة كثير من  
العرب وغيرهم المجامعة على حرف من جهة الظهر، ويستحيون من  
جهة الوجوه، يقصدون بذلك التستر والحياء والخوف ألا تجتمع الوجوه  
٢/ب هـ حيثذ، ولا يطلع على العورات، وهي كانت سيرة الانصار / حتى  
نزلت "نساؤكم حرث لكم فاتوا حرثكم أنى شئتم" و"انى" هنا بمعنى  
كيف، أى كيف شئتم.

وأما عيوب النساء فمنها داء الفرج وهو ما يمنع الواطئ ولذته،  
أى كمال لذة الوطء . ومنها العقل والقرن وحرق النار والرتق .  
١٠ و الرتقاء هي التى لا يستطيع جماعها لارتفاق ذلك الموضع منها، وهو  
من الرتق الذى هو ضد الفتق . قال الله تعالى "اولم ير الذين كفروا  
ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقنهما"٢ قيل : الرتق من المرأة  
على نوعين : أحدهما أن يكون محل الجماع مستدا بلحم، وهذا يمكن  
علاجه، والثانى أن يكون مستدا بعظم فلا يمكن علاجه .  
١٥ والقرن أن يكون فى المحل عظم شبيه بقرن الشاة . والعقل شئ  
يخرج من قبل النساء، وحياء الناقة شبيه الأدرة التى للرجال .  
وكذلك بخر٣ الفرج، وهو الذى يشم منه رائحة منتنة . ومن عيوب  
المرأة الجنون والجذام والرص والقرع . ومن عيوب النساء قطع

(١) قرآن كريم سورة ٢ آية ٢٢٣ .

(٢) قرآن كريم سورة ٢١ آية ٣٠ .

(٣) فى الأصل : بنخرد .

شفرها وإضاؤها، فإذا جنى الرجل على امرأة ققطع شفرها إلى أن  
بدا عظم فرجها فعليه الدية . و روى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه  
قضى فى ذلك بالدية . قال ابن حبيب : وهما أعظم مصيبة عليها من  
ذهاب ثديها أو عينيها، وفى الإفشاء الحكومة ودية، وهو رفع الحاجز  
من [بن-١] مخرج البول ومسك الذكر، ومصبتها فى الإفشاء أقوى ه  
من مصبتها فى إزالة الشفرين، وقد عدوا الإفشاء فى عيوب النساء  
فى النكاح، لأن من نزل بها مصيبة الإفشاء كلا فى<sup>٢</sup> جماع، فأشبهت من  
الرجال من ذهب منه قوة الجماع . والزواج إذا فعل فى المرأة الإفشاء وجب  
عليه الأرش، وكذلك الأجنبي، يستويان فى لزوم أرش الكارة لها  
إذا أزالها<sup>٣</sup> ناصعيها . وقبل فى الزوج / يزيل الكارة باصبعه : يلزمه ١٠ ٢٤٣ / ألف  
الصداق كاملا، ويجب بذلك لزوم الحد للأجنبي الزانى وسقوط الحد  
عن الزوج، وإن عاقلة الزوج تحمل أرش الإفشاء لأنه خطأ .

والعيوب التى يفسخ بها النكاح سعة . ثلاثة يشترك فيها الرجل  
والمرأة، وهى الجوارى، والجذام والبرص، وعيب الفرج؛ وبيان  
تختص بهما المرأة، وهما القرن والرتق، والقرن شىء نابت فى الفرج ١٥  
يشبه قرن الشاة، يمنع<sup>٤</sup> الذكر من السلوك فى الفرج، والرتق أيضا  
ارتفاق محل الفرج، يمنع أيضا من الدخول لانسداده بخالف لعذرة  
البكر؛ وبيان يختص بهما الرجل، وهما الجب والعنة، فالمحبوب هو

(١) ساقطة من الأصل .

(٢) أى كلا شىء .

(٣) فى الأصل : زالاها .

(٤) فى الأصل : تمنع .



المقطوع ، والعين هو الذي له ذكر صغير لا يتأتى منه الجماع كالزور ، وإن علبت المرأة به حين تزويجه أنه محبوب أو خصي أو عين و لا يتأتى النساء رأسا و أخبرها بذلك فلا كلام لها ، وإن لم تعلم بذلك في العقد ثم علبت فيه فتركته وأمكته من نفسها فلا كلام لامرأة الخصي .  
هـ و المجبوب .

قال ابن أبي زيد في الرسالة : و ترد المرأة من الجنون و الجذام و داء الفرج ، فإن عثر على ذلك قبل البناء ردها و لا شيء عليه ، و يكون طلاقا ، و إن حدثت العيوب بعد العقد لم يكن له ردها ، وهي مصيبة نزلت به ، و إن حدثت قبل العقد أو حين العقد فها هنا ردها . و قول الشافعي مثل ١٠ قولنا ، و قال داود : لا ترد المرأة بعيب أصلا ، وإنما ترد به الأمة . و قال

الحنفي : لا ترد إلا بداء الفرج خاصة . و دليل المالكية أنها ترد من

العيوب ، لما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم تزوج امرأة من بني يباضة ،

فوجد بكشحا يابضا ، فردها وقال : دلستم علي . و روى أن عمر / و عليا ٢٤٣ / ب

و غيرهما ردوا النساء من العيوب الأربعة ، و لا يخالف لهم ، ولأنها عسر

١٥ تؤثر في الاستمتاع المنصوب<sup>٢</sup> و نقص كمال اللذة ، هو جب أن يثبت معها

الخيار ، أصله الجب و العنة . قال مالك في كتاب محمد : سواء كان برحمتها

قليل أو كثيرا . قال اللخمي : و ترد من الجنون و إن كان يصرعها في

بعض الأوقات . و كذلك يحدث عند الجماع ثلاثة عيوب ، و إنما اختصت

بهذه الأربعة المذكورة لأنها تخفى ، و غيرها لا يخفى . قال اللخمي : رأيت

٢٠ أن يرد النكاح في امرأة كان أبوها أحزم و إن لم يظهر بها . قال ابن العربي

(١) في الأصل : عشر . (٢) في الأصل : المنصوب .

في الفصوص<sup>١</sup> : جميع العيوب الجنون و الجذام و البرص و الجب و الخصى  
و قطع الحشفة و القرن و العنة و الاعتراض و الرثق و العفان و الاستحاضة  
و تن الفرج و حرق النار و السواد و البخر و العمى ، و جميع الرماد  
و الإفاضة ، و العقل - بفتح العين و القاف - في النساء كالآدرة في  
الرجال ، و هي بروز لحم من الفرج ، و القرن - بفتح القاف و سكوت ه  
الراء - مثله ، لكنه قد يكون خلقة غالبا ، و قد يكون لحما ، و قد يكون عظما ،  
و [ الرثق - <sup>٢</sup> ] بفتح [ الراء - <sup>٢</sup> ] و التاء : التصاق موضع الوطء ، و التثامه<sup>٣</sup> .  
قال ابن حبيب : ترد المرأة من السواد إن كانت من أهل لا سواد فيهم .  
وقال الشافعي : ترد المرأة بكل عيب كالبيوع . و يجوز للأب تزويج البكر  
البالغة بغير رضاها ، و يستحب له استئذانها ، و إذنها سكوتها ، و أما الثيب ١٠  
فلا يجوز تزويجها إلا برضاها إلا أن تكون مجنونة أو غير بالغة<sup>٤</sup> ، فيجوز  
للأب أن يزوجه بغير رضاها ، و من جامع زوجته أو أمته يوم النحر أول  
النهار أو آخره قبل أن يرمى جمرة العقبة ، و قل أن يطوف طواف  
الإفاضة ، فسد حجه على المشهور من مذهب مالك . قال أبو حنيفة :  
لا يفسد حجه ، و ذكر مثله ابن الخلاب عن مالك . قال سحنون : قلت ١٥  
لمحمد بن دينار : لم قلت : إذا وطئ يوم النحر قبل رمي جمرة العقبة و طواف  
الإفاضة فسد حجه و قد جاء في الحديث : من أدرك الوقوف بعرفة فقد أدرك

(١) أي « فصوص الحكم » . (٢) ساقطة من الأصل .

(٣) في الأصل : التامة .

(٤) في الأصل : غير بالغ .

الجهج؟ ألم يقل صلى الله عليه وسلم: من أدرك الصلاة ركعة فقد أدركها؟ قال: نعم، قلت: أرايت إن أفسد شيئاً مما وجب عليه أليس يعيد صلاته؟ قال: نعم، قلت: فكذلك هنا، إنما يتم حجه - انتهى .

### [عود إلى شهوات الرجال والنساء - ٤]

الف ه / واعلم أن النساء أقوى في الشهوة للرجال من المال . / قال الله تعالى " زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث " ، إنما أخر ذكر الذهب والفضة عن النساء والبنين لأنهن أقوى في الشهوة الجلية من المال ، لأن حرمة العصمة والعروج أقوى من حرمة الأموال ، ولأن الطمع يحث ١٠ على بدل المال لتحصيل الكاح والولد . قال الشاعر :

لولا بنيات كزغب القطا رددن من بعض إلى بعض  
لكان لي مضطرب واسع في الأرض ذات الطول والعرض  
وإما أولادنا ٧ بنينا ٨ أكبادنا ٩ تمشي على الأرض

(١) في الأصل : قلت .

(٢) في الأصل : قال .

(٣) في الأصل : تفسد .

(٤) العنوان مشتق من النص وهو استمرار باب سابق .

(٥) قرآن كريم سورة ٣ آية ١٤ .

(٦) في الأصل : على . ( ٧ - ٧ ) في الأصل : أكبادنا ما بيننا ، وما رتبناه من

كتاب الحماسة لأبي تمام يتوزن به البيت .

واعلم أنه لو لا خنو الأبوين على الولد في صغره لكان الولد  
أعجز خلق الله في تدبير نفسه ، قال بعضهم :

من راد ينظر إلى كبد تمشي على الأرض فليُنظر إلى ولده  
و قيل : النساء أقعد من الذهب ، و الذهب أقعد من الفضة ، و الفضة  
أقعد من الأنعام ، إذ [هي - ١] وسيلة إلى تحصيل النعم . فلما صدرت ه  
الآية بالحب ، وكان المحبوب مختلف المراتب ، اقتضت جملة الترتيب ما  
هو الأهم فالأهم في رتبة المحبوبات ، فكانت النساء ٢ أهم لقوة المحبة لهن  
و تقديم الحب لهن في الآية على غيرهن . زعموا أن عصفورا قال لعصفورة :  
أنا أرزقك من حوصلتي و أسقيك الماء الزلال من منقاري لمحبتى لك  
و شفقتي ، و أنت تصحين عيرى ، و تجعلينه ٣ في الصحة نظيرى . ١٠  
و أنشدها يقول :

أما هذا يحوز بأن تكونى لغيرى في غدوك أو رواحك  
و إن هت رياح الشوق ليلا أبلغها السلام إلى صاحك  
يا هذه ! أنا في هواك أسير ، و [من - ١] محبتى فيك إلى عشك  
أطير ، و لا أريد غيرك من العصافير ، / و لا ذوات الماكير ، و بعد ذلك ١٥ ٢٤٤ / ب  
تستبدلين ٤ بي العير ، و تنكرين ٥ فعل الخير . فقالت : يا هذا ! أليس

(١) ساقطة من الأصل .

(٢) في الأصل : الدنيا .

(٣) في الأصل : تجعليه .

(٤) في الأصل : مستدلى - كذا .

(٥) في الأصل : تنكرى .



لى عنك براج ، فى الغدو و الرواح ، فوسع صدرك بالانشراح ، و ليس  
لى غيرك ، و لا أنكر أبدا خيرك ، إذا كنت باقيا على مودتى ، و متاديا  
على محبتى و عشرتى ، فان نظرت إلى غيرى ، منعتك نفسى و خيرى ،  
و إن كنت باقيا على المودة ، كنت لك كالامة فى الرخاء و الشدة ،  
ه فاحذر النظر إلى غيرى ، لئلا أمنعك خيرى ، و آخذ من يصير لى  
مملوك ، و لو أنه فقير صعلوك ، فإياك أن تغارنى ، تخير نفسك و تنقرنى ،  
و ترجع تطلبنى فلا تجدى ، و تصير كما قال بعض المشايخ من الكلام  
لتليذه عبد السلام : النساء أفاعى ، كن واعى يا عبد السلام ! من تبع  
هواهن و هواهن يعطب و السلام . فاذا كان الإنسان يحصل له من  
١٠ هواهن المحبة و الافتان ، فكيف بمن ضارهن بالضرائر عليهن ، فان  
الضرة مرة تشوش عليك و على المرة بعد المرة . أما سمعت قول  
الأعرابي حين تروج اثنتين ، فصار بينهما كالخروف بين ذئبتين . قال  
لها : وكيف ذلك يا ذات الجناحين ! قالت : قيل لأعرابى : من لم يجمع  
بين زوجتين لم يذق حلاوة العيش ، و لا تقر له أبدا عين . فتزوج الأعرابى  
١٥ امرأتين ، فحصل له منهما مشقتين ، فأنشأ يقول :

تزوجت اثنتين لهرط جهلى بما يشقى به زوج اثنتين  
فقلت أصير بينهما خروفا أنعم بين أكرم نعجتين  
فصرت كنعجة تسمى و تضحى تداول بين أخبت ذئبتين

(١) فى الأصل : باق .

(٢) فى الأصل : متاد .

رضى هذى يهتج سخط هذى فما أعرى باحدى السخطين  
و ألقى فى العشية كل يؤس كذاك الضر بين الضرتين  
لهذى<sup>١</sup> ليلة و لتلك أخرى عتاب دائم فى الليلتين  
تم قالت له : إن أردتني أيها العصفور لك صابرة ، و لا أكون عنك نافرة ،  
فأعفى من المغيرة . فقال : / أقسمت بالسادة الأطيوار ، السالكين سبل ٥ ١٤٥  
البحار ، الطالبين قرب المزار ، و المغفرة من الكريم الغفار ، لأغفرنك  
أبدا ، و لا ركبت إلى صادحة على طول المدى . فطاب قلبها عند ذلك  
و قالت : بحياتي عليك ، و ركوني إليك ، إلا ما أخبرتني من هم الأطيوار  
التي أقسمت لى بهم و عرضت بذكرهم ، فقال لها : سأخبرك أيتها العصفورة ،  
البعيدة عن الضرورة المضرورة<sup>٢</sup> إن الطيور اجتمعوا ، و انخفضوا و ارتفعوا ، ١٠  
و قالوا : لا بد لنا من ملك نعترف به و نعرف به ، فهاهنا نطلق فى طله  
و نتمسك بسده<sup>٣</sup> ، و نعيش فى ظله ، و نعتصم بحمله ، يقال له : عفاء مغرب ،  
نفذ حكمه فى المشرق و المغرب ، فهاهنا ما إليه ، نتوكل عليه . فقبل لهم :  
و يحكم<sup>٤</sup> إن البحر عميق ، و الطريق مضيق ، و السيل سحيق ، و بين أيديكم  
جبال شاهقة ، و بحار مغرقة ، و نيران محرقة ، و لا سبيل لكم إلا الاتصال ، ١٥  
و لو تقطعت الأوصال ، و دون وصاله حد الصال . فاقعدن فى أوكاركن ،  
و اعترفن من إنكاركن ، فإن العجز من شأنكن ، و الملك غنى عنكن ،  
و إن الله لذو فضل على العالمين ، أما سمعتم بصائح الحذر ، بصيح و يحذرکم  
الله نفسه ؟ قالوا : صدقت ، ولكن منادى القرب ينادى : ههروا إلى الله ! فطاروا

(١) فى الأصل : من احدى . و يستقيم الورد بما أثنائه من غير تغيير فى المعنى .

(٢) فى الأصل : طده . و بها يتكسر ميزان الشطر .

(٣) فى الأصل : بسلبه . (٤) فى الأصل : اتصال .

بأجنحة يتفكرون في خلق السموات والأرض، صابرين في ظمأ  
الهواجر، ومن يخرج من بيته مهاجر. فسلكن سبلا عدلا، إن أخذن  
ذات اليمين ألهمن رودة الرجاء، وإن عدلن ذات الشمال أحرقن بحرارة  
الخوف، فمنهم بين سابق ولحاق، ومحاق وإحراق، وتلاش وإفراق،  
و تغاش واستغراق، حتى وصل من وصل منهم إلى جزيرة الملك وقد  
سقط ريشه، وتضاعف نحوه، وتزايد ذبوله، وصلن إليه خماصا بعد  
٢٤٥ / ب ما كن بطانا، وجته فرادى بعد ما فارق أوطانا. فلما نظرن / إلى جزيرة  
الملك وفيها ما تشتهى الأنفس وتلذ الأعين، فمن كان همته في المأكل  
والمشروب قيل لهم: كلوا واشربوا بما أسلفتم في الأيام الخالية، ومن  
١٠ كان همته الملابس والنفاش قيل لهم: ولبسوا من سندس وإستبرق،  
ومن كان همته التمتع<sup>١</sup> بالعراس قيل: وزوجناهم بحور عين، وأما أهل  
الأنفة فقالوا: سبحان الله! إذا كان اشتغالهم بالمأكل والمشروب  
فمتى يفرغ للحبوس! ومتى ينال الطالب شرف المطلوب! فالدون  
كل الدون، من رضى بصفقة المغبون، ونحن لا نريد إلا الملك  
١٥ الذي درحنا لأجله المهاجر، وصرنا على ظمأ الهواجر، نقول: ومن  
يخرج من بيته مهاجر، شغلنا بالملابس والمعاشر، فوالذي لا إله  
إلا هو! لا يزيد<sup>٢</sup> إلا هو. فقال لهم الملك: ويحكم! فلا شيء حتم؟  
وبأى شيء أتيتم؟ قالوا: أتيناك بذلة العبد، وإنك لتعلم ما نريد.  
قال: ارجعوا من حيث حتمت، فأنا الملك إن شتمت أو أتيتم، إن الله  
٢٠ لغنى عن العالمين. قالوا: هو الغنى ومح الفقراء، وهو القوى ونحن

(١) في الأصل: بالتمتع. (٢) في الأصل: لا يزيد.

الضعفاء . فبأى قوة ترجع وقد ذهبت قواها ، واضمحلت وجودنا .  
 فقال لهم الملك : إذا صح افتقاركم ، وثبت انكساركم ، فعلى جباركم ،  
 انطلقوا فقد يداوى العليل ، فى ظلى الظليل ، وقلوا فى خير مستقر وأحسن  
 مقيل ، فمن غلبت عليه برودة الرجاء فليشرب من كأس كان مزاجها  
 كافورا ، ومن استولت عليه حرارة الشوق فليتناول من كأس كان  
 مزاجها زنجيلا ، ثم قولوا للعاشق الذى سلك سيلا : اشرب من كأس كان  
 مزاجها سلسيلا ، فاذا تمت الحمية ، وصحت الحمية فقدموا العليل إلى طبيبه ،  
 وقرّبوا المحب إلى حبيه . فلما قدموا على طبيهم تلقاهم ولقاهم نضرة  
 وسرورا ، وبقاهم فسقام ربههم شرابا طهورا ، فسكروا حيث شربوا ،  
 ثم غنى لهم وطربوا ، ثم استزيدوا فزادهم . ثم استجيبوا وطاروا بأجنحة  
 الأس ، فاذا هم فى حظيرة القدس ، فسقطوا ليلتقطوا حبة المحبة فى مقعد  
 صدق عند ملك مقتدر ، فحوصلوا حيث وصلوا ، واتصلوا حيث  
 انفصلوا . فلما حضروا نظروا ، فاذا الحجب قد رفعت ، والأكواب قد  
 وضعت ، والأحباب قد جمعت . / وقفل الأذن قد سمعت ، ونفسها قد  
 سمعت ، وتنشد فى ذلك :

١٥

يا قلب بشارك أيام الهنا رجعت      وهذه الدار للأحباب قد جمعت  
 أما ترى نفحات الحى قد عفت      أنفاسها وبروق القرب قد لمعت  
 فمش هنيئا بوصل غير منفصل      ممن تحب وحجب الهجر قد رفعت  
 فانظر جمال الذى من أجل رؤيته      قلوب عشاقه فى حبه انصدعت

(١) فى الأصل : اعنى .



فلما سمعت العصفورة إشارة الطيور من العصفور، داخلها السرور،  
وقالت: وأنت لست مني بمهجور<sup>١</sup>. فطاب عيشه بها، وازداد حبا لها،  
وأنشد لسان حاله يقول:

ما بانه الجزع ما سفع الغدير وما رياض رامة لو أسركم فيها  
هـ ومن سليمي ومن سعدى وعزتها أنت المراد وذكرهن تمويها  
واعلم أن النساء قليل منهن<sup>٢</sup> من تحفظ<sup>٣</sup> الود، وتنفى<sup>٤</sup> بالعهد،  
بل ينتظرن بعد موت أزواجهن وفاء العدة و انقضاءها ليتزوجن، ولمودة  
الميت يتركن، ولا يعدن يزرن قبورهم ولا يحزن. قال أبو الحسن  
المدائني: احتضر رجل من العرب، فنظر إلى ابه يدب بين يديه، واسمه  
١٠ معمر وأم الصبي عند رأس أبيه. فنظر أبوه إلى أمه وأنشد يقول:  
ولاني لأخشي أن أموت وتنكحني ويقذف في أيدي المراضع معمر  
وترخي ستور دونه وقلائد ويشغلنكم عنه خلوف ومجمر  
والمجمر: البحور ونحوه. فقالت: لا يكون ذلك أبدا، بل أربي ولدي  
ثمرة كبدي، إلى أن أزور بعدك لحدي. فما لث أن مات وتزوجت،  
١٥ وصار معمر إلى ما ذكره والده.

ولما احتضر الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، جزع وجعل يقول:

(٢) في الأصل: مهجور. ويلاحظ في حكاية العصفور والعصفورة أسلوب  
النويري من سجع مفتعل وكذا انزلاقه إلى قفاهات مصطبعة، ولكنها لم تخل  
من أبيات شعر طيبة.

(٢-٢) في الأصل: ممن يحفظ.

(٣) في الأصل: توفين.

إني لأجد كربا ليس من كرب الموت - وأعاد ذلك دفعات . فقال له  
بعض أهله : ما هذا الجزع ؟ تقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم  
وهو جدك وعلى عليّ والحسن والحسين وهم آباؤك ، فقال : لعمرى !  
ليس الأمر كذلك ، ولكن كأتى بعبد الله بن عمرو بن عثمان حين  
أموت وقد جاء في حلتين وقد رتجل جمته يقول : أنا من نبي عبد مناف ه  
جئت لأشهد موت ابن عمي وما به ' إلا أن ينخطب زوجتي فاطمة بنت  
الحسين ، فاذا جاء فلا يدخل / عليّ . فقالت زوجته فاطمة : أسمع ؟  
قال : نعم ، قالت ' : عتقت كل عبد لي و تصدقت بمالي إن أنا تزوجت  
بعدك أحدا أبدا . قال : فسكن الحسن . فما تنفس ولا تحرك حتى مات .  
فلما ارتفع الصباح أقبل عبد الله بن عمرو على الصفة التي ذكرها الحسن ١٠  
قبل وفاته . وقال قوم : يدخل عبد الله . وقال بعضهم : لا يدخل .  
وقال قوم : ما يضر من دخوله . فدخل و فاطمة تصبك وجهها و تلطم  
خدها ، فأرسل لها عبد الله بن عمرو وصيفا كان معه ، فجاء يتخطى الناس  
حتى دنا منها فقال : يقول لك مولاي عبد الله بن عمرو ! أتق وجهك فان لنا  
فيه أربا . قال : فأرسلت يديها في كمها بعد أن اختمرت بخمارها ، وعرف ١٥  
هو ذلك منها ، فما لطمت بعد ذلك لكمة واحدة . فلما انقضت عدتها خطبها  
فقالت : وكيف بنذري و يميني ؟ فقال : نخلف عليك بكل عبد عبيد

(١) في الأصل : بي .

(٢) في الأصل : قال .

و بكل شيء شيتين ، فعل و تزوجته .

و كانت العرب تتفاخر بقوة الجماع و يقولون : إنه دليل على فحولة الرجل . و كان الليث بن سعد إذا أراد الجماع يقول : اللهم ! شد لي أصله ، و ارفع لي صدره ، و سهل لي مدخله و مخرجه ، و ارزقني ذرية تقاتل في سبيلك . قال بعضهم :

قيام الدين و الدنيا قيام الأبر إذا قاما  
فما الدين [وما -'] الدنيا وما الكل إذا ناما

و قال آخر يذم أيره لعدم قيامه و طول نومه :

كأن أرى في كف جارية قطعة جلد قد مسها بلل  
١٠ ترنو إليه ثم تشده يا ويح فرج عليك يتكل  
و قال آخر تورية :

مالت إلى الأبر القوى القائم و أعرضت من أرى النائم  
فسألها تحفظ ما قد مضى فقالت الدنيا مع القائم  
و قال آخر :

١٥ هي الدنيا إذا فكرت فيها وجدت حلالها كرم نفج  
و أعظم من ترى و أجل قدرا طوال الدهر عبد فم و فرج

٢٤١ / الف كانت أم سليم من فاضلات الصحابات ، و هي النى / سألت النى صلى الله  
و سلم بحضرة عائشة ، قالت : يا رسول الله ! المرأة ترى ما يرى الرجل في  
المنام ، فترى من نفسها ما يرى الرجل من نفسه . فقالت عائشة : فضحت

(١) ساقطة من الأصل .

النساء تربت يمينك ! معناه : حكيت عنهن أمرا يستحي من وصفهن به  
ويكتمنه . وذلك أن نزول المني منهن يدل على شدة شهوتهن للرجال ،  
ومني المرأة أصفر رقيق ، وقد يبيض لفضل قوتها ، وتلدز بخروجه ،  
وقوتور شهوته عقيب خروجه . وأما مني الرجال فإنه في حال الصحة  
أيض ثخين ، يتدفق في خروجه دفعة دفعة ، ويخرج بشهوة ويتلذذ  
بخروجه . وإذا خرج استعقب خروجه قوتورا ، ورائحته كرائحة  
الطلع ، ورائحة طلع النخل قريبة من رائحة العجين . وقيل : إذا يبس  
كانت رائحته كرائحة البول ، فهذه صفاته ، وقد يفارقه بعضها مع بقاء  
ما يستقل بكونه منيا . وذلك بأن يمرض فيصير منيه رقيقا أصفر ،  
أو يسترخى وعاء المني فيسيل من غير التداذ وشهوة ، أو يستكثر من الجماع  
فيحمر و يصير كماء اللحم ، وربما خرج دما عيطا ، وإذا خرج المني أحمر  
فهو موجب للغسل كما لو كان أيضا . ثم إن خواص المني التي عليها  
الاعتماد في كونه منيا ثلاث : أحدها الخروج شهوة مع المتور عقه ،  
والثانية الرائحة التي تشبه رائحة طلع النخل ، الثالثة الخروج بتزريق  
ودفق في دفعات ، كل واحد من هذه الثلاثة كاف في إثباته منيا . قال ١٥  
بعضهم : إن الإكثار من الجماع يفنى الأجل ، وإن تاركه يطول عمره ،  
ورد الشاعر قول قائله عليه بآيات ذكرها<sup>٢</sup> وهي :

(١) في الأصل : الذي .

(٢) في الأصل : ذكر .



قل للذي يدعى أن النكاح على ما فيه من لذة يقنى به الأجل  
وأن تاركه يبقى إلى أمد هيات ذلك أمر ليس يمتثل  
لو كان ما تدعيه منك مطرحا وكان يصدق فيه القول والعمل  
فلم تطل مدة العصفور مع شبق ولم يمت عجلا من تركه الجمل  
٢٤٧/ ب هـ و اعلم أن النكاح يحتاج إلى المال، كما قيل: المال قبل العيال /، قال الشاعر:

و من طلب النكاح بغير مال كصياد الغزال بلا كلاب  
قال أبو علي الفارسي: فرقت العرب بين قولك: نكح فلان زوجته،  
وبين قولك: نكح فلان فلانة، فيريدون بالاول الوطء، وبالثاني العقد،  
ويحتمل لهما - هذا معنى ما فهمت عمن حكى عنه . ف قيل بناء على هذا:  
١٠ إن قوله " حتى تكح زوحا غيره " من القسم الاول، فوجب أن  
لا يستباح بالعقد وحده، لأن الغاية ما بعده . وفي الصحيح عن عائشة  
أن رفاة القرظى طلق امرأته فت طلاقها، فتزوجت بعده عبد الرحمن  
ابن الزبير، فأتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله! إن  
رفاة القرظى طلقني فبت طلاقى، فتزوجت بعده عبد الرحمن بن الزبير،  
١٥ وإنه والله ما معه إلا مثل هذه الهدية . وأخذت هدية من جلبابها .  
فتنسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: لعنك [تريدين - ٢] أن  
ترجعي<sup>٣</sup> إلى رفاة<sup>١</sup> لا، حتى يذوق عسيلتك و تذوق عسيلته . فأوقف  
عليه السلام الإباحة على ذوق العسيلة وأبو بكر الصديق جالس عند

(١) قرآن كريم سورة ٢ آية ٢٣٠ .

(٢) زيد من المراجع .

(٣) في الأصل: ترجعين .

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، و خالد بن سعيد بن العاصي يباب الحجرة لم يؤذن له . فطلق خالد ينادي أبا بكر : ألا تزجر هذه عما تخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد ذكر أبو عمرو بن الحاجب في مختصره في الفقه قيودا فيما تحل به المستوفاة الطلاق لمن طلقها وهي خمس ، وهي إباحة الوطء الذي يكون به التحليل احترازا من الوطء في الحيض - هـ وفي معناه النفاس ، ومن الوطء في الإحرام ، ومن الوطء في الصيام - وفي معناه الاعتكاف ، وما أشبه ذلك من الموانع ، فيكفي عند مالك إيلاج الحشفة أو مثلها في مقطوعها وإن لم ينزل .

وحكى عن حسن البصري أنها لا تحل للأول إلا بالإنزال من الثاني ،

وهو ظاهر قوله عليه السلام : حتى تذوق عسيلته و يذوق عسيلتك . إذ ١٠

كان مذهبه اشتراط الإنزال / منها جميعا ، فان كان من الرجل وحده ٢٤٨ / ال

فهو مشكل . و شرطوا كون الإنزال في القبل ، لأن الوطء المباح مقصور

عليه ، ولأنها لا تذوق عسيلته في غير ذلك المحل ، ولو وطئ سليم الذكر

هوق الفرج فأنزل ودخل من مائه في فرجها وأنزلت هي فلا يحلها

ولا يحصنها . وهذا الظاهر من كلام ابن الحاجب لقوله : ويكفي إيلاج ١٥

الحشفة . وإن كلامه خرج على أقل ما يقع به الإحلال . ثم قال :

والانتشار شرط على المشهور ، يعنى أن يشترط في إيلاج الذكر أن يكون

حيا بانعاظ ، فان أدخلته بشيء على غير هذه الحال فهل يقع به إحلال ،

قولان : المشهور أنه لا يقع إحلال ، والشاذ أنه يحصل به الإحلال .

والصحيح هو المشهور ، لأن ذوق العسيلة إنما يكون مع الانتشار ، ٢٠

و يهتبط بلوغ الزوج ، لأن البلوغ شرط في إقامة الحد على الثاني .  
 ومن قال : إن شارب البلوغ يحد إذا زنى ، يلزمه أن يقول هذا  
 بالتحليل للمرأة ، واختاره هنا بعضهم إذا حصل للمرأة من وطئه مثل  
 ما يحصل من البالغ ، وهو قريب من مذهب الشافعي ، ولأن من  
 لا يطيقه لا ينتفع به ، فهو في حقيها كالعدم - انتهى .

### [ في الشيبية والشيب - ١ ]

واعلم أن ألد العمر زمن الشيبية ، قال بعضهم في هذا :  
 زمن الصبا زمن أرق من الصبا و ألد من غفوات عين الساهر  
 وقال بعضهم :  
 ١٠ ألا إنما الدنيا الشباب وإنما سرور الفتى هاتيك السكرات  
 ولا خير في الدنيا إذا مارعتها وقد يبت أغصانها الخضرات  
 وقال بعضهم :  
 إن الشباب حجة التصابي رواح الجنة في الشباب  
 فلنذكر ما قيل في الشيب وخضابه ، قال بعضهم :  
 ١٥ وما خضب الناس المشيب لقبحه  
 وأقبح منه حين يخضب ناصله  
 ولكنه مات الشباب فسودت  
 على الرسم من حزن عليه منازل

(١) ليس العنوان بالنص أو الهامش ولكن اقتبسناه من السياق .

و لبعضهم في ذلك :

٤٨ / قلن أترابها بعلام هجرتـه فقالت <sup>١</sup> هجرتـه حين شابا  
قلن لا تجمعى عليه صدودا حسه ففده الشقى [شبابا - <sup>٢</sup>]

و لبعضهم :

٥ قالت وقد راعها مشيبي قد كنت أختا فصرت عما  
فقلت لا تعجبين من ذا قد كنت بنتا فصرت أما  
و قال بعض المشايخ يذم نفسه :

قد كنت أمشي كالآلف واليوم أمشي لام ألف  
و كنت أدعى يا صبي فصرت أدعى يا خرف

١٠ و قال بعضهم :

و قالوا شبت قلت لهم قفوا لي أحدثكم بشيء عن ولوعى  
و حق هواكم ما شبت لكن غسلت سواد شعرى بالدموع

و قال بعضهم :

و عيرنى بالشيب قوم أحهم فقلت و شأن العاشقين التجميل  
عشتم إلى رأسى المشيب بهجركم و ما جاءنى مكتم على الرأس يحمل ١٥  
و قال بعضهم :

أنكرت شيبى و قالت عجبا ليت شعرى ما الذى دهاه  
قلت هذى صبغة الله و ما يقلب الأسود مبيضًا سواه

(١) نقلنا الكلمة من الشطر الأول .

(٢) ساقطة من الأصل .



وقال بعضهم:

قالت وقد أبضرت مشيبي مسود اللون بالخضاب  
متى أتاك الشباب حتى رجعت تعزي إلى الشباب  
فقلت لا تعجبي فهذا سخام وجهي على شبابي

هـ وقال بعضهم:

لم أزل أتف المشيب إلى أن<sup>١</sup>  
كدت أبقى بين الأنعام أقطا  
كم أعطى على الغواني عيوني  
وحق أبي على أن تتغطي

١٠ ولان الرومي:

يا ياض المشيب سودت وجهي  
<sup>٢</sup>عند يرض<sup>٢</sup> الوحوه سود القرون  
ولعمري لاخفينك جهدي  
عن عياني وعن ملاح العيون

١٥ ولحمود الوراق:

يا خاضب الشيب الذي في كل ثالثة يعود  
/ إن النصول إذا بدا فكأنه شيب جديد

٢٤٩/الف

(١) نقلنا الكلمة للشطر الأول.

(٢-٢) في الأصل: عن ياض.

فدع المشيب لما أرا د فلن يعود كما تريد

وقال الريس بن ضبع الفزارى لما كبر سنه :

أصبحت لا أحمل السلاح ولا

أملك رأس البعير إن نحرا

والذئب أخشاه إن مررت به

وحدى وأخشى الرياح والمطرا

من بعد ما قوة أعالجه

أصبحت شيخا أعالج الكبرا

سأل عمر بن الخطاب رضى الله عنه شيخا طاعنا فى السن ، فقال

له : كيف حالك فى كبرك ؟ قال : تعيقنى الشعرة ، وأعثرنى البعرة . ١٠

فقال له : كيف حالك فى قيامك وقعودك ؟ فقال له : إذا كنت قائما

وأردت الجلوس فكأن الأرض تبعد منى ، وإذا كنت جالسا

وأردت القيام فكأن<sup>١</sup> الأرض تتعلق بى . قال له : فكيف حالك

فى أكلك ؟ قال : الكثير يضرى ، والقليل لا ينفعنى . قال : فما حالك

فى جماعك ؟ فقال : إن الملاح لا يردنى ، وإن القبايح لا أريدهن ، ١٥

فان مكنت منه لا أقدر عليه ، وإن منعت منه غضبت على نفسى .

فقال له : كيف حالك فى نومك ؟ فقال : أسهر فى المضجع ، وأنام

فى المجمع . فقال عمر : والله هذا الكبر بعينه . ثم أمر له بعتاء ، فقبضه

وانصرف - انتهى .

(١) فى الأصل : كان .

- و اعلم أن الجماع النافع لاجتماع المتي حتى أوعية من غير فكر  
مستحسن يورث لذة و نشاطا، و يبسط النفس، و يزيل الغضب و الغم  
و الوسواس، و يخفف الامتلاء و أوجاع الحالبين و الحقيوين . و يجب  
أن يحذره أصحاب الأمزجة اليابسة و من يلحقه عقبيه سقوط قوة،  
و ذهاب شهوة، أو عور عين، و أصحاب المعد و الأحشاء الضعيفة، و يضعف  
العصب و البصر، و يكره على الخواء و الامتلاء، و في الحمام و عقيب  
المصد و الإسهال و القيء، و عند مدافعة البول و الغائط و الريح، و زمن  
الشيخوخة، إذ لا منفعة للرجل فيه بالجماع لعدم القدرة عليه، و لا يصلح  
الجماع إلا للشباب / بخلاف الشيوخ، كما أن الرجال من طبعهم الميل  
١٠. الأبتكار و النسوان الحسان، لا العجائز المطفئات الأسنان، كما قال  
بعض المشايخ يهجو نفسه و امرأته العجوز :

أنا شيخ ولى امرأة عجوز تكلفني إلى ما لا يجوز

و قالت رقي أيرك مذ كبرنا فقلت نعم قد اتسع القفيز

أما تعلين أن المتعة بالنساء الحسان، و الأبتكار اللواتي كاللؤلؤ

١٥ و المرجان، فقد صرت يا هذه قهرمانه زوجة قهرمان، أما سمعت

قول الشاعر :

كتب المشيب بأبيض في أسود

بغضاء ما بيني وبين الخرد

(١) في الأصل : تعلبي .

(٢) في الأصل : هدا .

خجلت عيون الحور حين وصفتها

وصف المشيب و قلن لى لا تبعد<sup>١</sup>

ولذلك أظهرت انكسار جفونها

دعر وإن خدودها بتورد<sup>٢</sup>

يا حدة الشيب التى ما غادرت

لنفوسنا من لذة بمجرد<sup>٣</sup>

ذهب الشباب و سوف أذهب مثل ما

ذهب الشباب و ما امرؤ بمخلد

إن الفناء لكل حى غاية

محتومة<sup>٤</sup> إن لم يكن فكأن قد

فقلت : عهدى بك فيما مضى و لك هممة ، فكيف صارت ضعيفة

كالرمة . فقال لها : قد كان لى فيما مضى هممة أستغنى<sup>٥</sup> [ بها -<sup>٤</sup> ] عن

لحم السقنقور ، و اليوم لى هم بلا هممة ، و الهم للهمة كافور . أما سمعت

قول شابة لشيخ حين سأها التزويج ، فجعلت تسخر به فقال بيتين<sup>٥</sup> على

(١) فى الأصل : يتورد .

(٢) نقلنا الكلمة من الشطر الأول .

(٣) فى الأصل : استغن .

(٤) ساقطة من الأصل .

(٥) فى الأصل : بيتين .



لسانها حيث قال :

قالت أحب العذار أول ما

يبدوا على الخد غير معوج

قلت اقصرى لا يقال لإبطه

قالت وإلا عذارك الثلج<sup>٥</sup>

فانقهر من جوابها، فقال لها ينكها:

لا ينخدعك وجنة محمرة

رقت<sup>١</sup> في الباقوت طبع الجلد

فقلت: يا هذا! تجوع الحرة ولا تأكل بشديها . أى تجوع الحساء

١٠ ولا تزوج بشيخ . وقيل: أى لا ترضع لبنها بالأجرة ثم تأكلها .

وهو مثل يضرب للذى لا يمنعه من صيائه شدة فقره، وهذا المثل

للحارث بن سليك الأسدي، وقد خطب إلى علقمة بن حفص / الطائي ٢٥٠/ الف

ابنته، وكان الحارث شيخا، فقال علقمة لامرأته: اختبرى ما<sup>٢</sup> عند

ابنتك . فقالت: أى بنية! أى الرجال أحب إليك: الكهل الجحجاح،

١٥ الواصل المناخ، أم الفتي الوضاح، الملول الطلاح! فقالت: يا أماء! إن

الفتاة تحب الفتي حب الرعاء أنيق الكلاء، فقالت: أى بنية! إن الفتي

شديد الحجاب، كثير العتاب، قالت: يا أماء! أخشى من الشيخ أن

يدنس أثوابي، ويبل شبابي، ويشمت بي أترابي . فقالت: إن الفتي

(١) قلنا الكلمة من الشطر الأول .

(٢) في الأصل: الثلج .

(٣) في الأصل: اما .

يعيرك ، وإن الشيخ يميرك ، أى تنالين<sup>١</sup> خيره بميرتك ، وليس  
الكهل الفاضل ، الكثير النائل ، كالحديث السن ، الكثير المن . قالت :  
أما سمعت يا أماء قول الشاعر ؟ قالت : وما قال ؟ قالت : قال حيث قال :  
لا يرحل الشيب عن دار يحل بها

حتى ترحل<sup>٢</sup> عنها صاحب الدار ٥

و الفتى يرجى طول عمره ، واستمتاع<sup>٣</sup> زوجته بشبابه وبره . فلم تزل  
بها أمها حتى غلبتها على رأيها ، فتزوجها الحارث ، [ وأنى -<sup>٤</sup> ] بها  
إلى أهله ، وإنه لجالس يوما بفناء مظله ، وهى إلى جانبه إذ أقبل شباب  
من بنى أسد يعتلجون أى يتصارعون ، فتنفست الصعداء ثم بكت . فقال  
لها : ما يكيك ؟ فقالت ما لى وللشيوخ الناهضين<sup>٥</sup> كالصروخ . فقال : ١٠  
نكلك أمك ! قد تجوع الحرة ولا تأكل شديها . ثم قال : وأبيك !  
لرب غارة شهدتها ، وسيئة أردفتها ، ونخرة شربتها ، فالحق بأهلك ،  
لا حاجة لى فيك . فلحقت بأهلها ، [ وتزوجت -<sup>٤</sup> ] بعد عدتها  
بشباب مثلها .

قال بعض العلماء : يكره نف الشيب لما روى من نهى النبى ١٥

(١) فى الأصل : تنالى .

(٢) فى الأصل : يرحل .

(٣) فى الأصل : استماع .

(٤) ساقطة من الأصل .

(٥) فى الأصل : الباهضين .

صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، وإن قصد به التلبس على النساء فهو  
أشد في المنع ، لأن ذلك يجرى مجرى الغرور والتدليس . واعلم أن  
الشابة أبدا تكره الشيخ لشيبته وقلة حركته . كانت شابة بدوية متزوجة  
بشيخ بدوي فان ، ومن عادة شبان العرب [ أنهم - ' ] لا يكعبون  
ه أوطئهم حين لبسهم لها إلا قياما . فقام الشيخ ليلبس وطاءه كفعل  
الفتيان ، شرط لانزعاجه لا كعابه ، فقالت زوجته : لما رمت الباطل ،  
كان هذا منك الحاصل . فقال لها : يا هذه ! قولك هذا دليل على  
كرهتك لي . / فقالت : نعم ، وأنشدته تقول :

٢١/ ب

أشهى الرجال من النساء موقعا

ما كان أشبههم بهم خدودا

١٠

فلم أنها غير راضية به ، فطلقها ومضت إلى أهلها واختارت لنفسها  
شابا مثلها .

قال أبو العنيس لبعض الحكماء : إني سائلك عن ستة أشياء ، فأعد  
لهم حوانا ، إني سائلك عن أشهى النساء وأطيب الطعام وألذ الشراب  
١٥ وأذكي الرائحة وأمتع الغناء وأفره الخيل . قال . أشهى النساء التي  
تخرج من عندها كارها ، وتعود إليها وألها . وأطيب الطعام ما وافق  
الجوع . وألذ الشراب كأس راح تعاطيها خليلك ، أو شربة ماء تطفىء  
غليلك . وأذكي الرائحة ولد تره أو بدن تحبه . وأمتع الغناء غناء  
جارية مبدعة ، بأوتار أربعة ، صوتها مصيب ، وغناؤها عجيب ، وأفره

(١) ساقطة من الأصل .

الحيل الأشق الاعتق ، الذي إذا طلب لم يسبق ، و إذا طلب لم يلحق  
و إذا سهل أطربك ، و إذا نظرت إليه أعجبك . قال : صدقت و أجدت !  
أعطه يا غلام مائة دينار . قال : و مائتين . قال : أعطه ما قال - انتهى .  
و اعلم أن الفاسق بحوارحه لا يؤمن على المرأة مع ضعف عقلها ،  
و قلة ثلمها إن تتبعه على مراده . و الحذر الحذر من الاستمناء باليد ! ه  
فانه لا يجوز ذلك ، و يكون عادياً<sup>١</sup> . فلنذكر ما قيل فيه إن شاء الله  
تعالى - قال حرمة بن عبد العزيز : سألت مالكا عن الرجل يعبث بيده  
في ذكره إلى أن يمسي ، فتلا قوله تعالى<sup>٢</sup> : ” و الذين هم لروحهم يحفظون “  
الاعلى أزواجهم او ما ملكت إيمانهم فانهم غير ملومين “ فمن ابتغى وراء  
ذلك فاولئك هم العدون “ . و هذا لانهم يكونون عن الذكر بعميرة ، و فيه ١٠  
يقول الشاعر :

إذا حلت بواد لا أنيس به فاجلد عميرة لا داء ولا حرج

و يسميه أهل العراق الاستمناء ، و هو استعمال من المي . / ، و الإمام أحمد  
ان حنبل على ورعه يجوز ، و يحتج بأنه إخراج فضلة من البدن ، فجاز  
عند الحاجة ، أصله المصد و الحجاماة ، و عامة العلماء على تحريمه و هو ١٥  
الحق الذي لا ينبغي أن يدان لله<sup>٣</sup> إلا به . و قال بعض العلماء : إنه كالفاعل  
نفسه ، و هو معصية أحدثها الشيطان و أجراها بين الناس حتى صارت  
مسألة ، و ياليتها لم تقل ! و لو قام الدليل على حوازا لكان ذو المروءة

(١) في الأصل : عاد .

(٢) قرآن كريم سورة ٢٣ آية ٥ - ٧ . (٣) في الأصل : الله .



يعرض عنها لدناءتها ، وقيل : إنها خير من تزويج الأمة . قال بعض العلماء : تزويج الأمة ولو كانت كافرة على مذهب بعض العلماء خير من هذا وإن كان قد قال به قائل أيضا . ولكن الاستمناء ضعيف في الدليل ، عار بالرجل الدنيء ، فكيف بالرجل الكبير ! قوله تعالى :  
 هـ ” فمن ابتغى وراء ذلك فهم العُدون “ . فسمى من نكح ما لا يحل عاديا ، وأوجب عليه الحد بعدوانه . واللائط عاد قرآنا ولغة ، قوله تعالى : ” بل انتم قوم عُدون “ . فوجب أن يقيم الحد عليهم ، وهذا ظاهر .

كان عمرو بن بحر الجاحظ وزيرا للخليفة المقتدر ، وكان لا يأتيه  
 ١٠ في اليوم إلا مرة ، ثم لا يعود إلى اليوم الثاني ، وإنه عاد يوما فقال المقتدر :  
 ما خبر الوزير ؟ قال : إن سوداء أسأت على الأدب . فقال : على بها .  
 فأحضرت فقال : ويلك ! أسأت الأدب على الوزير ؟ فقالت : يا أمير المؤمنين ! هو الذي ابتدأ بي ، لما نظرتي قال : ” وإذا الوحوش حشرت “<sup>١</sup> .  
 فقلت حينئذ : ” وضرب لنا مثلا ونسي خلقه “<sup>٢</sup> - تعنى جحوظ عينيه .  
 ١٥ فقال الخليفة : قد أحست الجواب إلا أنك أسأت فلاجلدتك .  
 قالت : لن تستطيع ذلك . قال : ولم ؟ قالت : لأن اسمي عميرة ، فإن

(١) قرآن كريم سورة ٢٣ آية ٧ .

(٢) قرآن كريم سورة ٢٦ آية ١٦٦ .

(٣) قرآن كريم سورة ٨١ آية ٥ .

(٤) قرآن كريم سورة ٣٦ آية ٧٨ .

جلدتنى يقول الناس : أمير المؤمنين جلد عميرة . فضحك من قولها وتركها . وإنها تعنى بقولها ذلك الاستمناء باليد ، وكنية ذكر عميرة .

### [ قصة أهل الرس - ]

قال / كعب الأحبار كان مما أحدثه أهل الرس فى قومهم عادة / ٢٥١  
الأصنام ، وإتيان النساء فى أدبارهن ، وكانوا يتبادلون بعضهم بعضا ٥  
كأخذ الثأر . فقال الشاعر فى ذلك :

قولوا لمن أخرج فسقى لا يأخذ الثأر ولو هدها

حشرت فى أسفله حرة لو جاء ذو القرنين ماسدها

وكان أهل الرس<sup>١</sup> يتبادلون أيضا فى النساء ، يبعث هذا بامرأته إلى هذا ،  
وهو يبعث امرأته له ، ولا غيرة فيهم . قال : فشق ذلك على الدعوة ١٥  
فكس دات يوم قد اجتمعن على باب مدينتهن يتحدثن بذلك ، إذ أقبل  
إليهن إبليس على صورة امرأة جميلة ، قال : فقلن له : من أنت ؟  
فانك لم ترك قبل هذا فى مدينتنا . فقال : أنا امرأة فلان فى قرية  
فلان . وإنها قد جاءت إلى هذه [ المدينة - ٢ ] لأن زوجها يريد  
مها هكذا فى درها ، وإنها لا تريد ذلك . وذكرت أنها كانت لها ١٥  
امرأة صاحبة تجتمع بها على نسحاق ، وأنها ماتت ، ولست

(١) العنوان مشتق من النص .

(٢) زيد فى الأصل : أيضا ، و سياتى .

(٣) ساقطة من الأصل .

أجد لنفسي بدلها، ففجب أولئك النسوة من حديث سحاقها، فحدثهن  
أنفسهن بذلك، فعلمنه فوجدن فيه الشهوة التي كن يجدنها في الجماع،  
فاستغنين عن الرجال، فهن أول نسوة عملن ذلك، واستغنت عهن الرجال  
بالرجال، فلما استمرت هذه القبائح في الرجال والنساء، بعث الله إليهم  
○ حنظلة بن صفوان، فدعاهم إلى طاعة الله، وهامهم عن هذه القبائح،  
وحذرهم نزول العذاب إن لم ينتهوا عنه وعن عادة الأصنام، قال: فكذبوه  
وانهمكوا فيما كانوا يفعلون، وبقي حنظلة فيهم طويلا يعظهم ويعظ  
نساءهم، فكانوا يقولون له: نساؤنا وروحنا ليس لأحد علينا فيها حكم.  
وصاروا في هذه القبائح بحيث كانوا يفعلونها على مرأى العين بلا حشمة  
١٠ / الف ١٠ ولا حياة إلى أن ضربهم الله تعالى بالقحط، فلم ينتهوا ووثبوا / على  
حنظلة، قتلوه وأحرقوه، فلما فعلوا ذلك صاح بهم جبريل صيحة  
بأذن الله له في ذلك، فصاروا كلهم موتى ممسوخين، ولم يبق في بلدهم  
شيء إلا صار حجرا أسود، وكذلك في قراهم وكل من كان على دينهم،  
فسمع بهم ذو القرنين، فأتى لينظرهم، ورأى هناك من ديار الجمارة  
١٥ والعراغة والقصور الرفيعة والمنازل المزخرفة والأبواب الذهب والأسرة  
المرصعة بالخواهر والخزائن المملوءة بالذهب والفضة والخواهر. ثم عاينه  
وأصحابه على الأسرة متكئين والتيجان على رؤسهم، والحجاب عن أيمانهم  
وبين أيديهم، وفي أيديهم العمد والأسلحة، وقد صاروا حجارة سوداء،  
ونظروا إلى أسواقهم وتجارهم وصنائعهم ممسوخين حجارة، فمنهم من

(١) ريد في الأصل: عليهم.

قبض على ميزانه ، و منهم من أكب على مكباله ، و الخباز في مخبزه ،  
 و الطباخ في مطبخه ، و كذلك أهل اللهو و النساء ملتزمات بعضهن على  
 بعض في معاصيهم ، فأخذهم العذاب بغته ، و نظر ذو القرنين ، فإذا بلوح  
 عظيم من حجر منصوب في وسط الموتى مكتوب عليه « نحن أهل الرس ،  
 بقية آل ثمود ، كنا ملوكا في رخاء العيش ، و لم نكن نقوس ربنا ،  
 و لا يرتدع عن المعاصي ، فبعث الله نبيا منا اسمه حنظلة فهانا عما كنا فيه ،  
 فما انتهينا و قتلناه و زدنا في كفرنا و عتونا حتى مسحنا الله حجارة ،  
 فاستعر ذو القرنين ناكيا ، و نكي من كان حوله و انصرف . و أصحاب  
 الرس كانوا يحضرموت من أرض الأحقاف و كانوا احتفروا قنات  
 من تحت الأرض سموها الرس ، لإعجابهم تلك القنوات و المياه الجارية ١٠  
 فيها ، يأنسون إليها . و كان هلاك قوم نوح بالطوفان ، و قوم عاد  
 بالريح العقيم ، و قوم ثمود بالدممة ، و أهل / الثر المعطلة و القصر المشيد  
 بالصيحة ، و أصحاب الرس بالمسخ .

/ ٢٥٢

### [ قصة سليمان الحكيم و أهل مدينة بالمغرب - ١ ]

و أما القوم الذين عمدوا إلى رؤسهم ضربوها بأظفارهم حتى هلكوا ، ١٥  
 هم أهل مدينة بالمغرب و حولها مدن كثيرة ، و فيها ملك عات<sup>٢</sup>  
 يملك جميع تلك المدن لا يعرف التوحيد ، فكان له مجلس مبنى<sup>٣</sup> بالحديد

( ١ ) اعوان مقتبس من النص .

( ٢ - ٢ ) في الأصل : مدكاتيا .

( ٣ - ٣ ) في الأصل : مجلسا منيا .



[في مدينة الطلاس<sup>١</sup> -]

فلندكر الآن ما قيل في المدينة ذات الطلاس العجيبة إن شاء الله تعالى - ذكروا أن لواء الملك وسعد السعود ولدى<sup>٢</sup> الملك سيف التيجان يباهما سائران بجوشهما إذ نظرا إلى واد أخضر نضر ، فيه مياه جارية من أنهار مطردة ، فنزلوا فيه وطاقوا به ، فوجدوا / في وسطه مدينة عظيمة ، لها ثلاثة أسوار من الرخام الساطع البياض ، على كل شراكة لها طلسم عجيب ، و تلك الطلاس آذاها<sup>٣</sup> أجراس ، فلما أطلت<sup>٤</sup> تلك الجيوش على المدينة ، صفرت تلك الطلاس ووصلت تلك الأجراس ، فسمعوا دويًا عظيمًا داخل المدينة ، لأن تلك المدينة خالية ، ليس فيها عامر يعمرها ، ولا قاطن يسكنها ، وليس لها باب ، فقال سعد السعود لأخيه لواء الملك : يا أخى ! هل رأيت أغرب من هذه المدينة التى ليس لها باب ولا فيها عامر يعمرها ؟ وهى على ما ترى من الجمال ، وهذه الطلاس التى قد دارت بها . قال له لواء الملك : لا بد لها شأن من الشؤون ، وما أظن يعمرها إلا الجن ، وهى من بنيادهم . فأمر سعد السعود ١٥ بالنزول حولها ، فبرلت الحيوش فى وسط الأرض ناحية من المدينة ، وضربت الأحية و الفساطيط و الألوية ، وضرب لسعد السعود قبة من الحرير الملوكى و لأخيه لواء الملك كذلك . ثم عطف سعد السعود على

(١) العمون . تتفق من النص وغير وارد به أوى هامشه .

(٢) فى الأدب : أولاد .

(٣) ربما دونه ، السعود ، بمادنها .

(٤) فى الأصل . طلة .

جماعة من أصحابه وقال لهم : من يأتي نخب هذه المدينة وله عندى ما أحب . فقام إليه واحد من القوم وقال له : أنا آتيك بنخبها . فأمر له سلم وصعد فيه ، فلما استوى بين الشرفات ، ونظر إلى وسط المدينة ضحك ضحكا شديدا ، ورد رأسه إلى أصحابه ، ورعى بنفسه فى المدينة ، فلم يزالوا كذلك واحدا بعد واحد حتى فقدوا من أنفسهم جماعة ، فأخذوا واحدا وربطوه بالحبال ، فلما صعد ونظر إلى المدينة أراد أن يلقي نفسه فى المدينة فجذبه فسقط رأسه عن بدنه دون أن يمسه حديد . عند ذلك أيقنوا أن الجن تعمرها ، فلما نظر سعد السعود إلى ذلك قال لأخيه لواء الملك : أوسمت قسما لا رحى عن هذه المدينة حتى أعلم ما فيها وإن كان فيها تلاف نفسى . قال له لواء الملك : يا أخى ! لا تفعل ولا تهلك . ١٠

نصك بغير سب . وقد رأيت ما كان من أمر من تقدم قبلك . قال له : لا بد لى من ذلك . ثم تودع من أخيه وأصحابه . وسار نحو المدينة ينخرق اللسنتين إلى أن قرب من سور المدينة . فدار المدينة من كل جانب ١ / ٢٥٤

وه كان ليحد مدخلا أو مصعدا فلم يجد . فأراد الرجوع إلى موضع السلم يصعد عليه ، فاذا هو بحجر كبير ملهى فى وسط السور ، فقرب ١٥

منه فاذا فيه لواب ، فأدركه فدار الحجر ينزحرج عن موضعه ، وإذا من تحته فوهة مغارة يهبط منها نادر ح من الرخام السانع بيض ، فلم يتمالك أن ضرب يده على قائم سيمه وتزل على الأدرج . فلما هبط مقدار عشرة أدرج إذ سمع دوي عظيماء حقه ، فرجع . به فينظر ذلك الندى وإذا بالحجر قد نطبق على الباب ندى دخل . فسلم على ما فعل ٢٠

فى لأصل الحجر .

بنفسه . ثم إنه جعل يضرب بسيفه في جوانب المغارة فيطير الشرار من  
 الأحجار ، فبينما هو كذلك و إذا قد لاح له ضوء ساطع ، فقصده نحوه ،  
 فلما قرب منه سمع دوى عظيم كالرعد ، و سمع هدة ظن أن المدينة تقلعت  
 من مكانها ، و إذا هو بثعبان عظيم عيناه كأنهما<sup>١</sup> المصاييح ، و إذا بالضياء الذي  
 كان يراه إنما كان من عيني<sup>٢</sup> الثعبان ، و إذا به قد فتح فاه و أظهر أنيابه ،  
 و أراد الهجمة عليه . فلما رآه سعد السعود رجع إلى ورائه و قال في  
 نفسه : إن كان ثعبانا قصدني ، و إن كان طلسمًا لبث مكانه . فوقف  
 الثعبان مكانه ، فعلم أنه طلسم ، فما زال يتجسس رجله حتى وقع قدمه  
 على لوح من الرخام ، فمد يده إليه و إذا في وسطه لولب فأداره ،  
 ١٠ و إذا الثعبان تزحزح حتى سقط من موضعه ، فاذا هو طلسم من حديد  
 عيناه ياقوتتان حمراوتان ، و إذا من وراء الطلسم بابان<sup>٣</sup> من نحاس ، في  
 الباب اليمين لولب ، و في الباب اليسار لولب . فأدار الذي على اليمين ،  
 و إذا ياب قد انفتح ، و إذا من داخله عشرة أدراج ، فنزل عليها و ظهر  
 له الضياء ، فتأمل و إذا باب و فيه طلسم ، بيده حربة و هو يدور دورانا ،  
 ١٥ من ورائه قصر عظيم . فلما قرب من باب القصر قام عليه  
 الطلسم بالحرقة التي بيده ورماه بها ، فكأنها خرجت من  
 كبد قوس ، فزحزح عن طريقها فلم منها / فعند ذلك وقع الطلسم

٢٥/ ب

(١) في الأصل : كأنها .

(٢) في الأصل : عينا .

(٣) في الأصل : باب . و التصحيح بناء على ما سيأتي .

على الأرض على وجهه ، فجاوزه سعد السعود ، و دخل القصر ، فوجد  
فيه مجالس و مقاصير و شباك الجوهر قد سقطت في الأرض ، و الجوهر  
قد صار ترابا لطول الأزمته و الدهور ، و في وسط الأرض شجرة عادية  
ملتفة الأغصان عظيمة الأوراق ، لها طعم لا يتببه طعم الثمار ، و كان قد اشتد  
عليه الجوع ، فأخذ من تلك الشجرة حبة واحدة فأكل منها . فلما وقعت ه  
في جوفه خرس لسانه و لم يطق الكلام و بقي مشغولا بنفسه ، و في أصل  
الشجرة عين من الماء يتفجر ، أصفى من الزلال . و فيه حصى يشبه الجوهر  
و الياقوت و الرمرد الأخضر ، فبق متحيرا فغلب عليه النوم . فبينما  
هو كذلك إذا بلوح من رخام ، و كان نازعا الشجرة ، و اللوح يرتفع  
قليلًا قليلًا . فقال في نفسه : إن لهذا اللوح لبناً . فقال إلى بعض المقاصير ١٠  
و أحفى نفسه فيها و هو ينظر إلى اللوح ، و إذا به قد ارتفع و عد خارج  
من تحته كأنه الحلة السحوق ، قد اسدلت شفتاه و رقت عيناه و بوقت  
محراه و هو يقود من حلفه جارية كأنها البدر ليلة كاله . و يده في ذوائب  
شعرها ، و يده سيف كالبرق الخاطف و هو يحرها شعرها ، و الجارية  
عريانة ليس يسترها شيء . فلما عاين سعد السعود ذلك قال : يا ليت ١٥  
شعري ! ما هذه الحارية مع هذا العبد الأسود ! ثم قال لها العبد :  
يا ابنة اللثيم ! تأهى للوت ثم إن العبد رد اللوح إلى مكانه و دخل القصر  
و عاب ساعة ، و إذا به قد آتى بأربعة أوتاد ، و ضربها في الأرض ،  
و أحد الحارية و ربطها إلى تلك الأوتاد ، ثم عطف عليها و قال : كيف



رأيت؟ فنظرت إليه الجارية بالحافظ تبطل سحر بابل، وتعطل البيض<sup>١</sup>  
 الصوارم والأسنة<sup>٢</sup> الذوايل، وقالت: يا عبد السوء! اصنع ما شئت!  
 أقسمت بالله أن قلت مني الذي تريد أبدا! وما كان ظن أبي هذا منك  
 يا عبد السوء! وهي تنادى وتستغيث وتقول: أغثنى يا غياث المستغيثين!  
 ه فلما رأى ذلك سعد السعود قال في نفسه: لا خير في الحياة بعد هذه  
 الجارية. ولم يتمالك أن ضرب يده على قائم سيفه / وصاح به صيحة  
 وضرب العبد ضربة على غفلة منه شقته نصفين، وخرت الجارية مغشيا  
 عليها من الخوف، وفي خلال ذلك كله سعد<sup>٣</sup> السعود لا يقدر على  
 الكلام من خروسه بسبب أكل الحبة من الشجرة، فأخذ من ماء العين  
 ١. غرفة [ وألقاها في فيه وبلعها، فلما حصل ذلك الماء في جوفه انطلق  
 لسانه. ثم أتى الجارية وأخذ من ماء العين - ٤ ] غرفة ورش به وجهها،  
 فأفاقت من غشيتها بعد أن حلها من وثاقها. فقالت له: من أنت  
 يا صبيح الوجه الذي من الله على بك وعصمني من هذا العبد على  
 يدك؟ ثم قالت له: ارم على أحد أثوابك. فرمى عليها حلتة وثوبا  
 ١ من أثوابه، فاستترت بهما، والدمع من آماقها منحدر على وحنثها،

(١) في الأصل: بيض.

(٢) في الأصل: سنة.

(٣) في الأصل: وسعد.

(٤) الجملة المحورة ساقطة من النص ووردت بهامشه بخط المصحح  
 المراجع.

كأنه الندى على ورق الورد، ثم قالت: هات يدك أقبليها، فمد يده إليها، فمدت إليه أنامل كالفضة البيضاء، كما قال الشاعر:

مدت إلى أناملا<sup>١</sup> من فضة أطرافهن كخالص المرجان  
فبكت فصار الدمع في<sup>٢</sup> وجناتها كالطل فوق شقائق النعمان

فلما مد لها يده أمسكتها بأناملها وقبلتها وقالت: يا سيدي! من أين ه دخلت هذا القصر وليس على أديم الأرض من يتحرأ<sup>٣</sup> أن يدخل هذه المدينة و يقرب<sup>٤</sup> هذه الأرض؟ قال لها: ولم ذلك؟ قالت: لأنه ليس يعمرها إلا الجن، ولكن يا فتى ما اسمك؟ قال لها: اسمي مساعد. قالت له: أنت مسعود عد اسمك، فعطف عليها وقال لها: وأنت ما اسمك؟ قالت له: اسمي المكلة بنت علقمة الحروب بن علم الصفوح<sup>١٠</sup> صاحب أرض العجائب، وذلك أن أبي كان ملك هذه المدينة وهذه الأرض، إلى أن سطت علينا طائفة من الجن، فقتلوا الناس وأرملوا النسوان وأيتموا الولدان، ففر أبي مع جماعة من أصحابه لأطراف هذه الأرض، وبنى فيها مدينة عظيمة يقال لها مدينة العمدة، إلى أن ولدت أنا له، فوكل نى هذا العبد السوء، فتربيت معه، وكان أبي يحبه،<sup>١٥</sup> فوكل أمرى إليه، فلما كان من أيام، طرقتنا عدو لا طاقة لنا به، يقال

(١) في الأصل: أنامل.

(٢) في الأصل: على. و ينكسر الشطر بها.

(٣) في الأصل: يتجرى.

(٤) في الأصل: لا يقرب.

له طود الأطواد بن طارق الأزور ، و ذلك أنه قد حشد حشود الأرض  
 و جيوشاً لا ترام ولا يحصى لها عدد إلى هذا الملك / الثائر سيف التيجان ٢/ب  
 و أولاده ، فدعا أنى أن يسير معه ، فامتنع أنى من ذلك ، و أبى أن  
 يسير معه إليه ، فبعث إليه أنى قائداً من قواده بجيوش لا ترام ، و استقل  
 بحربه . فلما رأى العد ذلك أخذنى و هرب نى ، و دخل من سرداب  
 إلى هذا القصر ، و صنع بى ما رأيت لما امتعت منه من مراودته لى  
 على نيسى ، فمن الله على بك و عصمى منه يمينك ، فجزاك الله عى حيراً ١  
 فقال لها : و كم من هنا إلى مدينة أيبك ؟ قالت : أربعون ميلاً . قال  
 لها : و كيف قدرت على الوصول إلى هنا ؟ فقالت : إنه حملنى على  
 ١٠ هجين ، و ركب على جواد من عتاق الخيل . ثم قالت : إبنى سمعت أبى  
 يصف هذا القصر و ما فيه من العجائب و أمر هذه الشجرة ، فلعلك  
 أكلت منها شيئاً ؟ قال لها : نعم ، و شربت من الماء . قالت له : سلمت  
 و الله ! لو لم تشرب من العين ما عشت أبداً . ثم أخذت يده و مشيا  
 فى القصر و نظرا ما فيه من العجائب . ثم أتت به إلى اللوح الرخام  
 ١٥ الذى بازاء الشجرة و رفعتة و هطت على أدراج و هو يتبعها مقدار  
 ثلاثة أميال ، لا يمشيان ٢ إلا فى ضياء اليواقيت إلى أن أتيا إلى أدراج  
 صعدا ٣ عليها إلى مغارة مقورة فى الحجر الصلد ، و خرجا إلى باب المغارة

(١) فى الأصل : جيوش .

(٢) فى الأصل : لا يمشيا .

(٣) فى الأصل : صعدوا .

فوجدنا النجيب والجواد وهما برعيان من نبات الأرض ، و الليل قد  
جن و أرخى جلبابه ، و انسدل على الجو فضول أكمامه ، و صار كما  
قال الشاعر :

والليل مكحول الجناح كأنما كحل العيون ظلامه بالإتمد

و كان أجم إليه لما بدت للناظرين مساميرا من عسجد ٥

فأنا تلك الليلة يتحدثان بأخبار الملوك ، و سعد السعود يحدثها بأخبار

أبيه و لا ينتسب إليه فتعجبت الجارية مما سمعت و قالت له : و الله

إنه لمنصور ! ثم إنها عطفت عليه و قالت له : سمعت أن له ولدين يقال

لأحدهما سعد - السعود و هو بطل عظيم ، و الثانى يقال له لواء الملك ،

فيا ليتنى أحتمع بسعد السعود ! قال لها : يعمل الله ذلك . قالت له : ١٠

يا مساعد ! أخبرنى من أبناء الملوك / أنت أم من أبناء العرب ؟ قال لها : ٢٥٦ / ألف

أنا صعلوك من صعاليك العرب ، قناص للفيلة ، أقتنصها و أعيش من

بيع عظامها . قالت له : فمن أين لك هذه الحلة التى كسوتى إياها ؟

إنما هى من لباس الملوك . قال لها : خرجت مع بعض الملوك لـ

الفيلة فأعطانيها ، فلما وحدتك فى القصر عريانة وهتها لك . قالت له : ١٥

و هل صحتك شجاعة ؟ قال لها : لست أدعى شجاعة ما دامت النساء تلد . فيها

هما كذلك يتحدثان إذ سمعا دويبا عظيما [ و إذا مأسد - ] لطم النجيب

و هشمه ، حال بينها وبين عقلها و حزعت جزعا شديدا ، لأنه كان مركبها

الذى<sup>٢</sup> أتى بها العبد عليه . فلما نظر سعد السعود إلى ذلك لم يتمالك

(١) ساقطة من الأصل . (٢) فى الأصل : التى .



أن ضرب يده على قائم سيفه و صاح بالأسد صيحة ، فلما سمع الأسد الصيحة ، ترك الجيب و قام قائما على قدميه كأنه الصخرة العظيمة و هدر و حمل عليه ، فعند ما رأى ذلك سعد السعود وثب إليه و ضربه ضربة في يده أبراهما ، و ثنى عليه ، قسمه نصفين ، و أتى إلى موضع الجارية ، فلم يجد لها خرا<sup>١</sup> ، و وجد الجواد و إذا الجارية قد أخفت نفسها في شجرة حين رأت الأسد حمل عليه ، فناداها : يا مكلة ! فقالت : نعم ، إليك يا مساعد ! عشت ! قال لها : نعم ، يا مكلة ! قالت له : و ما صنع الأسد ؟ قال لها : قتلته . و ترامت عليه و قبلت يديه و قالت له : سارك الله فيك يا مساعد ! و الحمد لله على سلامتكم . ثم سار إلى موضع الجيش لم يجد فيه أحدا<sup>٢</sup> . و ذلك أن أخاه<sup>٣</sup> لواء الملك أخذ الجيش و سار إلى بلاد الملك طود الأطواد<sup>٤</sup> بن طارق الأزور . فركب الجواد و أردف الجارية خلفه ، و سار يحسو أرض أبيها . فبينما هما في بعض الطريق و قد استحرت عليهما الشمس و القائلة<sup>٥</sup> إذ نظر<sup>٦</sup> إلى غبار البيداء قد أظلمت له الأفق ، و اسدت<sup>٧</sup> له الطرق ، قال للجارية : يا مكلة ! انزلى بنا عن

(١) في الأصل : خير .

(٢) في الأصل : أحد .

(٣) في الأصل : أخوه .

(٤) في الأصل : الأهوال ، و صحتها حاءت فيما قبل .

(٥) في الأصل : و القابلة .

(٦) في الأصل : نظرت .

(٧) في الأصل : اسدلت .

الجواد حتى ترى ما يكون من هذا العبار ساعة . / وإذا به قطع وحش / ٢٥٦  
 مستنفرة قد استقامت على الجارية ، فلما قربت الوحوش منها<sup>١</sup> خرجت  
 عن الطريق في البادية ، فأوى سعد السعد إلى شجرة لها ظل ، ونزل  
 به من حر الشمس ، وعقل جواده في غصن من أغصانها ، فغلب عليه  
 النوم و الجارية المكحلة ، وإذا بعمرود ظلام مقبل أسود ، تأملته الجارية ه  
 وإذا به عبد أسود مهول ، كأنه النخلة في الطول ، بشفتين كالطبول ،  
 عظيم عبوس ، شديد كبوس ، بيده مقمع من حديد و مقمع ثان<sup>٢</sup>  
 معلق من كاهله ، و درقة من حديد كأنما صرع لونه بالمداد ، فلم تشك  
 الجارية في أنه عفريت من الجن ، و هو يركض بقدميه الأرض ،  
 و الدخان يخرج من منخريه يفتت الحجار ، و يطير الترار . فقالت الجارية : ١٠  
 يا مساعد ! قم ترى ما حل بنا . فانتبه و قال لها : ما رأيت ؟ قالت له :  
 عفريت من الجن . فلما قرب العبد و رآه سعد السعد ، ترامى على جواده ،  
 فصاح العبد و هجم على سعد السعد بالمقمع ، فخرج سعد السعد عن  
 طريقه ، فوقع المقمع على صخرة فتتها ، فخيئت صرخ سعد السعد و حمل  
 على العبد حملة صادقة . فلما سمع العبد الصرخة زال عقله ، و ألقى ١٥  
 الدرة من يده بين يديه و ناداه : يا مولاي ! ما هذه الطامة  
 الكبرى . وإذا به زعفران بن السرود ، صاحب مغارة الأسود . فقال

(١) في الأصل : منهم .

(٢) في الأصل : ثاني .

له : من أين أقبلت يا زعفران ؟ قال : يا مولاي ! خرجت للصييد ، فضلت في البرية إلى أن لقيتك ، فالحمد لله الذي من علينا بسلامتك يا مولاي يا سيد الأبطال و ملوكها ! و سجد بين يديه . فلما سمعت الجارية ذلك من العبد الأسود و سجوده بين يدي سعد السعود .

هـ قالت له : يا مساعد ! ما يكون هذا العبد منك ؟ قال . إنما هو عبدى .

قالت : ألم تقل : إنك صعلوك من صعاليك العرب ، فوالله ما أنت إلا سيد من أبناء الملوك . قال لها : يا مكلة ! / رح الخفاء ، أنا سعد السعود بن الملك سيف التيجان . فترامت عليه ، و قبلت يديه و قالت : الحمد لله الذى منّ علىّ بك ! فأعطى الأمان فى أهلى و فى أبى . قال :

١٠ نعم . ثم أردفها خلفه و سار بها ، و تقدم العبد أمامهما كالطود العظيم و المقامع و الدرة معلقة بكاھله ، و لم يزالوا سائرین إلى أن أتوا مدينة علقمة الحروب والد المكلة . فلما قربوا من المدينة و إذا بها قد هدمت و أضربت ناراً ، و القتلى قد امتلأت الأرض منهم . فلما رأت الجارية ذلك بكّت بكاء شديداً ، فقال لها سعد السعود : مم بكائك ؟ قالت

١٥ له : و كيف لا أبكى و هذه مدينة أبى و ما أشك إلا أن أبى و أهلى قد هلكوا فى جملة من هلك ! و لكن عسى تتركنى حتى أقتش القتلى . قال لها : نعم ، فدخلت المدينة و هما يتعجبان بما رأيا فيها . فالتفت سعد السعود إلى الجارية ، و إذا هى قد أمعنت ، و هى تقتش القتلى ، إذ نظر إلى رجل ينظر من مكان ، فدلفها عليه و إذا والدها طود

(١) فى الأصل : هول .

الأطواد بن علقمة الحروب ، فأتت إليه ، فلما رآها ضمها إلى صدره  
واستخبرها عن حالها ، فأخبر بجميع ما جرى لها ، فزوجها لسعد السعود ،  
فحملها سعد السعود إلى ملك أبيه - انتهى .

### [ خبر الخنساء الشاعرة - ' ]

فلندكر الآن خبر الخنساء الشاعرة إن شاء الله تعالى - اعلم أن المرأة ه  
لو بلغت مائة سنة و قيل لها : عجوز ، عز عليها هذه الكلمة و كرهت قائلها ،  
و حصل لها الألم الكبير لسماعها ذلك . قال علقمة بن عبد الله : خرجت  
أسوق ناقة لي سمية أريد بها حيّ قومي ، فأدركني الليل بين أبيات أبي  
الشريك فنظرت فإذا للقوم عرس . فسألت فإذا هي عمرة بنت مرداس  
و أمها الخنساء الشاعرة ، / ودنوت من القوم ، فقلت : شأنكم هذه الناقة ، ١٠ ٢٥٧/ب  
فاذبحوها و استعينوا بها في بعض ما يعوزكم . ثم جلست مع القوم ،  
فلما أصلح من شأن العروسة عمرة ، أذن لها بالدخول عليها لتنظرها كجاري  
عادة العرب في نظرهم إلى العرائس قبل دخول أرواجهن بهن . فدخلنا  
ورأيناها عروسة و سيمة جميلة جالسة على أريكة ، و هي كما قال الشاعر  
في مثلها :

١٥

بدت عروس عجنوا حناءها بماء ورد لم يزل ممسكا

للقش في معصمها حلاوة لما علا من فوقه مشبكا

و إذا الخنساء أمها قالتها عليها كساء خز و قد هرمت ، و هي تحد النظر إلى



ابنتها عمرة . فقال بعضنا لبعض : كأنها والله الآن تذكر ما كانت فيه  
من شيباتها ! قال : فأومى بعضنا إلى عمرة العروسة فقال : أقسم عليك  
يا أبة أخى إلا ما هيئت من أمك ! فقامت كأنها تريد أن تصرف ،  
فوطأت على قدمها وطأة أوجعتها<sup>١</sup> ، فقالت : آه يا حمقاء ! فوالله لكأما  
تطأين على أمنا<sup>٢</sup> وترها<sup>٣</sup> ، أنا والله كنت أكرم منك عرسا . وأطيب  
منك ورسا ، وذلك فى زمنى الذى كنت فيه أعجب الفتيان ، أشرب  
اللين قارصا أو مخضرا ، لا أديب الشحم ، ولا أرعى البهم ، عقيلة نسوان  
الحى كالمهرة الصبيح ، لا مضاعة ولا عند مضيع ، وذلك فى شيبتى قبل  
وقت سليبتى ، وأنا الآن فى بقية العز ، أما تنظرين على أكسية الخنز  
١٠ و الأطياب ، فى مهرقى فائحة ، والعيون إلى طائحة . فتبسمنا و قلنا : إن  
العجوز الآن قد اشتدت همتها ، و هاجت غلبتها ، و ثارت شهوتها ،  
فمن فيكم أيها الجماعة يخطبها ، و من منكم لهذه الهرمة يتزوجها ويركها ؟  
ب فتضاحكوا و انصرفوا ، فقالت : ما لكم ضاحكين ؟ / خزيتم أجمعين !  
و قد تكون المرأة سبئة العشرة لزوحها ، فيصير قلقا بها ، فيصير  
١٥ مكدا سببها ، فان صر على لسانها بال الثواب ، و أمن فى الآخرة  
من العذاب . كما قال المدائنى فى « كتاب المساهر و مساحر المسامر » :

(١) فى الأصل : وجمتها .

(٢) أى قصدا .

(٣) من ره : وقع فى الترهات و هى الأباطيل و الله واهى .

شكا نبي من الأنبياء امرأته إلى ربه ، فأوحى الله عز وجل إليه : إلى  
قد جعلت ذلك حظك من العذاب - انتهى .

### [ ما قيل في البدويات الفاتنات - ١ ]

فلنذكر الآن ما قيل في البدويات الفاتنات الزيات .

من الجآذر في رى الأعاريب حمراً الحلبي والمطايا والجلايب ٥  
ما أوحه الحضر المستحسنات [ به - ٢ ] كأوجه البدويات الرعايب  
أفدى ظباء فلاة ما [ عرف - ٢ ] بها مضغ الكلام ولا صغ الحواجيب  
ولا ررر من الحمام مائلة أورا كهن صقيلات العراقيب  
حسن الحضارة مجلوب بتطرية وفي الداوة حسن غير مجلوب  
ومن هوى كل من لست بموهبة تركت لون متيبي غير مخضوب ١٠  
لأسيا الأكار الناهدات ، والكواعب العنجات .

### [ قصة الحارث بن عمرو السكندى و بنت عوف الشيبانية ١ ]

فلنذكر ما قيل في قصة أم إلياس بنت عوف الشيبانية ، ولينت  
مالك العدرية ، وكيف صيرت بنت عوف الحارث بن عمرو السكندى

(١) العنوان مشتق من النص وليس بالهامش .

(٢) في الأصل : حسن ، والتصحيح من ديوان المتنبي ص ٣٣٩ طبعة  
أمين آملى .

(٣) ريد من الديوان ص . ٣٤ .

(٤) من الديوان ، وفي الأصل : لا بررت .

(٥) من الديوان ، وفي الأصل : تركن .

ملك كندة بحبه لها مفتونا<sup>١</sup> ، وكيف صيرت ليلي بحب المجنون لها ممحونا<sup>٢</sup> حتى اشتهر اسمه بالمجنون . فأما عوف فوصل لما قصد ، و أما المجنون فمات بالكمد .

فلنذكر قصتهما في محبتهما إن شاء الله تعالى - كان الحارث بن عمرو الكندي قد<sup>٣</sup> بلغه عن أم إلياس بنت عوف الشيباني حسن و جمال ، و بهاء و كمال ، فهام عقله بمحبتها ، و تشوق لنظرها و رؤيتها ، فقيل له : إنها بكر عدراء ، من تزوج بها حصل له السراء . فدعا امرأة من كندة يقال لها : عصام ، دات عقل وافر ، فقال لها : يا عصام ! قد بلغني / عن أم إلياس بنت عوف عقل وافر و حسن زائد ، فصرت بها مفتونا<sup>٤</sup> ، و بمحبتها ممحونا<sup>٥</sup> ، فاطلقتني حتى تعلني علم ما بلغني عنها ، و إياك أن تقتصرى على الظن دون اليقين ، فان كان كما بلغني عنها تزوجتها . فاطلقت عصام حتى دخلت على أمها أمانة بنت كثير الثعلبية ، فرأت امرأة كأنها خادر<sup>٦</sup> من الأطباء ، حولها بات لها كالغزلاں الشاردات ، فأخبرتها خبر ما قدمت له ، فأرسلت أمانة إلى انتها أم إلياس فحضرت ، و العرب من عادتهم يكونون باتهم<sup>٧</sup> ١٥ من صعرهن بأم فلان ، يتفاءلون<sup>٨</sup> بالنين ، كما يقال : أم البنين ، و قالت

(١) في الأصل : مفتون .

(٢) في الأصل : ممحون .

(٣) في الأصل : فاه .

(٤) في الأصل : حادل .

(٥) في الأصل : باتهن .

(٦) في الأصل : يتعاولوا .

أمامة لا بنتها أم إلياس : أى بنية ! هذه خالتك أمتك لتنظر إلى بعض شأنك ،  
 فلا تسرى منها وجهها ولا خلقا ، وناطقها فيما استنطقتك . فانطلقت عصام  
 حتى اختلت بها ، فنظرت إلى أجمل وجه ، وأحسن خلق ، وأكمل كمال ، وأجمل  
 جمال ، و أتم اعتدال ، فى طلاقة من لسانها ، ورخامة فى نعمتها ، فحاورتها  
 واستنطقتها وعرفت موارد كلامها ، ومصارف<sup>١</sup> عقلها ، فخرحت من عندها ه  
 وهى مفتونة ، كأنها مجنونة ، وهى تقول : ترك الخداع ، من كشف  
 القناع . فأرسلت قولها ذلك متلا تتمثل به العرب . ثم توجهت إلى الحارث .  
 فلما دخلت عليه قال لها : ما وراءك يا عصام ؟ فقالت : صرح المخض عن  
 الزبد . قال : أخبريني ما ذا رأيت منها شيئا شيئا حتى كأتى رأيتها كما  
 رأيتها ؟ فقالت عصام : أيها الملك ! هى كما قال امرؤ القيس ، فقال : ١٠  
 وما قال ؟ فقالت : قال :

فقلت يمين الله أرح قاعدا

ولو قطعوا رأسى لديك وأوصالى

ففتح الحارث أذنيه وقال : أخبريني بالله يا عصام ! فقد زدتنى فيها محبة  
 بانشادك / هذا البيت . قالت : أخبرك حقا وصدقا ، رأيت لها جبهة ١٥ ٢٥٩ / ألف  
 كالمرآة الصينية الصقيلة ، يزيبها شعر حالك<sup>٢</sup> كأدنان الخيل المضفورة<sup>٢</sup> ،  
 فاذا أرسلته قلت : عناقيد مضمورة ، أو خلته كالسلاسل ، أو عناقيد

(١) فى الأصل - مصارة .

(٢) فى الأصل : المطفورة .



أجلاها الوابل ، مع حاجين<sup>١</sup> كأنما خطا بقلم ، أو سودا بحمم ، قد تقوسا  
على مثل الظية العبيرة التي لم تر قانصا ولم يذعرها قسورة ، يبهتان المتوسم  
إذا فتنهما . و يحلل أجفانها ما تحتها ، بينهما أنف كحد السيف المصقول ،  
لا<sup>٢</sup> يجنس به قصر ولا يمعن به طول ، حفت به وجنتان كالأرجوان ،  
ه في محض رياض كالجهان ، شق فيه فم كالخاتم ، لذيذ الملائم ، فيه ثنايا عذاب أشر ،  
و أسنان كالدر ، يتقلب فيه لسان ذو فصاحة و بيان ، بحركة عقل وافر ،  
و جواب حاضر ، تلتقي به شفتان حمراوان ، كأنهما في اللين الزبد ، تجبلان  
ريقا كالشهد ، فمها كشبه رمانة ، قد شبهت بالدر النظيم أسنانه ، يتقلب  
فيه لسان ذو حلاوة ، دونه خراطم رقاق ، فتنة العشاق ، ركب ذلك كله  
١٠ على رقبة بضة ، كرقبة إريق فضة ، تصلب في بحر كالمرآة ، و صدر كلوح  
رخام لمن رآه ، يتصل به عضدان ممتلئان لحما ، مكتزان شحما ، متصلا بهما  
ساعدان ، لا يرى فيهما زندان ، ليس فيهما عظم يمس ، و لا عرق يحس ،  
ركت فيهما كفان دقيق قصهما ، لين عصهما ، تعقد إن شئت منها  
الأنامل ، و تعيب العصوص في حفر الأصابع ، نبت في ذلك الصدر  
١٥ نهدان كالرمانتين ، يخرقان عنهما أحيانا ثيابها ، و يمنعانها<sup>٣</sup> من تقلد سجاها ،  
فهما كحقي عاج ، يضئ بورهما الليل الداح ، تحت ذلك بطن طوى  
كطى القباطى المدججة ، كسى عكنا كالقراطيس المدرحة ، يحيط تلك

(١) في الأصل : حاجبان .

(٢) في الأصل : لم . (٣) في الأصل : ويمعنا .

العكن سرّة كدهن العاج ، / حلف ذلك ظهر كالجداول الشجاج ، ينتهى  
إلى خصر يحيل مجدل ، لها كفل ككثيب ، يقعدّها إذا قامت و نهضت ،  
و ينهضها إذا قعدت ، و قد صار كملها و نهذاها يرفعن قيصها عن بطنها  
و ظهرها ، كما قال الشاعر فى مثلها :

أبت الروادف و الهود لقمصها مس البطون و أن تمس ظهورها  
و كما قال الآخر يمدح نكرا عذراء :

و قاتلتى بفتور الجفون و مستوفزين<sup>١</sup> على منبر  
كحقين<sup>٢</sup> من لب كافورة برأسيهما نقطًا عسير

و كما قال الآخر :

و بصدرها حقان خلتها كافورتين<sup>٣</sup> علاهما ند

و أما سوى ذلك فانى تركت نعته ، و حس صفته ، إلا أنه كأكل ما وصفه  
قول أو شعر ، و أنت أعرف بقول الشاعر ، قال : و ما قال الشاعر ؟  
قالت : إن الحياء يمعى أن أذكره<sup>٤</sup> . فقال : أقسم عليك إلا ما ذكرته  
و وصفته ! بحياتى عليك يا عصام إلا مدحته من غير استحياء ! قالت :  
أما سمعت قول الشاعر فى وصفه :

(١) فى الأصل : مستورهن ، و قد مر البيت فى قصة الدعجاء .

(٢) فى الأصل : كحقان .

(٣) فى الأصل : كافورتان .

(٤) فى الأصل : أذكر .

ولها هن كالتبرس صلب فنا<sup>١</sup> يؤلمه<sup>٢</sup> ضرب الدبايس

وكما قال بعض الشعراء :

والتف نخداها وفوقها كفل<sup>٣</sup> كتل الرمل مشتد

من تحته مستهدف جسم كالطفل حين يضمه المهد

ولها هن راي مجسته ضيق المسالك حشوه وقد

وكأه لما بدا قدح أكل العيال وكبه العبد

والساق خربة منعمة علت وطوق الحجل مستد

بقدمين<sup>٤</sup> كلساين ، تحت<sup>٥</sup> ساقين كعمودين<sup>٦</sup> ، يحملان<sup>٧</sup> نخدين لقاوين<sup>٨</sup> .

فلما سمع الحارث وصف عصام ، هام وداوم الهيام ، وقال : والله

١٠ يا عصام ، لقد زدتنى فيها غرام ، بهذا الكلام . وأرسل خطبها من أيها ،

فقال : هي جارية له على الدوام . فبعث الحارث بما يبعث به على أقدارهم

٢٦/ الف الملوك ، فاستغنى أبوها بعد / أن كان فقيرا و صعلوك<sup>٩</sup> . فلما جهزت

و فرغ من جهازها ، دخلت عليها أمها لتوصيها وتعلمها ، فقالت : أى

(١) نقلنا الكلمة من الشطر الثانى للأول .

(٢) فى الأصل : ياله .

(٣) نقلنا الكلمة من الشطر الأول للثانى .

(٤) فى الأصل : تقدمان .

(٥-٥) فى الأصل : ساقان كعمودان .

(٦-٦) فى الأصل : نخدان لقاوان .

(٧) كذا الرعاية السجع .

بنية ! إن الوصية لو تركت لفضل أدب ، أو مكرمة في حسب ، لتركها منك ، ولزويتها عنك ، ولكنها تذكرة للعاقل ، ومنبهة للغافل . أى بنية ! إنه لو استغنت امرأة عن الزوج لحاجة إليها لكنت من أغنى الناس عنه ، ولكنهن للرجال حلق ، كما الرجال لهن خلقوا ، أى بنية ! إنك قد فارقت الحق الذى خرجت منه ، والعش الذى درجت فيه ، إلى وكر ه لم تعرفه ، وقرين لم تألفه ، أصبح لمسكه لعصمتك أميرا عليك ، فكونى أمة ، يكون لك عبدا . واحفظى عى خصالا عشرا ، تكون لك ذخرا . أما الأولى والثانية فالصحبة له بالقناعة ، والمعاشرة له بالسمع والطاعة ، فان فى القناعة راحة القلب ، وفى السمع والطاعة رضى الرب . وأما الثالثة والرابعة فالتفقد لموضع أنه منك إلا أطيب ريح ، واعلى أن ١٠ الكحل أحسن الحس الموجود ، وأن الماء أطيب الطيب المفقود . وأما الخامسة والسادسة فالتعهد لوقت طعامه ، والهدوء عنه عند منامه ، فان حرارة الجوع ملهية ، وإن تنغيص النوم مغضة . وأما السابعة والثامنة فالاحتفاظ ببيته وماله ، والإرعاء على حشمه وعياله ، فان الاحتفاظ بالمال حسن التقدير ، والإرعاء على الحشم حسن التدبير . وأما التاسعة ١٥ والعاشرة فلا تفضى له سرا ، ولا تعصى له أمرا ، فانك إن أظهرت سره ، لم تأمى غدره ، وإن خالفت أمره ، أو غرت صدره . ثم اتقى بعد ذلك المرح إذا كان ترحا ، والاكتئاب إذا كان فرحا . وكونى

(١) فى الأصل : تعطى .



أشد ما يكون لك إكراما ، أشد ما تكونين له إعظاما ، وأكثر ما يكون  
لك مرافقة ، أشد ما تكونين له موافقة . واعلى يا بنية أنك لن تحتوى  
عليه ، ولن تصلى إلى ذلك منه ، حتى تؤثرى رضاه على رضاك . وهواه  
على هواك . فيما أحببت أو كرهت ، والله ينجي لك - والسلام .

٢٦٠ / ب ٥ ثم إنها / حلت إلى الحارث بن عمرو ، فلما رآها أذهل حستها  
وجمالها عقله ولبه ، فازداد فيها حبه . فأنشد يقول متمثلا :

كانت مسائلة الركبان تخبرني عن جعفر بن فلاح أطيّب الخبر  
حتى اجتمعنا فلا والله ما سمعت أذننى بأحسن مما قد رأى بصرى  
ثم تقدم إليها فنفرت ، وأراد منها وصلها فتمنعت ، فأنشد لسان  
١٠ حاله يقول :

رقى فديتك ما المشكو كالشاكي ولا المهني القرير العين كالشاكي  
لا نهجرتني فحسى ما أكابده من الغرام الذي شفته عيناك  
كفى القتال و فكى قيد أسراك يكفيك ما صنعت بالناس عيناك  
جمعت أوصاف حس غير ناقصة كأن حسنك مقرون بحسنك  
١٥ ثم صرعها وعضها ، وتمكن منها وافتضها ، فعظم موقعها منه ، وغلت  
عليه فأحبها حبا شديدا ، ولدت له الملوك السبعة الذين ملكوا  
بعده - انتهى .

(٢) في الأصل : ما .

## [ قصة مجنون ليلى - ١ ]

فلرجع إلى ذكر حال قيس بن معاذ مع ليلى بنت مالك إن شاء الله تعالى . اعلم أن الجنون فنون ، فجنون جن بمحبوبه ، و مجنون جن بالجن ، والمجنون بالمحبوب يصير في محته مكروب ، و المجنون بسبب الجن يصرع ، و يصير مجنونه مطوب . قيل : إن قيس بن معاذ المشهور بالمجنون كان هـ قد أحب ليلى بنت مالك العامرية ، و ذلك أن ليلى كانت بديعة الجمال ، تفوق البدر في الكمال ، مجين كاهلال ، و عيون كعيني الغزال ، يحسبها الناظر لها شبه تمثال . فلما رآها قيس حصل له برؤيتها المحبة لها ، فهام عقله بها ، و صار كما قال الشاعر في مثلها :

هويت من العرب الحسان خلوب

١٠

لها أسهم للعاشقين تصيب

إذا أسفرت تسبي العقول بحسنها

ومن نورها كل البدور تغيب

٢٦١

/ عروس لها وجه حكي الدر في الضيا

و طلعة<sup>٢</sup> حسن أرزاته غريب

١٥

حوت بهجة [ حسناء - ٢ ] يحكي شعاعها

كواكب در واقعات هيب

(١) العنوان من النص ولم يرد في هامشه .

(٢) في الأصل : و طلعت .

(٣) زيد بما مضى من نفس الأبيات - راجع ص ٢٥٣ من هذا الجزء .

بغرتها أيضا أنارت فأشرقت

بضوء جبين مزهر وعجيب

بشعر حكى الليل البهيم سواده

وفرق أراد الفجر منه هروب

٥ لها أعين دعج مراض نواعس

لهن قنور للقلوب يذيب

خدود لها كالورد عند اقتطافه

على الوجنات الراهرات ضروب

وفي ثغرها الحاوى لآلى تنائرت

١٠ 'وراح وشهد' بالرضاب شبيب

لها عنق من جوهر صيغ فتنة

وصدر به الرمان وهو خصيب

وقد أبرزت منها كفوفاً نواعما

على المعصمين الرايين ركوب

١٥ وبطن حوى أعكان فيه وسرة

كشمع من اللس اللطيف يذوب

ونصر يحيل زانها فيه رقة

بلين وشاح قد علاه كثيب

(١ - ١) في الأصل : وراحا وشهدا .

وساقان كالقضبان أضحوا فواتنا

فكم أنس أسرى لها وقلوب

بقدر شبيه بالغصون كأنه

قضيبي من الخيزور وهو رطيب

إذا خطرت تهتز عجباً وعزة ٥

يظلل بها قلب المحب كئيب

تهتك عشاقاً لها بجمالها

ومن حسن رؤياها النفوس تطيب

هي السؤل وهي القصد يحبي بوصلها

ومن مثل ليلى للسقام طيب ١٠

ترى رِدوتي يا صاح أحظى بقرها

وتجمع شمل بالوصال قريب

على رغم حسادي وعذالي الوشاه

وفي غفلة من حاسد و رقيب ١

فعند ما رأى قيس المجنون ليلى صار يحبها مفتون ، وبها يحزن ، فقال من ١٥

فؤاد محزون :

(١) لم نثر على هذه القصيدة في دواوين مجنون ليلى . وقد استعملنا نشرة محمود

كامل مريد (مطبعة حجازي بالجمالية) وعبد المتعال الصعيدي (شركة الطباعة

العنية المتحدة) و كلتاها من مطبوعات القاهرة بدون تاريخ .



ألا فاشهدوا أنى سكرت بحبها  
بكأسات حب لا بكأس مدام  
إذا كان حد الخمر سبعين جلدة  
وعشرًا 'فقد الحب' ألف حسام  
هـ وهو القائل أيضا:

لو لا جنونى بها ما كنت أعرف ما<sup>٢</sup>  
بين الريبة بالعقل الذى نزعنا  
أنا هو الواله المجنون يا شرفى  
إن قيل مجنون ليلي كنت مرتفعنا  
١٠ من لامي فى هواها تبق<sup>٣</sup> حالته  
مثلى كما قيل مجنون وقد تعا  
وقيل : إن مجنون ليلي كان حبه فى الله تعالى ، وكان يخفى حاله  
مذكره ليلي . وسيأتى ذكر ذلك إن شاء الله تعالى . وهو القائل أيضا  
فى ليلي :

٢٦ / ب ١٥ / وإنى فى الهوى عبد لليلي مقيم<sup>٤</sup> أن أرور و أن أزارا  
ولو عبد أتى من عند ليلي ليركبي لصرت له حمارا

(١-١) فى الأصل : نخدا الحب .

(٢) نقلنا الكلمة من الشطر الثانى للأول .

(٣) فى الأصل : تبقى .

(٤) نقلنا الكلمة من الشطر الأول للثانى .

ثم إنه صار يهدى بذكر ليلي في ليله ونهاره ، و يصيح « ليلي ليلي » ،  
فشاع خبره في الأحياء ، وانتشر في أطراف الدنيا ، و غنت بشعره القينات ،  
وترنمت بأقواله النساء و البنات ، فعظم ذلك على أبي ليلي وأهلها وكبر  
لديهم ، وقال كل منهم : قد فضحنا قيس بن معاذ بشعره ، و حيرنا في  
أمره . ثم خرج أبوليلي ، ركب ناقته ، ولم يزل بها سائرا حتى أتى ه  
دمشق ، و توسل إلى أن وقف بين يدي أمير المؤمنين مروان بن الحكم<sup>١</sup> ،  
و كان الخليفة يومئذ ، فشكا إليه حاله و ما يقوله قيس ابن أخيه في الله  
من الشعر ، و أنشده شيئا من شعره فيها ، فاستحسن مروان شعر قيس  
و قال له : يا مالك ! إن الشعر لا يردده شيء إذا تمكن الحب في القلب .  
فقال مالك : يا أمير المؤمنين ! إنه يهجم علينا ، و يهتك حجاب أعراضنا ١٠  
المكية ، و هتك شعره بناتنا المصونة ، و قد استحرنا بك مه ، و استعنا  
بك عليه ، فانا رعبتك ، و كل مسؤل عن رعبته ! قال : فأمر مروان أن  
يكتب كتاب<sup>٢</sup> لعامله ، و هو الأمير على قبيلة بني عامر حينئذ ، و هو  
يقول : أما بعد ! إذا ألم قيس بن معاذ بديار مالك<sup>٣</sup> أي ليلي<sup>٢</sup> العامرية ،  
فأخذ أشد أخذ ، فاني قد أهدرت<sup>٤</sup> دمه لهم . و أعطى الكتاب لمالك ١٥  
بعد أن وضع عليه مروان علامته . فأخذه مالك و أتى به لعامل  
مروان ، و كان العامل من أكبر محبي قيس لرقه شعره و فصاحته و حسن

(١) مروان الأول من بني أمية و خلافته ٦٤ - ٦٥ هـ / ٦٨٣ - ٦٨٥ م .

(٢) في الأصل : كتابا .

(٣-٣) في الأصل : أبوليلة .

(٤) في الأصل : هدرت .

تغزله ، وكان يطرب على سماع شعره كثيرا . فلما قرأ الكتاب قال له :

لف يا قيس ! لا تعد<sup>١</sup> تلم بديار ليلى ولا تدن منها ولا تقربها . وأوقفه / على  
كتاب مروان ، فأنشأ يقول :

لقد حجبوا ليلى وآلى أميرها

على يميننا رة لا أزورها

فكيف وقلبي في هواها معذب

وفي مهجتي نار يشب زفيرها

وفي كبدي منها لهيب وحرقة

وقد سال من أجفان عيني زفيرها<sup>٢</sup>

١٠ وأصبحت ولحانا كئيبا بحبها

حريق الحشى عبدا لليلي أسيرها

وفيهما جفان كل خل وصاحب<sup>٣</sup>

فيا ليت شعري ما يكون مصيرها

ومن أين لي صبر ولا لى سلوة

وقد عذمت روحى الغداة سرورها

١٥

(١) فى الأصل : لا تعود .

(٢) تكررت الكلمة فى القافية وأغلب الظن أنها غير ذلك ولم نستطع تحقيقها  
من المصادر المطبوعة لقلة الوارد من مستخرجات النويرى فيها .

(٣) فى الأصل : وصاحي .

و قد أظلمت عيني من الدمع و البكا

و عنها ضياها قد نقاهها و نورها

فلا تعذلونى تكسبون خطيئتي

فحالة مثلى للممات مصيرها

و قيل : إن معاذاً والد قيس لما رأى حاله تغير ، و قد اصفر لونه ، و ارتعد ه

كونه ، و رق عظمه ، و نحل جسمه ، من محبة ليلي ، قال له أبوه : اتق الله يا بني

في نفسك ! و اعلم أنك إن تمادى بك الحب ، و أفرطت في العشق ، خرجت

على وجهك مجنونا ، و قلبك مفتونا ، و بقيت ضحكة للنظارة . فقال : يا أبت !

و سيبلغ أكثر من ذلك ، أتقدر أن ترد قضاء الله ؟ قال والده : لا والله !

ثم قال له : يا بني ! ما أنا بمن يرضاها لك ، لأن أمها رومية . فقال : ١٠

رضيت بها يا أبت و لو كانت أمها مجوسية . ثم بكى و قال :

أيها العائب الذى عاب ليلي

قد رضينا بها بكل العيوب

و الهوى يطمس العيوب جميعا

لا يرى من يحب غير الحبيب ١٥

فقال له أبوه : يا بني ! ما عبتها إلا حتى أزوحك بأحسن منها ، و تكون

أمها عربية لا رومية ، فان الروميات حوار للعربيات . فأنشأ يقول :

تعشقت ليلي و ابتليت بحبيبها

و أصحت منها في القفار أهيم

(١) في الأصل : لم .



كلفت بها حتى أذابت الهوى

وصير عظمى بالعرام رميم

وأصحت فيها عاشقا ومولها

مضى الصبر منى والغرام مقيم

٥ يقول أنى يا قيس عندى خلافتها

وأكثر منها بهجة ونعيم

أرى أمها كانت من الروم أصلها

وقصدي أنا أصل يكون كريم

٢٦٢/ب /رضيت التى قد عبت يا أتى بها

١٠ ودع أصلها بين النساء ذميم

فيا أتى إن كنت حيا تريدنى

وترحو حياتى بينكم وأقيم

فجد لى بليلى واصطنعنى لقرها

أصير لها زوجا وأنت سليم

١٥ إلى الله أشكو حب ليلى كما شكا

إلى الله فقد الوالدين يتيم

وإن زمانا فرق الدهر بيننا

وبينك يا ليلى فذاك ذميم

(١) فى الأصل : لما .

ثم صاح : واكبداه ! واقلباه ! وامهجتاه ! ثم أغمى عليه ، فظن أبوه وإخوته أنه قضى بحه ، فداروا حوله ، ولطموا به ، حتى أفاق من غشيته ، فحملوه إلى منزله ، وهو يهدر بذكر ليلي و غرامه بها و محبته لها . فانظر يا هذا من إلى مقاساة قيس في محبته ، و غمه و غشيته ، و فتنه و محنته ، فالمحبة تشغل البال ، و تهيج اللبال .

٥

فلنذكر ما قيل فيها إن شاء الله تعالى - سئل الشيخ تاج الدين عن المحبة فقال : أغصان تعرس في القلب ، فثمر على قدر العقول ، و أنشد يقول :

غرست لأهل الحب غصنا من الهوى

١٠ ولم يك يدرى ما الهوى أحد قلى

فأورق أغصانا وأينسع صبوة

وأعقب لى مرا من الثمر المحلى

فكلَّ جميعَ العاشقين هواهم

إذا سبوه كان من ذلك الأصل

وقيل : حقيقة المحبة أن تهب كلك لمن أحبت ، فلا يبقى لك منك شيء . ١٥

وقيل : المحبة إثارة المحبوب على كل مصحوب . وقيل : المحبة نار في

القلب ، تحرق ما سوى مراد المحبوب .

جلس أبو بكر الشبلى في المارستان ، فدخل عليه أحياءه ، فقال :

من أتم؟ قالوا : أحاؤك يا أبا بكر ! قال : فأقبل يرميهم بالحجارة فقروا ،

فقال : إن ادعيتم محبتي فاصبروا على بلائي .

وقيل : إن شابا أشرف على الناس في يوم عيد من سطح فقال :

من مات عشقا فليمت هكذا ، لا خير في عشق بلا موت . و ألقى نفسه من

السطح ، فوقع ميتا . وقيل : / إن بعضهم كتب قصة لبعض الخلفاء يسأله<sup>١</sup>

فيها أن يسمعه فلانة جاريتة شيئا من الشعر على عودها ، وأقسم عليه في

القصة بذلك . فقال : أحضروه . فحضر ، فقال : ما حملك على ما ذكرت في

قصتك ؟ أما خست عقوبتي لاجترائك على ما واجهتني به ؟ قال : هوى

غلب عليّ فأعمى عيني<sup>٢</sup> ، وأطرش أذني<sup>٣</sup> ، وهيج مني ما أعدمى عقلي .

فلما سمع الخليفة منه ذلك رحمه وقال : اجلس . فجلس ، وأمره تلك

الحارية التي ذكرها أن تحضر معها عودها ، فحضرت به ، فأمرها بالجلوس

فجلست ، فأمرها أن تغني عما يقوله لها الفتى . فذكر لها الفتى أياتا ،

فغنتها على عودها ، فلما فرغت من غنائها ، قام الفتى على قدميه ،

ومضى إلى مهواة في القصر ، فرمى بنفسه فيها على أم رأسه فمات . فضرب

الخليفة يدا على يد وقال : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ! أرعم

الجاهل أنى كنت أردّها إلى قصرى بعد أن أخرجتها ! ونظر إليها [فقال-<sup>٤</sup>] :

ولو صر وهبتها له ، فأنى فهمت منه ، ما طلبها لينظرها ويسمع غناءها إلا

(١) في الأصل : يسأل .

(٢) في الأصل : عيى .

(٣) في الأصل : اذناى مسامعى .

(٤) ساقطة من الأصل .

أنه كان محبا لها وهي محبة له قبل ابتياعى إياها ، فلو صبر أخذها مع تفقة  
حزيلة . ثم أمرها بالدخول إلى قصره ، فلما دخلت القصر قال : أرجعوها ،  
فإنها لم تنتفع بالعيش بعده من حزنها عليه لآلفها به فيما تقدم ، ويعورها  
و تصدقوا شمنها عنه .

وقيل : راود خطاف خطافة في قبة سليمان عليه السلام ، فامتعت ه  
عليه ، فقال لها : لم تمتعين مني ؟ وإن شئت قلت القبة على سليمان .  
وكان سليمان يفهم منطق الطير ، فدعاه وقال له : أنت القاتل كذا  
وكذا ؟ فقال : يا نبي الله ! إن العشاق لا يؤاخذون بأقوالهم ، / والمحبون  
لا يلامون فيما يقولون .

و قال بعضهم : سمعت سمنون وهو جالس يتكلم في المحبة ، إذا بطائر ١٠  
صغير ، فقرب منه ثم قرب ، فلم يزل يدنو حتى جلس على يده ، ثم ضرب  
بمنقاره الأرض حتى سال منه الدم ثم مات - انتهى .

نعود إلى أخبار مجنون ليلى وما قاساه في محنته لها من العناء والبلاء -  
حدث رجل من بني عامر يقال له رياح بن حبيب قال : استعمل  
أمير المؤمنين مروان بن الحكم رجلا من قريش يقال له عمرو بن عوف ١٥  
على صدقات حتى بي عامر ، فلاقاه المجنون فامتدحه بأبيات ، فأعجبه شعره  
فأراد عمرو الخروج إلى بني عامر فقال له المجنون : أسألك حاجة  
إن قضيتها لي قضى الله لك بها ألف حاجة ! فقال له عمرو : وما حاجتك

(١) في الأصل : طي .



يا قيس؟ قال: أريد منك أن تأخذني إلى حي بني عامر، فانهم بنو عمي وأهلي وقومي، فأتفرج وأنشرح وأزبل همي وغمي. فقال له: حبا وكرامة يا قيس! ومضى من عنده، فلغ رهط قيس ذلك، فأتوا إلى عمرو بن عوف وقالوا له: الحذر الحذر أن تدخل بقيس إلى حي بني عامر! فانهم مترقبون<sup>١</sup> أن يأتهم إلى الحي. فقال لهم عمرو: وما سبب ذلك؟ قالوا: لأن في الحي جارية يقال لها ليلي، هي ابنة عم قيس، وهو لها محب وبها وامق، وقد شغف<sup>٢</sup> بها حبا، وأضحى في محبتها كثيلا صبا، ولولا هو بها مقتون، ما سمى بالمجنون، وإن أباها حجبها عن العيون، خوفا على عرضه من الظنون، وقد منعه من المسير إليهم والقدوم عليهم، فأتاهم فردوه، ثم عاد فطرده، ثم عاد فهدده، ثم عاد فتوعده، فلما زاد أمرهم وشاع في أحياء العرب ذكرهم، مضى أبوها إلى أمير المؤمنين مروان، فوقف إليه، وأظهر سره عليه، وقال: إن لي ابن أخ قد سطا علينا مصاحته وبلاغته، وقد أنلف عرصا، فأخرجناه من أرضنا، وعاد فطردها، وعاد فمرَّ الكلام أسمعناه. فلم يرتد عنا ٢٦٤/الف ١٥ / ولم يرجع ونحن حائرون<sup>٣</sup> في أمره. فلما سمع مروان كلام مالك أبي

(١) في الأصل: مترقبين.

(٢) في الأصل: أشغف.

(٣) في الأصل: حائرين.

(٤) في الأصل: أبو.

ليلي ، أجابه للمساعدة عليه ، ثم كتب لعامله المتصرف كتابا يهدر دم  
قيس حيثما أتاهم ، وحيثما لاذ بحيثهم أو دما منه ؛ فلا تتعرض بأخذك له ،  
ولا تستصعبه معك لحبيهم ، فتكون سبب إراقة دمه . فلما سمع عمرو  
ذلك ، رجع عن رغبته في وصول قيس إلى حى بى عامر ، فلما أتاه  
قيس يرحو إبحاز وعده بمضيته معه ، قال : يا عمرو ! أنجز وعدي ، هـ  
و بلغنى قصدي ، بدخولي معك إلى حى قومي وعشيرتي و بى عمي ، فقال  
له عمرو : ما يمكنى ذلك يا قيس اثم أمر له بعشر نوق حمر الوير سود  
الحدق . قال : فردها قيس عليه ولم يقبلها ، وغضب لخلف وعده ،  
وأنشأ يقول :

ولما لم يف<sup>١</sup> عمرو بوعدي وأظهر بعد تقريبي صدودي ١٠  
وأعرض واستحال الود منه وأوعدنى ولم يوف<sup>٢</sup> وعودي  
وعوضي بعشر من قلاص<sup>٣</sup> تروقك<sup>٤</sup> في الصدور وفي الورود  
فلم أرض بها حنقا و غيظا و قلت ردها يا نفس حودي  
رددت قلائص القرشي لما رأيت القرض منه للعهود  
وراحوا مسرعين وخلفوني عديما من فراقهم وجودي ١٥  
فلما أيس المجنون من الخروج صحبة عمرو ، أقطع<sup>٤</sup> يأسه ، وزاد

(١) في الأصل : يفي .

(٢) في الأصل : لم يوي .

(٣) نقلنا الكلمة من الشطر الأول للثاني .

(٤) وقع في الأصل : انقطع - مصححا .

وسواسه ، و ضعف إياسه ، و ضاقت ألقاسه ، و صار لا يسمع و لا يعي  
و لا يأكل و لا يشرب إلا إن ذكرت له ليلي . قال ابن داب : ثم إن  
عمرو بن عوف<sup>١</sup> عزله أمير المؤمنين مروان عن الصدقات ، و ولي بعده  
رجل يقال له نوفل ، و كان رجلا أديبا فاضلا لييبا شاعرا ماهرا . فبينما  
هو جالس ذات ليلة عشية النهار ، و الإبل ترد الماء بالقرب من حى  
ليلي ، إذ أقبلت إبل كثيرة ، و معها فتى يحيل الجسم . مصر اللون ، ندى  
السقام ، و هو يتنفس الصعداء ، و يتأوه كمداء ، فأقبل مسرعا حتى كرع  
مع الإبل ، فلما رآه نوفل قال لغلامه : ائتني بهذا الفتى / الأشعث الأغر  
الحال . فقال له الغلام : يا مولاي ! ما تعرف هذا ؟ قال : لا . قال :  
١٠ هذا قيس بن معاذ المعروف بمجنون ليلي العامرية الذي هام بحبها ، و ما  
فاز بقربها ، و صار بها مفتونا ، إلى أن بقى مجنونا ، و إنه كثير الإنتاد  
فيها ، و له شعر رائع ، و أدب فائق . فقال نوفل : خذ ثيابي هذه  
فأفرغها عليه . قال : يا مولاي ! كان يمزقها ، فانه لا يقبل من أحد شيئا ،  
و لا يأكل لأحد شيئا ، حتى تذكر له ليلي ، فادا ذكرت له فعل ما يراد  
١٥ مه . قال : فيها هو يخاطبه في حديثه ، إذ أقبلت أخت قيس ، و هى  
كالقمر حسنا و جمالا ، و بيدها إباء فيه طعام ، فوقعت على رأسه ،  
و كلمته فلم يتكلم ، ثم نادته ثانيا فلم يتكلم . فأنشدت تقول ، بغمة  
تسى العقول :

ألا إن ليلي العامرية أصحت تروم رضا قيس وإن كان نائيا

(١) في الأصل : عامر .

فلا تعبوا قيسا على حبه لها ولا تعبوا ليلي لطول التجافيا  
 فان عليها أهلها رقبا لها وقد أصبحوا من أجل قيس أعاديا  
 سقى الله جارات ليلي تسابعت بين النوى حتى طوين المطاويا  
 فلما سمع المجنون تكرار ذكر ليلي، رفع رأسه إلى أخته وهي تنشد،  
 ثم وضعه على التراب . فقالت أخته: يا قيس! أرفع رأسك، ه  
 فهذه ليلي واقفة . فرفع رأسه وقال: أين هي؟ فقالت: الساعة تأتي  
 فكل، فاذا جاءتك فوجدتك ناكل فرحت . فأكل حتى شبع، فحينئذ  
 رفعت أخته الإناء من بين يديه وتركته، وانصرف قيس فصرخ في  
 الإبل، فسعت وسعى حلفها سعيًا حثيثًا . فقال نوفل: والله ما سمعت  
 بمثل هذه الحكاية ولا أعجب منها . فقال لعلامه: ما تكون هذه المرأة  
 الجميلة التي أنشدت المجنون وأطعمته الطعام حتى اقتات؟ قال: يا مولاي!  
 هي أخته . فقال نوفل: أود لو جلست معه وحادثته وسمعت شعره!  
 فقال له: / يا مولاي! إنه يرجع مع الإبل حين ترد الماء، فان أردت  
 أن تسمع كلامه، أو تستنشد نظامه، فاحفظ الآيات التي قالتها أخته .  
 قال: قد حفظتها حين سمعتها منها . فقال: إذا ورد مع الإبل غدا  
 فأشده إياها، فانه يكلمك . فلما كان من الغد، أقبلت الإبل وقيس  
 يحدوها وهي سائرة . قال: فدنا منها نوفل وأنشد الآيات . فرفع  
 قيس رأسه إلى نوفل وقال له: من أنت يرحمك الله! فقال: أنا نوفل

(١) في الأصل: وضع.



المتولى على الصدقات . ولم يزل نوفل<sup>١</sup> يلاطفه و يؤانسـه حتى أنس به  
و مال إليه ، فسأله نوفل عن أصل محبته لليلى و كيف تمكن هواها منه  
بعد ما كان شغفا ، فصار تلقا ، و كيف ابتلى بهواها و جفاها . فقال  
قيس : إنه كان ولعا ، ثم صار طمعا ، ثم صار لذة ، ثم صار شدة ،  
٥ ثم صار شغل بال ، ثم صار فكرة و خيال ، ولم يزل على استرسال ،  
حتى زال العقل و زال ، و استقر الجنون ، و دنا المتون . قال : فرق  
له قلب نوفل و رحمه ، ورثى له ، و أمر له بكسوة حسنة ، و سأله  
قبولها منه ، ففعل و لبسها ، فقرح نوفل بذلك ، و قال له : يا قيس !  
أتريد أن أزوجك بليلى ؟ فقال : و من لى بذلك ؟ فقال : امض معنا  
١٠ إلى أيها ، و نحن نخطبها منه . و نعطيه عنك ما يطلب ، قال : أو يُفعل  
ذلك ؟ قال : نعم ، قال : فأشدنى من شعرك ! فأنشأ يقول :

قال العواذل لما أن رأوا تلقى

فى حب ليلي و قد أصبحت متبول

ما بال قلبك لا ينفك من شغف

و دمع عينيك فوق الخد مسبول

١٥

و أنت يا قيس<sup>٢</sup> مشغوف بمشقتها<sup>٢</sup>

و صرت فى حبها يا قيس مهبول

(١) فى الأصل : نوفلا .

(٢) فى الأصل : مشغوفا بمشقتها .

فقلت ليلي حياي لو حظيت بها

فان ليلي المتى والقصد والسؤل

ليلى التى غيرت حالى بهجرتها

وصيرت خاطرى بالبين مشغول

فمن يلم مهجتي فى فرط معشقتها<sup>٥</sup>

يزيدنى ولعا فيها وتخيّل

قلّى بها كلف والنفس فى عدم

إن شئتم فاقصروا فى العذل أو طيلوا

/ فلما فرغ من إنشاده، قال له نوفل : أحسنت والله يا قيس ! ثم إنه

استصحه معه إلى ديار ليلي، فلما نظر<sup>٢</sup> القوم نوقلا<sup>١</sup> قد أقل عليهم

بجماعته وقيس معهم، لبسوا أسلحتهم وخرجوا لقتال نوفل، وقالوا

له : يا نوفل ! إنك أتيتنا بما لا نريد، وإنا لا نلبس العار لأجلك، فان

قيسا قد هتك أعراضا بقوله الشعر فى بناتنا، وقد شكونا لأمير المؤمنين

وأهدر<sup>٥</sup> لنا دمه، وأباحنا قتله، فما مساعدتك له علينا ؟ قال نوفل :

ما جئت<sup>٦</sup> إلا خاطبا راغبا، ولكم من المهر ما طلتم واخترتم،

وأنا لكم موافق فيما تطلون منه، قائم<sup>٦</sup> بكل ما أحببتم<sup>٦</sup> . فقالوا :

(١) فى الأصل : حضيت .

(٢) فى الأصل : عشقها، ويستقيم الوزن بما أثبتناه .

(٣) فى الأصل : نظروا . (٤) فى الأصل : نوفل .

(٥) فى الأصل : هدر .

(٦) فى الأصل : قائما .

هذا أمر لا يكون أبداً فلما أيس 'نوفل' من قلة قبول القوم قوله في قيس، التفت إلى المجنون وقال له: يا قيس! سمعت ما قلت للقوم وما قالوه. قال: فتركه قيس ومضى، وعاد إلى ما كان عليه من الوجد والهيام، والتوله والغرام. ثم إن رجلاً من العرب يقال له فلان الكلبى خطب ليلي، فزوحها أبوها له، فبلغ المجنون ذلك، فهام على وجهه، واندهل في عقله، وزاد به الحال، وانطلق في قلبه النار، فأنشأ يقول هذا:

أعالج من نفسي بقايا حشاشة

على رفق والروح في تجود

١٠ وفي لحد عشقي قد دُفِنت ولم تزل

قبور محبين الملاح لجود

وقيل: جلس يوماً<sup>٢</sup> مع جماعة من قومه يصطلي على جمر في يوم شات، فبينما هم كذلك وإذا بزوح ليلي الكلبى قد أقبل إلى الجمع يتدفأ معهم، فلما جلس رفع المجنون طرفه وأنشأ يقول:

١٥ بحقك هل ضمت إليك ليلي

قيل الصبح أو قبّلت فاها

وهل رفت<sup>٣</sup> عليك قرون ليلي

رفيف<sup>٤</sup> الأتخوانة في نداها

(١) في الأصل: رحل.

(٢) في الأصل: قوم.

(٣) من الأغاني ٢/٢٤، وفي الأصل: رمت.

(٤) من الأعاني، وفي الأصل: رقيق.

فقال الكلبي: أما أنا إذا أقسمت علىّ فنعم، فقبض المجنون بكفيه  
 قضتين من الجمر و طبق عليهما، / فما أرسلهما إلا و لهما قد سقط مع ٦٦  
 الجمر، 'فلام الحاضرون قيسا' على فعله ذلك . فقال:

فلا تعذلوني في الخطار مهبتي

هوى كل نفس أين حل حبيبها ٥

فقالوا لزوجها: قسم عنا . فنهض<sup>٢</sup> قائما و مضى إلى حال سبيله، فأنشد  
 المجنون يقول:

أيا بعل ليلي هل لك الآن أن ترى

شبيبها لليلي في البرية ناشيا

أيا بعلها الكلبي لا عشت سالما ١٠

ولا رلت طول [الدهر-<sup>٣</sup>] تلقى الدواها

تداويت من ليلي بليلى فلم أجد

سوى حب ليلي من بلای مداويا

[خبر كثير عزة و اجتماعه بالمجنون -<sup>٤</sup>]

فلذكر الآن خبر كثير عزة [و اجتماعه بالمجنون، و ما قاسى هو ١٥

في محبته لعزة من الفتون و الغبون - كثير عزة<sup>٥</sup>] أحد عشاق العرب،

(١-١) في الأصل: فلامت الحاضرون قيس .

(٢) في الأصل: نهض .

(٣) ساقطة من الأصل .

(٤) العنوان مشتق من النص، و ليس في الهامش .

(٥) الجملة المحجوزة ساقطة من الأصل و وردت في هامشه بقلم المراجع .



له في عزة أشعار كثيرة ، فمن ذلك قوله فيها هذا :

قضى كل ذي دين فوفى غريمه

وعزة ممتول معنى غريمها

يقال : إن عزة دخلت على أم البنين زوجة عبد الملك

٥ أمير المؤمنين فقالت لها : أرايت قول كثير فيك ؟ وأنشدتها البيت

المذكور ، [ فقالت - ١ ] ما كان هذا الدين يا عزة ؟ قالت : وعدته قبله

فخرجت منها . فقالت أم البنين : أبجزها وعلّئتمها .

و كان لكثير غلام عطار بالمدينة ، وربما باع نساء العرب بالنسيئة ،

فأعطى عزة - وهو لا يعرفها - شيئا من العطر فماطلته أياما وحضرت

١٠ إلى حانوته في نسوة فطالبها ، فقالت : حبا وكرامة ، ما أقرب الوفاء

وأسرعه ! فأنشد الغلام متمثلا :

قضى كل ذي دين فوفى غريمه

وعزة ممتول معنى غريمها

فقالت النسوة : أتدرى من غريمك ؟ فقال : لا والله ! فقلن : هي والله

١٥ عزة . فقال : أشهدكن الله أنها في حل مما لي قبلها . ثم إنه مضى إلى

سيده فأخبره بذلك . فقال : وأنا أشهد الله أنك حر لوجهه ولك جميع

ما في حاوت العطر . فكان ذلك من عجيب الاتفاق .

ولكثير في مطالها بالوعد شيء كثير ، فمن ذلك قوله - هذه

(١) ساقطة من الأصل .

الآيات :

١٦ / أقول لها عزيزُ مطلّت ديني

وشر الغانيات ذور المطال

فقلت ويح غيرك<sup>١</sup> كيف أقضى

غـريـما ما ذهبت له بمال<sup>٥</sup>

و روى أهل الأخبار أن عزة هجرت كثيرا<sup>٢</sup> مدة لم تره حتى كانت

في الحج، فلما قفل الناس من منى وهى مع قومها، لقيت كثيرا راكبا

جملا مع جملة الناس، فحيت الجمل ولم تحي كثيرا، فأنشد كثير يقول:

حيتك عزة بعد الهجر وانصرفت

١٠ فحي ويحك من حياك يا جمل

ليت التحية كانت لى فأشكرها

مكان يا جمل<sup>٣</sup> حيث يا رجل

معنى تحيتها أنها قالت: السلام عليك يا جمل<sup>١</sup> و لم تقل: يا كثير، خوفا

على نفسها من قومها.

قال بعض مسامرى أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان: كنت<sup>١٥</sup>

جالسا ذات يوم فى حضرة عبد الملك إذ دخل عليه الحاجب يستأذنه

فى دخول كثير عزة عليه، فأذن له فحضر، وسلم بالخلافة ووقف،

(١) من وفيات الأعيان ٣/٢٦٧، وفى الأصل: عزك.

(٢) فى الأصل: كثير.

(٣) من الدر المنثور ص ٣٤٤، وفى الأصل: جملا.

فقال له عبد الملك : أنت كثير عزة ؟ قال : نعم ، يا أمير المؤمنين ! قال :  
سمعت أنك قلت فيها شعرا ، فأنشدنا منه شيئا . فأنشأ يقول هذه  
الآيات :

خليلى هذا ربع عزة فأنزلا قلو صيكا<sup>١</sup> ثم انزلا حيث<sup>٢</sup> حلت  
و مسّا<sup>٣</sup> ترابا كان قد مس رجلها و باتا و قىلا حيث قالت و باتت  
و واصل من تهوى هواها<sup>٤</sup> اسألا بها<sup>٥</sup> و قولها عن حالتى و تشتتى  
و قولها ذاك المعنى محاله و لا تنسيا أنى أموت بحسرتى  
و ما كنت أدرى قبل عزة ما البكا و لا موجعات القلب حتى تولت  
لقد نخلت حتى لو أنى سألتها قذى العين من سافى التراب لضنت<sup>٦</sup>  
١٠ يقر ليعنى ما يقر ليعنيها و أحس شىء ما به العين قرت  
و للعين إهمال إذا ما ذكرتها و للفس وسواس إذا ما تجملت  
و فى حبها أنى سقيم متيم حليف<sup>٧</sup> الأسى دامى الجعون لشقوتى  
فقال له عبد الملك : إن شعرك يبكى العيون يا كثير ! فهل فعل العشق

(١) من الأغاني ٢٨٠/٩ ، و فى الأصل : قلو صيكا .

(٢) من الأغاني ، و فى الأصل : حين .

(٣) فى الأصل : بوسا - و لا معنى له .

(٤ - ٥) فى الأصل : استلها .

(٥) فى الأصل : لظمت .

(٦) نقلنا الكلمة من الشطر الأول للثانى .

بأحد من التيمين ما فعل بك ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ! قال : من هو ؟ قال : أعلمك يا أمير المؤمنين أني خرجت ذات يوم على نجيب لي ، فلما سرت به وصرنا في وسط البرية ، وإذا أنا بانسان جالس على تلّ من الرمل يتكلم وحده ، ويحجب نفسه / بنفسه ، ولا يلتفت إلى أحد ، وهو ٦٧  
يحيف الجسم ، مصفر اللون ، أشعث مسبول ، لا يكاد ينظر من قدامه ٥  
ولا خلفه ، قال : فدنوت منه وسلمت عليه ، فرد عليّ السلام . فقلت له : إنسى أم جنى ؟ فقال : ولم ذلك ؟ وما أنكرت من حالي ؟ قلت : إنني رأيتك في هذه البرية وحدك بين هذه الوحوش النافرة ، والضباع الكاسرة ، وأنت بينهم جالس ، وبوحدتك مستأنس . قال : فنظر إليّ ملياً ، وأجال بصره قويا ، وأنشأ يقول :  
١٠

أنست لوحدي حتى لو أني رأيت أبي إذا لهررت منه  
ولم تدع التجارب لي صديقا أمل إليه إلا ملت عنه  
قال : فأقمت عنده ثلاثة أيام ، وهو كلما اصطاد ظبية أطلقها . فلما أردت الانصراف عنه ، قلت له : أريد [أن - ١] أعرف من أنت ! قال : جعلت فداك ! أنا قيس بن معاذ ، قتيل حب ليلي . قلت : أنت المجنون ١٥  
بحب ليلي ؟ قال : نعم ، أنا ذاك وقد عرفني ، فمن أنت حتى أعرف أنا . قلت : أنا كثير عزة . قال : إنك صاحب عزة ؟ قلت له : نعم ، فقال : الحمد لله الذي جمع بيني وبينك ، لقد كنت مشتاقا إلى لقائك . فملكك

(١) ساقطة من الأصل .



أن تمضي معي إلى الحى لأقضى من حقلك ما يجب قضاؤه . قال :  
 فأتيت معه إلى منزله ، فقال له أبوه : يا بني من هذا ؟ فقال : يا أبت !  
 هذا كثير عزة ، فعجل يا أبت باكرامه . قال : فهيا لنا أبوه ضيافة هائلة ،  
 ونحمر لى جزورا ، و قال : أنتم المساكين العشاق المتيمون<sup>١</sup> . ولما رآه<sup>٢</sup>  
 أهله قد أنس بقربي ، قالوا : يا كثير ! إن قيسا أنس بك و بقربك ، فلعلك  
 تعزله عن هوى ليلي و غرامه بها ؟ فقلت له : يا أخى ! يا قيس ! أقصر  
 من ذكرك لليلي و أقل عما أنت فيه من هواها ، ودع ذكرها . قال :  
 فنظر إلى واستغرق ، وبكى و تشهق ، و دمه تدفق ، و قلبه يخفق ،  
 و أنشأ يقول :

١٠ رأيت فتى أمسى يفارق قلبه أتصلح أحشاء بغير قلوب

أيا ليل أعاني هواك و هدتني و دائي أعبي طب كل طيب

٢٦ / ب / ثم إنه أعطاني أكتافه و ولى . قال : فقيت حائرا في أمره ، متعجبا

في فعله . ثم انصرفت يا أمير المؤمنين و أنا متفكر فيه و فيما أصاره

الهوى إليه . فتعجب أمير المؤمنين عد الملك مما سمع ، و خلع<sup>٣</sup> على خلعة

١٥ سنية ، و أجازني جائزة حسنة و صرفني .

قال إبراهيم بن عبد الله : خرجت إلى أرض بى عامر أطلب قيسا<sup>٤</sup>

(١) في الأصل : المتيمين .

(٢) في الأصل : رأوه .

(٣) في الأصل : اخلع . (٤) في الأصل : قيس .

المجنون ، فلما أتيت أرضهم ، استدلت على حيهم ، فأتته فاذا أبوه شيخ كبير وإخوته كهول ، فزلت عندهم وسألهم عن قيس المجنون ، فقال أبوه : لقد كان أبر أولادى حتى عشق جارية من بنات قومه يقال لها ليلي ، و كانت لا تطمع فى مثله ، فلما فشا أمره معها ، كره أبوها أن يزوجه لها ، فقتلها ' بحبها ، واعتراه الجنون لأجلها ، و خرج هائما على وجهه فى القفار ، و ألف الوحش و ألفتها ، و صار مجنونا بها ، و زوجها أبوها برجل من بى كلاب ، فحملها السكبي إلى أهله ، وبقى قيس فى القفر هائما بوجده ، و قد ألفه الوحش لطول مقامه بينها ، و ربما ذهب بعض إخوته بطعام فأبى أن يأكله ، و يتركه بعيدا منه ، تارة يأكله و تارة يتركه ، و يأكل من نبات الأرض و عشبها . قال إبراهيم : فقلت لهم : قصدى رؤيته . فمضوا معي ، فطفنا الجبال ، و كشان الرمال ، فبينما نحن سائرون <sup>٢</sup> ، و عليه دائرون <sup>٣</sup> ، إذ رأينا جالسا على تل عال من الرمل و الغزلان حوله ترتع ، و هو بالحصى يولع ، و قد حط على الرمل بأصبعه هذه الآيات :

ألا أيها القصاد يحوى ليعلموا بحالى و ما أصبحت فى القفر أصنع <sup>١٥</sup>  
ألم يعلموا أن القضا قد ألفتها و أن وحوش القفر حولي ترتع

(١) فى الهامش : فتوسوس .

(٢) فى الأصل : سائرين .

(٣) فى الأصل : دايرين .

و عيشك آتى حيلة غير أنى بلقط الحصى والخط فى الرمل مولع  
 ٢٦٨ / الف / و أن وحوش البر يأتلفون بى ذكور و أنثى ثم خشف و مرضع  
 وهذا مقامى فى الفلاة و وحدتى و عشقى ليلى للهموم بجمع  
 فلما رآه أبوه و إخوته على هذا الحال ، بكوا رحمة له ، و رقوا لحاله  
 ه و ما حل به من غرامه بليلى و ما صار إليه من الجنون ، بعد العقل  
 و السكون . فقال له أبوه : يا بنى ! و بلغ بك الحب إلى ما أرى و تركت  
 أهلك ، و أذهبت عقلك ، و سكنت القفار ، بعد المنازل و الديار ،  
 و رتعت مع الوحش النافر ، و لزمت الهواجر فى المحاجر ! و إن دمت  
 يا قيس على ما أنت عليه ضربت بك الأمثال ، و تحدث بأمرك النساء  
 ١٠ و الرجال ، و شاع ذكرك فى الأقطار و البلاد و المنازل ، و تحدثت بك  
 البنات على المغازل . فقال : يا أبت ! إن دام على هجر ليلى لأعدم  
 نفسى و قولى ، و قوتى و حولى ، و هذا كله قليل فى حب ليلى . فقال  
 له رجلان<sup>٢</sup> من القوم مازحان معه : ماتت ليلى و أنت بالحياة . فلما  
 سمع منهما ذلك ، صرخ صرخة عظيمة ، و وقع مغشيا عليه ، فلما أفاق  
 ١٥ أنشأ يقول :

أيا ناعيا ليلى أما كان واحدا<sup>٣</sup> من الناس ينعاها<sup>٤</sup> إلى سواكما  
 فلا عشتما إلا حليفا بليسة و لا متما حتى اشترى كفنكما

(١) نقلنا الكلمة من الشطر الأول للثانى .

(٢) فى الأصل : رجلين .

(٣) فى الأصل : واحدا . (٤) فى الأصل : ينعاها .

قال إبراهيم: فوثبت إليهما و شتمتهما و أوسعتها سبا ، و قلت : لا جزا كما  
الله خيرا ! ما كفاه ما هو فيه حتى أحزننياه و قلم : ماتت - وهي  
بالحياة ، لقد قتلناه . ثم إن المجنون مثل قبرا في الرمل و كنس حوله .  
و جعل يقول :

أيا قبر ليلى لا شأت و لم تزل      بلادك يسقيها من الوابل الديم  
ويا قبر ليلى إن في القلب غصة      تكاد الحشا منها على النار تضطرم  
ويا قبر ليلى كم جمال حيتته      و حسبك<sup>١</sup> منها من كمال و من كرم  
ويا قبر ليلى إن ليلى دفينته      بلحدك<sup>٢</sup> لا خال شهدا ولا ابن عم

/ ثم إنه تنفس الصعداء و أن كدا ، و شفق شهقة عظيمة ، و خفت أيبه ، ١٢٦٨  
و سكت حينه ، فأثبت لا حركة أو لأقيمه ، فوجدته قد قضى نحبه ، و لحق ١٠  
بربه . فلما بلغ ليلى موته بكّت و لطمت و صرخت و باتت تلك الليلة  
في بكاء و عويل ، و حزن طويل . فلما كان الصباح خمد حسها ، فأتوها  
فوجدوها قد ماتت ، فأتى أهل الحى لأبيها ، يعزونه فيها ، إذ سمعوا صوتا ،  
و لم<sup>٣</sup> يروا شخصا ، و هو يقول :

يا بنى عامر مضى العاشقان<sup>٤</sup>      و استراحا<sup>٥</sup> من دلة و هوان ١٥  
قد بكى الجن و الأناس لقيس      و بكته و حوش كل مكان  
إن يكونا في هذه الدار قاسوا      من بلاء<sup>٦</sup> الهجر و الأحزان

(١) نقلنا الكلمة من الشطر الأول للثاني .

(٢) في الأصل : و لا .

(٣-٣) نقلنا الكلمتين من الشطر الأول للثاني .



فهما اليوم في جنان من الخلد كريمة<sup>١</sup> عند ذى الغفران .  
 وقيل : كان مجنون ليلى من الصالحين المحبين لله تعالى ، و كان  
 هواه بليلى ستره لخاله . قال ابن الفارض في معنى ذلك :

فكل مليح حسنه من جمالها معار له أو حسن كل مليحة  
 بها قيس لبنى هام بل كل عاشق كمجنون ليلى أو كثير عزة  
 و يظهر للعشاق في كل مظهر من اللبس في أشكال حسن بديعة  
 في مرة لنى و أخرى بثينة و آونة تدعى بعزة عزت<sup>٢</sup>  
 و لسن أسواها لا ، ولا كُنْ غيرها و ما ان لها في حسنها من شريكه  
 و ليسوا سوائى<sup>٣</sup> في الهوى لتقدم على لسق<sup>٤</sup> في الليالى القديمة  
 ١٠ و ما القوم غيرى في هواى و إنما ظهارى<sup>٥</sup> بهم للبس في كل هيئة  
 ففي مرة قيس و أخرى كثير و آونة أبدو جميل<sup>٦</sup> تينة

(١) نقلنا الكلمة من الشطر الأول للثاني .

(٢) من هامش ديوان ابن الفارض ١/١٩٧ طبعة الأزهر ، و في الأصل :  
 عزة .

(٣) من هامش الديوان ، و في الأصل : ليس .

(٤-٤) من هامش الديوان ، و في الأصل : و لكن .

(٥) في هامش الديوان : غيرى .

(٦) من هامش الديوان ، و في الأصل : انسبق .

(٧) في هامش الديوان : طهرت .

(٨) من هامش الديوان ، و في الأصل : جمال .

تجلّيت [فيهم -<sup>١</sup>] ظاهرا واحتجبت با طنا [بهم -<sup>١</sup>] فاعجب لكشف بستره  
وما زلت إياها وإياي لم تزل ولا فرق بل ذاتي لذاتي أحببت  
إذا أسفرت<sup>٢</sup> في يوم عيد تزاحمت على حسنها أنصار كل قبيلة  
فأرواحهم تصوم لمعنى جمالها وأحداقهم من حسننها في حقيقة  
وعدي عيدي كل يوم أرى به جمال محيّاها بعين قريرة ه  
وكل الليالي ليلة القدر إن بدت<sup>٣</sup> كما كل أيام اللقا يوم جمعة  
/ وسعي لها حج به كل وقعة على ما بها قد عادل كل وقعة ٢٦٩  
وأي بلاد الله حلت بها فما أراها وفي عيني حلت غير مكة  
وأي مكان ضمها حرم كما أرى كل دار أوطنت دار هجرة  
وما سكنته فهو بيت مقدس بقرة عيني فيه أحشاي قرت ١٠  
ومسجدي الأقصى مساحب ردها وطبي ثرى أرض عليها تمشيت  
فليلى فيها كله<sup>٤</sup> سحر إذا سري<sup>٥</sup> [لى -<sup>١</sup>] منها فيه عرف نسيمة  
وإن طرقت ليلا فشهرى كله بها ليلة البدر انتهاجا بزورتي<sup>٦</sup>

(١) زيد من هامش الديوان .

(٢) من هامش الديوان ، وفي الأصل : سمعت .

(٣) في هامش الديوان : دنت .

(٤) نقلنا الكلمة من الشطر الأول للثاني .

(٥) من هامش الديوان ، وفي الأصل : كل .

(٦) من هامش الديوان ، وفي الأصل : بزورة .

وإن قربت دارى فعامى كله ربيع اعتدال فى رياض أريضة  
وإن رضيت غنى فعمرى كله زمان الصبا طيباً و'عصر الشبية'  
و فى بضع و أربعين و أربعمائة<sup>٢</sup> توفى المجنون البغدادي الذى رآه الشبلي  
عند جامع الرصافة يقول: أنا مجنون الله . فقال له الشبلي : لا تستر  
٥ و تدخل الجامع و تصلى ، فأنشأ يقول :  
يقولون زرنا و اقض واجب حقنا

و قد أسقطت حالى حقوقهم غنى  
إذا هم رأوا حالى و لم يألوا لها  
و لم يأنهوا منها أنفت لهم متى

١٠ مر القاضى بكار فى بعض الطرق ، فرأى مجنونا و الصبيان  
يصرونه بالحجارة . فقال القاضى بكار : كهوا عنه . فقالوا : إن هذا  
يزعم أنه رأى ربه . فقال : أحق ما قال هؤلاء ؟ فقال له : و أظنك  
من جملة الصبيان . فقال القاضى بكار له : إن كنت صادقا فمن أنا ؟  
قال : أنت بكار بن قتيبة الذى علقت قيود الناس فى عنقك . فحرك  
١٥ القاضى بكار رأسه و بكى و مصى و تركه - انتهى .

فلندكر الآن ما قيل فى شرح حال سمنون المحب إن شاء الله تعالى -  
[قال له قومه - ٢] : يا سمنون ! المحبة نار تذيب العواد ، و تفتت الأكباد ،

(١-١) من هامش الديوان ، و فى الأصل : عطرا لشبية .

(٢) سنة ٤٠٤ هـ يقابلها ١٠٤٨ - ١٠٤٩ م .

(٣) زيد لاستقامة العبارة .

و تسلب الرقاد ، و تحرق الأجساد ، و تلعب بالعقول ، و تدمر العقول ،  
 فان كنت كما تقول ، فأين الذبول ؟ و أين النحول ؟ فلو كان قلبك  
 محزون ، و جسدك بنيران السقم مرزون ، / لما رجحت بالسمن حتى ٦٩  
 سميت سمنون ، فهلا كنت في القياس كقيس المجنون ، الذي باح  
 بسره المكنون ، حتى سمي بالمجنون ؟ فقال : يا قوم ! الحديث شجون ، ه  
 و الجنون فنون ، و ما كل محب على الحقيقة مأمون ، ذلك حب من  
 هو في المحبة مغبون ، و بعشقه مفتون ، تارة يشبه حبيبه بالغصون ، و تارة  
 يمثله بهلال العرجون ، و تارة يحليه بالغزال في العيون ، و أقوى ما يصفه  
 بالحاجب المقرون ، و نسي " ابنك ميت و انهم ميتون " فلا عجب لمن  
 رضى بالدون ، و وصف حبيبه بالحركة و السكون ، أن يقال له مجنون ، ١٠  
 " فستبصر و يبصرون بايكم المفتون " و أنا الذي أحبت وحداني ، و ألقت  
 ورداني ، و هويت من ليس له ثاني ، إن تقربت ناجاني ، و إن بعدت  
 ناداني ، و إن ظمئت أسقاني ، و إن جمعت غذائي ، فغذاؤه الروحاني ،  
 صالح به خياني ، و لطفه الرباني ، هو الذي رباني ، غذيت بذكره ،  
 و ريت سره ، فقلبي بحبه يسمو ، و جسدي بقرنه ينمو ، و متى صحت ١٥  
 القلوب ، صحت القوالب ، و متى عطف المحبوب ، كان الشفاء غالب ،  
 و قد خلعت رداء السمن ، و شفاء البدن ، سترنا على سره المؤمن ،  
 و طويت عليه قلبي المرتهن ، فلا يعلم من و لا لمن .

فان لم أكن في حبه سمينا فليست على سره أمينا<sup>٢</sup>

(١) في القطعة السابقة مثل واضح من أمثلة إعراف النويري في السجع المصطنع.

(٢) هذا البيت مكسور .



أما والذي عذب العاشقيننا لقد أخذ الحب مني يمينا  
فلو أن مستخيرا قال لي تريد الشمال لقلت اليمين  
ولو باع سرى بأسراره لما كنت يوما لسر أميننا  
يغالطني القلب صونا له وفي القلب مثواه حقا يقينا  
ه أسألك بالله أين الحبيب ليجلو<sup>١</sup> صدى القلب<sup>٢</sup> بالله أيننا  
و أبدى حنيننا لفرط الجوى وأخفى صوتي ألى الحنيننا  
أستر بين الورى حالتي وأدفن في القلب داء دفينا  
و أبدى سرورا إذا ما حضرت وفي الليل أبدى الحوى والآنينا  
٣١/ الف / يلام الحزين على حزنه وما يعرف الحزن إلا الحزينا  
١٠ وكيف يلام وأحشاؤه على جمرات الأسى قد طوينا  
يودع عينه<sup>٣</sup> طيب الكرى ويستودع الله قلنا رهينا

وقال الشيخ أبو العباس بن العريف:

ألا قل لمن يدعى حبنا و يزعم أن الهوى قد علق  
ولو كان فيما ادعى صادقا لكان على الغصن بعض الورق  
١٥ فأين النحول وأين الذبول وأين الغرام وأين القلق

(١) في الأصل: ليجلو .

(٢) في الأصل: للقلب .

(٣) في الأصل: عيننا - كذا .

و أين الخضوع و أين الدموع      و أين السهاد و أين الأرق  
 أين الخائضون بحور الهلاك      إذا لمعت ناره في الغسق  
 فهم شاخصون إلى صوئها      وقد أهدقوا بحوها بالهدق  
 فأتوا على قدر أحوالهم      فهم في الوصول إليها فرق  
 فقوم على البعد في ضوئها      يسرون في واضحات الطرق ٥  
 و قوم أتوا يخطون الوهاد      إليها بقطع جميع العلق  
 إلى أن تبدى لهم لائح      من<sup>٢</sup> الوجد أبدى كمين الحرق  
 فغابوا عن الواحد عند الوجود      و كل إلى نحوها مستبق  
 فأين و لا أين حيث انتهوا      و كيف و أكبادهم تحترق  
 فما رحوا خائضى لئها      و أمواجه حولهم تصطفق ١٠  
 إلى أن ترم حاديهم      بيتين<sup>٢</sup> قالها من سبق  
 تولع بالعشق حتى عشق      فلما استقل<sup>٣</sup> لم يطق  
 رأى<sup>٣</sup> لجة ظلها موحدة      فلما توسط فيها غرق  
 فخطوا إحمال مراسيهم      و غطوا فغطاهم و ابطبق

روى أن الجنيد قال : مت ليلة عند حالي سرى السقطى . قال : فلما ١٥  
 صلى سرى ورده ، استند في محرابه فنام ، ثم أفاق فقال : يا جنيد !

(١) كذا في الأصل ، و ربما كانت « و أين » .

(٢) نقلنا الكلمة من الشطر الأول للثاني .

(٣) في الأصل : راوا .

[ أأنت أم يقظان ؟ فقلت : بل يقظان . فقال : يا جنيد - ١ ]

رأيت في المنام الحق سبحانه و تعالى ، فقال لي : يا سرى ! فقلت :

ليكن سيدى و مولائى ! فقال : لما خلقت الخلق قلت لهم : ادعوا محبتى .

و عرضتهم على الجنة ، فهرب منى تسعة أعشارهم ، و بقى العشر ، فجزأت<sup>٢</sup>

٥ ذلك العشر عشرة أجزاء ، تم عرضتهم على النار ، فهرب منى من

خوفها تسعة أعشارهم ، و بقى عشر العشر ، فجزأت<sup>٢</sup> العشر الثانى أجزاء ،

٢٧٠ / ب و عرضتهم على الدنيا ، / فطلبها تسعة أعشارهم ، و بقى عشر عشر العشر

فجزأت<sup>٢</sup> العشر الثالث عشرة أجزاء و سلطت عليهم من البلاء وزن

درة ، فهرب منى تسعة أعشارهم ، و بقى عشر عشر العشر ، فقلت

١٠ للباقى : يا خاصتى ! لا إلى الجنة طلبتم ، و لا من النار هربتم ، و لا فى

الدنيا رغبتم ، و لا من البلاء فررتم ، فما الذى تريدون ؟ قالوا : إلك

لتعلم ما نريد ، ما نريد أحدا سواك ، فقلت لهم : إذا كنتم لا تريدون

سواى ، فوعزنى و جلالى لأصبن عليكم البلاء صا ! قالوا : إذا كنت

مبتليا فاصنع ما شئت ! يا سرى ! أولئك الذين دارت عليهم كأسات

١٥ أشربة الولاية فأسكرتهم ، و تلقتهم سيوف الرهبة فذبحتهم ، و نسفت

عليهم رياح المحنة فأنعشتهم . قال الحيد : ثم خر السرى مغشيا عليه .

فلم يوفق إلى صلاة الفجر - انتهى .

(١) الجملة المحجوزة ساقطة من الأصل و واردة بالهامش بخط المراجع .

(٢) فى الأصل : بفجزيت .

[ ولاية صلاح الدين بن عرام الإسكندرية -<sup>١</sup> ]

فلرجع إلى ذكر ولايات ملوك الأمراء بالإسكندرية ، ذكر ولاية ملك الأمراء صلاح الدين بن عرام الإسكندرية ، ولمع من أخباره المرضية .

وفي اليوم السادس والعشرين من شعبان سنة سبعين وسبعائة<sup>٢</sup> هـ ورد مرسوم السلطان الملك الأشرف شعبان<sup>٣</sup> من القاهرة إلى الإسكندرية بطلب ملك الأمراء طيدمر البالى ليصير في خدمته ، و ولاية صلاح الدين خليل بن علاء الدين على الشهير بابن عرام عوضه بالإسكندرية . وكان قبل ذلك حاجب الحجاب بها . و زوج بنت ملك الأمراء طيدمر ، ففرحت بولايته أهلها لارتفاع منزلته ، و علو رتبته . فقلت في الوقت ١٠ والساعة : أياتا مرعة أمدحه بها وهي :

ملك الأمراء .	كهف الفقرا .	بشرى بشرى .	حقا يقين
نلت التمكين .	بطول سنين .	صلاح الدين .	حميت الدين
/ وإلى عرام .	نسنت ديام .	طول الأعوام .	بمر سنين
١ / ٢٧١			
إن السلطان .	له الإحسان .	على الإنسان .	صلاح الدين ١٥
ولاه الشجر .	أقام الأمر .	عداد الجمر .	و كالسكين

(١) العنوان مشتق من مقدمة النص ، وليس بالهامش .

(٢) يقابله ١٥ مارس سنة ١٣٦٩ م .

(٣) انظر حاشية سابقة و راجع الفهارس .

(٤) في الأصل : السعة .



على الكفار . بلا إنكار . \* حفظا للدار . ونصر الدين  
 إن الأمرا . لما ذكرنا . \* آتوا<sup>١</sup> خبرا . عليه متين  
 فعلا ورقا . كالغصن رقا . \* فسقى غدقا . ظمأ المسكين  
 بذل المعروف . جبر الملهوف . \* صرف المصروف . نقدا يمين  
 \* ويمد قراه . إلى فقراه . \* انظر وتراه . للخير يعين  
 جازاه الله . برحمته . \* سكنى الفردوس . بعلمين  
 فأقام ملك أمراء يحكم بالإسكندرية<sup>٢</sup> البيضاء السنية ، التي قال فيها  
 بعض راصفيها هذه الآيات :

أرى الإسكندرية ذات حس بديع ما عليه من مزيد  
 ١٠ هي الثغر الذي يبدى ابتساما لتقبيل العقا من الوفود  
 إذا وافيتها لم يسق مما بقلبك مذ تراها من بعيد  
 من الهم الذي [قد -<sup>٣</sup>] خفت منه وقلبك منه في أمر شديد  
 حلت بظاهـر منها كأي حلت إذا بجـمات الخلود  
 فلا بئر معطلـة وكم قد رأيت<sup>٤</sup> هناك من قصر مشيد  
 ١٥ يياض يملأ الآفاق نورا يبشر برقه سحاب جود

(١) في الأصل : آتوا .

(٢) زيد بعده في الأصل : الديه الملغية - كذا .

(٣) ليس في الأصل .

(٤) نقلنا الكلمة من الشطرانـذول الثاني .

فأقسم لو رأتها مصر يوما لكادت أن تغيب عن الوجود  
 فكم قصرا<sup>١</sup> بها أضفى كحسن منبع لا كزرب من جريد  
 يرص فصوصه بانيه رصا يفضله على نظم العقود  
 لها سور إذا لاقى الأعادي يقابلهم بوجه من حديد  
 هو الفلك استدار بها<sup>٢</sup> أو كم قد<sup>٣</sup> رأينا<sup>٤</sup> [فيه - ٣] من برج سعيد  
 أحاط بسورها بحر أجاح ومهل أهلها عذب الورود  
 هم السادات لا يرجى ويخشى سوام عند وعد أو وعيد  
 فانظر كيف مدحت الإسكندرية وأهلها أيضا، ثم إنهم ما سلخوا  
 من هجو هاج، كما قال بعضهم تورية حيث قال :

نزىل سكندرية ليس بقرى سوى<sup>٥</sup> بالماء أو ظل السوارى  
 / ولا تطمع بنظرة حرف خبز فما فيهم لذاك الحرف قارى  
 / ٢٧١  
 والإسكندرية مدينة عظيمة من بلاد مصر، بناها ذو القرنين، وهو  
 الذى سار مشارق الأرض ومغاربها. وأول أمره أنه غلام من الروم  
 أعطى ملكا، وسار حتى أتى ساحل البحر الملح من أرض مصر، فابتنى بها  
 الإسكندرية. وكان يكتب إليه التاريخ قبل الإسلام، وكان مؤدبه  
 أرسطاطاليس الحكيم - وقد تقدم ذكرهما وأخبارهما، فأغنى عن إعادتهما.  
 وكان مدة ملك الإسكندر الذى بلغ المشرق والمغرب خمسة عشرة سنة.  
 ولما بنى الإسكندرية رخمها بالرحام الأبيض حدرها وأرضها. وكان

(١) فى الأصل : قصر .

(٢-٣) نقلنا الكلمتين الأولىين للشطر الأول .

(٣) ساقطة من الأصل .

(٤) نقلنا الكلمة من الشطر الأول للثانى .

لباس أهلها السواد من فصوع يابض الرخام . وإذا كانت ليلة مقمرة يدخل الخياط الخيط في خرم الإبرة من يابض رخامها . وقيل : إنها أقامت سبعين سنة لا يدخلها أحد إلا وعلى بصره خرقة سوداء من يابض رخامها . ولم يحتج فيها إلى سراج بالليل من ضيائها<sup>١</sup> . وقيل : كانت ثلاث مدن يحيط بها سور .

وقال ابن جبير<sup>٢</sup> : ما شأها بلدا أوسع مسالك ولا أعلى مبنى ولا أعتق ولا أصقل من الإسكندرية ، وأسواقها في نهاية الاحتفال ، ومن أعجب ما في وضعها أن بناءها تحت الأرض كبناها فوقها وأعتق ، لأن الماء إذا جاء من النيل خرق جميع ديارها وأزقتها تحت الأرض ، فتصل آبارها بعض ، ويمد بعضها بعضا ، وفيها من سوارى الرخام والواحد كبرا وعلوا واتساعا وحسنا ما لا يتخيل الوهم ، حتى أنك تلقى بعض سواريتها بغص بها الجوصودا ، لا تدري معناها ، ولا لاي<sup>٣</sup> ٢٧١ / الف [شيء - ] وضعت إلا ما يتحدث أنه كان عليها في القديم / بناء للملاسة - وقد تقدم في هذا الكتاب ما قيل في الإسكندرية وصفة بائها ومنازلها ١٥ وعجائبها ، فأغنى عن إعادتها هنا .

وبظاهر الإسكندرية موضع يعرف بالقصرين في أرض رمل ، وهو مكان نزهة تجتمع به في الصيف أهل الإسكندرية ، يتزهون به ، قال بعضهم :

(١) في الأصل : ضيائها .

(٢) الرحالة والجغرافى الأندلسى ولد سنة ٥٤٠ هـ / ١١٤٥ م ، ومات سنة

٦١٤ هـ / ١٢١٧ م .

(٣) ساقطة من الأصل .

(٤) في الأصل : ما كان .

سلام على القصرين من جانب الرمل

سلام مشوق للديار وللأهل

يحن إليها كلما هبت الصبا

ويشتاقها شوق المحب إلى الوصل

مازل قوم شنت الدهر شملهم

وكم مثلهم قد شنت الدهر من شمل

نمر كما مروا وبقى حديثنا

وكم مر من قوم وكلهم مثلي

وإني لأبكي حسرة وتأسفا

على كما أبكي على من مضى قلبي

لئن درست آثارهم وديارهم

فقد درست من بعدهم آية الفضل

- انتهى -

نعود - فصارت الإسكندرية بتولية ملك الأمراء صلاح الدين

كالروضة الخصرة، والحديقة الضرة . قد وقع الصلح بين المسلمين ١٥

والفرج في أيامه، وطاب العيش بطول مقامه، فوصل إحسانه لأهل

الشعر من العلماء و الفقراء والقراء، وصادت أسمطه ممدودة لمشايخ

الصالحين و الفقراء، واحتهد في جمع تاريخ جديد، حوى كل معنى

فريد، فجاء حسن التاريخ، وارتفع قدره كارتفاع المرنج، محتوي على ذكر

(١) في الأصل: الأهل .



الخلفاء ، والقضاة و الفقهاء ، والمقرئين و المحدثين و الصوفيين ' و الأدباء  
و الشعراء ، فما ذكر فيه من الشعر قول بعضهم حيث قال :

يا أيها السائل عن مذهبي      ليقتدى منه بمنهاجي  
منهاجي العدل و قمع الهوى      فهل لمنهاجي من هاجي

ه و في أيامه أتى إلى مينة الإسكندرية قازان الجنوى ، فلنذكر خبره

ب كما تقدم ذكره إن شاء الله تعالى - قد تقدم / في هذا الكتاب <sup>٢</sup> خبر  
سفر قازان الجنوى من الإسكندرية بعد قدومه إلى مصر في الرسالة <sup>٣</sup> ،  
بسبب إتيانه من أرض الفرج بجميع أسارى الإسكندرية ، و ذلك بعد  
أن ضمنه بالعودة بهم تجار الفرج المسجونون بالقاهرة ، كما تقدم ذكر  
١٠ سبب سجنهم ، ليتخلصوا بعد رجوعهم بالأسارى المسلمين من ضيق  
السجون .

فلما سافر قازان المذكور ، غاب ثلاثة أشهر ، و أتى إلى مينة  
الإسكندرية ثلاثة أغربة ، ولم يأت معه فيهم سوى دون العشرين أسيرا  
و أسيرة ، فيهم قاصى مدينة أنطاليا \* الماسور بقبرس من حين أن ظهر

(١ - ١) في الأصل : و المقرئون و المحدثون و الصوفيون .

(٢) انظر ما قبل من هذا المجلد صفحة ٢٧٧ و ما يتلوها و راجع المهارس .

(٣) بمعنى السفارة .

(٤) في الأصل : المسجونين .

(٥) أنطاليا وردت في « معجم البلدان » لياقوت ( ج ١ ص ٣٨٨ ) بلد كبير

على ساحل بحر الروم قرابه أنطاكية .

بها رهبر بطرس صاحب قبرس ، و ذلك قبل ظهره بالإسكندرية ،  
كما تقدم ذكره . فأقام قازان بالأسرى في البحر ، ولم ينزل بهم البر ،  
و امتنع هو أيضا من النزول . فقبل له : انزل من غربانك ، و امض  
إلى السلطان بلغه الرسالة التي سافرت بسببها . فامتنع من ذلك . فقبل :  
انزل بالأسارى التي استصحبتهم معك . فقال : أعطوني تجار الفرج ٥  
و غلمانهم ، و خدوا ما معى من أسارى المسلمين . و طولع السلطان  
بوصوله و مقالته ، و عدم بروله من مراكبه . فورد المرسوم الشريف  
بأن ينزل و يبيع رسالته إن كان أتى رسولا . و إن كان تاجرا يبيع  
و يشتري ، و إلا يرجع من حيث أتى . فلما قرئ عليه مرسوم السلطان  
تخير في أمره ، و لم ينتفع بمكره . فقال لقاضى أنطاليا الأسير الذى أتى ١٠  
به : أرسل و اطلب من قاضى قضاة المسلمين عمامة تتعمم بها . فأرسل  
مع المكلمين الدين يأتون لقازان فى كل يوم بالضيافة ، يطلب منه عمامة  
يستر بها رأسه لعدمها على رأسه ، [ فلم يرسلها المسلمون - ١ ] نكابة فى  
قازان . فقال قازان : نخلوا عليه بعمامة يتعمم بها ، و أنا و رنت لصاحب  
/ قبرس فيه أربعة آلاف دينار ليصير عند قضاة المسلمين . فلما بلغ قوله ١٥ ٢٧٣ / الذ  
ذلك لملك الأمراء صلاح الدين ، أرسل يقول له : خد فيه الزيادة على  
ما ذكرت ، و انزل به بكسوة أجل الكساوى ، و نولي الحكم و نفعل به

(١) العبارة ساقطة من الأصل ، و احتمال و حودها بهامش المخطوط ، أضفناها

لاكتمال السياق .

كل فعل جميل ، تخاف قازان الملعون إن هو نزل به تكلم عند السلطان بما لا يعجبه من مكره وحيله "التي أتى بها" ليخلص أصحابه الفرنج . و كان امتناع قازان أيضا من النزول من مراكبه خوفا على نفسه من الأسر ، وأنه لا يعود يرى بلاده أبدا لكذبه وعدم إتيانه ه بأسارى الإسكندرية الدين<sup>٢</sup> كان [تعهد -<sup>٣</sup>] بحضورهم بأجمعهم . و الملعون كبير فى بلاده ، له فيهم الأمر و النهى و التقدمة على عشرة آلاف مقاتل كما قيل .

وقيل أيضا : إنه كان السب فى أخذ مدينة القرم ؛ بأرض التركية من أهلها المسلمين ، نهبا و سى ما قدر عليه من أهلها . فحينئذ انضرب ١٠ الملعون فى رأسه حين منع<sup>٤</sup> المسلمون إرسال عمامة لقاضى مدينة أنطاليا . و كان زعمه أن يأخذ به جميع أسارى النصارى التى بأيدي المسلمين لمعزة القصة عليهم ، و خاف أن يرجع إلى ملوك النصارى الذين<sup>٥</sup> التزم لهم بخلاص تجارهم من أيدي المسلمين بمكايده التى زعم بها أن

(١ - ١) فى الأصل : الذى أتى به .

(٢) فى الأصل : الذى .

(٣) الكلمة ساقطة من الأصل و هى لارمة من السياق .

(٤) مستعمرة cafa الجنوبية واقعة على بحر آزوف المتفرع من البحر الأسود فى جنوب روسيا .

(٥) فى الأصل : منعت .

يخلصهم منهم ، فيلومه<sup>١</sup> ملوك النصرانية ، ويجزوا رأيه وسعيه فيما نهض فيه ، ولم يصعد معه [ أحد -<sup>٢</sup> ] ، فحار فكر الملعون فيما ذا يفعل ، وكان قد أتى بالثلاثة أغربة فيها رجال الحرب ، خشية من محاربة المسلمين له إذا امتنع من النزول منها ، فيجد معه من يستنصر بهم من رجاله . فأقام مدة شهر في المينة ، والضيافة تأتي إليه في كل يوم ٥ من الإسكندرية تطمينا له لينزل من مراكبه ؟ وكلما سئل في النزول يمتنع منه / خوفا على نفسه ، فلما يئست المسلمون من نزوله ، قالوا له : وأين أسارى الإسكندرية الذين ادعيت إحضار ألف أسير منهم والتزمت بذلك . قال : وحدتهم قد تنصروا ، وما في الديانة أن يؤمروا بترك ما اختاروه لأنفسهم ، ولا يجبروا على رجوعهم للإسلام ، ١٠ فان رجعوا باختيارهم عن دين النصرانية يقتلوا في شرع الملة المسيحية ، فقال<sup>٣</sup> المسلمون له : وكذلك تجار النصارى الأسارى ، أسلبواهم وغلبانهم ، وما في الديانة أن يؤمروا بترك دين الإسلام ، ويعودوا لعبادة الصليبان والأصنام ، فان ارتدوا يكون ارتدادهم سببا لعقابهم و ضرب رقابهم .

١٥

فلما سمع قازان ذلك ضلت مكايده ، وعميت سبله ، وضاعت

(١) في الأصل : فيلومه .

(٢) ليست بالأصل ، وذكرها لازم لا كتمال الجملة والمعنى .

(٣) في الأصل : فقالت .



حيلة . ثم إن مرسوم السلطان ورد بالقبض على رجاله الذين ينزلون من مراكبه في كل يوم يتسوقون من الإسكندرية ما يحتاجونه من الهدايا التي يحملونها معهم إلى بلادهم ، و يحتمون أيضا على بضائع تجار الهرنج المأسورين بالقاهرة المخروقة بفنادق الإسكندرية . و قبض على أربعين علجا ٥ من أصحاب قازان ، فلما علم قازان بقبض رجاله و منع الضيافة عنه بجارى عادته ، رجع بالخيمة مقهورا مدحورا ، و رجع بالأسارى معه ، إذ لم تنجع له حيلة ، و لا صحت معه مكيدة .

فلما كان بعد رجوعه إلى بلاده مدة قريبة ، قدم غراب<sup>١</sup> من قبرس إلى مينة الإسكندرية ، فطلب منه صاحب قارب الخيمة نزول واصله ١٠ من الهرنج على جارى العادة يخبر بما أتوا بسبه . فقالوا له : إن معنا رسلا<sup>٢</sup> ، و معنا أيضا الأسارى التي رجع بهم قازان ، و إن رير بطرس صاحب قبرس قُتل ، و ولى الملك بعده أخوه البرنز<sup>٣</sup> ، و نادى بالآمن و الأمان ، و حصلت التهاى بقتل رير الذى ألقى اللاد ، و أهلك العباد . و قال الملك البرنز<sup>٤</sup> : أبا غلام ملك مصر و مملوكه ، و يريد أن تأتوا ١٥ بسورة<sup>٥</sup> تأخذون<sup>٥</sup> فيها قاضى أنطاليا و الأسارى التي بصحته ، فان الملك

(١) في الأصل : عرابا .

(٢) في الأصل : رسل .

(٣) في الأصل : البريز . و الكلمة من الأصل الفرنجى Prince

(٤) راجع موضوع السمن ( ج ٢ ص ٢٣٥ ) .

(٥) في الأصل : تأخذوا .

غضب على قازان بسبب / رجوعه بأسارى المسلمين إلى قبرس . فرجع ٢٧٤ / الف  
صاحب قارب الخيمة لملك الأمراء صلاح الدين بلغه ما قيل له . فقال :  
ارجع إليهم و قل لهم : إن كان معكم أسارى كما ذكرتم ، فارموهم  
بأرض النار يأتوا إلينا مشاة على سيالته . فرجع إليهم صاحب قارب  
الخيمة ذكر لهم ذلك ، فلم يرموا غير رجلين مسلمين ، ذكر ملك الأمراء ه  
أنهما استسرا من جهة بلد طرسوس بالشام ، فعوقها ملك  
الأمراء عنده .

فلما كان في اليوم الثاني من قدوم الغراب المذكور قدمت مركب  
من الشام ، فلما رآها<sup>٢</sup> أصحاب الغراب ، خرجوا إليها ، و زحفوا عليها ،  
قاتلوا أهلها المسلمين<sup>٣</sup> ، و أخذوها بوسقها و رجالها ، و مضت النصارى ١٠  
بها ، فعلم مكرهم و حيلهم . فأمر ملك الأمراء عند ذلك بسفر الأربعين  
علجا - و هم أصحاب قازان - إلى القاهرة في السلاسل و الأغلال ، مشاة  
حفاة ، معهم الرحلان اللدان ادعيا الإسلام ، و ترك ملك الأمراء  
بسجن الإسكندرية أرناط بن مراك البندقى<sup>٤</sup> و أسلبن قنصل الجنوية ، يستعين  
بهما على من يأتى من الإفرنج إلى مينة الإسكندرية لمعرفة لغتهما باللغة العربية ١٥

(١) في « البستانى » ( ج ١ ص ١١٧٧ ) « انعطاف في البحر حيث يميل » و في

دورى ( ج ١ ص ٧١٤ ) Tuyau de descente .

(٢) في الأصل : رأوها .

(٣) في الأصل : المسلمون .

(٤) راجع الفهارس تحت هذه الأسماء .

لينزلوا من مراكبهم عند رؤيتهم لها .

ثم إن البحر قذفت أمواجه رجلين مسلمين و امرأة مسلمة إلى الساحل قتلى من أصحاب مررب الشام المأخوذة ، فلم أنهم لم يسلبوا أنفسهم للأسر إلا أن قتلوا بعد أن قاتلوا ، فرزقوا الشهادة ، وختم لهم السعادة ، فطولسع السلطان بما فعل أصحاب الغراب المذكور ، فبرزت مراسيمه إلى الشام بالقبض على كل من فيه من تجار الفرج و غلمانهم ، فقص عليهم و على أموالهم ، و أودعوا السجون في القيود .

ثم لما كان يوم الأربعاء سادس ذى الحجة من السنة المذكورة ، ورد إلى مينة الإسكندرية الشرقية ثلاثة أغرية كبيرة المقادير و طريدة<sup>١</sup> ب / ١٠ كبيرة و سلورتان<sup>٢</sup> ، ذكر بعض التركان الذين أتوا من بر التركية / تجارا إلى الإسكندرية أن سنجوان دمرف<sup>٣</sup> القيرسى أتى<sup>٤</sup> بها فيها ألف عالج ، و هذا سنجوان دمرف المذكور هو ابن ريوك<sup>٥</sup> صاحب قبرس الذى رزقه من امرأة بوطا<sup>٦</sup> ، و البوطا بلغة الإفرنج هى الفاجرة التى كانت

(١) طريدة - انظر ما قبل موضوع السفن ( ج ٢ ص ٢٣٣ ) .

(٢) ثنية سلورة - انظر حاشية سابقة ، راجع الفهارس ، وفى الأصل : سلورتين .

(٣) و هو Jeon de Marf راجع ما قبل ( ج ١ ص ٨ حاشية ٣ ) و انظر الفهارس .

(٤ - ٤) فى الأصل : بهم فيهم .

(٥) الملك هوج Ray ugo - راجع الفهارس .

(٦) راجع ما قبل ( ج ١ ص ٨ ) و انظر الفهارس .

عند ربوك يزانيها قبل أن يرزق من زوجته أولاده : ربي الذي ظفر  
 بالإسكندرية و البرنز<sup>١</sup> و جاكك المذكور في أول هذا الكتاب<sup>٢</sup> .  
 فكان سنجوان دمرف ولد زنى ، و أولاد الزنى عند النصارى  
 لا يكونون<sup>٣</sup> ملوكا أصلا ، و لا يكون ملكا إلا من كان أبوه ملكا و أمه  
 حرة بنت ملك ، كل القسيس عليها لزوجها الملك في الكنيسة بالإكليل<sup>٥</sup>  
 الموضوع على رأسها ، و يتسلمها زوجها من القسيس<sup>٦</sup> محضر من القسيسين  
 و الرهبان بعد أن قرأ<sup>٧</sup> عليها سورا من مزامير داود و الربور و الإنجيل .  
 و أما نصارى الحبوش فالزنى عندهم محرم ، و من زنى قتل ، فهم يمتنعون  
 منه خوفا من القتل ، و لهم نهر يجرى يقال له فوج ، تأتي بناتهم و نسوتهم  
 إليه يستقون منه الماء بجرارهم ، و يأتيه العزاب ، فكل من كسر منهم<sup>١٠</sup>  
 جرّتها [ كان روحها بحكم سلطانه و سنة بلادهم ، فيمضى بها إلى الكنيسة  
 عند القسيس ، يزوجه لها بعد<sup>٨</sup> ] أن يقول : أنت كسرت حرّتها عند الفوج .  
 فيقول : نعم ، و تصدقه هي في ذلك فيمضى بها إلى منزله و لا يفارقها  
 و لا تفارقه إلا بالموت ، و الذى يده يدها . و الذى يدها يده ،  
 فكل نساء النصارى عندهم نديات الوحوه ليعلم الزوج بمن<sup>١٥</sup>  
 يتزوجها - انتهى .

(١) في الأصل : البريز انظر حاشية سابقة .

(٢) انظر نفس المكان بالحواشى السابقة و راجع الفهارس .

(٣) في الأصل : لا يكونوا .

(٤) في الأصل : قرى .

(٥) الجملة المحصورة - اقطعة من الأصل ، و وردت في الهامش بخط المراجع .



نعود - فلما أتى سنجوان دمرف ولد الزنى بغربانه وطريدته والسلورتين  
يستقون بها في مينه اسكندرية الشرقية ، فلم يأت منها إلى الساحل خبر ،  
ونزل جماعة منهم ساحل الممار ، فسار إليهم على سيالة المنار بهاء الدين  
أصلان الحاجب بأحناده ، فلما رأتهم الفريج الذين بساحل المنار قاصديهم<sup>١</sup>  
٥ رموا عليهم بالسهم ، فرمى الحاجب هو وجنده عليهم أيضا بالسهم ،  
أذهلوا عقولهم بها بتواتر الرمي ، فتأدروا هربا في قواربهم إلى غربانهم ،  
/ الف حصلوا بها . فلما كان وقت العصر أرسلوا قاربا / إلى القرب من  
الساحل ، فيه جماعة من الفريج ، قالوا لمن بالساحل من المسلمين المعتدين  
لحربهم : إن معنا كتبنا للسلطان نعطيها لكم ترسلونها له ويريد جوابها .  
١٠ فقال المسلمون : هاتوها . فقالوا : في غداة غد نعطيها لكم . فقال<sup>٢</sup> المسلمون  
لهم : كيف يكون معكم كتب للسلطان ورمىتم على المسلمين بالسهم ؟  
فقالوا : حقا منكم عند إتيانكم إلينا ، توهمنا أنكم حتم تأسرونا . فقال المسلمون :  
وما تريدون الآن ؟ فقالوا : نريد الأكل والشرب ، وفي غد ندفع إليكم  
الكتب . فقال<sup>٣</sup> المسلمون . إذا دفعتم إلينا الكتب أطعمناكم وسقيناكم بعد أن  
١٥ تعطونا بكل قرية ماء وحلا منكم يكون عندنا تصديقا لمقاتلكم ، ورسل إليكم  
في كل يوم الضيافة إلى أن يأتي جواب كتبكم . فرجعوا إلى غربانهم ، أخبروا  
بذلك أصحابهم ، فباتوا و بات<sup>٢</sup> المسلمون على الساحل مستيقظين ، ولحربهم

(١) في الأصل : قاصديهم .

(٢) في الأصل : فقالت .

(٣) في الأصل : باتت .

متأهبين . فلما كان سحر يوم الخميس سابع ذى الحجة ، انتظرهم<sup>١</sup> المسلمون  
يأتونهم بالكتب ، فلم يأت منهم خبر . فبينما هم كذلك ، وإذا بهم قد  
رفعوا مراسيهم ، وخرجوا من المينة الشرقية .  
وكان بالمينة الغربية المعروفة ببحر السلسلة<sup>٢</sup> قرقورة فارغة و غراب<sup>٣</sup>  
و سلورة للمسلمين . فقال<sup>٤</sup> المسلمون عند جدفهم لغربانهم و طريدتهم : ه  
إهم قد ذهبوا إلى حل سيلهم ، و كفانا الله شرهم . فقال الرئيس  
إبراهيم التاري رأس دار صاعة الإسكندرية المتقدم ذكره : ليسوا<sup>٥</sup>  
و الله راحلين عنكم ! و إنما هم قاصدون<sup>٦</sup> بحر السلسلة سبب القرقورة  
و العراب و السلورة . فلما حرحوا من المينة الشرقية ، تركوا صدر البحر ،  
و عطفوا طالبين المينة الغربية . فلما عاينهم<sup>٧</sup> المسلمون نحوها منعطفين<sup>٨</sup> ، ١٠

(١) في الأصل : انتظرتهم .

(٢) بحر السلسلة سمي كذلك لإعلاق مدخله بالسلاسل ليلا ، و هو في العصور  
الوسطى الميناء الغربية بخلاف ذلك في العصر الحديث حيث السلسلة شبه الجزيرة  
المحيطة بالميناء الشرقية - راجع العهارس .

(٣) في الأصل : و عرابا - راجع العهارس في موضوع السمن .

(٤) في الأصل : فقالت .

(٥) في الأصل : ليس .

(٦) في الأصل : قاصدين .

(٧) في الأصل : عاينتهم .

(٨) في الأصل : منعطفون .

حققوا قول الرأس إبراهيم ، ولسان حالهم يقول :

ولا بد أفا بكم فلتقى فاما علينا وإمالنا

٢/ب / ثم إنهم تهيأوا<sup>١</sup> لقتالهم ، وحر بهم و نزاهم ، فحصلوا المجانيق بأحجارها ،

و هياؤا المدافع للرمى بها ، و صعدت<sup>٢</sup> القواد<sup>٣</sup> و الرماة الجرخ إلى

٥ القرقورة ، و صعد إبراهيم التازي<sup>٤</sup> الغراب هو و رجاله ، و صعدت

أيضا القواد<sup>٣</sup> [ و - ° ] الرماة الخرخية بقسيهم المنكية إلى السلورة ،

و تعمر جهة السور بالرماة ، و وقعت الرماة المجردة و الأجناد و التركان

المركزة على الساحل ، و في المطرق<sup>٦</sup> المتقدم ذكر عمارته بقسيهم العرية ،

و تستر<sup>٧</sup> الرماة المتطوعة بطوارقها على ضفة البحر يرمون من جوابها

١٠ بسهامهم ، و تهيأوا للقتال ، و الحرب و النزال ، و الفرنج تجذف بغربانها

إلى أن أتوا قاصدين أخذ القرقورة والغراب و السلورة ، فرموا على المسلمين

يريدون تنصيرهم منهم ، ليتمكنوا من أحدهم لها بكلايبهم التي يحرقونها

بها . و رعموا أن فعلهم ذلك كعملهم حين الواقعة التي كانت في أواخر

(١) في الأصل : هيئوا .

(٢) في الأصل : و أصدت .

(٣) في الأصل : القياد .

(٤) في الأصل : الرازي - راحع العهارس عنه .

(٥) النوار ساقطة من الأصل .

(٦) مكان بالإسكندرية ، و في الأصل : المطرف .

(٧) في الأصل : سرت .

المحرم سنة سبع وستين وسبع مائة<sup>١</sup> ، وقر<sup>٢</sup> المسلمون منهم رميهم عليهم ،  
 ففروا من بين أيديهم ، فبذلك ظفروا بالإسكندرية . فتخيل للفرج أن هذه  
 مثل ذلك ، فلما رموا على المسلمين ، رمى<sup>٣</sup> عليهم ، لذكعهم وثبتوا لهم ، فتقهقرت  
 الفرنج لورائهم ، مما أصابهم من حراحهم بسهام المسلمين . فأقاموا نحو  
 ساعتين ، وجذفوا قاصدين الساحل يعاودون<sup>٤</sup> القتال ، فرمتهم الترك<sup>٥</sup>  
 بالقسي العربية ، ورمتهم القواد<sup>٦</sup> و الرماة المتطوعة بالقسي الجرخية ،  
 فلذكعهم ثانيا ، فتقهقروا أيضا . فلما كان بين الظهر والعصر ، اصطفت  
 عوام المسلمين المتفرجين على شراريف السور ينظرون إليهم من غير  
 قسي بأيديهم ، وجلست رماة السور خلف كواه بقسيهم الجرخ ،  
 فتيقنت الفرج أنهم لم يصيبهم<sup>٧</sup> ضرر من أصحاب الشراريف ، إذ لم يروا معهم<sup>٨</sup>  
<sup>٩</sup> قسي ولا سهام<sup>٩</sup> ، بل متفرجين / لا غير ، فخفي عنهم أمر الرماة التي  
 حلف كوى السور الكامنين لهم عند مراميه ، فعند ذلك رمت الفرنج  
 على من بالساحل بمدفع ، فتعداهم حجره و وقع بالجزيرة ، فلم يصب أحدا  
 من المسلمين منه ضرر . ورمى<sup>١٠</sup> المسلمون عليهم بالمدافع فأخطأتهم

٢٧٦ / الف

(١) يقابلها نوفمبر سنة ١٣٦٥ م .

(٢) في الأصل : ونهت .

(٣) في الأصل : رمت .

(٤) في الأصل : يعاودوا .

(٥) في الأصل : القياد .

(٦) في الأصل : لا يصيبهم .

(٧-٧) في الأصل : قسي ولا سهام .



حجارتها ووقعت في البحر .

ثم إن غراب الفرنج التقدمة الذي حوى الرجال الشجعان الأبطال تقدم بعد أن ربطوه بالسرياقات في الغراب الذي خلفه بعيدا منه ، و ربطوا بقية المراكب بعضها في بعض ، كل غراب بعيد عن الآخر . و قصد ه غراب التقدمة أن يرمى كلاليه في غراب المسلمين ، فيرمى المسلمون أنفسهم منه إلى الساحل ، فينجز لهم الغراب . و إن غلب المسلمون الفرنج ، جرّت الفرنج الغرابان الثلاثة المربوطة بعضها في بعض بالسرياقات ، غراب التقدمة و غراب المسلمين أيضا المكب بالكلايب بما يبق من المسلمين المتأخرين عن الهروب منه .

١٠ ففهم إبراهيم الرّئيس قصدهم ، و قرأ حسابهم ، لمعرفة محربهم بلاء الغرب ، فعمل مرّة ينجو بها <sup>٢</sup> قصدوه ، وذلك [ أنه - ٣ ] أوثق غراب المسلمين بالسرياقات في مراسي الحديد المركوزة شعها في الأرض و فقس الغراب بعرضه من جهة الفرنج ليتقى بذلك هو و رجاله سهام الفرنج ، فصار من جهة الفرنج عاليا ، و من جهة البر واطئا . و قال ١٥ لرجالها : من فيكم يطلب الجنة بيت اللّيلة بها ، و يعيد عيد النحر بساحتها . فقالوا بأجمعهم : كلا ريدها ، و لا نعمل عيدنا إلا بها . فقال لهم عد

(١) في الأصل : علت .

(٢) في الأصل : ما .

(٣) ساقطة من الأصل .

ذلك : إذا رمت الفرنج الكلاب في غرابنا هذا ، والتقى<sup>١</sup> الجنب على الجنب ، اصعدوا كلكم في غرابهم دفعة واحدة كلمح البصر ، نأخذهم حيثنذ بقوة الإيمان ، وضعف الكفر والطغيان ، فنكم من يقاتلهم ، ولا يقدرّون هم على جر غرابنا لتوثقته بسرياقاته / التي هي مشدودة ب/٢٧٦  
بخلق المراسي الموثوقة شعبها بالأرض ، وفلان وفلان وفلان يكونون<sup>٢</sup> .  
معتدين لقطع سرياقات غراب الفرنج المربوطة بغرابهم الثلاثة ، فاذا انقطعت سريقاتهم ، أخذناهم بغرابهم ، فقالت القواد<sup>٣</sup> : هذا هو المراد ، افعل ، لك ذلك أيها الرئيس ! وكان عدة القواد المسلمين مائتين وخمسين ، فقهمت الفرنج مرمة المسلمين ، فامتنعوا من رمي كلابهم ، وقالوا :  
إن تكلينا لغرابهم مضرة علينا .

١٠

ثم إن الفرنج قربوا من مراكب المسلمين ، ورموا عليهم ، فرمى<sup>٤</sup> المسلمون عليهم أيضا ، والفرنج يأخذون<sup>٥</sup> رمي المسلمين في درقهم المانعة ، وجوههم تقابل جهة الد و ظهورهم للبحر ، وإذا رماة السور اندفعت عليهم بالرمي من كواه ، فمن وقع بظهره سهم خرق مصفحه وركز في صلبه ، واندفع عليهم أيضا من شراريب السور من النظارة حلامي<sup>٦</sup> ١٥  
الحجارة ، وصار الرمي عليهم من الساحل والمطرق<sup>٧</sup> والسور بالسهم

(١) في الأصل : والتقت .

(٢) في الأصل : يكونوا .

(٣) في الأصل : القياد .

(٤) في الأصل : رمت .

(٥) في الأصل : يأخذوا .

(٦) في الأصل : المطرف - انظر حاشية سابقة و راجع العهارس .

و الحجار كوابل الأمطار ، فانطلقت في قلوبهم جحيم النار ، وأحاط<sup>١</sup> بهم  
 البلاء من خلفهم ومن بين أيديهم ، وعن إيمانهم وعن شمائلهم ،  
 ورمى المنجنيق المقابل لهم بحجره الضخم عليهم ، فلم يصادف سوى  
 بعض مجاذيفهم ، كسرهما ، ولو وقع في نفس الغراب خرقه و غرقه ، فقتل  
 ٥ من شجعانهم أكثرهم ، و تلحمت نواتيتهم ، وبطل من الجذف مجاذيفهم ،  
 وصار كل علع يأخذ طارقه المقاتلة له ، بسبب التستر عليه ، يرميها على  
 حسده و يرقد تحتها ، فيأتيه سهم الجرخ من كوة السور ، يخرق الطارقة  
 ويركز في الراقد تحتها ، فيستمر الكلب معها ، فصار كل من بالغراب  
 يصرخ من حرارة وقع النشاب الذي احتاط بهم من كل جانب و مكان ،  
 ٢ / الف ١٠ فحينئذ حرت / الغربان الثلاثة لغراب التقدم بتلك السرياقات بقوة  
 جذب قوادهم<sup>٢</sup> لها ، فما بعدوا عن رمى المسلمين لهم بالسهام إلا وأجسام  
 الفرج حطام ، فأقاموا داخل الحرب بحيث يراهم<sup>٣</sup> المسلمون ، فجمعوا الغربان  
 بعضها إلى بعض ، يداوون الجرحى ، ويرمون في البحر القتلى . فلما أصبح  
 يوم الجمعة ثامن ذي الحجة الحرام ، رفعت الفرج صواري عرايين ليقلعوا  
 ١٥ بها ، و حروا الاثنين خلفها ، لعدم رحالها المقتولين سهام المسلمين .  
 فلما رآهم الرأس إبراهيم التازي فعلوا ذلك ، رفع صارى غراب  
 المسلمين ، وصار يشير إليهم بفرنسه الأسود و يصيح : تعالوا قاتلونا ،

(١) في الأصل : واحيط .

(٢) في الأصل : قيادهم .

(٣) في الأصل : تراهم .

و للحرب عاودونا . و كان قال لهم حين هجموا على غراب المسلمين :  
 لست<sup>١</sup> الآن بسوى جناح واحد ، و لو كنت بمحاحين ، أخذتكم الأربعة فى  
 أقل من ساعتين ، يعنى لو كان معه غراب ثان معمر برحاله ، كان خرج  
 بهما إليهم ، قاتلهم داخل البحر ، و أخذهم الأربعة سرعة بمعة قتاله و قتال  
 رجاله ، لأن الفرنج ليس يفهمهم سوى المعاربة ، و ذلك لمخالطتهم لهم<sup>٥</sup>  
 بحرية الأندلس ، يعرفون طرق حربهم ، و طعنهم و صربهم ، فى بر و بحر .  
 و لو كان<sup>٢</sup> بالإسكندرية من المغاربة<sup>٣</sup> جمع كبير<sup>٤</sup> بجوامك مرتبة ، و غرمان  
 مجهزة بعددها و أروادها ، كانوا يحربون<sup>٥</sup> حزرا كثيرة ، و صارت الفرج  
 معهم فى حيرة<sup>\*</sup> .

و لما أقام<sup>٦</sup> الفرنج صوارى الغرابين ، و جروا خلفهم الاثنين ، رجعوا<sup>١٠</sup>  
 من حيث أتوا حاسرين ، لعنة<sup>٧</sup> الله عليهم أجمعين . فصار الملعون سنجوان  
 دمرف ولد الزنى قد امتلأ<sup>٨</sup> رعبا و حزنا ، لما قتلت رحاله ، و حرحت  
 أبطاله ، و خسر أمواله ، و بطلت أعماله ، و غضب الله عليه ، فاللعنة / واصلته  
 دائما عليه .

٢٧٧/ب

(١) فى الأصل : ليس ، و بهامشه « لعنه : لست » و هو الأصح .

(٢) زيد بعده فى الأصل : منهم .

(٣-٣) فى الأصل : جمعا كبيرا .

(٤) فى الأصل : ينجروا .

(٥) فى الأصل : حزيمة . و بهامشه « لعنه : فى حيرة » و هو الأصح .

(٦) فى الأصل : أقاموا .

(٧) فى الأصل : اعنت .



ولما كان وقت القتال ، كان سنجوان المذكور في الغراب الرابع ،  
الذى هو آخر الثلاثة المربوطة بالسرياقات ، وعن يمينه راهب وعن  
شماله راهب أيضا قد لبس الجوخ الأحمر ، وعلى الراهبين القطعان  
السود ، والبرانس ذوات البنود ، والقلائس ذوات الآذان ، والزنانير  
التي بها الصلبان يتششون ويدعون بالسر لأصحابهم ، فكان دعاؤهم وبالا عليهم  
بالتقتل والجراح ، والحرن والواح . والثلاثة كلاب ، يشاهدون ما حل  
بأصحاب الغراب من العذاب .

ثم إن المسلمين لم يضرب منهم غير رحلين بسهمين ، فتداويا<sup>٢</sup> من  
تلك الجراح ، وحصل للمسلمين بهذه الغزوة الفلاح والجاح . ثم إن  
١٠ ملك الأمراء هو والأمراء المجردين أرسلوا حبر مدفع الإفريج الذى  
وقع خارج باب البحر ، وسهامهم المعوضة عن الرش بالورق ، إلى السلطان ،  
وأحبروه بحبر الأربعة أغربة ، حين القتال والمحاربة . وكان ذلك الحبر  
مطوقا<sup>٣</sup> بالرصاص ، أسود اللون من حجارة الطواحين ، المدور المتين .  
فوصل الخبر ، مع السهام والبحر ، بعد عصر يوم الوقفة ، فتسلى السلطان

(١) في الأصل : و الثلاث .

(٢) في الأصل : فتداووا .

(٣) في الأصل : مطوق .

(٤) في الأصل : لث . و بهامشه « اعله . فبث » و هو الأقرب للصواب .

النقاء في الأمراء والأجناد ، فخرجوا بعد المغرب ليلة الأحد . المسفر  
صباحها عن يوم عيد البحر ، فأتوا الإسكندرية ثاني العيد .

وكان قد أتيع بالقاهرة أن الإسكندرية محاصرة بمائة غراب ،  
نخافت عيال الأمراء والأجناد عليهم ، وعيدوا ذلك العيد في حزن شديد .  
فلما وصلوا الإسكندرية لم يجدوا لما قيل صحة . فأرسلوا الكتب ، طمّنوا  
بها عيالهم وأولادهم ، فزال ترحهم . وتجدد فرحهم . وأما أهل  
الإسكندرية فلم يحصل لهم في عيدهم حزن ولا خوف ، بل اشرحوا  
في عيدهم بدورهم وذائبهم ، و تنزهوا بفرحهم في سائتهم .

/ تم بعد ذلك احتشد ملك الأمراء صلاح الدين ابن عرام في ٢٧٨ / الف

تغريق الأحجار بالمينة الغربية المعروفة ببحر السلسلة لحفظ مراكب المسلمين ١٠  
بالحجارة الكبيرة المقدار ، فصارت كالسور الدائر عليها ، وعمل على  
فوهتها أبية محكمة بسلسلة متينة مقفلة<sup>٢</sup> بقفل ثقيل ، وبموضع القفل كوى  
منهاة للرمى بالسهم على من يقصد السلسلة من الفرج الطغام . وكان  
عمله لتلك المينة المصونة لمراكب المسلمين في أوائل سنة إحدى وسبعين  
وسعمائة<sup>٣</sup> .

١٥

ولما كان في تاسع ربيع الأول من السنة المذكورة ، قدم إلى مينة

(١) في الأصل : فصار .

(٢) في الأصل : مقفولة .

(٣) يقابلها سنة ١٢٦٨ م .

الإسكندرية الشرقية غراب فيه رسل من صاحب قسطنطينية إسطنبول ،  
على رؤسهم أطباق الصوف<sup>١</sup> الرفيع الملبد ، ومعهم خمسة من الرهبان ،  
قيل : إن بالقسطنطينية المذكورة أربعين<sup>٢</sup> ألف كنيسة ، فيها اثنتا عشرة  
ألف عامرة ، والباقي خراب<sup>٣</sup> دائرة ، وفيها كيسة لشمعون الصفا لها<sup>٤</sup>  
٥ ثلاثمائة وستون بابا . وقيل : إن هذه الكنيسة بقدر الإسكندرية ثلاث  
مرات ، وفي وسطها سعة<sup>٥</sup> جبال و الكنيسة المذكورة بها عمد  
كثيرة - انتهى .

نعود - فلما قدمت رسل صاحب القسطنطينية ، ذكروا أنهم رسل  
جميع ملوك الفرنج إلى ملك مصر . معهم الهدايا<sup>٦</sup> . فحملوا إلى القاهرة  
١٠ بعد المشاورة .

ثم قدم بعدهم في الرابع عشر من ربيع الآخر من السنة المذكورة  
إلى مينة الإسكندرية ثمانية<sup>٧</sup> غرابان كبار المقادير أرسوا بها ، ولم يزل لهم  
واصل على جارى العادة . فتأهب المسلمون لهم ، وركب الأمراء

(١) في الأصل : الصوف .

(٢) في الأصل : أربعون .

(٣) في الأصل : خرابا .

(٤) في الأصل : له .

(٥) في الأصل : سبع .

(٦) في الأصل : الهدايا .

(٧) في الأصل : ثمان .

المجردون و الأجناد المركزون بالإسكندرية عليهم آلات حربهم ، و رموا عليهم بحجارة المدافع ، فبرزت<sup>١</sup> غربانهم خارج المينة خوفا منها . ثم إنهم باتوا خارجها / و دخلوها بعد طلوع الشمس من يوم الجمعة . فخرحت إليهم قوارب المسلمين بالمدافع ، فصاروا يرمونهم بأحجارها . فأبعدوا غربانهم خارج المينة ، فحين حصلوا بها تهيأت لهم الأمراء والأجناد<sup>٥</sup> و أهل البلد و القواد<sup>٢</sup> لحربهم و قتالهم . فعند ذلك كشفت الفرج رؤسها و صاروا يقولون : سلام سلام ! لنا يريد الحرب ، و إنما يريد الصلح . و أنزلوا من غربانهم<sup>٣</sup> تاجرا مسلما<sup>٤</sup> معه مملوكه ، و طلبوا الماء ليشربوا ، فمنعوا منه .

وكان<sup>٤</sup> المسلمون [ لما - ° ] عاينوا تلك الغربان الثمانية ، جروا مركب<sup>١٠</sup> الصارى<sup>٦</sup> القسطنطينيين الرسل المقيمين الآن بالقاهرة إلى الساحل . وفعوا منها ما فيها إلى البر ،<sup>٧</sup> و أدخلوا قوادها<sup>٢</sup> الإسكندرية خوفا بأن يخبروا

(١) في الأصل : ببرروا .

(٢) في الأصل : القياد .

(٣-٣) في الأصل : تاجر مسلم .

(٤) في الأصل : كانت .

(٥) ساقطة من الأصل .

(٦) في الأصل : نصارى .

(٧-٧) في الأصل : و دخلوا قيادها .



أصحاب الغربان بنجر المسلمين . فحارت أفكار أصحاب الغربان لعدم رؤيتهم  
للنصارى القسطنطينيين ، وقالوا للمسلمين : نحن رسل من عند ملوك  
النصارى : الجنوى و البندقى و الرودى و القبرىسى . فقبل لهم : فلم لم تقولوا  
ذلك حين قدومكم ؟ فقالوا : إن القسطنطينيين تقدمونا ، و لم نرهم الآن ،  
ه و رأينا مركبهم فارغة مائلة على جنبها بالقرب من الساحل خالية منهم .  
نفخنا بدخل الساحل يصيبنا ما أصابهم . فقال المسلمون : إن السلطان  
طلبهم ، فحملوا إليه بأجمعهم ، فان كنتم كما زعمتم رسلا ، فانزلوا من مركبكم ،  
وامضوا إلى السلطان ، بلعوه رسالاتكم ، و إن كنتم تقصدون الحرب  
حاربناكم ، و إلا فارحوا من حيث أتيتم . فقالوا : بل نحن رسل  
١٠ الملوك . و أنزلوا علجا واحدا معه كتب محتومة . فحمل العليج إلى  
السلطان ، و رجع إليهم معه مرسوم السلطان بنزولهم من غربانهم  
الف يبلغون<sup>٢</sup> رسالاتهم ، / فزل منهم عشرة مثلوا بين يدي ملك الأمراء  
صلاح الدين بن عرام . فقال لهم : أراكم مترددين فى أموركم فى النزول  
و عدمه ، كل من نزل منكم أرسلته لمولانا السلطان يرى فيكم رأيه ، فقد  
١٥ بان لنا مكركم و حيلكم و مكاييدكم ، فلو كنتم كما زعمتم رسلا ، تركتم  
أربعة من غربانكم حين قدومكم خرجت من المية الشرقية ، [ بل - ٢ ]

(١) فى الأصل : قالت .

(٢) فى الأصل : يبلغوا .

(٣) ساقطة من الأصل .

كشفت المينة العريية ، أقامت بها نصف يوم ، كأنكم قصدتم الأذى ،  
فلما رأيتم مراكب المسلمين محصنة بتغريق الحجارة حولها ، رجعتُم إلى  
أصحابكم ، عرفتموهم بأنهم ليس لهم على مراكب المسلمين سبيل<sup>١</sup> ، فصرتم  
تتحيلون<sup>٢</sup> بكل حيلة تخلصون بها أصحابكم الأسارى المسجونين بالقاهرة ،  
هيهات هيهات ! ضلت والله حيلكم ، وخاب سعيكم .

٥

فلما سمعت العشرة علوج من ملك الأمراء ذلك ، عاد كل منهم  
هالكا<sup>٣</sup> ، و صاروا يضربون يدا على يد نادمين على نزولهم من غربابهم .  
ثم إن ملك الأمراء دعاء<sup>٤</sup> في الوقت بخيل البريد حملهم عليها إلى القاهرة  
ليرى السلطان فيهم رأيه ، فسافروا ليلة الجمعة المسفر صباحها عن الثانى  
و العشرين من ربيع الآخر سنة إحدى و سعين و سعمائة<sup>٥</sup> .

١٠

فلما أصبح يوم الجمعة نزل من الغرمان علج<sup>٦</sup> ، قال لملك الأمراء :  
إنا طلبنا منكم الماء لتشرب ، معتمونا إياه ، و نسأل إحسان مولانا ملك  
الأمراء مرسومه الكريم سفروا إلى فوهة النيل بلد رشيد ، نملا<sup>٦</sup> الماء

(١) فى الأصل . سبيلا .

(٢) فى الأصل : تتحيلوا .

(٣) فى الأصل : هالك .

(٤) فى الأصل : ادعى .

(٥) يقال لها ١٨ سبتمبر سنة ١٣٦٩ م .

(٦) فى الأصل : علجا .

منها و نرجع ، فانا قد عطشنا ، فرسم لهم بذلك و نطق إلى المركزين برشيد يعلمهم أن ثمانية أغربة واصله إليكم ، تملأ الماء من مصب النيل في البحر الملح ، فلا يروكم أمرهم ، و اتركوهم يملأون الماء ، فانا نحن معنهم الماء من جهتنا حتى نعلم / أخارهم ، و عندما عشرة من أكابر أصحابهم ، أرسلناهم لمولانا السلطان ، فلا تخشوهم ، و لا تتعرضوا لهم بحرب . فلما صار العلم عندهم ، لم يتعرضوا لهم ، و تركوا حتى ملأوا كفايتهم من الماء . و رجعوا إلى مينة الإسكندرية ، أقاموا بها إلى أن رجعت إليهم أصحابهم من القاهرة . ف قيل : إنهم قالوا لما سئلوا : نحن غلمان الرسل التي بالغربان ، و في الصلح عمارة البلاد ، و إزالة الفساد<sup>١</sup> . ف قيل : إن الترجمان قال<sup>٢</sup> لهم على لسان السلطان : إنهم يزلون<sup>٣</sup> من مراكبهم ، و يأتون إلينا مطمئين آمين .

فلما رجعت العشرة و صاروا بغربانهم ، رفعوا مراسيهم ، و رجعوا من حيث أتوا ، و كأنهم - و الله أعلم - ما أتوا إلا أن<sup>٢</sup> يجرؤا مراكب المسلمين من مينة بحر الساسلة . فلما رأوا ما حوط عليها من الحجارة<sup>١٥</sup> المغرقة في الماء فلم يجدوا إليها سبيلا ، تحيروا إذ لم تتم لهم حيلتهم ، و رجعوا خائبين - لعنة الله عليهم أجمعين .

(١) في الأصل : الفساد .

(٢) في الأصل : نزلوا .

(٣) في الأصل : انهم .

و قد كانوا مدة إقامتهم يبيتون في كل ليلة خارج المينة ، خوفا على أنفسهم في الليل من المسلمين ، فاذا طلعت الشمس دخلوها ، فلما سافروا صبح يوم الجمعة ، وجد<sup>١</sup> المسلمون على السور المجاور لدار الإمارة أقية جندى و عمامته موضوعة ، و في أحد الشراريف جبلا مرخى إلى جهة البحر ، فلم أن جاسوسا كان بين المسلمين من الجند ، فعل ذلك و سار مع<sup>٥</sup> العرج ، فتشوش المسلمون لذلك ، و خاصوا في الكلام ، و قالوا بقول العرج : إنهم لم يحفظوا سورهم ، حتى أن جاسوسا نزل من أكبر مواضع الحفظ و هو دار الإمارة ، فكيف بقيت السور . فعند ذلك أمر ملك الأمراء بتفتيش البر و البحر ، فوجد في بطن مركب الرسل القسطنطينيين المائلة على جنبها حدى عريان ، فقبض عليه ، و إذا هو من الأسارى<sup>١٠</sup> الذين قدم بهم الرأس إبراهيم التازى وقت هروبهم من مينة الإسكندرية وقت القائلة في قارب ، و سار خلفهم ، قتل راسهم و رجع بهم في العشر الأول من ذى الحجة سنة تسع / وستين و سبعمائة ، كما تقدم ذكر ذلك مفصلا .

و كانوا حملوا إلى القاهرة فأسلموا و فرقوا على الأمراء ، صاروا عندهم<sup>١٥</sup> حندا . فلما أتى الأمير الشهير باب رقطية إلى الإسكندرية مجردا مع جملة الأمراء المجردين بها ، كان ذلك الحدى من جملة أحناده ، فلما نزل في الليل من السور عريانا ، اختفى بمركب القسطنطينيين ينتظر الثمانية أغرة تدخل<sup>٢</sup> المينة مثل حارى عاداتهم خارجها في مدة إقامتهم ليصعد

(١) في الأصل : وحدث .

(٢) في الأصل : يدخلوا .



إليهم بالعموم ، يفرحون<sup>١</sup> به ويكسونه ويستخرونه عن أمور الفرنج  
المسجونين ، و الروم القسطنطينيين الذين هم عند المسلمين ، و ينجو بنفسه  
إلى وطنه ، و يرجع إلى ملته و كفره .

فلعدم سعادته بتركه دين الإسلام ، و ارتداده إلى دين الكفر ،  
و ثبوت شقاوته ، لمحتة لدين الصليب ، سافرت الغرمان الثمانية في صبح  
ذلك اليوم ، فقبض عليه ، و دخل به إلى دار الإمارة من الطرف الشرقي  
المتقدم ذكر عمارته عريانا<sup>٢</sup> مكشوف العورة ، فلما أوقفوه بين يدي ملك  
الأمراء صلاح الدين سأله من هو و رأى أمير هو معه مضاف إليه ،  
فقال : إنه من أجناد الأمير ابن رقطية . فأرسل له يعرفه بما اتفق معه ،  
١٠ فقال : إنه من الأسارى الأسلمة<sup>٣</sup> الذين أسره الرأس إبراهيم التازي وقت  
هروبهم من مية الإسكندرية ، فقولوا الملك الأمراء : اقله أشرقتة ، و اجعله<sup>٤</sup>  
بين الفرنج مثلة ، لتركه دين الإسلام ، و ارتداده لدين الصليب و الأصنام ،  
فلو علمت أنه رديق يسر الكفر و يظهر الإيمان ، كنت قتله فيما مضى  
من الرمان ، و لكن قد ظهرت الآب زندقته ، و انكشفت سريرته ،  
١٤ فالواحد ضرب رفته . فلما أخرج ملك الأمراء بمقالة أستاذه ، أمر  
بقتله ، فشقت الأعوان به شوارع الإسكندرية عريانا<sup>٥</sup> على الحالة التي ووجد  
عليها . مهتوك العورة ، أخرجه من باب البحر إلى الجزيرة ، فقطع بالسيف

(١) في الأصل . يفرحوا .

(٢) في الأصل : عريان .

(٣) أغلب الظن أن المقصود بالأسلمة الدين ادعوا اعتناق الإسلام .

(٤) في الأصل : يحمله .

ثلاث قطع ، فضربت رقبته ، و قطع جسده قطعتين ، و علق / على حشبتين ، ٢٨٠ / ب  
 و صار المسلمون يرمونه بالحجارة ، فرأيت و رجله اليمنى قد شقت من عند  
 عرقوبه ، و علق برجليه الاثنتين<sup>١</sup> على خشبة ، بعد أن أدخل طرف الحبل  
 في المكان المشقوق ، و علق على الخشبة الثانية نصفه الأعلى بيده الواحدة ،  
 وصات اليد الأخرى مسدولة ، قد علق فيها رأسه المقطوع بأذنه ، ه  
 و قد قطع ذكره و أثنياء<sup>٢</sup> ، و رمى بسهم في جبهته ، و قلع السهم منه ،  
 فصار مكانه مثقوبا ، و كان شابا أمرد ، ثم أحرق بعد ذلك بالنار - فهذا  
 جزاء الكفار .

هذا ما جرى ، و أما تجار الإفرنج و غلباتهم المستأسرون<sup>٣</sup> بالقاهرة ،  
 فابهم استعملوا في العيائر السلطانية ، بعد أن كانوا قد استشروا بقدم ١٠  
 من أتوا من القسطنطينية ، و بقدم الثمانية أغربة ، لما قيل لهم : إنهم أتوا  
 بسبب خلاصهم . فلما لم يتم ذلك ، صاروا على غادتهم ، بأرحلهم القيود ،  
 و على أجسادهم مقطعات اللبود ، و ميتهم في كل ليلة مخزاة اللبود ، حتى  
 كأنهم الموتى في اللهود ، قد نصحت منهم الكبود ، و صارت وحوهم  
 كلون الغرايب السود ، فعاد السمين منهم كالعود المجرود ، و الهزيل من ١٥  
 كثرة العمل على الأرض ممدود ، و هو نفسه يحد .

حدث أحمد المعروف بمرزبان التاجر سوق السلاح بالإسكندرية  
 بعد قدومه من القاهرة إليها ، قال : رأيت نحو مائة و خمسين من تجار

(١) في الأصل : الاثنتين . (٢) في الأصل : وأثنييه .

(٣) في الأصل : المستأسرين .

الفرنج و غلمانهم ، يعملون في العمار السلطانية و [ هم - ١ ] في عيشة رديئة ،  
 وحالة غير مرضية . فعرفت من تجارهم الذين كانوا قبل ذلك  
 بالإسكندرية جزيرين و مرك بلظون و أسلين<sup>٢</sup> و برشون و فرنسك كاتب  
 جوان جنك و غيرهم ، بأرجلهم القيود ، مع كل واحد منهم قفة يحمل  
 ه فيها التراب ، و قد صاروا من الإهانة<sup>٣</sup> البالغة في أليم العذاب .

لف / و في يوم الاثنين السادس و العشرين من المحرم سنة اثنتين و سبعين  
 و سبعمائة ، قدمت الثمانية أغربة المتقدم ذكرها إلى مينة الإسكندرية  
 أيضا بسبب خلاص الفرج المأسورين بالقاهرة . فلما سمعت أسارى  
 الفرج بقدمهم استغاثوا ، وسمع السلطان استغاثتهم ، و سئلوا عن  
 ١٠ ذلك ، فقالوا : يريد أن يسافر منا اثنان<sup>٤</sup> إلى أرض الفرج ، يكلمون  
 الباب<sup>٥</sup> و الملوك في إيقاع الصلح و الطاعة لمولانا السلطان ، و نعد<sup>٦</sup> مولانا  
 السلطان بأن كلبين منا قد هلكا إذا لم يرجعنا . فرسم السلطان بذلك ،

(١) ساقطة من الأصل .

(٢) في الأصل : و اسلين . و قد وردت فيما قبل مشكولة « اسلين » و راجع  
 العهارس .

(٣) في الأصل : اهبة .

(٤) يقابل هذا التاريخ ٢١ أغسطس سنة ١٣٧٠ م .

(٥) في الأصل : اثنين .

(٦) أي بابا رومه في رئاسة الكنيسة الكاثوليكية .

(٧) في الأصل : و يعد .

فأرسلوا أرناط بن مرك<sup>١</sup> البندقي و آخر معه في الغربان الثانية التي<sup>٢</sup> لم يقبل  
السلطان كلامهم<sup>٣</sup> فيها ، فغاب<sup>٤</sup> العلجان نحواً من عشرة أشهر ، ووردا  
إلى مينة الإسكندرية و معها الثانية أغربة المذكورة ، وهي<sup>٥</sup> اثنان من  
الجنوية ، و اثنان من البدقية ، و اثنان من الرودسية ، و اثنان من القبرسية ،  
فيها<sup>٥</sup> رسل ملوكهم ، فأما رسل البنادقة و رسل الجنوية فنزلوا من  
غربانهم ، و حملوا إلى القاهرة ، و أما الروادسة<sup>٦</sup> و القبارسة ، فلم يمكنهم  
ملك الأمراء صلاح الدين من نزول رسلهم من مراكنهم حسب مرسوم  
السلطان له في ذلك . فلما حضرت رسل البنادقة و الجنوية لإيقاع الصلح  
قالوا : إن الصلح إذا وقع معنا ، و لم يقع مع القبارسة و الروادسة ،  
يصيروا يتحرفون<sup>٧</sup> في البحر ، و يعود العائد علينا بسدسهم ، و المصلحة<sup>٨</sup>  
تقتضى مصالحتهم و إتيانهم إلى الإسكندرية بمتأخرهم ، فان الذي كان  
السبب فيما فعله بالإسكندرية قتل و مضى أمره ، و أخوه البرنز<sup>٩</sup> المتملك  
بعده بجزيرة قبرس طائع<sup>٩</sup> لمولانا السلطان ، و قد صار من جملة الغلمان ،  
و الماضي لا يعاد ، و الصلح يقع على السداد / و الرشاد .

٢٨١/ب

(١) ورد هذا الاسم قبلئذ - انظر عاليه .

(٢) في الأصل : الذين .

(٣-٣) في الأصل : فيهم غابا .

(٤) في الأصل : و هم .

(٥) في الأصل : فيهم .

(٦) في الأصل : الروادسية . (٧) في الأصل : يتحرفوا .

(٨) في الأصل : البرير . (٩) في الأصل : طابعا .



فحينئذ رسم السلطان بنزولهم من مراكبهم، وحملهم إلى القاهرة،  
فصار للبنادقة والجنوية لهم عليهم اليد العالية لشماعتهم فيهم بسبب  
الصلح، فوقع الصلح معهم على أنهم يأتون<sup>١</sup> ببقية أسارى الإسكندرية،  
وأن يقيم رسل الجنوية والبنادقة وتجارها رهائن إلى أن يسافر معهم  
٥ في قطائعهم رسول السلطان مستصحباً معه بعض الشهود، يحلفون ملوك  
الفرنج على الإنجيل في الكنائس بعقد الصلح، وإرسال بقية الأسارى إلى  
الإسكندرية.

فسافر رسول المسلمين، وهو الأمير سيف الدين طقبا خازندار<sup>٢</sup>  
العلائي بم تبعه من شاهد و غلمان . فلما وصل إلى قبرس، لم يتركه  
١٠ البرنز صاحبها يسير منها إلى غيرها، ورجع معه أسارى من غير الإسكندرية.  
ف قيل له : و أين أسارى الإسكندرية ؟ فقال : ذكروا أنهم رغبوا في دين  
النصرانية و تنصروا ، و صار للنسوان منهم الأولاد ، و قد ألفوهم و تزيوا<sup>٣</sup>  
بزيهم في أحوالهم و ملوسهم ، و توطنوا عندهم ، و صاروا يخفون أنفسهم .  
خشية مفارقة الصارى ، و نزعوا الإسلام من قلوبهم ، و صاروا بعد  
١٥ الإسلام و الإيمان ، يعبدون الصليبان . ف الله تعالى يعافيا عما اتلوا به ،  
رنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا و هب لنا منك رحمة إنك الوهاب .

(١) في الأصل: يأتوا .

(٢) في الأصل: خرندار .

(٣) في الأصل: و تزاوا .

## [ حكاية الشيخ على البكاء - ١ ]

فلنذكر الآن حكاية تدهل العقل وتسلبه، وتورث الحزن وتجلبه . وهي أن الشيخ الصالح عليا<sup>٢</sup> البكاء صاحب الزاوية المجاورة لبلد الخليل عليه السلام، كان مشهورا بالعبادة، مداوما للبكاء، حتى جعله له عادة، فلذلك شهر بالبكاء . وكان الملك المنصور قلاوون<sup>٣</sup> سلطان الديار المصرية والشامية وغيرهما يثني عليه ويذكر / أنه اجتمع به، وكشفه في أشياء وقعت . وسئل عن سبب كثرة بكائه حتى سمي البكاء، فقال : إنه صحب رجلا له أحوال، وإنه خرج معه من بغداد، فأنهيا في ساعة واحدة إلى بلد يديها وبين بغداد مسيرة سنة، وإن ذلك الرجل قال للشيخ على البكاء : سأمت في الوقت الفلاني، فاحضر عندي في ذلك الوقت في البلد الفلاني . قال الشيخ على . فلما كان ذلك الوقت حضرت عنده وهو في السياق، وقد استدار إلى الشرق، فحولته إلى القبلة، فعاد فاستدار إلى الشرق . ثم قال لي : لا تعبوا فاني لا أموت إلا على هذا الوجه . وجعل يتكلم بكلام حتى مات . فحملناه فحسنا<sup>٤</sup> إلى دير هناك، فوجدناهم في حزن عظيم . فقلنا لهم : ما شأنكم ؟ فقالوا : كان عندنا شيخ مسن، بلغ من العمر مائة سنة، فلما كان اليوم مات على دين الإسلام، فقلنا : خدوا هذا بدله،

(١) العنوان مشتق من النص، وليس بالهامش .

(٢) في الأصل : على .

(٣) انظر حاشية سابقة و راجع الفهارس .

فقد مات على دينكم ، وسلموا لنا الذي مات على ديننا . فقلنا منهم ،  
و تولينا غسله و كفنه ، و صلينا عليه و دفناه . قال الشيخ علي : فحصل لي  
مداومة البكاء على الخاتمة ، و ما أدرى ما يحتم لي ! فنسأل الله تعالى  
بمنه و كرمه و فضله و جوده و حزيل إحسانه أن يتوفانا<sup>١</sup> على كتابه  
و سنة نبيه محمد صلى الله عليه و سلم ، بلا فتنة و لا محنة ، و أن لا يشمت  
بنا الشيطان عند الموت ، و أن يحشرنا في زمرة نبينا محمد صلى الله عليه  
و سلم ، و أن لا يخالف بنا عن طريقته و ما جاء به ، إنه على ذلك قدير ،  
و بالإجابة جدير .

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : لا تؤيس<sup>٢</sup> مذنباً ، فكم من  
ب ١٠ عاكف على الذنب يختم له بخير ! و كم من مقبل على عمله<sup>٣</sup> مفسد له<sup>٤</sup>  
في آخر عمره ، صار إلى النار ! و لله در القائل حيث قال :

/ و كيف تنام الطير عن وكناتها إذا نصبت للفرقدين<sup>٥</sup> الحماثل

فليس كل قاصد يبلغ المقاصد ، و لا كل وارد يستعذب الموارد ،  
١٥ و لا كل متواجد واجد ، و لا كل نديم مشاهد ، كم من عليل لا يجاد<sup>٥</sup> !  
كم من قتيل لا يعاد ! كم من مرید لا يراد ! و كم من قريب حظه البعاد !

(١) في الأصل : يتوفنا .

(٢) في الأصل : لا يؤيس .

(٣-٣) في الأصل : مفسدات .

(٤) في الأصل : الفرقدين .

(٥) كذا في الأصل ، و لعله : لا يجاد - بالجيم .

موائد أهل الخصوص لا يجلس عليها إلا من طهر بظهور " ونزعنا ما في صدورهم من غل " وطيب طيب " سلم عليكم طبتم " ، و غذى بلبان " فاذكروني اذكركم " وسقى من شراب " وسقنهم ربهم شرابا طهوراه " و حلع عليه خلعة " يحبهم و يحونه " و عقد له لواء " نحن أوليؤكم " ، و كتب له توقيع " يختص برحمته من يشاء " و حمى بحماية ه " ان عبادى ليس لك عليهم سلطان " ، فمن سبق له هذا الإنعام ، غاص في بحر الصفاء و عام ، و من حرم ذوق هذا الطعام ، ما ينفعه عليه ولو بعد ألف عام .

ما كل مقبل يقبل ولا إلى أصلى وصل

مضى زمان القسمة وجهت الأقلام ١٠

ما كل منزل يصلح لعز سلطان الملك

ولا عروس المحبة تجلى لمن قد سام

ما النور مثل الظلمة ولا الجواهر<sup>١</sup> مثل الصدف

إن كنت عارف تدركم بين سام و حام

روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : إن الرجل ١٥

ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس و هو من أهل النار ، و إن الرجل

ليعمل عمل [ أهل -<sup>٢</sup> ] النار فيما يبدو للناس و هو من أهل الجنة .

قال بعض الوعاظ : سابق القدر جرى على قوم بعز " سبقت لهم

(١) في الأصل : الجواهر .

(٢) زيد من مراجع الحديث .



منا الحسنى“ وعلى قوم بذل ”غلبت علينا شقوتنا“ نورت قلوب  
الجن فقالوا ”انا سمعنا قرانا عجا... فامنا به“ وعميت أبصار بصائر  
قريش فقالوا ”اساطير الاولين“ إذا اهتزت صوارم القدر، تقلقلت  
قلوب المقربين، غضب على قوم فلم تنفعهم الحسرات، ورضى عن قوم  
لـ ٥ / فلم تضرهم السيئات، ما قعت عبادة بلعام، ولا ضر عناد السحرة.  
هبت عواصف الأقدار بقلل الذكران فقيدت الوجود، فلما كرت الريح  
إذا أبو طالب فى لجة الهلاك، وسلبان الفارسي على ساحل السلامة،  
سبق القدر من القدير، ونفذ الحكم من الحكيم. وجرت القسم  
”فريق فى الحنة وفريق فى السعير“ ولو كان الأمر آنفا لامتدت  
١٠ الاطماع إلى الحيل، واظردت المكاييد فى العمل، لكن الطامة الكبرى  
بارتباط الأمر بمشيئته، لا يبالى هؤلاء إلى الحنة ولا أبالى هؤلاء  
إلى النار ولا أبالى، سبقت السعادة لمحمد صلى الله عليه وسلم، ومضت  
الشقاوة لآلى جهل قل وجوده.

واعلم أن القلب إذا عمى لم يعد نظر العين. أما سمعت أصحاب  
النار إذ يقولون: ”لو كما نسمع او بعقل ما كنا فى اصحب السعير“!  
١٥ وكانوا يرون الآيات، ويسمعون الأصوات، ولكهم أحياء كالأموات.  
ولله در القائل حيث يقول:

يا واحدا قد جل عن تقديرى<sup>٢</sup> إني برئت إليك من تديرى

(١) فى الأصل: هناد.

(٢) فى الأصل: و طردب.

(٣) فى الأصل: تقدير.

و خلعت طرف تعرضي وأرلته      وفيت عن وجدى وعن تقصيرى  
 ورثت من حولي إليك وقوتى      علما بأنك خالقى وصيرى  
 هيات كيف يضع عبد عاجز      أو هل يلبق تحرز بغير  
 ذلى إليك تذالى وتقللى      والعز عدى أن تكون مجيرى  
 وجهت كتب تضرعى لجلالك<sup>١</sup>      فمتى يوافق بالقول بشيرى ٥  
 أنت الجليس إذا عدت مؤاسى      ولذيد ذكرك فى الظلام مسيرى  
 لو كنت تسمع للعبد نظرة      ما كان فى هذا الوحود ظيرى  
 ورضاك سؤلى والتقرب جتى      ورجاء حودك فى الخطوب ظهيرى

### [ خبر بعثة السلطان لصاحب قبرس -<sup>٢</sup> ]

فلنذكر الآن ما أخبر به الشاهد الذى سافر مع الأمير رسول ١٠  
 السلطان إلى قبرس - لما سئل : كيف كان دخولكم على صاحب قبرس  
 وما قلتم له وما قال لكم ؟ فقال : لما دخلنا عليه / وجدناه جالسا على  
 سرير لطيف ، و إلى جانبه راهب مخلوق اللحية ، وعنده علوج جالسون<sup>٣</sup>  
 على كراسى صغار ، فتكلموا بما وقع عليه الاتفاق من أمر الصلح ،  
 وذكرنا له اليمين فلم يحلف ، وقال : إن الأسارى تنصرت ، ثم إنه ١٥

(١) فى الأصل : لحالكم .

(٢) العنوان مشتق من النص ولم يرد بهامشه ، وهو استمرار فصل سابق .

(٣) فى الأصل : حالسين .

أكرمنا، ورجعنا في مراكب الفرج إلى الإسكندرية . ثم بعد ذلك  
تتابعت مراكب الفرج بمتاجرها إلى الإسكندرية شيئا فشيئا، إلى أن  
كثر الخير بها، فباع<sup>١</sup> المسلمون بضائعهم عليهم ، و تعوضوا عنها من  
بضائعهم، و اطمأنت الناس ، و ما فات فات .

٥ وفي يوم الاثنين ثاني شهر ذي الحجة سنة اثنتين<sup>٢</sup> و سبعين  
و سبعمائة<sup>٣</sup>، عاد إلى الإسكندرية ملك الأمراء سيف الدين طيدمر الباسي  
بعد عزل ملك الأمراء صلاح الدين بن عرام ، فحين حضر ابن عرام  
بين يدي السلطان معزولا ، أنشد لسان حاله يقول :

دخلت على السلطان في حال عره

١٠ بفقر و لم أجلب بخيل و لا رجل

و قلت انظروا ما بين فقري و عزكم

بمقدار ما بين الولاية و العزل

اعلم أن السيد إذا أحب عبدا من عيده و أراد أن يزيل طمع  
الغير منه، عابه بغيب، فيقطع الغير طمعه منه، و يزول عن العبد عجه .  
١٥ فلدلك قدر على عمده المؤمن ليزول عجه و يقطع طمع الغير، ألا ترى  
أن يوسف عليه السلام لما أراد إمساك أخيه بنيامين عليه السلام عمده

(١) في الأصل : فباعته .

(٢) في الأصل : اثنين .

(٣) يقابله ١٧ يونيو سنة ١٣٧١ م .

ورماه بالسرقه بالصواع الذى دس فى رحله و أخرج منه ، فلامه<sup>١</sup>  
 إخوته على ذلك و قالوا له : كيف فضحتا و فضحت أباك الصديق  
 و أزريت بنفسك ؟ فقال بنىامين : يا إخوتى ! اسمعوا منى و لا تعجلوا  
 على حتى آتيكم برهان تعرفون به راءتى ، ألسن تعلمون أن بضاعتكم  
 ردت إليكم فى رحالكم يوم صدرتم من عند الملك و أتم لا تعلمون ه  
 حتى قلم لوالدكم : هذه بضاعتنا ردت إلينا . فان كنتم سرقتم البضاعة  
 فأنا سرقنا صواع الملك ، و إن كنتم راء فأنا رى . فظهرت حجه  
 لديهم ، و سكتوا عن ملامتهم - انتهى .

### [ عزل ابن عرام ثم توليته -<sup>١</sup> ]

نعود - ثم إن السلطان / جعل صلاح الدين بن عرام بعد عزله ١٠ ٢٨٤/الف  
 من الإسكندرية أحد حجابيه ، الواقفين بابه . فلما كان بعد ذلك ، قصد  
 الاعتزاز بعزة الله تعالى ، و قال لسان حاله :

ليكن ربك كل عزك<sup>٢</sup> يستقر و يثبت

فاذا اعتزرت بمن يموت فان عزك ميت

نخلع ملبوس الأمراء ، و تزيى بزي الفقراء ، أهل التجريد ، و أقام ١٥  
 بزاوية كالمرید . ثم إنه عاشر من الفقراء طوائف ، منهم البحرية

(١) فى الأصل : فلاموه .

(٢) العنوان مشتق من النص و ليس بالهامش .

(٣) فى الأصل : عزل .



و الأحمدية و التونسية و الجزائرية<sup>١</sup> و الصوفية ، فصاروا يذكرون الله كثيرا ، فجلوه صدرهم و شيخهم . فسمع به الشيخ حس الرفاعي ، فأجازه بالمشيخة ، فعظم شأنه ، و ظهر إحسانه . فطلبه السلطان و ولاه الإسكندرية ملك أمرائها كما كان . فقال : إذ قد لبست خرقة الفقراء ، فكيف أصير بعد ذلك ملك الأمراء ؟ فقل : الواجب عليك طاعة السلطان ، لقول الله تعالى<sup>٢</sup> : ” و اطيعوا الله و اطيعوا الرسول و اولى الامر منكم “ . أمر بطاعة اولى الامر جزما . فقبل الولاية ، و لبس ملبوس أهل الولاية ، و ذلك في شعبان سنة أربع و سبعين<sup>٣</sup> و سعمائة . و دخل الإسكندرية يوم الخميس رابع عشر رمضان المعظم قدره من السنة المذكورة ، ففرحت به القراء ، و العلماء و الفقراء ، فصار مجلسه كما كان أولا بمدد السباط ، الذي صيره كزاوية و رباط ، لابسا للحنديات<sup>٤</sup> ، مرخيا للعذبات ، في مجلس الجلسات ، ذاكرا لله كثيرا . و مصليا على رسوله أو آله الذين أذهب الله عنهم الرجس و طهرهم تطهيرا ، فأنه تعالى يزيده من فضله ، و يمدده بإحسانه و طوله ، و يؤيده بقوة و حوله ،

(١) في الأصل الجزيرة . و ربما كانت الكلمة خطأ قلميا و الدليل من السياق . و هي فرق عديدة تحتاج إلى تحقيق .

(٢) قرآن كريم سورة ٤ آية ٥٩ .

(٣) في الأصل : وستين . و بهامشه : لعله : و سبعين . وهو الأصح ، ويقابله يناير - فبراير سنة ١٢٧٣ م .

(٤) كذا في الأصل ، و لعلها بمعنى لباس الجنديين .

إنه على ما يشاء قدير، و بالإجابة جدير، فالفقير قد يكون في ظاهره أمير، و هو في باطنه فقير<sup>١</sup> . ثم إن ملك الأمراء صلاح الدين بن عرام أقام أشهرا و عزل في المحرم سنة خمس و سبعين و سبعمائة<sup>٢</sup> ، ثم أعيد إليها ملك أمراء أيضا، فدخلها في ليلة الجمعة تاسع عشر رجب سنة سبع و سبعين و سبعمائة<sup>٣</sup> ، و قرئ تقليده بمنبر<sup>٤</sup> الحيوش بعد صلاة الجمعة، زاده الله من فضله و كرمه . آمين - انتهى .

نعود - و قد يكون حجاب الرجل الصالح / كثرة الغنى و انبساط الدنيا عليه حتى لا يظهر باطن فقره . قال بعض المتأخرين : كان بالمغرب رجل من الراهبين في الدنيا، و من أهل الحد و الاجتهاد، و كان عيشه بما يصيده من البحر، و كان الذي يصيده يتصدق ببعضه و يتقوت<sup>٥</sup> . بعضه، فأراد بعض أصحاب هذا الشيخ أن يسافر إلى بلد من بلاد المغرب، فقال له هذا الشيخ : إذا دخلت إلى مدينة كذا، فاذهب إلى أخي فلان . فاقرئه<sup>٦</sup> من السلام، و تطلب الدعاء منه، فانه دلي من أولياء الله تعالى . قال : فسافرت حتى قدمت تلك المدينة، و سألت عن ذلك الرجل، فدلت على دار لا تصلح إلا للولوك، فتعجبت من

(١) في الأصل : أميرا ... فقيرا .

(٢) يقابل هذا التاريخ يوبه - يوليه سنة ١٣٧٣ م .

(٣) و يقابله نوفمبر سنة ١٣٧٧ م .

(٤) بعد بياض بالأصل قدر كلمة من غير إحلال بالمعنى .

(٥) في الأصل . فاقره .

ذلك ، فطلبته ، فقبل لي : هو عند السلطان ، فازداد تعجبي أكثر من الأول . قال : فهمت بالرجوع و عدم الاجتماع به . ثم قلت : لا يمكنني مخالفة الشيخ . فاستأذنت فأذن لي . فلما دخلت رأيت ما هالني من العبيد و الخدم و الشاورة<sup>١</sup> الحسنة . فقلت له : أخوك فلان يسلم عليك .  
 ٥ قال : جئت من عنده ؟ قلت : نعم . قال : إذا رجعت إليه فقل له : إلى كم اشتغال بالدنيا ، و إلى كم إقبال عليها ، و إلى متى لا تنقطع رغبتك فيها ؟ فقلت في نفسي : هذا و الله أعجب من الأول . فلما رجعت إلى الشيخ الصياد قال : اجتمع بأخي فلان ! قلت : نعم . قال : ما ذا الذي قال لك ؟ قلت : لا شيء . قال : لا بد أن تقول . فأعدت عليه ١٠ ما قال . قال : فبكي طويلا و قال : صدق أخي فلان ، هو غسل الله قلبه من الدنيا ، و جعلها في بدنه و على ظاهره ، و أنا آخذها من يدي ، و عدى إليها بقايا التطلع - انتهى .

### [ أحوال الفقراء الصالحين - ٢ ]

فلنذكر الآن أحوال الفقراء الصادقين إن شاء الله تعالى - قوله تعالى<sup>٢</sup> : ” يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللَّهَ الْغَنَى الْحَمِيدُ “ .  
 ١٥ و قال النبي صلى الله عليه و سلم : اتخذوا مع الفقراء أيادي ، فان لهم غدا دولة و أيّ دولة ! و قال بعض المشايخ ، الفقر أفضل من الغنى

(١) كذا في الأصل ، و واصلح أن المقصود المستشارون .

(٢) العنوان مشتق من النص و لم يرد بالهامش .

(٣) قرآن كريم سورة ٣٥ آية ١٥ .

إذا كان مقرونا بالرضى . و قال الشاعر :

/ الفقر سر و عك النفس تحجبه / ٢٥٨ / الف

وارفع حجابك تجلو ظلمة السرف

قالت الفقراء المخلصون : مذهبنا مذهب العجائز إمام المحراب ،

و عقيدتنا أن الله تعالى رب الأرباب ، و مسبب الأسباب ، و منزل

الغيث و مزجي السحاب . و تؤمن بالله و بما جاء عن رسول الله على مراد

رسول الله ، و طريقتنا أنا فقراء أبناء وقتنا . إن جعنا صرنا ، و إن شبعنا

شكرنا ، لا نحمل للدنيا هما . و لا لفقد حطامها عما . من أسدى إلينا

خيرا شكرناه ، و من أبدى لنا شرا عذربناه . و اتكلنا على الله حق

الاتكال ، و أصلحنا معاملتنا معه في كل حال . و نقمصا من الزهد .

في الدنيا قمصانا ، فلهذا عدنا كالطير تغدر نخمنا و ترجع بطانا ، و فهمنا

الإشارة إلى هذا المقام ، من قصة مريم عليها السلام . إذ لما كانت

بجدة الهمة لله تعالى ، كان ررقها مسرا حسا . لما مزحت الهمة

بعسى ، قيل لها " و هزى إليك بجدع النخلة تسقط عليك رطبا جيا " .

و اقتصرنا من اللباس على الخلقان . لنلما أتت كل من عليها فان . ١٥

و أتعبنا أنفسنا و أشقينا أبداننا ، لقوله صلى الله عليه وسلم . اعزوزا

و اخشوشنوا و امشوا حفاة أحيانا . و رضنا بهذه العيات الرقعة ، و الثويات

(١) في الأصل . مبعج .

(٢) قرآن كريم سورة ١٩ آية ٢٥ .



المقطعة، لأنها تدفع الحر والقر<sup>١</sup>، ولا مطمع فيها لأهل الشر، ولأن فيها إهانة<sup>٢</sup> للنفس ودفعاً للكبر. ثم أنشدوا:

ما ضرنا لبس أطمار مرقعة كالدر ما ضره مخلوق الصدف  
فهذا مذهبنا وطريقتنا، ومكارم الأخلاق والوفاء بالعهد والميثاق  
هـ شيمتنا، فليس فينا متكبر ولا شرير ولا متحبر، ولا نذكر أحداً  
[إلا - ٣] بما يرتضيه، ولا نعيده عما هو فيه، ولا نستخدم رفيقنا،  
ولا نرائي عدونا ولا صديقنا، نصلي الخمس في الجماعة، ونؤثر الإخوان  
على قدر الاستطاعة، ولا يبرح / أحدنا إلا على وضوء، ولا يزجر نفسه في  
الدنيا عن طلب العلو، ولا نستعير المشط والمسواك، ولا نعتمد النجوم  
١٠ و الأفلاك، ونغتسل في كل اثنين وجمعة اقتداء بالتابعين، ونقلم أظفارنا<sup>٤</sup>.

(١) في الأصل: الحر.

(٢) في الأصل: اهانة.

(٣) ساقطة من الأصل.

(٤) يريد بها لفظة «الا» بالأصل وهي لا تتفق بالسياق فحذفناها.

(٥) بهامشه ما يلي: اعلم أن قص الأظفار - على ما قاله الشاعر - أمان من الرمد، وهو قوله:

أبدأ بيمسك و بالينصر في قصك الأظفار واستبصر  
و تن بالوسطى و ثلث بما قد جاء بالإبهام و بالخنصر  
و افعل بسبابتها هكذا في اليد و الرجل و لا تتر  
و كذا يسراك بإبهامها و تن بالوسطى و بالخنصر  
و افعل بسبابتها هكذا بمصرها حاتمة الأيسر

في كل أربعمائة مبتدئين<sup>١</sup> باليمين، و نعتقد أن الله واحد أحد، فرد  
 حمد، منزله عن الصاحبة و الولد، مسمى بما سمي به نفسه، بالمعنى الذى  
 أرادته، و أن القرآن كلام الله، منزل غير مخلوق، متلو بالآلسته،  
 مكتوب فى المصاحف، محفوظ فى الصدور . و أن الجنة و النار و الصراط  
 و الميزان حق، و أن الساعة آتية لا ريب فيها، و أن الله يبعث من فى  
 القبور، و أن موسى عليه السلام سمع كلام الله من غير حرف و صوت،  
 و أن منكرا و نكيرا يسألان العبد بعد الموت، و أن محمدا صلى الله  
 عليه و سلم أسرى بجميع جسده و نفسه، و أنه رأى الله تعالى بعين  
 رأسه، و أن الله مستور على العرش استواء منزها عن المجاسة و الاستقرار،  
 و أنه تعالى مرئى فى الآخرة بالأنصار، و أنه تعالى كان و لا شىء . ١٠  
 معه، و هو الآن على ما هو عليه كان، و أنه خالق الموجودات، و مكون  
 الأكوان، و أن عذاب القبر حال على الروح و الجسد، خلافا لمن  
 أنكر و جحد، و أن الخير و الشر بقضاء من الله و قدر، و أن النبى  
 صلى الله عليه و سلم أفضل البشر، و أنه ليس بعده أفضل من أبى بكر،  
 ثم عمر، ثم عثمان ذى النورين، ثم على أبى الحسن و الحسين، ثم نقيه ١٥  
 الصحابة العشرة، و رضى الله عن الصحابة أجمعين، و عن التابعين لهم  
 بإحسان إلى يوم الدين - انتهى .

فلذا ذكر ما جاء فى فضل الفقراء الصالحين . قال الله تعالى ” للمعراء

(١) فى الأصل : مبتدئين .

الذين احصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الارض يحسبهم  
الف الجاهل اغنياء من التعفف تعرفهم بسيئاتهم لا يسئلون الناس الخافا .  
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الفقراء الصبر هم جلساء الله  
يوم القيامة . وقال صلى الله عليه وسلم : يدخل الفقراء الجنة قبل الاغنياء  
٥ بخمسة عام .

واعلم أن الفقير الصابر أفضل من الغني الشاكر . وكذلك قوله  
صلى الله عليه وسلم لرجلين أحدهما فقير وعليه خلقان ، والآخر غني :  
هذا خير من أملء الأرض من مثل هذا . وقال : صاحب الدرهمين أشد  
حسابا من صاحب الدرهم . وقال الحسن البصري : إن مما كتب الله  
١٠ لإبراهيم عليه السلام في الصحف الأولى : إن أحب عبادي إلى الفقراء  
الذين يتغنون مرضاتي و أمري ، ويحفظون وصتي ، وإن من كرامتهم  
عليّ أني أرزقهم ما لا يشتغلون به عن طاعتي . و يروى في حديث آخر :  
يقول الله عز وجل : عادي و أصفيائي ! ما رويت عنكم الدنيا لهوانكم  
عليّ ، ولكن أردت أن ترد أصواتكم إليّ و أسمع منكم النداء ، فهذه  
٥ : داري فأنزلوها ، وهذا حوارى فتجربوا . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
رأس الدين ترك الدنيا ، والقرية من الله عز وجل حب المساكين  
و أندو منهم .

(١) قرآن كريم سورة ٢ آية ٢٧٣ .

(٢ - ٢) من مسند الإمام أحمد ٥ / ١٥٧ ، وفي الأصل : أهل الأرض .

روى عن أنى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يقول الله عز وجل يوم القيامة : أين صفوتي من خلقى ؟ فتقول الملائكة : من هم يا ربنا ؟ فيقول : فقراء المسلمين القاصين رزقى ، القائمين بطاعتي ، الراضين بقدرى ، أدخلوهم الجنة . فدخلوا فياكلون ويشربون ، والناس فى الحساب يترددون .

٥

و دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على رجل فقير فلم يجد له شيئاً فقال لأصحابه لو قسم نور هذا على أهل الأرض لوسعهم . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا أخبركم / بملوك أهل الجنة ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ! قال : كل ضعيف مستضعف أغبر أشعث ذى طمرين لا يؤبه له ، لو أقسم على الله لأبره ، وقال صلى الله عليه وسلم : الفقير على المؤمن أحسن من العذار الجديد على خد الفرس .

٢٨٦ / ب

وقيل : لو لم يكن للفقير فضيلة غير إرادته سعة المسلمين و رخص أسعارهم لكفاه ذلك لأنه يحتاج إلى شرائها ، والغنى يحتاج إلى بيعها وريادته سعده . وهذا لعوام الفقراء فكيف بخواصهم و أحص حواصهم .

١٥

وقيل : أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام : أريد أن يكون لك يوم القيامة مثل حسنات الخلق أجمع ؟ قال : نعم . قال : عد المريض ،

(١) فى الأصل : قل .

(٢) فى الأصل : اخذ .



و كن لثياب الفقراء قاليا<sup>١</sup> . فحمل موسى على نفسه في شهر سبعة أيام  
يطوف على الفقراء يفلى ثيابهم و يعود المرضى .

و قال سهل بن عبد الله : خمسة أشياء من جوهر النفس : فقير  
يظهر الغنى ، و جائع يظهر الشبع ، و محزون يظهر الفرح ، و رجل بينه  
و بين رحل عداوة فيظهر المحبة ، و رجل يصوم النهار و يقوم الليل  
فلا يظهر ضعفا . و قال بشر الحافي : أفضل المقامات الصبر على  
الفقر - انتهى .

### [ عود إلى ولاية ابن عرام و غيره الإسكندرية -<sup>٢</sup> ]

نعود - و لما ولى ملك الأمراء صلاح الدين بن عرام الإسكندرية  
١٠ ثانى ولاية ، لم يقم متوليا غير خمسة أشهر . و عزل منها فى أوائل سنة  
خمس و سبعين و سبعمائة<sup>٣</sup> . و ولى مكانه ملك الأمراء سيف الدين  
كجك ، أقام بها أشهرا و عزل . و ولى بعده ملك الأمراء سيف الدين  
أرغوان اللالا المعروف بالاحمدى<sup>٤</sup> ، دخلها - أعى الإسكندرية<sup>٥</sup> - يوم  
الاثنين خامس شوال سنة خمس و سبعين و سبعمائة ، فأتاه الطحانون<sup>٦</sup>  
١٥ بألف دينار ليزيد لهم فى الخبز خردبة<sup>٧</sup> ، فأخذها منهم و أبقى الخبز على

(١) فى الأصل : قاليا .

(٢) العنوان مشتق من النص و لم يرد فى الهامش .

(٣) يقابلها سنة ١٣٧٣ م .

(٤) بعده بياض بالأصل قدر كلمتين من غير إحلال بالمعنى .

(٥) زيد بعده فى الأصل : يعنى .

(٦-٦) فى الأصل : فاته الطحانين .

ما كان عليه شفقة على الرعية . ثم وضع الذهب المذكور في بيت / مال المسلمين . ثم إنه أقام متوليا بها أربعين يوما ، و توفي و دفن برباط الشاطبي ظاهر الإسكندرية من شرقها . ووليها بعده ملك الأمراء سيف الدين الشعباني .

### ٥ [عن الموت الأسود - ']

و في سنة خمس و سبعين و سبعمائة<sup>٢</sup> بدأ الفناء<sup>٣</sup> من شهر شوال منها ، و تابع إلى ربيع الأول سنة ست و سبعين و سبعمائة<sup>٤</sup> ، فصار يتدرج إلى أن صار يموت في كل يوم نحو المائتين ، و كان أكثره في الولد الأطفال . قيل : إنه مات في ذلك الوء بها مئة عشر ألفا ، منها ولدان ذكور و إناث اثنا عشر ألفا ، و الباقي رجال و ساء ، و عبيد ١٠ و إماء . و كل<sup>٥</sup> ذلك نحو ثلاثين ألفا ، و تبع الفناء الغلاء ، فصار يزداد ثمن القمح و الدقيق و الخبز إلى أن بيع القمح بالإسكندرية نكيها وهو سبع ويات و ربع ربة بالكيل المصري بمائة و عشرين درهما نقرة الإردب ، و بيع<sup>٦</sup> الدقيق العلامة فيها بثلاثين نقرة البطنة . و الخبز

(١) العنوان مشتق من النص ، و لم يرد بالهامش .

(٢) انظر الحاشية السابقة رقم ٣ ص ٤٢٢ .

(٣) الطاعون المعروف بالموت الأسود .

(٤) يقابله أغسطس سنة ١٣٧٤ م .

(٥) في الأصل : كل .

(٦) في الأصل : و أبيع .

الخشو بنصف وربع نقرة الرطل بالجروى ، وهو رطلان<sup>١</sup> و سدس رطل بالمصرى ، مع أن النيل المبارك قد عم البلاد ، و زاد زيادة بلغ فيها سبعة عشر ذراعا و نصف ذراع ، و ذلك بعد كسر الجسور على البلاد مع إطلاق الخلجان و الترع عليها لتشرب الأرض و الرى سريعا ٥ لاجل تقصير النيل فى العام الذى قبله . فلما رويت أرض مصر بأجمعها زرعت الناس ، و تحيلوا فى شراء النذر بالثمن الغالى و بذروه حتى فى المساتين و الكروم . و لطف الله بأهل مصر برحاه الشام فى سائر الحبوب ، فصارت التجار تشتري منه القمح و الحبوب و تسيره فى النهر و البحر إلى مينة الإسكندرية و غيرها . حتى صار الناس يتبلغون<sup>٢</sup> ١٠ مما يحدونه<sup>٣</sup> منه . و افتقر غالب الناس ، و انكشفت أحوالهم ، و ضاقت أسابهم ، / و رخصت اقشيتهم و أمتعتهم ، فاعوها بالثمن البخس ، ليشتروا بأثمانها الخبز ، و ازدحمت الناس على الخمازين مدة شهور ، حتى صار الخماز لا يلحق إلا بالغصب و القوه ، و صغروا الأرعمة ، و باعوها معاددة بربع درهم نقرة الرغبة . و ذلك مع تتابع المراكب بالقمح ١٥ و الشعير من الشام و رفة ، و نولا ذلك لكان غير ذلك ، و لم يزل الخبز بمصر و ربع الرطل إلى أن ضج الناس فى ذلك الغلاء و القحط الشديد ، و ضاق بهم الخماز لقلة المكاسب مع وعود القمح و الشعير

(١) فى الأصل : رطلين .

(٢) فى الأصل : تتبلغ

(٣) فى الأصل : يحدوه .

والخبز . فقليل في ذلك : قال بعضهم <sup>١</sup> في ذلك .

### [ في الزهد - <sup>٢</sup> ]

ذكر الزهد في الدنيا الفانية ، والرغبة في طلب الآخرة الباقية ،  
قوله تعالى <sup>٣</sup> : ” قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون  
فتيلاً “ . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : لو كانت الدنيا تزن عند الله ه  
جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء . وقال بعضهم :

إذا كان شيء لا يساوي جميعه جناح بعوض عند من أنت عبده  
تملك حزمه منك كلك ما الذي يكون على ذى الحال قدرك عنده

قال يحيى بن معين : كان قوت أحمد بن حنبل في كل شهر درهم  
و دائق ، و صلى الصبح بوضوء العتمة أربعين سنة . قال بعض الصالحين : ١٠  
رأيت أحمد بن حنبل بعد وفاته في المنام في الجنة وعليه ثياب خضر وهو  
يخطر في مشية لم أكن أعرفها له في دار الدنيا . فقلت له : يا أبا عبد الله !  
ما هذه المشية ؟ فقال : هذه مشية الخدام في دار السلام . فقلت له :  
أخبرني ما فعل الله بك ؟ فقال : غفر لي ورحمني وأكرمني وأكساني

(١-١) كذا بالأصل - وهو تكرار ، ووقع بعده بياض ، و بهامشه : بياض  
الأصل ثلاثة أسطر .

(٢) العنوان مشتق من النص ، وليس بالهامش .

(٣) قرآن كريم سورة ٤ آية ٧٧ .

(٤) من جامع الترمذي - الزهد ، وفي الأصل : كافر .

(٥) في الأصل : ذا .



و حلاني و ألبسي نعلين من ذهب، و قال: يا أحمد! هذا بقولك القرآن  
 ن / كلامي غير مخلوق . قال سعيد من ترك الدنيا المانية، و طلب الآخرة الباقية،  
 و سأل الكريم أن يدخله حنة النعيم، و التخلف هو الفرح بالدنيا،  
 و الساعي فيها بالكد و التعب و الجهد و النصب ليجمع لزوج حليته،  
 ه و يحاسب هو على همه، و المصيبة كل المصيبة! إن كان منع حق الله منه،  
 بعدم إخراج زكاة ماله، و بخاء به على مستحقه . فقد قيل: مصيبتان  
 لم 'يسمع الأولون و الآخرون' بأعظم منهما<sup>٢</sup> عند موت صاحب المال .  
 و ذلك أنه يؤخذ منه ماله كله . و يحاسب عنه كله، فيلزم العبد أن يكون  
 متيقظاً أرباباً، ليسلم في الآخرة من العذاب، قال الله تعالى: "فانه<sup>٣</sup> كان  
 ١٠ للآواب غفورا" و إذا حصل للعبد من ربه المغفرة، فار بالجه .  
 و الآواب هو الذي أقلع عن الذنب فلم يعد إليه، و قد سمي داود عليه السلام  
 أواباً و غيره من المرسلين .

قال العزالي في كتاب «الدرة الفاخرة»، في كشف علوم الآخرة: :  
 إن داود عليه السلام يأمره الله تعالى يوم القيامة يرقى منبرا و يتلو الربور،  
 ١٥ هيرقي يقرأ و هو أحسن الناس صوتا، و في الصحيح أنه صاحب مزامير  
 أهل الجنة، فيسمع صوته أوريا المقتول أمام تابوت السكية، فيقتحم

(١-١) في الأصل: تسمع الأولين و الآخرين .

(٢) في الأصل: منها .

(٣) في الأصل: انه - راجع القرآن الكريم سورة ١٧ آية ٢٥ .

الجموع ، و يتخطى الصفوف ، حتى ينتهي إلى داود عليه السلام ، فيتعلق به ويقول : أما وعظمتك الزبور حتى نويت لي ما نويت حتى قتلت ؟ فينجله و يسكت مفحما ، ويرتج الموقف لما يرى الناس من شأن داود . ثم يتعلق بأوريا به و يسوقه إلى الله تعالى ، فيرخي عليهما ستره ، فيقول أوريا : يا رب ! أصفني منه ، فانه 'تعمد لي' الهلاك و جعلني إقاتل أمام ه التابوت ثم قتلت ، و تزوج امرأتى . عنده يومئذ تسع و تسعون امرأة . فيقول : يا رب ! قد كان ذلك . وهو منكس الرأس حياء من الله تعالى و توقعا / لما ينزل به من العذاب و رجاء فيما يرسو من المغفرة ، فإن الله ب ٢٨٨ / ب كريم ، فاذا نكس رأسه حياء من الله تعالى و إذا طمع رجاء ، فيقول الله تعالى لأوريا عند<sup>٢</sup> ذلك : لك كذا و كذا من القصور ، و الولدان و الحور . ١٠ فيقول : رضيت يا رب ! ثم يقول الله تعالى لداود : اذهب فقد غفرت لك . و أما الظالم الأواب فإنه يؤتى ه إلى الله تعالى يوم القيامة فيخرج عليه المظالم و يتعلق به المظلوم ، فيقول الله له : لئمت أيها المظلوم فوق رأسك . فليمت فاذا هو بقصر عظيم تحار فيه الأنهار . فيقول : ما هذا يا رب ؟ فيقول جلت قدرته : إنه للبيع و الشراء فاشترته<sup>١</sup> ، فيقول ١٥ له : يا رب ! ما معي شيء أشتريه به ، فيقول له : إن تركت مظلة أحيك

(١-١) في الأصل : تعمدي .

(٢) في الأصل : عى .

(٣) في الأصل : فاشترته .

فالقصر لك . فيقول : يا رب ! قد فعلت ذلك . هكذا يفعل الله تعالى بالظالمين الأوابين ، وهو قوله تعالى ” فانه <sup>١</sup> كان للأوابين غفورا ه “  
وقد تقدم [ أن - <sup>٢</sup> ] الأواب هو الذي أقلع عن الذنب فلم يعد إليه .  
فالسعيد من ترك الدنيا الفانية ، وطلب الجنة الباقية ، فيها المستقر والمقر الدائم ، فبا سعادة من دخلها و رمتعه الله بعيمةا !

عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
لا أعلم في الجنة قصرا إلا و في وسطه أربعون نهرا حاريا <sup>٣</sup> ، على شاطئ كل نهر ألف شجرة ، بعضها أحسن من بعض ، أصول الأشجار من مسك ، وأغصانها من كافور ، وأوراقها دنانير ، تحمل بعض الأشجار الجوارى ،  
١٠ و يحمل بعضها الحلال ، و يحمل بعضها الثمار ، كل لون مما يشتهي <sup>٤</sup> أولياء الله ، و هو فوق منبر من ذهب ، و في وسطه ألف حوراء ، و حولها ثمانون ألف وصيفة ، كل واحدة أحسن من الأخرى ، وأولياء الله فيما بينهم من نعيم لا يفي ، و عيش لا يخافون فيه الموت ، و إن الجنة كما قال الله تعالى ” وفيها ما تشتهي <sup>٥</sup> الانفس و تلذ الاعين و انتم <sup>٦</sup> فيها تخلصون \* “ . اللهم احملنا / من أهل الجنة بمنك وكرمك يا أرحم الراحمين - انتهى .

(١) في الأصل : انه - راجع القرآن الكريم سورة ١٧ آية ٢٥ .

(٢) ساقطة من الأصل . (٣) في الأصل : جارين .

(٤) في الأصل : يشتهون . (٥) قرآن كريم سورة ٤٣ آية ٧١ .

(٦) من القرآن الكريم ، و في الأصل : تشتهى .

و إلى هنا انتهى ما قصدنا أن نورد في هذا الكتاب . و من ختمه  
 بالدعاء النافع إن شاء الله تعالى . اللهم ! صل على سيدنا محمد كلما ذكره  
 الذاكرون ، و غفل عن ذكره العاقلون ، و على آله و أصحابه ، و أزواجه  
 و ذريته و سلم تسليما كثيرا . خرج مسلم في صحيحه أن النبي صلى الله  
 عليه و سلم كان يقول : اللهم ! أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري ، ه  
 و أصلح لي دنياي التي فيها معاشي ، و أصلح لي آخرتي التي إليها معادي ،  
 و اجعل الحياة زيادة لي في كل خير ، و اجعل الموت راحة لي من  
 كل شر .

قال الشيخ أبو العباس القرطبي في كتابه « المفهم في صحيح مسلم »  
 حين تكلم على هذا الحديث : هذا دعاء عظيم ، جمع خير الدنيا و الآخرة ١٠  
 و الدين ٢ ، فحق على كل سامع له أن يحفظه و يدعو به آتاء الليل  
 و النهار ، لعل الإنسان يوافق ساعة إجابة فيحصل على خير الدنيا و الآخرة ،  
 و يقول معه ” ربما اتنا في الدنيا حسنة و في الآخرة حسنة و قنا  
 عذاب النار “ - انتهى .

دعاء آخر : اللهم ! إن ذنوبنا عظيمة ، و إن قليل عفوك أعظم ١٥  
 منها . اللهم اغفر لنا بقليل عفوك عظيم ذنوبنا ! اللهم ! ما تقلدنا من

(١) من كشف الظنون ، و في الأصل : على .

(٢) زيد هنا : و الدنيا ، و الكلمة مكررة لحذفناها .

(٣) من الوقاية .



ذنب أو زلل أو خطايا أو إثم أو نسيان<sup>١</sup> أو غيبة أو كذب<sup>٢</sup> ، فاعف  
عنا بعفوك ، واغفر لنا بمغفرتك اليوم قبل يوم القيامة ، ولا تدع لنا  
عندك دنبا نخيا تريد أن تعدبنا به في قوربا ، ولا تجعلنا في القبور من  
النادمين ولا من الخاسرين ، وأوجب لنا الخلود في جنات النعيم ،  
هـ ولا تجعلنا شماتة للشامتين ، ولا تبسط علينا ألسنة الطاعنين ، وأعطنا  
ب من فضلك الذي لا يتنص ، ورحمتك التي لا تفرغ ، / وأعطنا النضرة  
والسرور ، برحمتك يا عفو يا غفور - انتهى .

دعاء آخر : اللهم ! إنا نسألك باسمك الذي شق الصخر ، وأبرم  
الأمم ، وأرسل القطر ، وأزل الرزق ونور المدر ، ونسألك باسمك  
الذي شق القلم ، وأغسق الظلم ، وبرأ الأمم ، وأسبغ النعم ، وصرف  
النقم ، واختار الأمم ، وفتح الأعين ، وأنطق الألسن ، أن تعطينا  
خير الدنيا والآخرة . وتصرف عنا شرنا برحمتك يا أرحم الراحمين .  
اللهم يا رب ! كل شيء بقدرتك على كل شيء ، اغفر لي كل شيء ،  
ولا تسألني عن شيء .

١٥ يا رب هبني لما من أمرنا رشدا واحمل معونتك الحسنى لنا مددا  
ولا تكلنا إلى تدبير أنفسنا فالنفس تعجز عن إصلاح ما فسادا  
اللهم إنا نعوذ بنور قدسك ، وعظمة طهارتك ، وبركة جلالك من

(١) في الأصل : نسيانا .

(٢) في الأصل : كدما .

كل آفة و عاهة و طارق الجن و الإنس إلا طارق يطرق بخير يا رحمن !  
 اللهم أنت عبادنا فبك نعوذ و أنت ملاذنا فبك نلوذ ، يا من ذلت له  
 رقاب الجبارة ، و خضعت له مقاليد الفراعنة ، نعوذ بحلال وجهك  
 وكرم حلاك من خزيك و كشف سترك ، و نسيان ذكرك ، و الإضراب  
 عن شكرك ، ذكرك شعارنا ، و ثناؤك دثارنا ، لا إله إلا أنت ، تنزيها ه  
 نوجهك و تكريما لسحات قدسك ، أجزنا من خزيك ، و اضرب علينا  
 سرادقات حفظك و حياطتك ، و أدرنا في عنايتك ، و قنا سيئات عذابك  
 يا أرحم الراحمين ! اللهم نقل ما دعانا ، و تجاوز عن سيئاتنا و سيئات  
 آباءنا : أمهاتنا و إخواننا و إخواننا و أزواجنا و ذرياتنا جميع المسلمين !  
 اللهم صل على ملائكتك المقربين ، و على أنبيائك المرسلين الطاهرين المطهرين . ١٠  
 و على عمادك الصالحين ، و سلم عليهم و علينا كما سلمت على آل يس !  
 صلى الله على نبينا محمد و عليهم أجمعين . صلاة تعمنا بركتها / و نفعها إلى  
 يوم الدين . و رضى الله عن الصحابة أجمعين ، و سلم تسليما كثيرا .  
 و حسبنا الله و نعم الوكيل و الحمد لله وحده .

٢٩٠ / ألف

—————( \* \* \* \* )—————

تم كتاب الإمام بما جرت به الأحكام المقضية في وقعة الإسكندرية،  
الواقع بها في سنة سبع وستين وسبع مائة<sup>١</sup>، وعودها إلى حالتها المرضية .  
مع ما أضيف إلى ذلك من الواردات المستطردات . وكان الفراغ من  
كتابته من نسخة بخط مؤلفه رحمه الله تعالى في يوم الأحد المبارك الموافق  
لسابع عشر شهر ربيع الأول الذي هو من شهور سنة أربع وستين  
وألف<sup>٢</sup> على يد أفقر العباد وأحوجهم إلى رحمة ربه الكريم الهادي  
أحمد درويش الوقادي ، و الحمد لله وحده !

• وإن تجدد عيبا فسد الخللا • جل من لا فيه عيب وعلا

دار الكتب المصرية رقم ٣٩٤٢ تاريخ

—————( \* \* \* \* )—————

(١) يقابل هذه السنة ١٣٦٥ - ١٣٦٦ م . و المقصود تاريخ الوقعة لا تاريخ  
الانتهاء من تحرير الكتاب .

(٢) يقابل هذا التاريخ ٦ برابر سنة ١٦٥٤ م .

## خاتمة الطبع

الحمد لله العزيز العلام ، و الصلاة و السلام على سيد الانام ،  
 محمد المصطفى و آله النجباء البررة الكرام ، و أصحابه الاعلام ، أئمة  
 الهدى و مصاييح الظلام ؛ و بعد فقد وقع الفراغ من طبع الجزء السادس  
 من « كتاب الإمام بالإعلام فيما جرت به الأحكام » للشيخ الإمام  
 الهمام ، محمد بن قاسم بن محمد النويرى الإسكندراني - رحمه الله -  
 يوم الثلاثاء التاسع و العشرين من شهر ذى القعدة الحرام سنة ١٣٩٣ هـ =  
 ٢٥ ديسمبر سنة ١٩٧٣ م ؛ تحت مراقبة مدير الدائرة و عميدها أحد أعلام  
 الهند من أولى الألباب ، « أفضل العلماء » روفيسور السيد عبد الوهاب ،  
 البخارى حين الانتساب ، إلى آبائه الكرام ذوى الأحساب و الانساب ،  
 وفقى الله أحره بغير حساب ! نعم العبد انه اواب !

اعتنى بتصحيحه و تحقيقه و التعليق عليه ميزة الاماثل ، الاستاد العاضل ،  
 المستشرق الدكتور عزيز سوريال عطية ، أعانه الله فى خدمته العلمية العلية !  
 و غنى بتنقيحه خادماً العلم و العلماء راقم هذه الخاتمة - غفر الله له  
 و لوالديه - بمساعدة رفيقه العزيز مصحح الدائرة محمد عمران الأعظمى  
 العمرى ( الحامل شهادة أفضل العلماء من جامعة مدراس ) حفظه الله !  
 على المراجعة فى المراجع و المصادر المتعلقة ، بعد إعادة المعارضة و المقابلة  
 بالأفلام الصغيرة لمخطوطة القاهرة .

و فى الختام ندعو الله تعالى أن ينفعنا به و يوفقنا لما يحبه و يرضاه ،  
 و هو المسئول لحسن الخاتمة ، و نصلى و نسلم على من علم فواتح الخير  
 و حوائمه ، سيدنا و مولانا محمد و آله و صحبه أجمعين ، و آخر دعوانا  
 أن الحمد لله رب العالمين .

الفقير إلى رحمة الله العبي الحميد

السيد محمد حبيب الله القادرى الرشيد

( كامل الجامعة النظامية )

رئيس قسم التصحيح من دائرة المعارف العثمانية



DA'IRATU'L-MA'ARIFI'L-OSMANIA PUBLICATIONS  
NEW SERIES, No. IX/xiii/vi



# KITĀBU'L ILMĀM

BY

Muḥammad B. Qāsim al-Nuwairy al-Iskandarāni  
(Died after the year 775 A.H./1372 A.D.)

## Vol. VI

*Edited by*

DR. AZIZ SURYAL ATIYA

(From the Cairo MS.)

Printed

Under the Auspices of the Government of India  
&

Under the Supervision of  
Prof S.A. Wahab Bukhari  
Director, Da'iratu'l-Ma'arifi'l-Osmania



Published by

THE DA'IRATU'L-MA'ARIFI'L-OSMANIA  
(OSMANIA ORIENTAL PUBLICATIONS BUREAU)  
OSMANIA UNIVER



DA'IRATU'L-MA'ARIFI'L-OSMANIA PUBLICATIONS

NEW SERIES, No. IX/xiii/vi



# KITĀBU'L ILMĀM

BY

Muhammad B. Qāsim al-Nuwairy al-Iskandarāni

(Died after the year 775 A.H./1372 A.D.)

## Vol. VI

*Edited by*

DR. AZIZ SURYAL ATIYA

(From the Cairo MS.)

Printed

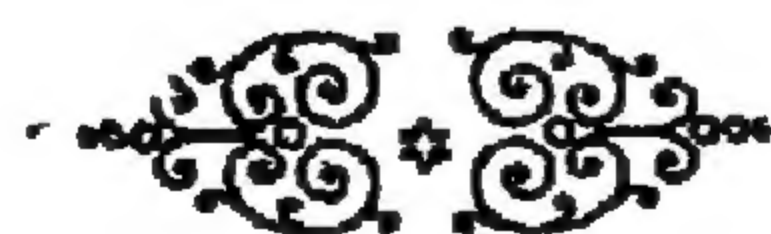
Under the Auspices of the Government of India

&

Under the Supervision of

Prof. S.A. Wahab Bukhari

Director, Da'iratu'l-Ma'arifi'l-Osmania



Published by

THE DA'IRATU'L-MA'ARIFI'L-OSMANIA  
(OSMANIA ORIENTAL PUBLICATIONS BUREAU)

OSMANIA UNIVERSITY, HYDERABAD—500007

INDIA

(1393 A.H. / 1973 A.D.)

